الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الأنثروبولوجيا
تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

عنوان الأطروحة

التغير الثقافي وانعكاساته على عادات دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية
دراسة أنثروبولوجية بمدينة بسكرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD) في شعبة الأنثروبولوجيا
تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

إعداد الطالبة:
- لغريب حليمة

إشراف الأستاذ:
أ.د مختار رحاب

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	قاسمي شوقي	أستاذ	بسكرة	رئيسا
2	مختار رحاب	أستاذ	المسيلة	مشرفا ومقررا
3	الطيب العماري	أستاذ	بسكرة	مناقشا
4	حورية بن قدور	أستاذ محاضر (أ)	بسكرة	مناقشا
5	رضوان عباس	أستاذ محاضر (أ)	م ب و CNRPAH الجزائر	مناقشا
6	نور الدين جفال	أستاذ	تبسة	مناقشا

السنة الجامعية:
2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الأنثروبولوجيا

تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

عنوان الأطروحة

التغير الثقافي وانعكاساته على عادات دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية
دراسة أنثروبولوجية بمدينة بسكرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD) في شعبة الأنثروبولوجيا

تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ:

- لغريب حليمة أ.د مختار رحاب

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	قاسمي شوقي	أستاذ	بسكرة	رئيسا
2	مختار رحاب	أستاذ	المسيلة	مشرفا ومقررا
3	الطيب العماري	أستاذ	بسكرة	مناقشا
4	حورية بن قدور	أستاذ محاضر (أ)	بسكرة	مناقشا
5	رضوان عباس	أستاذ محاضر (أ)	م ب و CNRPAH الجزائر	مناقشا
6	نور الدين جفال	أستاذ	تبسة	مناقشا

السنة الجامعية:

2024/2023

شكر وعرفان

بعد باسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد الحمد والشكر لله الذي بفضله تتم الأعمال.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل: **مختار رحاب** الذي منحني من وقته الكثير لإرشادي وتوجيهي بنصائحه المفيدة طوال مدة اشرافه علي، وسأظل مدينة له بالمعرفة التي أكسبني إيها في مشواري الدكتورالي.

كما لا يفوتني أن أشكر أسرتي الثانية أساتذة شعبة الأنثروبولوجيا في جامعة بسكرة، على الاحتواء والدعم المعنوي الكبير الذي تلقيته منهم منذ بداية المشروع إلى غاية يومنا هذا وأخص بالذكر الأستاذ **قاسمي شوقي**، جزاكم الله خيرا وبركة ودمتم أحسن سند لطلبة العلم.

كما لا يفوتني أن أشكر كل الأشخاص الذي ساهموا وساعدوا في انجاز هذه الأطروحة، فلكم مني كل عبارات التقدير والاحترام.

فهرس المحتويات

الرقم	الفصل الأول: الإجراءات المنهجية	الترقيم
	مقدمة	أ–هـ
1	إشكالية الدراسة	01
2	أسباب اختيار موضوع الدراسة	05
3	أهمية وأهداف الدراسة	06
4	مفاهيم الدراسة	07
5	منهج وأدوات الدراسة	16
6	مجالات الدراسة	21
7	الدراسات السابقة	25
	الفصل الثاني: مكانة المرأة في المجتمع الجزائري في ظل التغير الثقافي	
	تمهيد	32
1	نظريات التغير الثقافي	33
2	عناصر التغير الثقافي	57
3	أسباب وعوامل التغير الثقافي	59
4	معوقات التغير الثقافي	65
5	مكانة المرأة عبر التاريخ في مختلف المجتمعات	69
6	مكانة المرأة في المجتمع الجزائري	74
7	محددات مكانة المرأة في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر	78
8	العوامل المساهمة في تغير مكانة المرأة في المجتمع الجزائري	85
	الفصل الثالث: ميلاد البنت عادات وطقوس بين الثبات والتغير	
	تمهيد	93
1	الحمل	94
2	عادات الولادة	113
3	تزين المولودة	131
4	عادات تحصين المولودة	135

5	تهويدات النوم	143
6	العقيقة	145
7	ثقب الأذن	151
8	انبات الأسنان	153
9	عيد الميلاد	154
خلاصة		159
الفصل الرابع: مرحلة البلوغ لدى الفتاة بين المقتضى الثقافي المحلي، وحتميات المثاقفة		
	تمهيد	160
1	أنواع البلوغ	161
2	الجسد في المجتمع الجزائري	169
3	الفصل بين الفضاء الأنثوي والفضاء الذكوري والعادات المصاحبة له	178
4	طقوس الصفح وحماية عذرية الفتاة في المجتمع الجزائري	190
5	الحضور في المناسبات الاجتماعية والأماكن العامة	198
6	طقوس العناية بالجسد والمظهر	202
7	عادات التجميل والتزين	220
	خلاصة	229
الفصل الخامس: عادات تزويج الفتاة طقوس ثابتة وعادات متغيرة		
	تمهيد	232
1	الاختيار الزواجي في المجتمع الجزائري	233
2	الرؤية الشرعية	244
3	الخطبة	247
4	المهر	251
5	المهيبة	256
6	جهاز العروس	258
7	عقد القران	261

8	زيارة الأضرحة	265
9	تحضيرات العرس	269
10	يوم الحنة	276
11	يوم العرس	287
12	صباحية العرس	396
13	أسبوع العرس	300
14	شهر العسل	301
	خلاصة	303
الفصل السادس: الطقوس الجنائزية بين الممارسات التقليدية والمستحدثة		
	تمهيد	306
1	معتقد الموت في المجتمع الجزائري	307
2	طقوس الاستعداد للموت ولحظة الموت	309
3	طقوس التعبير عن الألم وردة الفعل	313
4	غسل وتكفين الميت	318
5	تشيع الجنازة ودفن الميت	329
6	طقس الحداد والتعزية	342
7	طعام الجنازة	347
8	طقس زيارة القبور	349
9	طقوس ذكرى الوفاة	356
10	تقسيم الإرث	363
	خلاصة	369
	نتائج الدراسة	371
	خاتمة	380
	قائمة المراجع	386
	لملاحق	398

فهرس الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الترقيم
1	رسم توضيحي للنموذج الثلاثي لطقوس العبور	15
2	النموذج الثلاثي مطبق على مرحلة الولادة	15
3	تصور ابن خلدون لعمر الحضارة	40
4	شكل يمثل طريقة التغير في اتجاه واحد	41
5	الترتيب الاجتماعي في المجتمع الجزائري حسب الجنس	79
6	وضعية الصلاة في جنازة المرأة	334

فهرس الصور

الرقم	عنوان الصورة	الترقيم
1	خريطة ثلاثية الأبعاد لمدينة بسكرة	23
2	صاحبة الشعار أميرة بوراي في مسيرة	89
3	دبابيس (بروشات) للإبعاد العين	98
4	جهاز الاختبار المنزلي للحمل	99
5	عيش لمرور	109
6	بساط مصنوع من الشلالق وزاورة قديمة	110
7	بعض ملابس المجهزة للمولودة	112
8	بعض مستلزمات الحمام وتنظيف المولودة	112
9	مستلزمات الرضاعة الصناعية	112
10	عملية جبر المرأة النافس	124
11	ملابس المستشفى التي تأخذها المرأة	126
12	الملابس التي تستعمل بعد الولادة مباشرة	126
13	قماط حديث	126
14	مشبك السرة	127
15	سرة مولودة بعد سقوطها	127
16	سرة مولودة مدهونة بالكحل	128
17	حلويات قهوة المولودة	129
18	زينة الحائط	129
19	تكحيل عيون المولودة	132

20	وضع الحناء للمولودة الحديثة	133
21	يدي المولودة بعد وضع الحناء	133
22	تزين المولودة بالملابس الوردي وربطة الرأس في يوم القهوة	134
23	تزين المولودة بالقبعات والقفازات	134
24	تميمة ذهبية للتحصين المولودة	138
25	صرة الكمون معلقة مع تميمة الخمسة	139
26	محل مخصص لبيع الخرزات الزرقاء في تركيا	142
27	الخرزة الزرقاء في مشبك مع زينة نحاسية	143
28	مجلس النساء في يوم القهوة	149
29	ملابس مولودة في يوم القهوة	149
30	شكل الأقراط المسمارية	151
31	عملية ثقب الأذن عند الصائغ	151
32	أكلة الشرشم	152
33	ظهور الأسنان للمولودة	152
34	لكدادات	153
35	كعكة عيد الميلاد الأول	155
36	زينة المنزل لعيد الميلاد مع الأطفال المدعوين	155
37	عيد ميلاد بموضوع ميني ماوس	156
38	عيد ميلاد بموضوع هالو كيتي	156
39	دواء يستعمل لتسكين آلام الدورة	167
40	احتجاجات ضمن الحركة النسوية في شوارع نيويورك سنة 1971	172

41	فتاة تساعد والدتها في خبز الرقاق	180
42	امرأة تقوم بمخض الحليب	181
43	فاليزة جمع الجهاز	182
44	طرز بالدبلة	183
45	طرز بالفتلة	184
46	بعض الأدوات المستعملة عادة في الطرز بأنواعه	184
47	غطاء وسادة مصنوع من الكروشيه	185
48	بعض أدوات المنسج	186
49	امرأة تقوم بتحضير الخيط المستعمل في المنسج	186
50	أدوات صنع خيط المنسج (الصنارة)	186
51	شفرة الحلاقة المستعملة في عملية التصفاح	193
52	لخلالة المستعملة في فك التصفيح	196
53	قارورة زيت الزيتون المخصصة لدهن الشعر	212
54	صفحة الفايسبوك لشدة تلمسان	249
55	صفحة الانستغرام لشدة تلمسان	249
56	صورة تمثل ما يحضره أهل الخاطب	250
57	الفاليزة	252
58	صورة توضح طريقة ارتداء النساء للحلي في المناسبات	253
59	جهاز العروس	259
60	قائمة محتويات جهاز العروس الخاصة بفساتين الصيف والشتاء	260
61	مقتطفات من جلسة تصوير العقد المدني	264

62	مجموع النساء الذاهبين لزيارة الأضرحة	267
63	مسح العروس الحناء على عتبة باب الضريح	267
64	البخور المستعمل أثناء الزيارة	267
65	فتاة تقوم بربط معصمها بقطعة من القماش المغطى على الضريح	268
66	حمام العروس	274
67	طبق الحنة	277
68	عروس تتصدر في يوم الحنة	279
69	عروس تتصدر رفقة فتاتين	280
70	Ensemble أولى ملابس تصديرة العروس	280
71	تصديرة العروس	281
72	تنسيق العروس ملابس التصديرة مع البنات الصغار	281
73	عروس ترتدي ڤندورة الفرقاني في ليلة الحنة	282
74	ملابس لمختلفة للحنة	282
75	ربطات حنة مختلفة	282
76	الحرقوس	283
77	تمثل وضع اللويزة وقطعة سكر فوق حنة العروس	283
78	عروس بدون حناء	283
79	باروك لعروسة	284
80	اظهار محتويات الفاليزا بعد الحنة	284
81	بعض توزيعات العروس	285
82	عروس تضع الحنة لأحد الفتيات	285

286	سهرة عرس أحياها رضوان الصغير على اليمين ولزهر الجيلالي على اليسار	**83**
287	عريسان يتجهزان لقطع كعكة الزفاف	**84**
288	لحظة خروج العروس من منزل والدها	**85**
288	رش العروس بالسينوج	**86**
289	فرقة بوشكيوة	**87**
291	إلصاق العروس للدهان في الحائط	**88**
291	رش الملح في عتبة المنزل	**89**
295	لحظة دخول العروس من ممر القرابيلا	**90**
295	استقبال العريس والعروس بالحليب والتمر	**91**
296	تبادل العريسين شرب الحليب	**92**
296	كسر البيضة في كيس بلاستيكي	**93**
298	تلبيس العروس للملحفة في يوم القصعة	**94**
299	قصعة العروس	**95**
318	منشورات حداد في الفيسبوك	**96**
321	موضع غسل الميت.	**97**
323	شكل ظفائر المرأة المتوفاة	**98**
327	وصل الرموش الاصطناعية	**99**
327	تركيب الأظافر	**100**
328	وصل الشعر	**101**
328	بعض المواد المستعملة في عملة الغسل	**102**
328	تحضير المساحيق المستعملة في عملية الغسل في علب	**103**

104	شواهد قبور النساء في مقبرة البوخاري	338
105	منشور حول بعض أدوات السحر التي عثر عليها في مقبرة البوخاري	340
106	صورة لفتاة وضع لها سحر وجدت في احدى المقابر	340
107	وجبة العشاء في احدى الجنازات	349
108	كؤوس المياه على القبور	351
109	سكب العروس الحنة على أرضية المقبرة كنوع من طقوس الاسترضاء	355
110	قراءة العروس سورة الفاتحة على أرواح الاجداد وكذلك الدعاء لنيل الرضا	355
111	منشور فيسبوك لإحياء ذكرى وفاة	361

مقدمة

مقدمة:

يتشكل التراث من مجموعة لا متناهية من العناصر المختلفة والمتنوعة، ومما لا شك فيه أن هذه العناصر تشكل في مجملها الثقافة الإنسانية، وهذه الأخيرة تمثل الجوانب التي تميز الانسان ككائن اجتماعي وثقافي عن غيره من الكائنات الحية، يتأثر بها ويؤثر فيها من خلال مختلف الممارسات اليومية التي يقوم بها، ويتضمن التراث المعتقدات والعادات الاجتماعية واللغة والدين والأدب والفنون وغيرها من العناصر التي تكون هوية المجتمعات وتعكس ثقافتها وقيمها ورموزها، التي تتوارثها الأجيال عبر الزمان والمكان.

تعد العادات انتاجا اجتماعيا نابعا من ظروف معينة وتصبح هذه الأخيرة معترفا بها بعد تكرار ممارستها من قبل الجماعة، وتلعب العادات دورا مهما في تنظيم الحياة الاجتماعية وتسيير شؤونها فهي تعتبر بمثابة القانون الذي يخضع له الجميع، إذ أن لها حضورا قويا بينهم لذلك يصبح من الصعب الخروج عن حيزها، وتحمل العادات خلف ممارساتها العديد من الدلالات والمعاني فنجدها تمس جميع جوانب حياه الإنسان كالجوانب الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

تمثل دورة الحياة مجموع التغيرات الحياتية التي يمر بها الانسان فتشتمل على الميلاد والبلوغ والزواج والوفاة، وهذا المسار الحياتي يحدث ضمن ترتيب زمني معين إذ لا يمكن تخطي مرحلة ما دون المرور بالأخرى، ولذلك أحيطت دورة الحياة هذه بنظام طقسي شامل مستمد من الثقافة الاجتماعية للمجتمع، فنجد أن لكل مرحلة زمنية من دورة الحياة طقوس وعادات مرتبطة بها وهي ما تعرف بطقوس العبور، وهذه الأخيرة هي عبارة عن مجموعة من العادات والممارسات الاجتماعية الي تتم ضمن مناسبات احتفالية من أجل استكمال مراحل العبور للانتقال للمرحلة الموالية.

وقد استحوذ موضوع عادات دورة الحياة على اهتمام العديد من الباحثين والعلماء لاشتمالها على جميع مراحل حياة الانسان، خاصة بعد الدراسة التي قام بها عالم الأنثروبولوجيا أرنولد فان جينيب

لاعتباره أول باحث تفطن إلى وجود عادات وممارسات تصاحب مراحل الحياة، وقد قام هذا الأخير بوضع نظرية خاصة عن عادات دورة الحياة وسماها بـ: " ***طقوس العبور*** " وقد نشرت هذه الدراسة سنة 1908.

ان ممارسة عادات دورة الحياة تمثل الارتقاء بالشخص من مرحلة إلى أخرى، ويحدث هذا الارتقاء عبر طقوس عدة، وقد تمثلت في " ***النموذج الثلاثي*** " الذي صاغه فان جينيب أو ما أطلق عليها: " ***مخطط طقوس العبور*** " ، والذي يتمثل في الطقوس الانفصالية والطقوس الانتقالية والطقوس الاندماجية، كانفصال الفتاة من مرحلة الطفولة وانتقالها إلى مرحلة البلوغ ودمجها في عالم الراشدين عبر سلسلة من العادات الاجتماعية، ويستمر الوضع بهذه الطريقة إلى غاية وصولها إلى آخر مراحل دورة الحياة والمتمثلة في الوفاة وتنتهي عبر دمجها في عالم الأموات.

وقد تعرضت عادات دورة الحياة إلى عدة تغيرات ثقافية نتيجة للعديد من العوامل، كالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها والتي أثرت على تلك العادات وطرق ممارستها في المجتمع، فالعادات حاليا ليست هي نفسها التي كانت تمارس قبل عدة سنوات، ولذلك فإنه من البديهي جدا وجود اختلافات في طقوس العبور في المجتمع الواحد خاصة إذ تم تتبع الخلفية التاريخية لها.

ونظرا لإمكانية فهم أسلوب ونمط عيش أية مجتمع من خلال عادات دورة الحياة الخاصة به وتكوين نظرة شاملة حول ذلك المجتمع، حاولنا من خلال هذه الدراسة عرض أكبر عدد من العادات المرتبطة بدورة حياة المرأة في المجتمع الجزائري ودلالاتها الرمزية، من خلال الإطار الاجتماعي الذي تمارس فيه تلك العادات والطقوس، فقدمنا شرحا عن كيفية ممارستها فضلا عن محاولتنا تحليل وتفسير تلك العادات، مع رصد تأثير التغيرات الثقافية التي طرأت عليها في الوقت الحالي.

ومن بين الصعوبات التي واجهتا أثناء اجرائنا لهذه الدراسة هي عدم تقبل بعض مفردات العينة أنه يمكن أن تكون عادات دورة الحياة موضوعا لدراسة علمية، فالأغلبية تعتقد أنها مجرد عادات وتقاليد

اعتادت الجماعة ممارستها في احتفالاتهم، دون الانتباه أو التفطن إلى النظام الطقسي الذي يربط بينها والتأثير المتبادل الذي يحدث، فضلا على أن التعود على ممارسة تلك العادات قد خلق جوا من الجمود الفكري حولها، فالمجتمع لا يهتم للأسباب الكامنة وراء القيام بها أو ماهية معانيها ما صعب علينا مهمة البحث عن دلالات تلك العادات.

وأما بالنسبة لجانب التصوير وتوثيق العادات فقد وجدنا صعوبة كبيرة في الفصل الأخير المتعلق بالطقوس الجنائزية لطبيعة المتغير الذي ذاته الذي، خلق لنا نوعا من العرقلة في الأداء نتيجة لردات الفعل التي قد نتلقاها إذا حاولنا التصوير، ويعود السبب في رفض المجتمع لجميع أنواع الممارسات التي من شأنها أن تشكل إهانة لروح الميت أو التعدي على حرماته، فالتصوير هنا يندرج ضمن الممنوعات التي يجب تجنبها في الجنائز.

ونظرا لاهتمامنا بعادات دورة الحياة المتمثلة في الميلاد والبلوغ والزواج والوفاة في ظل التغير الثقافي، جاء تقسيم بحثنا هذا حسب هذه التصنيفات للمحافظة على التسلسل المنطقي لها، وقد اشتملت دراستنا على ستة فصول قمنا فيها بدمج الجانب النظري مع الجانب الميداني وذلك من أجل تفادي الوقوع في التكرار من جهة، ومن جهة أخرى ساعدتنا عملية الدمج في اختصار الكتابة والابتعاد عن التعقيد والغموض، وكانت الفصول كالتالي:

الفصل الأول وهو فصل متعلق بالإجراءات المنهجية تناولنا فيه طرح الإشكالية والأسباب والدوافع التي قادتنا إلى اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة والأهداف التي نسعى إلى تحقيقها من خلال هذا البحث، كما تضمن أيضا على مفاهيم الدراسة والمنهج والمقاربات التي اعتمدنا عليها ومختلف الأدوات والتقنيات التي لجأنا إليها من أجل جمع البيانات، وأخيرا تناولنا مجالات الدراسة، إضافة إلى إدراج الدراسات السابقة التي استعنا بها.

أما الفصل الثاني فقد خصص لأهم المقاربات النظرية حول موضوع التغير الثقافي وعناصره وأهم العوامل والمعوقات المؤثرة فيه، كما تناولنا فيه المراحل التاريخية لتطور مكانة المرأة في المجتمعات، ومكانتها في المجتمع الجزائري والعوامل المحددة لمكانتها بين الماضي والحاضر، فضلا للتطرق إلى أسباب تغير مكانة المرأة في المجتمع.

ويأتي الفصل الثالث والرابع والخامس والسادس في إطار عرض المعطيات التي تم جمعها من الميدان، كذكر أهم عادات دورة الحياة للميلاد والبلوغ والزواج والوفاة على التوالي، وقد حاولت فيه تقديم وصف للمناخ الفكري لمجتمع البحث بإعطاء شروحات وافية لماهية تلك العادات ورموزها ومعانيها وطرق ومواعيد ممارستها، ومن ثم تناولنا الحديث على الوظائف التي تؤديها تلك العادات والطقوس في المجتمع وتأثيرها على المرأة والجماعة.

وفي الأخير تأتي الخاتمة كحوصلة عامة لما تم عرضه في البحث كافة، وقد تم فيها معالجة ومناقشة نتائج الدراسة على ضوء الفصول السابقة، مع وضع قائمة للمراجع التي ساعدتنا في انجاز هذه الدراسة والملاحق أيضا.

إشكالية الدراسة:

مهدت النهضة الصناعية والتطور التكنولوجي وتنوع التجارب والأبحاث في ظهور العديد من الاكتشافات، التي حسنت جودة الحياة الاجتماعية للأفراد كتطور وسائل النقل والاتصالات وغيرها، وكان ظهور الانترنت احدى أكبر الطفرات العلمية في تاريخ البشرية والتي أحدثت تغيرا جذريا في المجتمعات، وقد طالت موجة التغير هذه المجتمع الجزائري كذلك فلامست جميع أنظمته الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية على حد السواء، فنجم عن ذلك تحول في البناء الاجتماعي ووظائفه وكذلك أنماط العلاقات الاجتماعية التي أثرت في سلوك الفرد والجماعات، فضلا على ارتفاع في نسب التعليم وانخفاض البطالة وكذلك توفير الراعية الصحية وغيرها.

وقد أسهمت هذه التغيرات في دفع المجتمع الجزائري إلى الانفتاح على العالم الخارجي، وقد نتج عن ذلك الاحتاك استقبال الكثير من الخبرات الحديثة والمعارف والأفكار الجديدة، فضلا على حدوث عمليات التثاقف بشكل واسع وهو ما أثر بدوره على النظام القيمي للمجتمع الجزائري ككل، فظهرت بذلك معايير وقيم وعادات جديدة تتماشى مع ذلك التغير الحاصل.

وتعتبر هذه القيم والعادات والتقاليد جزءا لا يتجزأ من الثقافة الجزائرية التي توارثتها الجماعات عبر الأجيال، فهي الوعاء الرحب الذي يحتضن الكثير من المعارف والمعتقدات والتي تحكم سلوك الفرد والجماعة وتوجهه في حياته اليومية، ولذلك لا يمكن الحديث عن أي مجتمع بمعزل عن خلفيته التاريخية والثقافية باعتبارها التركيبات الأساسية التي يتكون منها المجتمع.

وتعرف الجزائر بأنها بلاد غنية بالعادات وذلك عائد الى التنوع الثقافي فيها، فنجد هذا التنوع واضح في جميع مناطقها، ذلك أن لكل منطقة أسلوب حياة وعادات اجتماعية تختلف بها عن المنطقة الأخرى، إلا أنها تشكل في جوهرها أساس لتوحيد ذهنيات أفراد المجتمع الواحد، لاعتبار أن هذه العادات بمثابة القانون الذي ينظم الحياة الاجتماعية في المجتمع.

تكتسب العادات أهميتها من المجتمع نفسه الذي يوليها مكانة خاصة جدا، حتى أصبحت شبيهة بالقانون الوضعي الذي يجب احترامه والتقيد به ومعاقبة كل من يحاول تجاوزه، وهو ما أضفى عليها نوعا من القداسة، وقد ترسخت هذه العادات في المجتمع الجزائري منذ زمن بعيد بفعل ممارستها المتكررة وخاصة ان تعلق الأمر بمراحل العبور، لإيمان المجتمع بمدى فعاليتها فيها وكذلك حفاظا على الوحدة الاجتماعية.

وترتبط العادات في الغالب في المجتمع الجزائري ارتباطا وثيقا بالمناسبات والطقوس الاحتفالية، ونلمس ذلك من خلال حرص أفراد المجتمع للتحضير الجيد لها قبل يوم الاحتفالية بمدة زمنية معتبرة، ووفقا لما هو متعارف عليه في كل جماعة، وهذه الممارسات والعادات تختلف بينهم باختلاف السن والجنس فالطقوس الخاصة بالذكور ليست هي نفسها الخاصة بالإناث، وذلك عائد لطبيعة المجتمع الجزائري الذي يفصل بين الجنسين، ويشارك في التحضير لهذه العادات جميع فئات المجتمع رجال ونساء أو كبار وصغار، إلا أن العنصر النسوي هو الأكثر حضورا فيها باعتبار أن المرأة هي المسؤولة المباشرة عن عمليات التنشئة الاجتماعية، ولذلك فهي التي تساهم بشكل كبير في نقل هذه العادات والتقاليد عبر الأجيال.

لقد كان دور المرأة في المجتمع الجزائري سابقا محصورا في كونها ربة بيت تهتم بزوجها وأطفالها، إلا انه بعد الأوضاع السياسية التي عانت منها الجزائر في الفترة الاستعمارية والظروف الصعبة التي تبعتها، اضطرت المرأة إلى مساندة الرجل والوقوف جنبا إلى جنب لتخطي تلك الفترة الصعبة وتلك الأزمات، ولقد كان لاستقلال الجزائر والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي صاحبته الأثر البالغ في تغير مكانة المرأة من ربة بيت إلى عضو فعال في المجتمع، خاصة بعد خروجها للعمل باعتبارها مساهمة في اقتصاده، ولم يكن هذا التغير الوحيد الذي طرأ على حياتها فحسب بل اشتمل على دورة حياتها كاملة من الميلاد إلى الوفاة.

وتشتمل دورة الحياة على أبرز المحطات التي يمر بها الأفراد في حياتهم، وهي لحظة الميلاد والبلوغ والزواج وكذلك الوفاة، وتعد هذه الأحداث أحداثا غير دورية وغير متكررة إلا في مرحلة الزواج الذي يمكن إعادة المرور به في حالة حدوث الطلاق أو وفاة أحد الطرفين، ويصاحب دورة الحياة مجموعة من العادات والطقوس والممارسات الاجتماعية التي يطلق عليها طقوس العبور، إذ تشكل كل مرحلة منها جسر عبور للمرحلة الموالية والتي لا تكتمل إلا بهذه الممارسات.

وتلعب الأم دور مهم في نقل هذه الطقوس لابنتها عبر تلقينها إياها، ففي مرحلة طفولتها تنشغل بتعليمها ثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده وجعلها تنسجم مع قيمه ومعاييره، وذلك من خلال تعليمها عبر القيام بمختلف النشاطات اليومية أمامها كالتنظيف والطبخ والاهتمام بالأمور العائلية، فضلا على تدريبها بتكليفها ببعض المهمات من أجل اكسابها الخبرة، سعيا منها لتحضيرها للانتقال للمرحلة التالية التي تليها وهي مرحلة البلوغ.

وما يميز مرحلة البلوغ هو أن الفتاة تنتقل فيها من مستقبل لخبرات المجتمع وثقافته إلى عضو ممارس فيه، أي أنها أصبحت عنصرا فعالا فيه من خلال ممارستها لمختلف النشاطات اليومية التي اعتادت أن تمارسها والدتها، فتعتبر مرحلة البلوغ أهم مرحلة في حياة المرأة بصفة عامة ففي هذه الفترة تصل الفتاة للنضج الجسمي والاجتماعي فتصبح في نظر المجتمع جاهزة للزواج، فنجد الأم والجدة على حد السواء يهتمون بالفتاة ويدربونها على بعض العادات والممارسات والمهارات الجديدة، لتصبح جاهزة للمرور بطقس آخر وهو الزواج.

ويعد الزواج في المجتمع الجزائري من أهم النظم الاجتماعية فيه باعتباره السبيل الوحيد الذي يسمح بتكوين علاقة بين الجنسين، وهذا الأخير لا يتم إلا عن طريق مجموعة من العادات التي يتفق عليها من قبل عائلتي الزوجين، ولا تنتهي هذه المرحلة بزواج المرأة فحسب بل تمر بمراحل أخرى

كالإنجاب، الذي يرتقي بها إلى مرحلة الأمومة وهو الشيء الذي يعزز مكانتها داخل الجماعة أكثر فأكثر.

وآخر مرحلة من دورة الحياة هي مرحلة الوفاة، ويحدث فيها انفصال روح المرأة عن جسدها لتنتقل بذلك من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، وتتبع هذه المرحلة جملة من العادات والطقوس الجنائزية التي تقام من أجل إتمام هذه المرحلة وضمان عبور المرأة المتوفاة إلى الحياة الآخرة، وتبدأ قبل موتها وتستمر معها إلى ما بعد مفارقتها الحياة وتنتهي بعد دفنها، وبالتالي فإن الطقوس الجنائزية تستمر معها حتى بعد الوفاة.

تمر المرأة الجزائرية في دورة حياتها بمجموعة كبيرة من التجارب الاجتماعية المشبعة بثقافة المجتمع المحلية، التي تجعلها بمثابة خزان لجميع هذه المعارف والقيم والعادات والتقاليد والتي تقوم بدورها بنقلها جيلا عبر جيل، ورغم هذا الثبات الذي أبدته العادات المرتبطة بدورة حياة المرأة إلا أن موجة التغيير قد طالتها هي الأخرى.

وتأسيسا على ما سبق التطرق إليه فإننا نحاول من خلال الدراسة الراهنة المتعلقة بـ: ***" التغيرات الثقافية وانعكاساتها على دورة حياة المرأة الجزائرية "***، تشخيص الواقع الفعلي للظاهرة محل الدراسة ومحاولة تفسيرها ومعرفة انعكاساتها على دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية، ولتحقيق هذا المسعى نطرح التساؤل الرئيس التالي:

- ***ما هي الانعكاسات الناجمة عن التغيرات الثقافية في المجتمع على دورة حياة المرأة الجزائرية؟***

ويندرج تحته التساؤلات الفرعية التالية:

- ***ماهي عادات استقبال البنت أو المولودة في مجتمع البحث في ظل التغير الثقافي؟***
- ***ماهي العادات المرافقة لمرحلة بلوغ الفتاة في مجتمع البحث في ظل التغير الثقافي؟***

- ***ماهي العادات المصاحبة لتزويج الفتاة في مجتمع البحث في ظل التغير الثقافي؟***
- ***ماهي الطقوس الجنائزية الممارسة مجتمع البحث عند حدوث وفاة المرأة، في ظل التغير الثقافي؟***

2-أسباب اختيار موضوع الدراسة:

يعد تحديد موضوع الدراسة من أهم مراحل الدراسات العلمية التي يمر عليها الباحث، إذ يجد نفسه وسط العديد من المواضيع والطواهر الاجتماعية التي تحتاج البحث والدراسة، ولذلك فقد جاء اهتمامنا بالدراسة المعنونة بـ: " ***التغيرات الثقافية وانعكاساتها على دورة الحياة لدى المرأة في المجتمع الجزائري*** " انطلاقا من عدة أسباب نذكر منها:

- القناعة الذاتية بالمكانة المميزة والأهمية التي تحظى بها المرأة، والدور الذي تلعبه في المجتمع الجزائري كان دافعا كبيرا في اختيارها كموضوع للدراسة.
- الميل الشخصي للمواضيع المتعلقة بالعادات والطقوس والممارسات والمعتقدات الاجتماعية، لاعتبارها أنها مواضيع تلامس مكونات الهوية الجزائرية وتساعد الباحث على فهم نمط وأسلوب الحياة المتبع في الجماعة، كما أنها تكشف على العديد من الأمور والخبايا في المجتمع.
- فهم أسباب التغير الثقافي الذي شهدته الجزائر في العقود الأخيرة، ورصد الانعكاسات التي لامست العادات والطقوس المتعلقة بدورة حياة المرأة، فدراسة التغيرات يمكننا من الاطلاع على أسباب التغير ومتابعة اتجاهاته.

3-أهمية وأهداف الدراسة:

3-1- أهمية الدراسة:

تعتبر دراسة التغير الثقافي من أهم الدراسات في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع على حد السواء، باعتبار أن هذه الأخيرة تمكننا من معرفة مكونات المجتمع وبنائه وتطوره من خلال دراسة المراحل الحياتية المتتالية التي تمر بها المرأة، وهذا ما يمكننا من التعرف على قيم هذا المجتمع ونمط حياته، ولذلك فإن أهمية الدراسة المتعلقة بانعكاسات التغير الثقافي على عادات دورة حياة المرأة الجزائرية، تكمن في مساهمة نتائج الدراسة في مجملها في الكشف على ما طرأ على عادات دورة حياة المرأة في ظل هذا التغير، وكذلك تكوين نظرة عما سيكون عليه الحال في المستقبل، وماهية أهم التغيرات التي يمكن أن تحدث عليها، كما أن معرفتنا بانعكاسات وتأثيرات هذه التغيرات الثقافية على المجتمع بصفة عامة وعلى المرأة بصفة خاصة، تفيد في تعزيز المظاهر الإيجابية الناتجة عن هذا التغيير ومحاولة تجنب المظاهر السلبية في المستقبل.

3-2- أهداف الدراسة:

- التعرف على المحددات الثقافية والاجتماعية التي تساهم في صقل هوية ومكانة المرأة داخل المجتمع الجزائري، ومنه رسم ملامح شخصيتها في ظل هذه التغيرات.
- التعرف على العادات والطقوس الاجتماعية المتعلقة بدورة الحياة لدى المرأة في المجتمع الجزائري في ظل التغير الثقافي.
- محاولة التعرف على ماهية التغيرات الثقافية التي حدثت للمرأة وتفسيرها وانعكاساتها على عادات دورة حياتها.

- الاستفادة المنهجية من معالجة مثل هذه المواضيع بالتدريب النظري والميداني على البحث العلمي، وترسيخ طرق القواعد المنهجية في معالجة مختلف المواضيع الأنثروبولوجية بطريقة أكثر دقة وموضوعية.
- الرغبة في المساهمة ولو بالقدر الضئيل في جمع المادة الاثنوغرافية المتعلقة بالموضوع، من أجل وتوثيقها ونشرها وكذلك التعريف بالثقافة الجزائرية.

4-مفاهيم الدراسة:

4-1- الثقافة:

إن التطور الدلالي النهائي لكلمة " ***الثقافة*** " قد برز في اللغة الفرنسية منذ عصر الأنوار قبل انتشارها عن طريق الاقتراض اللغوي، وتعتبر الثقافة كلمة قديمة في المفردات الفرنسية وهي كلمة تعود في أصلها إلى اللغة اللاتينية " ***Cultura*** " التي تعني رعاية الحقول أو قطعان الماشية[1]، ومن هنا نلمس أن مصطلح الثقافة قد مر بعدة تطورات قبل أن يصل إلى مفهومه الحالي فكان في كل مرة يصاغ له مفهوم مختلف انطلاقا من تهذيب الأرض وصولا إلى تهذيب العقل، إلا أن هذه المصطلحات والمفاهيم لم تتسم بالوضوح والشمولية لجميع الأشياء التي تندرج ضمنه، فعكف العلماء على البحث والتقصي لإرساء معالم هذه الكلمة، وقد أفرزت جهود العلماء والباحثين في عدة تخصصات كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والسياسة وغيرها من التخصصات إلى انتاج الكثير من التعريفات كل حسب تخصصه.

لقد كان هناك شبه اجماع بين الباحثين على مدى صعوبة هذه الكلمة فقال رايموند وليامز ذات مرة: " ***لا أعرف كم مرة تمنيت لو أنني لم أسمع بهذه الكلمة اللعينة*** " وهو يسجل خيبته من أن

---

[1] دوني كوش: <u>مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية</u>، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص 12.

صعوبتها كانت تتحدى مهام التحليل العادي، ويتبنى آدم كوبر الرأي نفسه إلى حد كبير وهو يرى أن الكلمة الآن أفرط في استعمالها حتى صار من الأفضل تقطيعها إلى أجزائها المكونة والحديث عن المعتقدات والأفكار والفن والتقاليد بدلا من توقع العثور على مجموعة من السمات المشتركة.[1] وعليه فقد ذهب العلماء إلى أن أنسب طريقة لوضع تعريف مناسب لمصطلح الثقافة هو تجزئتها إلى أقسام، وتحديد معاني تلك الأجزاء من أجل التمكن من التوصل إلى المفهوم الشامل لمصطلح الثقافة.

ويذهب كليم في نفس السياق إلى أن الثقافة تشتمل على العادات والمعلومات والمهارات والحياة المنزلية والعامة في أوقات السلم والحرب والدين والعلم والفن، ثم جاء تايلور في كتابه الشهير الثقافة البدائية 1871 وصاغ على حد تعبير كروبير أكثر تعريفات الثقافة شيوعا وشمولا على الإطلاق والذي ينص على أن "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع"، و يمثل هذا التعريف القاعدة التي قامت عليها جميع تعريفات الثقافة فيما بعد بغض النظر عن اتجاهات هذه التعريفات.[2]

وقد حلل كل من كروبير وكلاكهون ما يزيد عن 160 تعريفاً كتبت باللغة الإنجليزية قدمها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماع وغيرهم من التخصصات، وأمكنهما تصنيف التعريفات وفقا لاهتماماتهما الرئيسية، فهناك تعريفات اهتمت بالحصر والوصف وتعريفات أخرى تاريخية وثالثة معيارية ورابعة ذات

---

[1] طوني بينيت وآخرون: **مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2010، ص 225.

[2] إيكه هولتكرانس: **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور**، محمد الجوهري، حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الاسكندرية، مصر، 1999، ص 143.

طابع نفسي وخامسة بنائية ثم أخيرا تعريفات تطورية[1]، ورغم تعددها وتنوعها إلا أن العديد من الدراسات الحديثة ما تزال تستند على تعريف تايلور الشامل للثقافة.

ونورد فيما يلي عينة من التعريفات التي تدخل ضمن هذه المجموعة ويقول بواس " ***تشتمل الثقافة على كل مظاهر العادات الاجتماعية في مجتمع وردود فعل الفرد في تأثرها بعادات الجماعة التي يحيا فيها ونتاج الأنشطة البشرية كما تحدده هذه العادات*** "، ويقول كروبير إن " ***الثقافة تمثل مجموع ردود الفعل الحركية المكتسبة والمتناقلة والعادات والأفكار والقيم والسلوك الذي تؤدي إليه*** "، ويقول لينتون " ***الثقافة هي التشكيل الخاص بالسلوك المكتسب ونتائج السلوك التي يشترك جميع أفراد مجتمع معين في عناصره المكونة ويتناقلونها*** "، ويقول هكسلي " ***الثقافة هي كيان مشترك أو قابل للمشاركة من التكوينات المادية والعقلية والاجتماعية (الماديات ، والعقليات، والاجتماعيات) التي يخلقها الأفراد الذين يعيشون في مجتمع ما*** ".[2]

وبناء على مجموع التعاريف التي تم عرضها يمكن القول: أن مصطلح الثقافة مصطلح معقد ولا يمكن حصره في بعض المظاهر، ولذلك نقول إن الثقافية هي أسلوب أو نمط الحياة الذي تتبعه جماعة ما، وتشتمل على مجموع المعارف والمعتقدات والعادات والتقاليد والآداب والفنون والتاريخ واللغة والدين وغيرها من الممارسات التي يكتسبها الفرد بصفته عضوا في المجتمع.

4-2- التغيرات الثقافية:

لقد حضي موضوع التغير الثقافي باهتمام العلماء والفلاسفة منذ القدم لارتباطه الوثيق بموضوع الثقافة الأمر الذي صعب عليهم وضع تعريفات محددة له، فالحديث عن التغير الثقافي يعني الحديث عن المجتمع وجميع مكوناته وسنعرض فيما يلي مجموعة من التعاريف الشائعة له.

---

[1] أبو الحمام عزام: **الاعلام الثقافي جدليات وتحديات**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 71.

[2] إيكه هولتكرانس: مرجع سابق، ص 145.

عرف هيرقليطس التغير الثقافي بقوله: " ***التغير هو قانون الوجود وأن الاستقرار موت*** " وشبه التغير بجريان الماء فقال: " ***أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين فإن مياه جديدة تجري من حولك*** " ، ويشهد الواقع والتاريخ على أن المجتمعات الإنسانية لا تثبت على حالة، واحدة دائما شأنها شأن الأفراد ومظاهر الكون فهي في حالة تغير مستمر لا يمكن إيقافه، في حين ذهب جون ديوي إلى القول: " ***إذا كانت الحركة هي الحقيقة الفيزيقية الأولي كذلك فان التغير حقيقة اجتماعية*** "[1]، والأمر الملاحظ هنا أن التعريفات السابقة كانت تميل إلى اثبات وجود عملية التغير على أنها حقيقة وظاهرة اجتماعية أكثر من إرساء معالم المصطلح.

أما راد كليف براون فذهب إلى أن هناك نوعان من التغير أولهما فيما يتعلق بالمجتمعات البدائية حين نشاهد حفل زواج والنتائج المترتبة علية فهناك رجل وامرأة ارتبطا منذ الاحتفال بزواجهم بعلاقة زواجية ومن الواضح هنا أننا أمام عملية تغير تحدث في البناء الاجتماعي، أما النوع الأخر من التغير فيقع في المجتمع إما نتيجة عوامل تنبثق من داخل المجتمع وإما نتيجة عوامل تأتي من الخارج كالاحتكاك الثقافي ومهما كان التغير كبيرا أو طفيفا فإن المجتمع يمر من حالة معينة للبناء الاجتماعي إلى حالة أخرى،[2] بمعنى أن التغير الأول يحدث داخل البناء الاجتماعي، أما الثاني فهو تغير البناء الاجتماعي ذاته من حالته الطبيعية إلى حالة جديدة نتيجة العديد من العوامل.

ويعرف التغير الثقافي كذلك على أنه كل تغير يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة بما في ذلك العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب واللغة، هذا بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في بنيان المجتمع ووظائفه.[3]

---

[1] السيد رشاد غنيم: **التكنولوجيا والتغير الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2008، ص 22.

[2] السيد رشاد غنيم: نفس المرجع، ص 25.

[3] أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1982، ص 92.

كذلك هو مجموع التغيرات المتتالية التي تمس الحياة الثقافية لمجتمع ما في فترة محددة، وتتعلق عملية التغير الثقافي بمختلف المظاهر والممارسات والسلوك الثقافي لمجتمع ما، ويتم ذلك بفعل مؤثرات داخلية وأخرى خارجية يفقد بموجبها المجتمع مظاهر ثقافية لحساب مظاهر أخرى، وترتبط مظاهر التغير الثقافي بمظاهر التغير في المجالات الأخرى، فتنشأ بذلك ثقافات جديدة تنافس الثقافة السائدة وتمثل تهديدا حقيقيا لها[1]، وهو أيضا ذلك التغير الحاصل نتيجة اختراع يتم داخل مجتمع معين، أو نتيجة اتصال بين المجتمعات وما ينشأ عن هذا الاتصال من استعارة أو انتشار عنصر ثقافي معين من مجتمع إلى آخر

إذن فالتغير الثقافي هو التحول الجزئي أو الكلي الذي يطرأ على مجتمع ما، والذي يحدث على مستوى العادات والتقاليد والقيم واللغة ووغيرها، بمعنى أن التغير الثقافي يلامس جميع أجزاء البناء الاجتماعي، فيتغير المجتمع من هيئته التقليدية إلى هيئة جديدة نتيجة إلى العديد من العوامل، سواء كانت عوامل داخلية أو خارجية ويحدث ذلك خلال فترة زمنية محددة.

4-3- العادات:

تعرف العادات على أنها سلوكيات منظمة يتعلمها الفرد من الآخرين ويؤديها بصورة رتيبة وعلنية وتمارس العادات استجابة لمواقف محددة، وكلما تكررت ممارستها ازدادت رسوخا واستقرارا وأصبحت ممارستها تلقائية ويسيرة.[2] وتعرف أيضا بأنها أنماط السلوك الجمعي التي تنتقل من جيل إلى جيل وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتستقر وتصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها وفي بعض

---

[1] منصور مختار: **التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري 1990-2000 دراسة أنثروبولوجية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014، ص 22.

[2] شاكر مصطفى سليم: **قاموس الأنثروبولوجيا**، جامعة الكويت، الكويت، ص 427.

الأحيان نجد أن العادة تقوم مقام القانون في المجتمع.[1] وعليه فإن العادات هي سلوكيات ممكرة ومتوارثة عبر الأجيال، والتي تحظى بالقبول الاجتماعي.

وكان سمنر أول من قدم المفهوم في عام 1906 وهو يؤكد أن العادات الشعبية هي قوى أساسية في داخل المجتمع تنمو لا شعوريا وكذلك تتقبلها الجماعة لاشعوريا، وتتضمن اتجها معينا في التفكير والسلوك فهي باختصار جزاءات أخلاقية وحينما تصعد هذه الجزاءات إلى مستوى الشعور نجد سمنر يطلق عليها اسم السنن الاجتماعية.[2]

ويعرف كريستيانسن العادات أنها أبرز الأساليب التي يتبعها الأميون من سكان الريف في معيشتهم طبقا للمعايير والأفكار التقليدية، كما يبرز كيف استطاعوا الحفاظ على سلطة راسخة في المجتمع المحلى الذي لم تستطع أن تنفذ إليه المؤثرات الخارجية الصادرة من ثقافة المدينة إلا ببطء.[3] والأمر الذي يريد كريستيانسن الإشارة إليه هو أن سكان الأرياف هم أكثر الأشخاص تمسكا بالعادات ورفضا لكل موجات التغير التي قد تتقصدها.

وتعرف العادات أيضا على أنها أية ممارسة أو تقليد يميز مجموعة اجتماعية ما، وهو كذلك العرف في أكثر حالاته عمومية، لذلك فهم يرونه أنه القانون العرفي الذي تم تمريره من خلال تقاليد غير مكتوبة في تلك الجماعة، وقد تم ادراج المصطلح في بداية الأمر في دراسة الثقافة والتكوينات الثقافية، وقد أدخل كذلك في حيز الاستخدام مع تدوين القوانين وعادات السكان الأصليين من قبل الإدارات

---

[1] أحمد زكي بدوي: مرجع سابق، ص 94.

[2] Craig calhoun: **dictionary of the social sciences**, oxford university press, new york, USA, 2002, p 246.

[3] Craig calhoun : the same reference, p 246.

الاستعمارية،[1] من أجل محاولة التعرف على النظام الاجتماعي الذي تتبع الجماعة ومدى تأثير هذه العادات على الجماعة.

إن مصطلح العادات يشير إلى مجموع الممارسات الاجتماعية التي يقوم بها الأشخاص داخل الجماعة، والتي تكون مكتسبة ومتوارثة عير الأجيال، ولذلك نجد أن لكل جماعة مجموعة لا تحصى من العادات والتقاليد التي تتبعها، وقد تكون العادات في الكثير من الأحيان بمثابة القانون الذي ينظم سير الحياة الاجتماعية في تلك الجماعة، ومن خلال هذه الأخيرة نتمكن من فهم أسلوب حياة ذلك المجتمع وتحديد معالم هويته.

4-4- دورة الحياة:

دورة الحياة هي مدى عمر الكائن الحي، ويتوسع في استعمال المصطلح ليعني مدى عمر الأمة أو الجماعة أو الحضارة وتعتقد الشعوب البدائية أن الدورة بالنسبة للأمة تعيد نفسها في أجيال قادمة، وتمتاز دورة الحياة للإنسان بمراحل فاصلة مثل الحمل والولادة وبلوغ سن الرشد والمراهقة والزواج وبلوغ سن اليأس والشيخوخة والموت، تركز دراسة حياة الإنسان على الأدوار التي يشغلها في عمره وعلى انتقاله من مرحلة إلى مرحلة.[2]

لقد أطلق كذلك على دورة الحياة بطقوس العبور وقد ظهرت هذه العبارة للمرة الأولى على لسان فان أرنولد فان جينيب سنة 1909، فكل إنسان يمر حسب نظرته بمراحل عدة خلال حياته وتتواكب

[1]Craig calhoun, previous reference, p 107.

[2] شاكر مصطفى سليم: مرجع سابق، ص 565.

هذه التحولات بطقوس مختلفة طبقا لكل مجتمع، وتختلف هذه المراحل الثلاث حسب أنواع الانتقال من حالة لأخرى فردية أو جماعية كما تعيد تحديد الأوضاع والأدوار حالتهم الجديدة.[1]

ويؤكد أرنولد فان جينيب أن حياة الإنسان تشبه الطبيعة التي لا مستقل عنها لا الفرد ولا المجتمع، وهكذا فإننا نواجه درجة واسعة من التشابه العام بين مراسم الميلاد، والطفولة، والبلوغ الاجتماعي، والخطبة، والزواج، والحمل، والأبوة، والانضمام إلى المجتمعات الدينية، والجنازات، ومن هذا المنطلق فإن الكون نفسه محكوم بدورية لها انعكاسات على حياة الإنسان، مع مراحل وتحولات، وحركات إلى الأمام، وفترات من الخمول النسبي، ولذلك ينبغي لنا أن ندرج ضمن مراسم المرور البشري تلك الطقوس الناجمة عن ذلك،[2] بمعنى أن دورة الحياة هي عبارة عن المراحل الحياتية التي يمر بها الانسان، وأن كل مرحلة منها لديها مجموعة من الطقوس والعادات التي لا يتم الانتقال إلا من خلال أدائها.

ويقسم جينيب طقوس العبور إلى طقوس انفصالية وطقوس انتقالية وطقوس الاندماجية، لم يتم تطوير هذه الفئات الفرعية الثلاث بنفس القدر من قبل جميع الشعوب أو في كل نمط احتفالي، فكل مرحلة من مراحل دورة الحياة تشير إلى نوع محدد من الطقوس[3]، وعلى سبيل المثال: نجد طقوس الانفصال مجسدة في مرحلة الولادة كما تجسد أيضا في مراسم الجنازة، أما عن البلوغ والخطبة فهما يندرجان ضمن الطقوس الانتقالية والتي تمهدان في الأساس إلى طقوس الاندماج التي تتمثل في الزواج وهكذا، وهذا ما يعرف بالنموذج الثلاثي لأرنولد فان جينيب الذي يفسر من خلاله ماهية دورة الحياة وكيفية الانتقال من مرحلة إلى أخرى.

---

[1] أسماء معروف، ميموني بدرة: **مقاربة أنثروبولوجية لطقوس الميلاد في مدينة وهران**، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، المجلد، 07، العدد 02، سبتمبر 2018، ص ص 106-116.

[2] Arnold van gennep: **the rites of passage**, translated by monika B vizedom and gabrielle L, caffee, 1909, P 3.

[3] Arnold van gennep: the same reference, p 11.

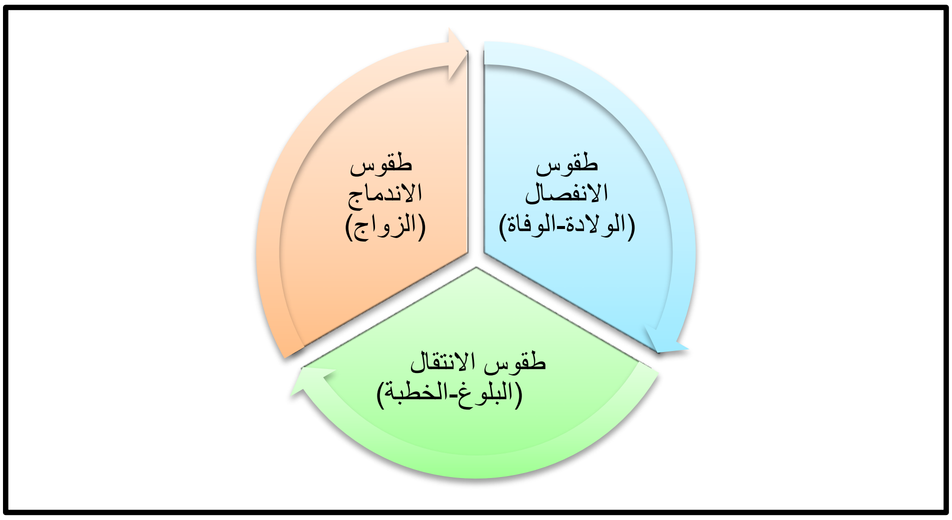

الشكل رقم (01): رسم توضيحي للنموذج الثلاثي لطقوس العبور (المصدر: من اعداد الطالبة)

والأمر الجدير بالذكر أن النموذج الثلاثي لا يطبق في دورة الحياة فحسب، بل يطبق في كل مرحلة من مراحل العبور، مثل عملية الولادة إذ ينفصل الجنين عن جسم أمه، والذي يمثل العالم الداخلي (رحم الأم) ليندمج إلى العالم الخارجي التي تمثله الجماعة التي تنتمي إليها الأم كما هو موضح في الشكل التالي:

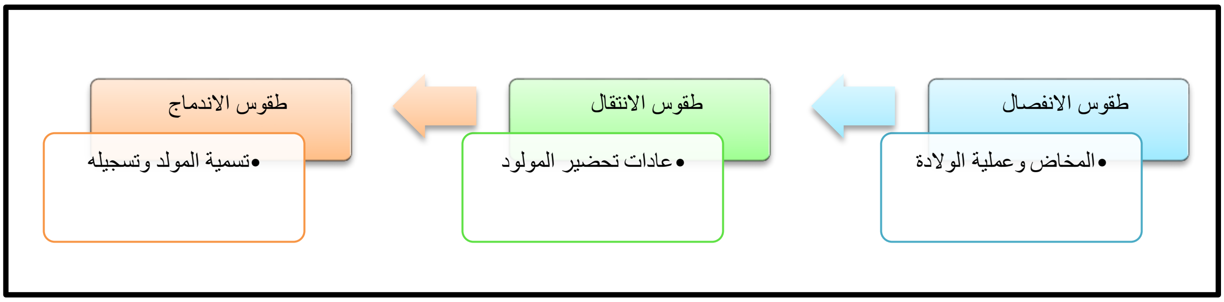

الشكل رقم (02): النموذج الثلاثي مطبق على مرحلة الولادة (المصدر: من اعداد الطالبة)

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن دورة الحياة هي تغيير حال الانسان، وانتقاله من مرحلة إلى أخرى بداية من مرحلة الميلاد مرورا إلى مرحلة البلوغ ومن ثم الزواج والوفاة، ويتم خلال عبور الشخص على هذه المراحل القيام بالعديد من الطقوس والممارسات المختلفة من أجل ضمان عبور إلى المرحلة الموالية بشكل جيد.

5-منهج وأدوات الدراسة:

5-1- منهج الدراسة:

من أساسيات نجاح البحوث العلمية هي الاختيار السليم للمنهج الذي يتلاءم مع موضوع البحث، وتختلف مناهج البحوث وتقنياتها باختلاف موضوع وطبيعة البحوث والدراسات، وبما أن الدراسة الراهنة " ***التغير الثقافي وانعكاساته على عادات دورة الحياة لدى المرأة في المجتمع الجزائري*** " فقد ارتأينا أن يكون المنهج الإثنوغرافي المنهج المناسب لإجراء هذه الدراسة، لوصف العادات الاجتماعية التي تقام في المجتمع الجزائري، مع الاستعانة بالمقاربة الوظيفة والتأويلية.

ويقوم المنهج الإثنوغرافي هو على الوصف الدقيق للظاهرة محل الدراسة، وكذلك جمع البيانات والمعطيات المتعلقة بها، ومحاولة تخليلها تشخيصها وتفسيرها للوصول إلى نتائج عامة نستطيع من خلالها الوصول إلى تعميمات حول الموضوع.

ويعتبر المنهج الإثنوغرافي طريقة منظمة لدراسة الحقائق الراهنة والمتعلقة بظاهرة ما أو موقف أو أفراد أو أحداث أو أوضاع معينة، بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة حقائق قديمة، وآثارها، والعلاقات التي تتصل بها وتغيرها، وكشف الجوانب التي تحكمها.[1]

وإلى جانب المنهج الإثنوغرافي استعنت بالمقاربة الوظيفية، وقد تم الاعتماد عليها لأننا بصدد دراسة هيكلية وظيفية لعادات دورة الحياة لدى المرأة في المجتمع الجزائري، وكذلك رصد ما يحدث من تغيير على مستوى البناء الاجتماعي في المجتمع، فضلا على التعرف على أهم العوامل والطرق التي تغيرت بها عبر الفترات الزمنية المختلفة، فتشكل العادات الاجتماعية هنا أداة لتغيير مكانة الفرد من

---

[1] بلقاسم سلاطنية: <u>**منهجية العلوم الاجتماعية**</u>، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 167.

مرحلة إلى أخرى بالتالي تغير البناء الاجتماعي، بمعنى فهم كيفية انهيار البناء الاجتماعي التقليدي وظهور البناء الاجتماعي الحديث، وتتميز هذه العادات باختلاف الوظائف حسب المرحلة التي تكون فيها المرأة، فقد تكون لها أدوار انتقالية أو انفصالية أو اندماجية، فهذه المراحل تؤسس للهويات والأدوار الاجتماعية وذلك بناء على الشرح الذي قدمه العالم أرنولد فان جينيب.

وحسب المقال الذي نشره برناديتا يانوش وماسيج ووكيويتز المعنون بـ: " ***إطار طقوس المرور كمصفوفة لعمليات التجاوز في دورة الحياة*** " المنشورة سنة 2018، التحليل الوظيفي يسهل فهم التغيير والتحول في المواقف الحرجة في دورة الحياة. وذلك عائد إلى عدة جوانب هي:[1]

- أولا: القواعد المعيارية المحيطة بتسلسل تحولات الحياة المحددة اجتماعيا.
- ثانيًا الجوانب الأدائية لأداء الطقوس.
- ثالثا البنية ثلاثية المستويات التي تطبقها على عملية تغيير الطقوس (فان جينيب 1960).

أما عن الجوانب المعيارية فهي دور العرف الاجتماعي في تحديد العادات الخاصة بكل مرحلة من مراحل دورة الحياة، وأما بالنسبة للجوانب الأدائية فيقصد بها طريقة ممارسة تلك الطقوس، أما الأخيرة فهي تحليل النموذج الثلاثي الخاص بطقوس العبور (طقوس الانفصال، طقوس الانتقال، طقوس الاندماج)، أي تحليل دور الطقس في حد ذاته.

وتزامنا مع تحديد الوظيفة حاولنا تقديم معاني دقيقة لطقوس العبور من خلال استخدامنا المقاربة التأويلية الرمزية، والتي تسعى في مجملها إلى جمع البيانات الاثنوغرافية وفهم معانيها، فالثقافة عند كليفورد جيرتز هي مجموعة من الأنساق والرموز القابلة للتأويل، فمن البديهي جدا أن لكل عادة ما أو

[1] Bernadetta Janusz, Maciej Walkiewicz: **The Rites of Passage Framework as a Matrix of Transgression Processes in the Life Course**, Journal of Adult Development, 22 January 2018, pp 151–159.

ممارسة أو طقس معنى ودلالة ترمز إليه، وذلك من خلال البحث في معاني العادات والأوقات المناسبة لأدائها وكذلك الأسباب الرئيسة لها، فالنظرية التأويلية تساعدنا على فهم الأمور والربط بينها ما تسهل لنا قراءة المجتمع وفهمه، وبالتالي فإن الاستعانة بهذا الاتجاه يمنحنا نظرة دقيقة عن عادات دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية، وليس ذلك فحسب بل تساعد على تفسير التغير وأسبابه وعوامله، فضلا على فهم النتائج المترتبة على ذلك التغير في المجتمع محل الدراسة.

5-2- أدوات الدراسة:

الأدوات هي الوسائل المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات حول الموضوع محل الدراسة، بهدف تصنيفها وتحليلها من أجل الوصل إلى النتائج العامة للدراسة، وتستخدم في البحوث الأنثروبولوجية عدة وسائل لجمع البيانات في البحث الواحد إذ اقتضت الضرورة ذلك، أي حسب نوع وطبيعة المعلومات المستهدفة، وبصفة عامة فإن الباحث يفضل الأدوات التي يرى أنها تمكنه من الوصول إلى البيانات المستهدفة بأكثر دقة وموضوعية، ومن الأدوات التي تم الاستعانة بها في الدراسة هي:

5-2-1- الملاحظة:

تعد الملاحظة من بين أكثر التقنيات استعمالا في البحوث العلمية، لأنها الأداة التي تجعل الباحث أكثر اتصالا بالمبحوث، والملاحظة العلمية تمثل طريقة منهجية يقوم بها الباحث بدقة للكشف عن تفاصيل الظواهر التي تحدث أمامه في ميدان البحث.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على الملاحظة البسيطة ويطلق عليها أيضا الملاحظة غير المشاركة، وبواسطتها يقوم الباحث بمراقبة المبحوثين عن كثب، دون أن يشارك في النشاط الذي تقوم به هذه الجماعة موضع الملاحظة، ويكون ذلك عن طريق المشاهدة أو الاستماع أو متابعة موقف

معين[1]، وقد استعنا بها لرصد ردات فعل المبحوثات أثناء الاستجواب لفهم العوامل النفسية لهن كالقلق والتوتر والفرح وغيرها من الانفعالات، وكذلك لرصد بعض والسلوكيات الصادرة منهن تجاه الظاهرة المدروسة، كأن يطلب منهن شرح سبب ممارسة تلك العادة وتفسيرها.

5-2-2- الملاحظة بالمشاركة:

الملاحظة بالمشاركة هي قيام الباحث بدور العضو المشارك في حياة الجماعة، وغالبا ما يعيش الباحث مع أفراد الجماعة ويشاركهم في كافة نشاطاتهم ومشاعرهم، وهنا فإن الباحث يقوم بدورين هامين هما: العضو المشارك في حياة الجماعة، ودور الباحث كجامع للبيانات عن سلوك الجماعة وتصرفات أمثالها، ويتميز هذا النوع من الملاحظة بصدق البيانات وغزارتها لأنها جمعت من بيئتها الطبيعية، كما أنها تفسح المجال أمام الباحث بصفته عضوا في الجماعة أن يلاحظ جوانب السلوك الخفية، وأن يتفهم سلوك أفرادها بشكل أدق.[2]

وقد مكنتنا الملاحظة بالمشاركة في مختلف المناسبات الاحتفالية لدورة الحياة وكذلك والجنائز الى التوصل إلى أغلب العادات الممارسة فيها، وفهم معانيها وتأويلها وكذلك ووظائفها وأدوارها في المجتمع، فضلا على معرفة أنسب الأوقات لأدائها وجميع الممارسات المرتبطة بها.

5-2-3- المقابلة:

تعتبر المقابلة من أهم الأدوات المنهجية المستعملة لجمع البيانات هي الأخرى، وذلك نظرا لفوائد التي تقدمها والمتمثلة في الحصول على أراء الأفراد وقيمهم واتجاهاتهم، ولما تقدمه من تسهيلات للباحث كي يتجاوز مشكلة عدم التجاوب من طرف المبحوثين بتدخله بشرح الأسئلة وتبسيطها ومناقشتها معهم،

---

[1] بلقاسم سلاطنية: مرجع سابق، ص 131.

[2] سامي محمد ملحم: **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 284.

وتعرف المقابلة بأنها حوار لفظي وجها لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص أخر أو مجموعة من الأشخاص.[1]

وقد استخدمت في الدراسة المتعلقة أساسا بعادات دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية في ظل التغير الثقافي، المقابلة الموجهة وهي تكوين أسئلة مقابلة موجهة نحو هدف محدد، وذلك للضرورة التي اقتضتها الدراسة كالتعرف على العادات وتصنيفهم حسب الممارسة والمرحلة التي تقام فيها، وكذلك لجمع أكبر عدد ممكن من العادات الممارسة في مجتمع البحث.

5-2-4- الإخباريون:

يتوقف نجاح الدراسة الحقلية إلى حد بعيد على حسن اختيار الإخباريين والتعاون معهم، ويعرف كل من جريك بايلي وجيمس بيولي الإخباريين أنهم الأشخاص الذين يسمحون للباحث الميداني بإجراء المقابلة معهم، أو يسمحون له بملاحظة سلوكاتهم ويسمون بالإخباريين، وهم يقدمون عونا كبيرا للباحث من خلال المعلومات التي يصرحون بها[2].

والاستعانة بهذه الوسيلة لا مناص منها للحصول على البيانات عن ثقافة مجتمع الدراسة، فالإخباريون هم أبناء المجتمع المحلي الذي يعمد إليه الباحث في إجراء دراسته الحقلية، باعتبارهم ملمين بجميع أحوال المنطقة والمعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة.

---

[1] محمد على محمد: **علم الاجتماع والمنهج العلمي**، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، دار المعرفة الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1983، ص 463.

[2] محمد حسن غامري: **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1990، ص 116.

5-2-5- التصوير الفوتوغرافي:

وهي تقنية أساسية في جمع البيانات من ميدان الدراسة، والتي تعمل على توثيق الحدث أو الممارسة أو تصوير الأماكن والأشخاص وغيرها من الاستعمالات التي تندرج تحت ضمن عملية توثيق البيانات، ويعود السبب في الاستعانة بالتصوير الفوتوغرافي في الدراسة هو طبيعة الدراسة ذاتها التي تتطلب في بعض الأحيان تصوير العادات التي تمارس في مراحل دورة الحياة.

6- مجالات الدراسة:

تعتبر تحديد مجالات الدراسة من الخطوات المنهجية الهامة في البحوث العلمية، وفي ضوء التحديد السابق لموضوع البحث قمنا بتحديد مجال الدراسة كما يلي:

6-1- المجال المكاني:

يتعلق اختيار مكان الدراسة أساسا بإشكالية الدراسة المطروحة التي تسعى إلى الكشف والتعرف على انعكاسات التغيرات الثقافية على المرأة الجزائرية، ولذلك كان متوجبا علينا اختيار منطقة تتلاءم مع موضوع الدراسة فوقع الاختيار على مدينة بسكرة، وسبب هذا الاختيار راجع إلى اقامتي في مجتمع البحث الشيء الذي يسمح لنا بسهولة التحرك واختراق بعض الحواجز المعرقلة.

6-1-1- منوغرافية المنطقة:

حاولنا في هذا العنصر تناول بعض الظروف المكونة لمدينة بسكرة لنتمكن من فهم المدينة في سياقها، وبالتالي تمكننا من تحديد التأثيرات والانعكاسات الناجمة عن التغيرات الثقافية فيها، وقد كان الوضع الحضري في بسكرة ديناميكيا دائما وكانت المدينة في بداياتها عبارة عن سلسلة من ست قرى صغيرة تحيط بقلعة منخفضة وسط بساتين النخيل الشاسعة، وقد انتقلت بسكرة على مر التاريخ من

بساتين النخيل وستة ضواحي إلى البنية الحضرية وإلى العديد من التقسيمات الإدارية الجديدة[1]، ومقارنة مع أخر التقسيمات المنجزة سنة 2021 فقد تغيرت الأوضاع وتضاعفت، سواء من حيث التقسيمات الإدارية أو التعداد السكاني فقد أصبحت المدينة تضم ما يزيد عن 282 ألف نسمة وتبلغ المساحة الاجمالية لها 127 كم مربع[2]، وتقع هذه الأخيرة على مسافة 425 كلم جنوب شرق الجزائر العاصمة، و242 كلم جنوب قسنطينة و240 كلم شمال واد سوف، وهو موقع يسمح لها بربط شمال البلاد بجنوبها، وتقع بسكرة أيضا في السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي (الأوراس)، مما يضفي عليها مناخا جافا (باردا في الشتاء وحارا جدا في الصيف)[3]، وتعتبر الحدود الجغرافية للمدينة كالتالي:

- الشمال الشرقي: بلدية البرانيس.
- الشمال الغربي: دائرة لوطاية.
- الجنوب الشرقي: دائرة سيدي عقبة.
- الجنوب الغربي: أوماش.
- الشرق: بلدية شتمة.
- الغرب: بلدية الحاجب.

---

[1] Roger Benjamin: **BISKRA SORTILÈGES D'UNE OASIS**, Institut du monde arabe, Paris, France, 2016.

[2] Agence Nationale d'Intermédiation et de Régulation Foncière : **MONOGRAPHIE WILAYA DE BISKRA**, Ministère de l'Industrie, 2021, P 7.

[3] Foued Bouzahah: **dynamique urbain et nouvelle centraliste cas Biskra – Algérie–**, thèse de doctorat, Université des frères Mentouri – Constantine, Alegria, 2015, p 67.

الصورة رقم (01): خريطة ثلاثية الأبعاد لمدينة بسكرة (المصدر Google earth)

6-2- المجال الزماني:

استغرق إعداد هذه الدراسة حوالي أربع سنوات ما بين جمع المعلومات والنزول إلى الميدان، حيث بدأنا في الاطلاع على ما تحتويه الكتب من معلومات حول التغيرات الثقافية ونظرياته، وكذلك العوامل المؤثرة فيه وانعكاساته وعادات دورة الحياة وكل ما هو متعلق بهم، وجمع المراجع اللازمة التي تخدم الموضوع والتي من شأنها أن تثري الجانب النظري للدراسة وتوجيهنا في الجانب الميداني، ومن ثم بدأنا بالدراسة الميدانية حيث توجهنا إلى العديد من الاحتفاليات المتعلقة بدورة الحياة كالميلاد والبلوغ والزواج وحتى الجنازات، وذلك لرصد العادات والطقوس التي تمارسه فيها ومن أجل توثيها عبر تقنية التصوير الفوتوغرافي، فضلا على القيام بالعديد من المقابلات أثناء تواجدنا في هذه الاحتفاليات وكذلك القيام بها متى أتيحت الفرصة لنا وفي أي مكان سواء في منازل المبحوثات أو خارجها كأماكن العمل أو التفسح أو غيرها، وبعد الانتهاء من جمع البيانات والمعلومات النظرية والميدانية حول موضوع الدراسة توجهنا مباشرة إلى مرحلة التصنيف والتحليل والتفسير ووضع النتائج النهائية للدراسة.

6-3- المجال البشري:

نقصد بالمجال البشري مجتمع البحث الذي ستطبق عليه الدراسة، ومن خلال البحث الميداني الذي تم اجرائه ثبت لنا التنوع الثقافي الموجد في المدينة، وذلك عائد لاختلاف الساكنة الموجودة داخلها بناء على المعلومات التي تم التوصل إليها من المقابلات التي تم اجرائها، وقد تم رصد العديد من الساكنة فيها من مختلف الأماكن من داخل الولاية كالنوايل وولاد زيان والخذران والحشاشنة والسوامع والشاوية، أو من خارج الولاية كتلمسان ووهران والطارف والجزائر العاصمة وتيزي وزو وسطيف وباتنة وغيرهم من السكان الذين استقروا في المديمة لسنوات طويلة فتعايشوا مع سكانها الأصليين وتشبعوا من الثقافة المحلية.

ويظل جميع الأفراد مهما اختلفت جنسياتهم ومراتبهم ومستوياتهم الثقافية والمعيشية عمالا أو رعاة أو محامين، أغنياء أو فقراء يشتركون جميعا في خاصية كونهم شعبا فالكل يحمل أشكالا ثقافية تقليدية فلا يوجد إنسان متحرر منها على الإطلاق، غير أن عنصر الاختلاف يكمن في كثافة العنصر الشعبي أو خفته،[1] بمعنى اختلاف عودة المجتمع البحث إلى العنصر الشعبي في ممارسة العادات بين الممارسة المكثفة والقليلة لها وكذلك مدى انعكاس التغيرات الثقافية عليها.

ولكون موضوع البحث يهتم بالتغيرات الثقافية وانعكاساتها على عادات دورة حياة المرأة تم الأخذ بعينة قصدية والتي تعرف على أنها العينة التي يقوم فيها الباحث باختيار مفرداتها بطريقة تحكمية لا مجال فيها للصدفة، وهذا لإدراكه المسبق ومعرفته الجيدة لمجتمع البحث ولعناصره الهامة والتي تمثله

---

[1] رحاب مختار: **تمثلات المرأة في المخيال المجتمعي اثنوغرافيا اليومي وأنثروبولوجيا المترسب الثقافي**، مطبعة نواصري، المسيلة، الجزائر، 2016، ص 34.

تمثيلا صحيحا، وبالتالي لا يجد صعوبة في سحب مفرداتها بطريقة مباشرة[1]، وتمثلت هذه العينة في عينة متعددة المفردات لأسباب فرضتها طبيعة الموضوع المتعلقة أساسا بدورة الحياة، الأمر الذي استلزم اجراء مقابلات مع جميع الفئات العمرية للنساء، للتمكن من رصد العادات القديمة وكيفية ممارستها وكذلك التأثرات التي خضعت لها بفعل التغير الثقافي، وقد تم اجراء المقابلات مع (55 مفردة) فضلا على حضور 42 مناسبة احتفالية بما فيها من مناسبات للميلاد والزواج والجنائز، وتتمثل مفردات العينة في:

- النساء الكبيرات في السن.
- أمهات.
- أمهات حديثات الولادة.
- نساء متزوجات حديثا.
- فتيات مخطوبات.
- فتيات مراهقات.
- نساء عازبات كبيرات في السن.

7- الدراسات السابقة:

يعد الاطلاع على الدراسات السابقة من أهم الخطوات التي يقوم بها الباحث في اعداده للبحث العلمي، فهذه الأخيرة تساعد بكثرة لأنها تمكنه من بناء تصور نظري حول البحث المراد إنجازه، كما أنه يمكن له الاستفادة من الاستنتاجات التي توصلت إليها تلك الدراسات لتكون انطلاقة له في دراسته،

[1] أحمد بن مرسلي: **مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2003، ص 197.

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه في دراستنا هذه هو أن ترتيب الدراسات السابقة قد جاء بناء على الضرورة التي فرضتها الدراسة ذاتها، والتي تتمثل في ترتيب الدراسات حسب الموضوع والأهمية لتعلق الدراسة أساسا بدورة الحياة ما يجعل يجعل الأفكار متسلسلة ومنطقية، ومن بين الدراسات السابقة التي تم الاعتماد عليها في دراستنا نجد:

الدراسة الأولى:

كانت الدراسة الأولى عبارة عن دراسة أجنبية للباحث والعالم الشهير أرنولد فان جينيب بعنوان: " ***the rites of passage*** " بمعنى " ***طقوس العبور*** " وقد نشرت هذه الدراسة سنة 1909، لقد أرنولد فان جينيب أول عالم أنثروبولوجي لاحظ انتظام مراحل الحياة، وكذلك وجود طقوس مرتبطة بتلك المراحل الانتقالية في حياة الإنسان، فوجد أن طقوس الولادة والبلوغ والزواج والوفاة تتميز في جميع الثقافات باحتفالات قد تختلف في التفاصيل ولكنها عالمية في الوظيفة.

لقد توصل أرنولد فان جينيب في دراسته إلى وضع نموذج ثلاثي لطقوس العبور، والذي يتمثل في: " ***طقوس الانفصال، طقوس الانتقال، طقوس الاندماج*** "، وقد استنتج إلى جانب وجود هذه المراحل الطقسية العديد من التسميات لتلك العادات مثل: " ***الطقوس الاسترضائية، الطقوس التطهيرية وغيرها من الطقوس*** "، وقد أصبحت عبارته عن هذه " ***طقوس العبور*** " بمثابة جزء من لغة الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، فجميع البحوث التي جاءت من ورائها قد استندت بالضرورة إلى البحث والنتائج التي قدمها أرنولد فان جينيب، وقد ساعدتنا هذه الدراسة بفهم آلية دورة الحياة والطقوس المرتبطة بها وكيفية اسقاطها على مجتمع البحث.

الدراسة الثانية:

كانت الدراسة الثانية بعنوان: " ***الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية*** " للباحثة أمال قرامي المنشورة سنة 2007، وقد ناقشت هذه الدراسة الاختلاف بين المرأة والرجل من حيث العادات والمعتقدات الاجتماعية وكذلك تأثير العامل الديني فيها، وقد قامت بهذه الدراسة بداية مع انطلاق دورة الحياة لكلا الجنسين أي من الميلاد وحتى الوفاة، وتميز طرح أمال قرامي بالجرأة في سرد الوقائع وتحليلها خاصة فيما يتعلق بالفضاء النسوي في إطار ذلك البناء الهرمي، كون المجتمع ذكوري يميل إلى طمس حقائق ذلك الفضاء، وقد تبين من خلال الدراسة أن النساء شكلن بالفعل طبقة في مقابل طبقة الرجال، وقد حرص المجتمع على وضع مسافة بين الجنسين مبنية على التفاضل الذي يعد الرجل فيه هو الأصل.

وقد توصلت الدراسة إلى أن ظاهرة الاختلاف القائم على أساس النوع الاجتماعي لا يبرر التفوق الاجتماعي لجنس على حساب الآخر، ولا التهميش ولا الهيمنة فاختلاف موقع كل من المرأة والرجل أو العرق أو اللون لا يشرع لقيام نظام تراتبي تمييزي، وأن المجتمع هو الذي يجعل من هذا الاختلاف البيولوجي اختلافا حاضرا، أي إنه يخرجه من حالة الصمت ليصبح ناطقا ومعبرا عن خيار ثقافي ومبررا للتراتبية، وهذا يدل على أن العرف السائد في المجتمع هي التي تنتج التمييز وتجذره في الفرد، فيصبح بمثابة قانون يضبط سلوكه وأقواله وأفعاله، وبذلك فقد كانت حصيلة دراستها شاملة المعلومات والتي من سمحت لنا بتكوين نضرة متكاملة حول الواقع الذي نعيشه في المجتمع، كما مكنتنا في بناء مخطط عمل للجانب الميداني، وذلك للكم الهائل من البيانات الاثنوغرافية التي جمعتها في دراستها.

الدراسة الثالثة:

هذه الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه علوم أنجزتها الباحثة مهيدة وهيبة، بعنوان: " ***رعاية الطفل الرضيع قراءة في العادات والتقاليد المنتشرة في سيدي بلعباس مع مقارنة بالأساليب الطبية***

الحديثة "، وقد نوقشت في جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان للسنة الجامعية 2010-2011، وقد حاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة تحديد مكانة العادات والتقاليد الاجتماعية المتعلقة بمرحلة الميلاد في المجتمع، مقابل التغيرات الحاصلة فيه والناجمة عن عدة عوامل، مع مقارنتها بالأساليب العلمية الحديثة في التطبيب من أجل رصد تلك التغيرات.

وقد لجأت في انجاز بحثها إلى اختيار ثلاث عينات مختلفة الوحدات، أولها الأمهات الحديثات الولادة ثم النساء المسنات أما الأخيرة فهي عينة الأطباء، وقد اعتمدت كذلك على المنهج البنائي الوظيفي في محاولة منها لفهم بنى المجتمع والتغيرات التي لامسته، وقد توصلت الباحثة وهيبة إلى أن مدى تعلق الناس بالعادات الاجتماعية والحرص على أدائها قد يمنع الأفراد من التنقل للمراكز الطبية وشراء الأدوية، وقد وجدت أيضا أن النساء أكثر تمسكا من الرجال بالعادات والتقاليد ذلك لكونهن المشرفات على رعاية الأطفال، وكذلك إن ما يمكن رؤيته من نتائج خلال هذه الدراسة هو أن العادات والاعتقادات الشائعة في الوسط الاجتماعي تشكل جزءا من كيان الفرد و هويته و شخصيته و رغم تقدم المستوى الثقافي والعلمي للعديد من الأفراد، فان اعتقادهم الراسخ في سلامة تلك التقاليد السائدة يبقى قائما ومحددا لسلوكياتهم في الكثير من المواقف.

الدراسة الرابعة:

تمثلت الدراسة الرابعة في رسالة ماجستير أنجزتها الباحثة لبلق أسماء، تحت عنوان: " ***التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية*** "، وقد تمت مناقشتها في جامعة محمد بن أحمد وهران للسنة الدراسية 2014-2015، وقد استهدفت الباحثة في هذا الدراسة الميدانية ظاهرة البحث في التحولات الثقافية والتي لامست لمراسيم مرحلة الزواج في المجتمع التلمساني، من خلال اجراء بعض المقارنات للعادات بين الماضي والحاضر لتتمكن من رصد التغيرات التي حدثت على العادات، بما في ذلك محاولتها التحقق من التحولات التي لامست الأسرة التلمسانية هي الأخرى ومدى تمسكها بالعادات

في ظل التحول الثقافي، وقد لجأت في تحقيق هذا المسعى في توظيف المنهج الوصفي التحليلي وذلك لوصف الظاهرة المدروسة ولتحليل مدلولاتها تحليلا دقيقا، كما عمدت إلى استعمال المنهج المقارن من أجل التعرف على أهم التغيرات التي لامست تلك العادات.

وقد كشف لنا الدراسة أنه بالرغم من وجود مرجعية ثابتة للطقوس الاحتفالية للزواج التلمساني إلا تلك العادات والطقوس عرفت تراجعا ملحوظا بفعل التحولات الراهنة، وذلك بتدخل عناصر ثقافية جديدة تبناها جيل الأبناء دون الآباء نتيجة الحداثة والغزو التكنلوجي، ما جعل من طقوس الزواج تخضع لسلسة من التحولات الثقافية الجديدة، وهو ما عرض الثقافة المحلية للأسرة التلمسانية لتنوع ثقافي متفاوت أدى إلى التغيير في بعض الطقوس الاحتفالية من حيث مدلولها الاجتماعي و الرمزي، وأسرف ذلك إلى بروز ثقافات جديدة حلت محل الثقافة القديمة.

الدراسة الخامسة:

أما الدراسة الأخيرة فهي بعنوان: ***" الأشعار والطقوس الجنائزية بمنطقة –واقون-مقاربة أنثروبولوجية وظيفية "***، وهي مذكرة ماجستير منجزة من طرف خليفة زكية وقد نوقشت في جامعة مولود معمري بتيزي وزو للسنة الدراسية 2011-2012، وقد جاءت الدراسة بصدد دراسة ظاهرة الموت من حيث الأسباب والعوامل وكذلك الطقوس التي تقام أثناء حدوث هذه الظاهرة، فضلا على تصي آراء المجتمع حولها والتعرف إلى بعض التجارب التي مرو بها من أجل تحصيل صورة شاملة للموضوع محل الدراسة.

وقد استعانة الباحثة بالمنهج الاثنوغرافي من أجل التوصل إلى نتائج الدراسة، وذلك لتطبيق خاصية المعاينة والوصف الدقيق ومن ثم محاولة تحليل وتفسير الظاهرة المدروسة، وكذلك لجأت إلى الاستعانة بالمقاربة الوظيفية من أجل معرفة الدور الذي تلعبه الأشعار في الجنائز، فضلا على الاستدلال ببعض من أفكار علماء النفس كسيغموند فرويد.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج تتمثل في أن طريقة تعامل الأشخاص الحاملين للتراث على أنه من الأمور الهامة التي لا يمكن لهم الاستغناء عنها، كما أنه من الضرورات التي يجب العمل بها والسعي على الحفاظ عليها وتلقينها للأجيال من أجل استمرارها، لأنه يعتبر جزءا لا يتجزأ من شخصية المجتمع ورموزه وهويته، كما وجدت أن معظم الأشعار والطقوس تهدف إلى إعادة التوازن الداخلي للإنسان القبائلي وتقوية الروابط الاجتماعية في الجماعة من خلال الممارسة الجماعية لها، وفي الأخير خلصت إلى اعتبار الموت ميلادا رمزيا في عالمه الآخر لذلك تتعامل معه الجماعة الشعبية كعبور إلى العالم الآخر.

الفصل الأول: مكانة المرأة في المجتمع الجزائري في ظل التغير الثقافي

- تمهيد
- نظريات التغير الثقافي
- عناصر التغير
- أسباب وعوامل التغير الثقافي
- معوقات التغير الثقافي
- مكانة المرأة عبر التاريخ في مختلف المجتمعات
- مكانة المرأة في المجتمع الجزائري
- محددات مكانة المرأة في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر
- العوامل المساهمة في تغير مكانة المرأة في المجتمع الجزائري

تمهيد:

لعل الشيء الذي تشترك فيه جميع الثقافات الإنسانية هو ميلها للحفاظ على خصوصيتها الثقافية إلا أن قانون التغير يسري عليها حتما، إذ يعتبر التغير الثقافي أحد أهم السمات التي لازمت وجود المجتمعات ولقد شهدت هذه الأخيرة العديد من التغيرات على مستوى جميع أنظمتها ما جعل هذا الموضوع محل اهتمام الكثير من المؤرخين والعلماء والباحثين، وذلك لمحاولاتهم الكثيرة في فهم وتفسير العوامل الكامنة وراء سقوط العديد من المجتمعات وظهور مجتمعات أخرى وكذلك رصد أهم التغيرات والاختلافات بينهم.

وقد وضع بعض هؤلاء المؤرخين قوانين للنمو وتغير المجتمع في مصطلحات كالدورة والنمو والتطور والانهيار إلى غير ذلك من المصطلحات[1]، للدلالة على التغير الثقافي الذي حصل في المجتمعات غير أن دراساتهم كانت عبارة عن تتبع كرونولوجي للأحداث لنشأة وانهيار تلك المجتمعات، وهذا ما رفضته أغلب الدراسات الحديثة لاعتبار أن مفهوم التغير الثقافي أوسع من ذلك، وجاء في ذلك الصدد العديد من النظريات المفسرة لظاهرة التغير الثقافي بقيادة رواد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا فتطرقوا إلى البحث عن طبيعة الموضوع والعوامل المؤثرة فيه والمعوقات واتجاهاته وحتى الانعكاسات الناجمة عنه.

إن المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر مهدت إلى ظهور التغيرات التي نشهدها حاليا وهذه الأخيرة شملت جميع وحداته الاجتماعية، فكانت الأسرة أكثر وحدة تأثرت بهذه التغيرات في بنائها ووظائفها وحتى العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفرادها، وهذا ما أدى بدوره إلى تغير أدوار المرأة وأسلوب حياتها.

[1] سناء الخولي: **التغير الاجتماعي والتحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2011، ص 22.

وتأسيسا على ما سبق سنقوم من خلال هذا الفصل بالتطرق إلى مختلف مكونات التغير الثقافي والنظريات المفسرة له ومدى تأثيره على الحياة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الجزائري.

1-نظريات التغير الثقافي:

لقد استند العلماء في تفسيرهم لظاهرة التغير الثقافي إلى عدد من النظريات فالبعض منهم حاول تشخيصه من حيث عوامله ومساراته أو حسب حجمه أو طبيعته ومعدلاته وحتى من حيث مدى ودرجة التغير وسرعته، والأمر عائد إلى اختلاف تخصصات العلماء وتوجهاتهم وكذلك إلى مدى صعوبة عملية التغير الثقافي ذاته ودرجة تعقدها، ومما لا شك فيه أن هذه النظريات ساهمت بشكل كبير في إعطاء نظرة شمولية عليه وبناء على ما سبق ذكره سنقوم بالتطرق إلى أهم نظريات التغير الثقافي.

1-1-النظرية التطورية:

يطبق التصور التطوري بطرق مختلفة في تفسير عملية التغير الثقافي، وخاصة بعد اكتشاف تشارلز دارون لقانون تطور الكائنات ونشر كتابه أصل الأنواع عام 1859 مما جعل العديد من علماء الاجتماع يتبعونه في نفس الطريق، ونحن نعلم أن النظرية التطورية قد سيطرت على معظم الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى أواخر الحرب العالمية الأولى، ولهذا كانت وجهة النظر هذه تدور حول البحث عن قوانين تطورية ذات صبغة عالمية أو شمولية أو بمعنى آخر البحث عن القوانين التطورية التي تفسر النمو الثقافي والاجتماعي، وكان المبرر من وراء ذلك أنه إذا كانت هناك خطوط عديدة للتطور، أو أن العملية الكبرى يمكن أن تكون قد تكررت عدة مرات فإنها جميعا يمكن أن تكون قد سارت على صيغة واحدة أو متشابهة، وعلى هذا فإن القضية الفلسفية التي تعالج

أهمية المصير الإنساني، قد انتقلت من حالة فريدة إلى تحليل إمبريقي ومن النموذج الافتراضي ثم لتوضع بعد ذلك أو تصاغ في قوانين عامة عن التطور.[1]

تنطلق النظرية التطورية من مبدأ أساسي ألا وهو تطور المجتمعات البشرية في خط واحد من المجتمعات البسيطة إلى المجتمعات المعقدة إلى المجتمعات الأكثر تعقيدا، وتؤكد هذه النظرية أن لكل مرحلة منها خصائص ثقافية تميزها عن الأخرى وأن كل واحدة منها أفضل من التي سبقتها، ويتجسد هذا التصور في العديد من الأعمال التي قدمها بعض العلماء أمثال أوجست كونت وروبرت برافيولت وكذلك كل من ادوارد تايلور ولويس هنري مورغان.

يؤكد أوجست كونت أن المجتمع مر بثلاثة عهود أو مراحل مختلفة عبر عنها في قانونه الشهير بقانون " **الحالات الثلاث** " ليوضح لنا المراحل التي مر بها الفكر الإنساني حتى بلغ تلك المرحلة الراهنة، حيث تشير هذه المراحل إلى تقدم أو تطور تدريجي يوضح التغير الثقافي الذي مرت به المجتمعات الإنسانية وهذه المراحل هي[2]:

- **المرحلة اللاهوتية:** وهي المرحلة التي سيطرت عليها الأفكار الخارقة للعادة والتي تعلقت بتفسير طبيعة الحياة البشرية والخلق والوجود الإلهي، والتي اتسمت بطرح غير منطقي في كثير من الأحيان، كما انتشرت في هذه المرحلة كثرة الحركة الاستعمارية.
- **مرحلة الميتافيزيقية:** الميتافيزيقيا هي علم الماورائيات أو ما وراء الطبيعة، وقد اتسمت هذه المرحلة بدراسة القضايا الوجودية كأصل الكون والأسباب الكامنة وراء الظواهر الطبيعية وتطور الانسان وغيرها.

---

[1] سناء الخولي: <u>التغير الاجتماعي والتحديث</u>، مرجع سابق، ص 42.

[2] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، 61.

- **المرحلة العلمية:** تميزت هذه المرحلة بانتشار الفكر العقلاني الذي حل محل التأمل الديني والماورائي، واستبدال الأساليب الحربية بالهيمنة الاقتصادية.

ويرى كونت أن هذه المراحل الثلاث من التغير تتبع كل منها الأخرى، كما أن المرحلة اللاحقة تصحح أخطاء السابقة إلا أن المرحلة الأخيرة نهائية وحتمية، بمعنى أنها تمثل النقطة النهائية للتطور أو التغير الثقافي،[1] إلا أن الملاحظ هو تشابه المرحلة الأولى والثانية أو تقاربهما من ناحية الأفكار والتفسير الذي يعود في أغلب الأحيان إلى الخلفية الدينية، فكان فصل الدول الأوروبية لحكمها عن سلطة الكنيسة الأثر الكبير على حياتهم فاعتبرت تلك المرحلة مرحلة التغير الكبرى، فالتغير الثقافي الحاصل آنذاك نتج عنها الثورة الصناعية أو ما يسمى بعصر النهضة، وتلك المرحلة الأخيرة في المسار الذي وضعه أوجست كونت والتي اتسمت بسيطرة العلم والمعرفة على الأفكار بعيدا عن اللاهوت والميتافيزيقيا.

وفي ذات السياق لا يمكننا التحدث عن مراحل تطور المجتمعات البشرية دون ذكر اسهامات كل من لويس هنري مورغان وادوارد تايلور حيث أكد هذين الاثنين على أن جميع المجتمعات الانسانية تتطور في خط واحد انطلاقا من المجتمعات البسيطة وصولا إلى المجتمعات المعقدة فالأكثر تعقيدا.

بالنسبة لمورغان كانت القرابة على نحو أساسي نقطة دخول إلى دراسة التطور الاجتماعي حيث جادل على أن المجتمعات البدائية نظمت على أساس القرابة، وقد ابتكر مورغان أول تصنيف للأنساق القرابية وقدم تمايزا بين نسق القرابة التصنيفي والوصفي والذي لا يزال ساري الاستعمال، لنبسط على نحو كبير الأنساق الوصفية –مثل أنساقنا نحن– تفرق الأقرباء من ذوي النسب الصاعد أو خط النسب النازل –القريب الخطي– من الأقرباء على الجانب – القرابة المصاحبة مثل الأبناء والأقارب والنسباء–

[1] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 61.

على سبيل المثال بالنسبة لكل القرابة الذكورية الخطية والمصاحبة من جانب الأب أب، أخو الأب، ابن أخي الأب، الخ..، إلا إن مورغان قام بأكثر من صياغة نظرية ودعمها من خلال الدراسة المكثفة لسنوات لأنساق القرابة القائمة حول العالم وعرضت نتائج بحثه المؤثر الموسوم أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية 1870 محددا القرابة بصورة نهائية باعتبارها موضع اهتمام أنثروبولوجي رئيسي، إن التنوع الاصطلاحي فيما بين أنساق القرابة يترابط مع التنوع في البنية الاجتماعية والثقافية ولكنه افترض أيضا أن مصطلحات القرابة تغيرت بصورة بطيئة ولذلك احتوت على إشارات لفهم المراحل المبكرة للتطور الثقافي.[1]

وقد حاول مورغان في كتابه المجتمع القديم 1877 تحديد المراحل الأساسية للتطور الثقافي التي لابد أن تمر المجتمعات بها وهذه المراحل كالتالي:

- **مرحلة التوحش الدنيا:** يرى فيها مورغان طفولة البشرية حيث عاش الإنسان في مرحلة أشبه بالحيوانية هائما على وجهه متغذيا بجذور النباتات وبعض الثمار البرية ... جامعا وملتقطا.
- **مرحلة التوحش الوسطى:** مرحلة تقدم فيها الإنسان قليلا عما كان عليه في المرحلة السابقة باهتدائه إلى اكتشاف النار واستخدامها في طهي الطعام وإضاءة الكهوف، نتج عن ذلك تعرف الإنسان على انواع جديدة من الأطعمة بخاصة اللحوم والأسماك.
- **مرحلة التوحش العليا:** اكتشف فيها الإنسان القوس والسهم مما ساعده على تغيير غذائه واقتصاده بشكل عام، وأصبح الإنسان في هذه المرحلة صائدا للحيوانات يعتمد على لحومها أي أن الإنسان بدأ في هذه المرحلة في تحقيق الانتقال من جامع للطعام وملتقط له إلى منتج

---

[1] توماس هايلاند إيريكسون، فين سيرفت نيلسون: <u>**تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**</u>، لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، 2013، ص 37

لطعامه. ويفترض مورغان ارتباط هذا التقدم في الاقتصاد بتقدم مماثل في شكل التنظيم الاجتماعي والديني.

- **مرحلة البربرية الدنيا:** تتميز بوصول الإنسان إلى إبداعات جديدة أهمها صناعة الفخار وخروج الإنسان من عزلته الضيقة وانتشاره في مناطق أكثر اتساعا وبداية نشوء جماعات اجتماعية.
- **مرحلة البربرية الوسطى:** تمكن فيها الإنسان إلى صهر المعادن وصناعة الأدوات والآلات المعدنية وبداية اكتشاف الكتابة الصورية.[1]
- **مرحلة المدنية:** تتميز هذه المرحلة بتطور جميع الأنظمة وازدهار التجارة والصناعة على نحو خاص كما عرفت تطور التكنولوجيا ووسائل التواصل وشبكات النقل، وتشهد هذه المرحلة العديد من الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي ساهمت بشكل مباشر في حدوث هذه التغيرات الثقافية، وهذه الأخيرة هي المرحلة التي لا زالت ممتدة حتى الوقت الراهن.

وحسب مورغان فإن هذه المراحل التي حددها لتمثيل التغير الثقافي هي أقرب نموذج محاكي للواقع الذي نعيشه، والشيء الملاحظ هنا أن مورغان حصر أساس التغير في الاختراعات التي عرفها المجتمع في كل فترة، فالمرحلة الوحشية بدأ الإنسان فيها يعتمد على الجمع والالتقاط ثم الصيد واستخدام النار، ثم انتقل إلى المرحلة البربرية عن طريق صناعة الفخار وصهر المعادن وصناعة الأدوات وغيرها، ثم أخيرا إلى قيام الدولة والتي تطورت فيها التكنولوجيا وتطور المؤسسات الإنسانية وكثرت الاختراعات في تلك المرحلة.

وفي ذات السياق أسس تايلور مخططا تطوريا من بقايا عمل مورغان نشره في مؤلفه التاريخ القديم 1871 واشترك مع مورغان بالإيمان بأولوية الظروف المادية إلا إنه لم يشاركه الاهتمام

---

[1] جمال بن عمار الأحمر: **الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية**، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016، ص 61.

بمصطلحات القرابة وبدلا من ذلك طور نظرية للبقاء الثقافي، كان البقاء بنظره سمات ثقافية فقدت وظائفها الأصلية في المجتمع إلا إنها استمرت دون سبب معين في البقاء كانت مثل هذه السمات ذات أهمية حاسمة بالنسبة لمساعي إعادة بناء التطور الإنساني، كما حث تايلور على استخدام طريقة المقارنة التي تقوم على فكرة سمة بسمة والتي سمحت له بعزل البقايا عن النسق الاجتماعي الأكبر، وقد تم التخلي عن هذه الطريقة من قبل الجيل اللاحق لعلماء الأنثروبولوجيا رغم تأثيرها في حينه.[1]

عد تايلور الثقافة عنصرا مساعدا لفهم تاريخ بني الإنسان طالما أن الثقافة ظاهرة تاريخية تميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى ويكتسبها الإنسان بالتعلم من مجتمعه الذي يعيش فيه، بهذا الفهم يرى تايلور أن الثقافة تكون دوما ثقافة جماعة اجتماعية لكنه في الوقت نفسه لا يهمل دراسة العمليات العقلية للفرد بحسبان الثقافة حصيلة أعمال فردية كثيرة، هكذا يفترض تايلور أن دراسة الثقافة هي دراسة تاريخ تطور الفرد في المجتمع بحسبانها العملية التاريخية العقلية لتطور عادات الإنسان وتقاليده من حالتها غير المعقدة إلى حالتها المعقدة فالأكثر تعقيدا، لكن يلاحظ ان تايلور خلافا لمورغان لا يصر على عد مراحل تطور الثقافة من الوحشية إلى البربرية فالمدنية بمثابة حتمية ملزمة محتفظا في الوقت نفسه بمبدأ التقدم التطوري من الأدنى إلى الأعلى حقيقة وضعية.[2]

مما سبق ذكره نجد أن رواد النظرية التطورية يتفقون في أنه لا يمكن فهم أي مجتمع بعيد عن خلفيته التاريخية، وأن جميع المجتمعات الإنسانية في بداياتها تشترك في كونها مجتمعات بسيطة وبفضل عدة عوامل حدثت تغيرات ثقافية بها وأصبحت في الصورة التي هي عليها الآن، وأما عن التمايز فهو وليد ظرف تاريخي محدد لا يمكن أن يتكرر في مجتمعات أخرى.

---

[1] توماس هايلاند إيريكسون: مرجع سابق، ص 43.

[2] جمال بن عمار الأحمر: مرجع سابق، ص 64.

1-2-النظرية الدائرية:

استند أنصار هذه النظرية على نظرية داروين لعملية التغير الاجتماعي الذي يسير بشكل دائري ثم ينتهي من حيث بدأ، وأن التغير يتجه صعودا أو هبوطا من نقطة معينة في دورة تعود بالمجتمع إلى نقطة مشابهة للتي بدأ منها، فالمجتمع يتغير وفق دورة حياة الإنسان من الميلاد فالبلوغ ثم الرشد وأخيرا الشيخوخة والموت، ويعتبر ابن خلدون من أوائل من نادوا بهذا الرأي الذي يؤكد بأن للدول أعمارا طبيعية كما للأشخاص، فقال إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال هي[1]:

- **الجيل الأول:** والذي يعتبره ابن خلدون الجيل المؤسس للحضارة والشيء الذي يحركه هو قوة العصبية، والذي يميل أفرادها من خلالها إلى التكتل حول أنفسهم وانشاء مراكز ثقافية خاصة بهم، فنجد هذا الجيل يتميز بالفكر العقلاني والبحث والاكتشافات والذي يصنع قاعدة لقيام الحضارة.
- **الجيل الثاني:** هو الجيل الذي يميل إلى اتباع القوانين التي سنها من سبقهم فتنتقل الحضارة من مرحلة البناء إلى مرحلة الاستقرار وتحقيق الأمن، وكذلك ظهور معالم الترف ومع ذلك تبدأ معالم الجيل الجديد بالظهور.
- **الجيل الثالث:** وهو الجيل الأخير الذي يتسبب في نهاية الحضارة وزوالها وتتميز بضعف التفكير العقلاني فيها والميل إلى اتباع الأهواء وانغماسهم في الملذات والشهوات، والسبب في ذلك يعود إلى ابتعاد حكامها عن المبدأ الذي قامت عليه الحضارة أول مرة ألا وهو العصبية، فينتهي بهم الأمر إلى المهانة والخضوع للحضارة التي ستقوم بعدها.

[1] فادية أبو خليل: **الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2014، ص 190.

إذن من هنا يمكن القول أن الحضارة عند ابن خلدون تقوم وتنهار على مبدأ العصبية فكلما كانت درجة العصبية أقوى كانت الحضارة متماسكة ومنسجمة وفي طور البناء أما اذا ما لاحظت أن الحضارة تبتعد عن مبدئها فتلك بداية نهاية تلك الحضارة.

وقد قدر ابن خلدون اعمار الحضارات استنادا إلى أعمار الأشخاص فحدد سن أربعين سنة لكل جيل من الأجيال فيكون العمر المقدر لها مائة وعشرون سنة والشكل التالي يلخص نظرة ابن خلدون للحضارة.

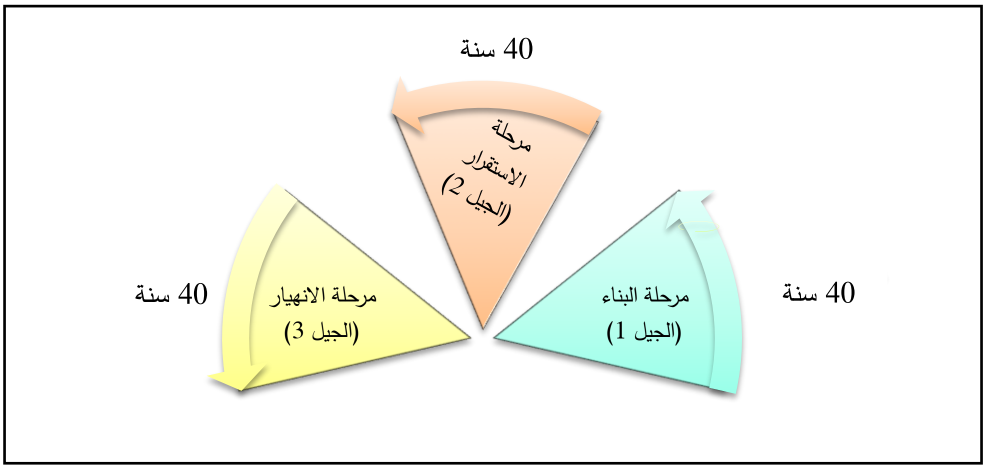

الشكل رقم (03): تصور ابن خلدون لعمر الحضارة (المصدر: من اعداد الطالبة)

ويطلق على هذه النظرية كذلك بـ: "***نظرية الارتقاء والانحدار***" وتعتمد على تأمل متشائم نحو علوا الحضارات وتطورها ومن ثم تحطمها إلى أن تصل إلى الانقراض وتصبح بائدة، ومن أبرز ممثليها وأرنولد توينبى الذي وصف في دراسته "***دراسة التاريخ***" إحدى وعشرين حضارة لاحظ من خلالها النمط المتكرر من ارتقاء وانحدار الحضارات[1]، وكذلك نجد شبنجلر أوسولد العالم الألماني الذي أكد هذا الرأي

[1] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 81.

وقال إن مصير المدنيات أن تنتهي بنهاية حتمية، فكل مدنية لها دورة حياة مشابهة للكائن الحي من حيث الولادة والنضج والشيخوخة والموت.[1]

وينظر سوروكين إلى المجتمع كنسق أعلى يشتمل على البناء الاجتماعي والثقافة وجماعات من الأفراد، وهذا النسق في حالة مستمرة ومتواصلة من التغير الثقافي. وكذلك يشيد سوروكين أنه يمكن تغيير المجتمعات في عديد من الاتجاهات المختلفة طبقا لقيم الأفراد داخل النسق، فإذا كانت النظريات السابقة قد نظرت إلى التغير الثقافي على أنه تحرك في اتجاه واحد، على سبيل المثال لا الحصر فكرة دوركايم عن أن المجتمعات البدائية يجب أن تتحرك بازدياد وخط مستقيم نحو المجتمعات المتحضرة كما هو موضح في الشكل.[2]

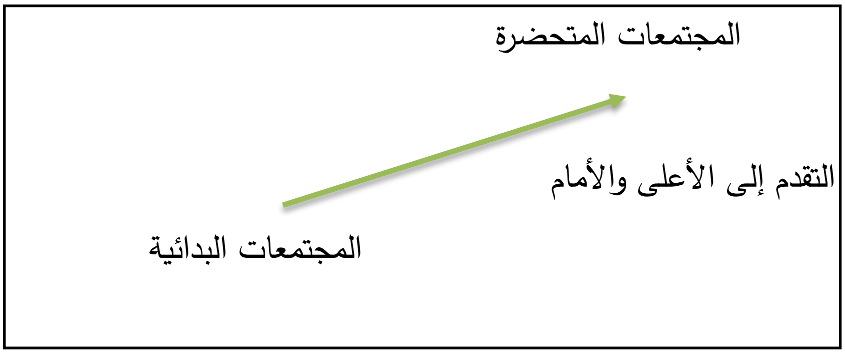

الشكل رقم (04): يمثل طريقة التغير في اتجاه واحد (المصدر: كتاب السيد رشاد غنيم التكنولوجيا والتغير الاجتماعي ص 83)

ومن خلال الشكل الموضح أعلاه يتجلى لنا تصور ايميل دوركايم حول أطروحته عن التضامن الآلي والتضامن العضوي، والذي لخص فيها دوركايم حركة التغير فتكون الانطلاقة من المجتمعات ذات التضامن الآلي في خط واحد وصولا إلى المجتمعات العضوية، والتي تعتبر ذروة التغير ثقافي التي يمكن أن يصل إليها أي مجتمع.

---

[1] فادية أبو خليل: مرجع سابق، ص 190.

[2] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 83.

وحسب سوروكين ان المجتمعات تتحرك جيئة وذهابا من نمط معين من الحضارة إلى آخر وتحتاج الكائنات الإنسانية في البداية إلى اكتساب المعرفة لكي تسيطر على اتجاه التغير، ولكي نفهم ذبذبة التغير الثقافي يجب على دارسي العلوم الاجتماعية أن يكونوا على إلمام تام بالنماذج المختلفة للمجتمع، ويمدنا سوروكين بأربعة أنواع أساسية للحضارات هي:

- **الثقافة الحسية:** وتوجد عندما تتقبل عقلية الجماهير حقيقة الأشياء ونستطيع ملاحظتها بالأعضاء الحسية، ولذلك لا تهتم الحضارة الحسية بالبحث أو اكتشاف المعرفة المطلقة وإنما تتجه نحو استخدام الامبيريقية (الملاحظة) كمصدر للحقيقة.
- **الثقافة الصورية:** فهي عبارة عن إحساس روحي حيث تعتمد تلك الثقافة على اتجاه ديني إلى حد بعيد ومن ثم تعتمد على الدين والوحي كمصدر للحقيقة ولا تهتم بالجوانب الامبيريقية، فإذا كان الشخص الحسي يكتسب المعرفة من الظواهر التي يمكن ملاحظتها ولذلك يستطيع أن يعالجها ببراعة، فإن الشخص الصوري ببساطة هو الذي يطابق بين الأنماط وأحوالها في مجموعة كلمات ويضع تنبؤات خيالية ومن ثم يكون صاحب تلك الثقافة أزلي ومطلق.
- **الثقافة المثالية:** في حين جاءت الثقافة المثالية عبارة عن مزيج تام من الأنماط الحسية والصورية، ومع ذلك فإن هذا النوع من الثقافة يرتقي فوق النوعين السابقين نظرا لإضافة السبب كمصدر للحقيقة، ولكي توجد هذه الثقافة المثالية فيجب أن تتعايش أو تتصاحب عناصر الثقافة الحسية والصورية في نمط متناسق.

- **الثقافة المختلطة:** وهو مركب من الثقافة الحسية والصورية بدون سبب كمصدر للحقيقة، ويجب أن تعتمد هذه الثقافة إلى حد ما على الامبيريقية والزهد كما يجب أن توضح الخط الوسط لفصل الثقافة الحسية والصورية.[1]

والشيء الذي قصده سوروكين بالتذبذب هو تغير اتجاه تغسر المجتمعات ما بين حسية وصورية ومثالية ومختلطة في بعض الأحيان، ما جعلها غير مستقرة على خط واحد والعامل المتحكم في ذلك التغير هو طريقة تفكير أفراد ذلك المجتمع.

1-3-النظرية الوظيفية:

لقد بحثت معظم النظريات في القرن التاسع عشر في مختلف مظاهر الحياة التي مرت بها البشرية، بناء على سلسلة من الأحداث الماضية معتمدين في ذلك على الوصف والتأمل والربط بينها، إلا أن هذه النظريات واجهت صعوبة كبيرة تتمثل في كيفية اثبات وجهات نظرهم وصياغة قوانين تتلاءم مع ذلك الوضع، وذلك لتباعد الفترات الزمنية عن بعضها البعض وقلة الأدلة المادية التي تبرهن بشكل مباشر ما اتجهوا إليه وهو ما جعل هذه النظريات عرضة للانتقاد، فجاءت النظرية الوظيفية كرد فعل عليها مؤكدة أن دراسة التغير الثقافي أو أية عنصر من عناصر الثقافة لا يحتاج دائما للعودة إلى المراحل التاريخية له.

بدأ الاهتمام بتحليل الأنساق الاجتماعية في مطلع القرن العشرين كاستجابة لحاجة علم الاجتماع والأنثروبولوجيا لمدهم بأدوات ومناهج متطورة تمكنهم من دراسة المجتمعات[2]، بعيدا عن النظريات

---

[1] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 84.

[2] محمد غربي، قلواز إبراهيم: **النظرية البنائية الوظيفية: نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية**، مجلة التمكين الاجتماعي، جامعة الأغواط، المجلد 1، العدد 3، 2019، ص ص 162-185.

التقليدية التي تنادي بدراستها استنادا إلى خلفيتها التاريخية، لذلك تعد النظرية الوظيفية من النظريات الحديثة التي ساهمت في اثراء البحوث في هذين التخصصين بشكل كبير.

تنطلق النظرية الوظيفية من افتراض أساسي هو لا يمكن فهم أو تفسير أي ظاهرة اجتماعية إلا من خلال الأدوار التي تؤديها داخل المجتمع، وأن هذا الأخير يتكون من مجموعة من الأنساق والوحدات، وتندرج هذه الوحدات تحت الأنساق وتعتبر أصغر مكون في البناء الاجتماعي، ولكل منهم وظيفة ودور يؤديه في اطاره العام وتجمع بينهم علاقة تكاملية تمكن المجتمع من الحفاظ على التوازن داخله، ويعد أي تغير يلامس أحد وحداتها يؤدي بالضرورة إلى احداث تغيرات كبيرة في البناء الاجتماعي الكلي وبالتالي اختلال التوازن فيه ولأجل ذلك تسعى جميع المفردات المكونة لهذا البناء بالحفاظ على تناسق أدوارها.

لقد اشتق مفهوم النظام من تشبيه عضوي يمكن رؤية أهم مظاهره في المفاهيم المترابطة للهيكل والوظيفة، والتي تظهر بشكل بارز في أعمال سبنسر ودوركهايم ومالينوفسكي وراد كليف براون وبارسونز وأتباعه، فإن فكرة النظام العضوي الذي تفترضه الوظيفة هي التي تجعله متميزا عن أشكال التفسير الأخرى في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، ولقد توصلت العلوم الاجتماعية إلى نوعين بارزين من التفسير النظري النوع الخاص بالفردانية المنهجية والآخر الخاص بالجماعية المنهجية مثل الوظيفية، يضع الأول تركيز الحتمية أي المنطقة التي يمكن العثور فيها على تفسيرات مناسبة في المجال الاجتماعي النفسي، أما الوظيفية فتحاول أن تضع تركيز الحتمية في سمات، ولكن التفسير الوظيفي يعني أيضا افتراض أن أنظمة العلاقات بين الفاعلين البشريين في حد ذاتها قادرة على ممارسة تأثير حاسم على سلوكهم، هذا الشكل من الشمولية المشتق من علم وظائف الأعضاء هو الذي أصبح مركزيا في النهج الهيكلي الوظيفي، وقد قام راد كليف براون بإبراز التشابه بين الكائن الحي والمجتمع من خلال تتبع نقاطهم الرئيسية من التشابه في ذلك على حد سواء وهي:

- يمثل كل متكامل.
- الحفاظ على استمرارية هيكلية معينة في مواجهة التحولات على مستوى أجزائها.
- تتضمن عمليات داخلية تؤدي وظائف محددة.[1]

وقد برزت هذه الأسس في الدراسات الميدانية التي قام بها الأنثروبولوجي برونسيلاو مالينوفسكي في جزر التروبرياند، والتي أنتج من خلالها منهجية بحث جديدة في الدراسات الأنثروبولوجية المتمثلة في الملاحظة بالمشاركة وهي التي كانت بمثابة نقلة نوعية في هذا المجال، فمثل هذه الدراسة وجهت تفكير أغلب الباحثين ودفعتهم للنزول إلى الميدان ومعايشة مجتمع الدراسة ومشاركتهم في حياتهم اليومية، وهو الأمر الذي يمكنهم من فهم الحياة البناء الاجتماعي لذلك المجتمع.

وقد أكد مالينوفسكي على أن الوقائع الاجتماعية يجب تناولها ككل منظم وجعلها داخل سياقها الاجتماعي للتمكن من شرحها وتأويلها، فالعادات بالنسبة للوظيفية ليس من بقايا مراحل سابقة كما اعتبرتها التطورية ولكن يجب تناوله من داخل المجتمع، لأن كل ممارسة أو عادة أو معتقد له هدف ومعنى بالنسبة لأفراد المجتمع كل عنصر له وظيفة مهمة للحفاظ على التوازن والنظام ولا يتم ذلك إلا وفق ثلاث أطروحات هي:

- **الوحدة الوظيفية للمجتمع:** كل عنصر مجتمعي مكون هو وظيفي للنظام الاجتماعي المنظم ككل.
- **الوظيفية الكونية:** كل العناصر المكونة للمجتمع ذات وظيفة.
- **الحاجة:** كل عنصر مكون للمجتمع هو جزء ضروري ولا غنى عنه.[2]

---

[1] Hermann Strasser, Susan C. Randall: **An introduction to theories of social change**, Routledge & Kegan Paul, London, Boston and Henley, 1981, P 133.

[2] رحال بوبريك: **مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، دار أبي رقران للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2014، ص 69.

وقد تجلت اسهامات مالينوفسكي في الوظيفية في نظرية صاغها عن الحاجات والتي عرفت بنظريات الحاجيات، ومفادها أن الثقافة هي أداة هدفها تلبية الحاجات الفيزيولوجية للإنسان، مثلا مؤسسة الزواج تستجيب لرغبة أولية تكمن في الحصول على الأمان العاطفي وتلبية الرغبات الجنسية والرغبة في الانجاب والتكاثر، إلى جانب تلبية رغبات أخرى ترتبط بالجانب الديني والقانوني تحيل على ضرورة التنظيم الاجتماعي.[1]

ولقد بدأت الوظيفية فيما بعد في تحليل ظاهرة التغير الثقافي حين حاول علماؤها فهم الثقافات في ضوء كفية اسهام الأجزاء المختلفة في المحافظة على النسق الكلي، ولذلك فالوظيفية ترى أن التغير يحدث نتيجة لعاملين أساسيين هما:

- **عوامل داخلية:** أي داخل النسق الاجتماعي بحد ذاته ويكون نابعا من الأفراد أو الجماعات أو حتى السلطات.
- **عوامل خارجية:** وتكون بفعل الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى، أو حتى عن طريق الأزمات كالحروب وغيرها.[2]

ويعتبر اميل دوركايم أول من تبنى النظرية الوظيفية في دراسة التغير الثقافي من خلال دراسته تقسيم العمل الاجتماعي والذي تميز تصوره فيها بتجاوز المنطق الاقتصادي الضيق، إذ يعلن أن تقسيم العمل فعل يمس كل عناصر الحياة الاجتماعية ولا يقف عند حدود العمل الصناعي فهو يضم المجال السياسي والقطاعات الإدارية ويمتد إلى الفن ويصل حتى إلى العلم والفلسفة، وقد أبرز دوركايم أن أشكال التقسيم تنتهي إلى بناء نموذجين من المجتمع أحدهما متمايز حديث يقوم على ما يسميه دوركايم بالتضامن العضوي لأنه يتشكل من نسق من الأعضاء والوظائف المختلفة حيث يقوم كل فرد أو عضو

---

[1] رحال بوبريك: مرجع السابق، 71.

[2] السيد رشاد غنيم: مرجع السابق، ص 70.

منها بدور محدد، والثاني غير متمايز أو متمايز بشكل ضعيف يتأسس على تكرار عناصر متشابهة ومتجانسة تقوم بالفعل نفسه ويسميه دوركايم بالمجتمع ذي التضامن الآلي، وذلك يعني أن إيميل دوركايم يميّز بين نوعين من المجتمعات المجتمع البسيط والمجتمع المركب الحديث ومعيار التمييز بينهما هو تقسيم العمل الاجتماعي.[1]

وهنا يظهر جوهر الدراسات الوظيفية في مجال التغير الثقافي فاعتماد دوركايم لهذين النموذجين وضح الفكرة بشكل كبير عن كيفية حدوث التغير في المجتمع، خاصة المجتمعات ذو التضامن العضوي باعتبارها أكثر المجتمعات التي يحدث فيها التغير نظرا لتفوق التخصص الوظيفي فيه ووجود شبكة علاقات قوية تربط بين أجزائه، فعند حدوث أية تغير على مستوى أحد أجزائه فبالضرورة يتأثر البناء الاجتماعي ككل كما سبق أن تطرقنا في الفقرات السابقة، عكس المجتمعات ذات التضامن الآلي التي يسود فيها لنقص عملية تقسيم العمل فيه وضعف شبكة الترابط الأمر الذي يجعل من الصعب ملاحظة تأثر المجتمع بتغير أحد أجزائه وإن حدث فيكون ذلك على المدى الطويل وبنسبة صغيرة.

ويختزل تقسيم العمل في المجتمعات الآلية في أشكال أولية مثل التقسيم حسب النوع الاجتماعي للعمل أعمال خارج المنزل للرجال وأعمال منزلية للنساء، أو التقسيم العمري للعمل للصغار أعمال ولكبار السن أعمال أخرى مثلما المجتمعات البدوية، أما التضامن العضوي فيرتبط بصفة مباشرة بالخوصصة في الأدوار والوظائف الناجم عن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية بحيث يؤدي الأفراد مهامهم من خلال الوظائف التي يشتغلون بها في المجتمع وفي السوق، وهكذا فإن تقسيم العمل يحدد نمط التضامن ونمط التضامن يحدد مدى التغير الحاصل في المجتمع.[2]

---

[1] محمد بالراشد: <u>**التضامن الانساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء**</u>، مجلة التفاهم، المجلد 18، العدد 69، 2020، ص ص 199-242.

[2] نفس المرجع، ص 199-242.

وفي ذات السياق جاءت معالجة تالكوت بارسونز للتغير الثقافي والاجتماعي في أعماله المبكرة وبخاصة في كتاب النسق الاجتماعي الذي يرى فيه أن أبسط تصور للنسق الاجتماعي أنه يتألف من شخصين أو أكثر، فينشأ بينهم تفاعل مباشر أو غير مباشر في موقف معين وقد يشترط توافر حدود مكانية أو فيزيقية إلا أن بؤرة التحليل الوظيفي تتمثل في اتجاه الأفراد عموما نحو غاية محددة أو هدف مشترك، وإذن فمن الملائم أن ننظر إلى المجموعات المتنوعة من العلاقات التي تتخذ صورا مختلفة مثل الجماعة الصغيرة والأحزاب السياسية والمجتمعات الكلية باعتبارها أنساق اجتماعية وأن هذه الأنساق تتميز بأنها مفتوحة بمعنى أنها تبادل المعلومات وتتفاعل فيما بينها ومع الأنساق الأشمل منها.[1]

ومن بين صور التفاعل الاجتماعي التي يتحقق ما توجه إليه بارسونز هي التعاون الذي يحدث على مستوى المؤسسات وهذا الأخيرة هو أقرب نموذج لتوضيح فكرة النسق الاجتماعي، فتعاون الموظفين مع بعضهم البعض وتسهيل أداء مهامهم من شأنه يسرع وتيرة العمل وبالتالي تقليص الجهد والوقت للجميع، فجميع الموظفين هنا يسعون إلى توظيف قدراتهم وكفاءاتهم ومهاراتهم لتحقيق هدف مشترك ألا وهو السير الحسن للمؤسسة.

وقد تركزت أفكار بارسونز عن التغير في ضبط وتنظيم التغيرات التي يمر بها النسق في طرق واتجاهات إعادة التوازن، وهذا ما أطلق عليه لاحقا بالتوازن الدينامي غير أن توزن النسق القديم قد يبتلع تيارات التغير هذه باستمرار، فالأفراد يحافظون على الوضع الراهن للنسق ويقاومون التغير لأنه في صالحهم جميعا استمراره على هذه الحالة، ومادام النسق قد حقق قدرا من الاستقرار فإنه يميل إلى عدم التغيير، وإذا حدث فإنه يأتي من ضغوط خارجية تتغلب على مقاومة النسق لها أو من ضغوط وثيقة الصلة بخصائص النسق ولكنها ذات مصدر عشوائي[2]، بمعنى أن التغيرات التي تمر على النسق

[1] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 72.

[2] نفس المرجع، ص 74.

الاجتماعي يتم اعتمادها لخلق نسق اجتماعي حديث والتكيف معه لخلق توازن جديد والسعي للحفاظ عليه، كحال المؤسسة في المثال السابق الذكر حين يتم فيها الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة كالرقمنة وإلغاء التعامل بالأوراق بهدف تطوير الخدمات بداخلها، فسيحتاج الموظفون إلى فترة للتأقلم والتكيف مع هذه التكنولوجيا إلا أنها وفي الأخير ستصل إلى الهدف المراد الوصول إليه وبالتالي تحقيق التوازن فيها مرة أخرى، ومن هنا فإن تحليل بارسونز لظاهرة التغير قائم على فكرة العامل الواحد ألا وهو العامل الخارجي أو بعض العوامل العشوائية التي تحدث بعض التغيرات البسيطة.

واجهت نظرية بارسونز عن التغير موجة من الانتقادات كان أبرزها على حد تعبير تيماشيف غموض معالجة بارسونز للمفاهيم الأساسية ومبالغته لقيمة التجريد في صياغة النظريات مما جعلت مفاهيمه بعيدة كل البعد عن الشواهد والبيانات المستخلصة من الواقع، كما كان من أبرز الانتقادات هي الانتقادات التي وجهت إليه حول مسلمة التوازن الدينامي، حيث جاءت نظريته عن التغير استاتيكية خاصة، ويتضح ذلك في القضايا الكلاسيكية التي حددها بصدد الحديث عن توازن النسق وهي مبدأ القصور الذاتي والفعل والاستجابة، ومبدأ الجهد وتكامل النسق حيث ينشأ الصراع والتعارض أكثر مما ينشأ عن التكوين النظامي لأنماط محددة من الانحراف، وربما ترجع هذه المعالجة غير الموفقة واهتمامه بالنتائج اكثر من تركيزه على دراسة أسباب الفعل الاجتماعي فيهتم باستمرار بتتبع آثار التغير بدلا من فحص مصادره ومعالجة أسبابه.[1]

1-4-نظرية الصراع:

تفترض نظرية الصراع أنه يمكن فهم السلوك الاجتماعي بشكل أفضل من خلال التوتر والصراع الذي نجده قائم بين الأفراد والمجتمعات، فالمجتمع ما هو إلا عبارة عن ساحة تدور فيها صراعات على

[1] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 80.

مجموعة من الأشياء، ويعتبر منظرو الصراع أن عملية التغير عنصر أساسي في الحياة الاجتماعية وأنه عملية جوهرية في المجتمع، وليس مجرد نتيجة كما يعتقد البعض أو جزء غير متوازن من النظام الاجتماعي[1]، بمعنى أن عملية التغير حسب ما ذهب إليه رواد هذا الاتجاه هو عملية تندرج داخل النسق العام للمجتمع أي هي جزء منه وليست مجرد تحصيل حاصل لعدة عوامل، أو بسبب لتطورات حدثت بمرور الزمن أو حدث عشوائي نتيجة لظروف استثنائية وبالتالي فإن حدوث التغير الثقافي أمر طبيعي وحتمي.

ويعتبر أنصار هذه النظرية إلى أن مصدر التغير الثقافي هو الفروقات القائمة بين مختلف الجماعات في المجتمع الواحد، حيث يكون الصراع في وجود أحد هذه الجماعات مقابل أخرى تتعارض مع مصالحها وتتصادم مع مبادئها، فينشأ صرع قوي بينهم للحفاظ على مكانتهم ومن خلال هزيمة أحد الطرفين يأتي التغيير المحتوم، ويعتبر كارل ماركس من أهم منظري هذا الاتجاه والذي ساهمت دراسته في ثورة داخل المجتمع.

كان ماركس من بين أحد أهم علماء الاجتماع الأكثر براعة وتأثيرا في عدة مجالات كالاقتصاد والسياسة والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها وما تزال أفكاره ذات صدى واسع في المجتمع، وكانت دراسته عن الصراع من بين الكتابات الأساسية التي عاجت موضوع التغير الثقافي وقد عبر عن هذه العملية بقوله" ***بدون صراع، لا يوجد تقدم*** " وهذا كان القانون الذي اتبعته المجتمعات لمدة زمنية طويله وإلى غاية يومنا هذا. وقد افترض ماركس أن كل مجتمع مهما كانت مرحلته من التطور التاريخي فهو يعتمد على المؤسسات الاقتصادية، وقد أطلق على هذا اسم" ***نمط الإنتاج*** " وهذا الأخير ينقسم بدوره إلى قسمين اثنين، الأول هو" ***قوى الإنتاج***" أو الترتيب المادي أو التكنولوجي للنشاط الاقتصادي، والثاني

---

[1] Steven Vago: **Social Change**, Pearson, Upper Saddle River, New Jersey, USA, 5th edition, pp 58.

هو " ***العلاقات الاجتماعية للإنتاج*** " أي العلاقات الإنسانية التي يجب أن تتشكل مع بعضها البعض من أجل القيام بهذا النشاط الاقتصادي، ويشكل المجموع الكلي لعلاقات الإنتاج هذه البنية الاقتصادية وفي مرحلة معينة من تطورها تدخل قوى الإنتاج المادية في صراع مع علاقات الإنتاج القائمة، فمن من أشكال تطوير قوى الإنتاج أن تصبح تلك العلاقات عبارة عن قيود، وعندئذ تأتي فترة الثورة الاجتماعية مع تغيير الأساس الاقتصادي فيتم تحويل البنية الفوقية الهائلة بأكملها بسرعة، إن المحدد أو المتغير المستقل لماركس هو نمط الإنتاج فالتغييرات تحدث هنا على مستوى علاقات الإنتاج بمعنى أن التغييرات تكمن في الطريقة التي ترتبط بها مجموعات من الناس بتكنولوجيا الإنتاج. لتوضيح هذه النقطة قسم ماركس التاريخ إلى خمس مراحل رئيسية تتميز كل منها بأنماط أساسية لعلاقات الانتاج وهذه المراحل هي[1]:

- **الملكية القبلية:** وهي جماعات الناس في المرحلة الأولى لتطورها ووسائل الانتاج فيها قليلة وجماعية ولا توجد طبقات اجتماعية ولا تقسيم للعمل.
- **العبودية:** يظهر فيها أول تقسيم للعمل مما يؤدى إلى زيادة القوى الانتاجية وفي هذه المرحلة ظهرت الملكية الفردية ومعها اللامساواة الاقتصادية، وتقسيم العمل الثاني هو الفصل بين الحرف والزراعة الذي أسرع في تحطيم الكوميونة البدائية بزيادة الانتاج والدعوة إلى العبودية، هنا أصبحت الدولة طاغية وظهرت الطبقات الاجتماعية والسادة والعبيد وانفجر في اليونان وروما نضال مرير بين الطبقات.
- **الاقطاعية:** أو رق الأراضي، أدى التقدم المستمر في وسائل الانتاج مثل تحسين استخدام الحديد واستعمال المحراث الحديدي والطاحونة المائية إلى انتقال لمجتمع من العبودية الكاملة

---

[1] Steven Vago : previous reference, pp 59.

فيه إلى نظام عبودية الأرض والذي يقوم على استغلال القوى العاملة في خدمة الأراضي والعناية بها دون دقع مقابل لهم.

- **الرأسمالية:** حل البرجوازيون محل النبلاء الاقطاعيين بسبب التطور الهائل الذي حدث في التجارة واستأثرت الطبقة الجديدة بالثروات واحتكرت وسائل الانتاج نتيجة للثورة الصناعية، وظهور التخصص الدقيق واحتدام النضال الطبقي وكان التناقض الأساسي في الرأسمالية يقع بين الطبقة العاملة وأصحاب رأس المال.
- **الاشتراكية والشيوعية:** يجعل هذا النظام الملكية الجماعية لوسائل الانتاج تحت سيطرة طبقة البروليتاريا، وتعتبر الاشتراكية المرحلة الأولى لهذا التحول الذي يتحقق في الشيوعية التي هي المرحلة الأخيرة حيث تكون خيرات الانتاج موزعة تبعا للحاجات وتقوم على مبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج بالتالي تحقيق العدالة الاجتماعية.[1]

نلاحظ من خلال المراحل التاريخية التي قسم ماركس المجتمع إليها وجود صراع دائم بين من يملكون قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، والتي تنتهي بسيطرة أحدهما ما يجعل المجتمع ينتقل بصفة آلية إلى المرحلة الموالية، والتي تكون فيها وسائل الإنتاج أكثر تطورا عما كانت عليه في الرحلة السابقة.

ونجد ماركس يركز بصفة خاصة على آخر مرحلتين هما الرأسمالية والاشتراكية والصراع القائم بين الطبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا، وهنا تكون البرجوازية الرأسمالية هي المتحكمة في وسائل الإنتاج والعلاقات الإنتاجية أما البروليتاريا فتمثل قوى الإنتاج، ويكون سبب الصراع هنا في كون محاولة المجتمعات الرأسمالية في استغلال القوى الإنتاجية من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من العائدات، واستغلال طبقة العمال بهذه الطريقة دفع بهم للدخول في صراعات حادة مع البرجوازية ما أدى في النهاية

[1] سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، مرجع سابق، ص 45.

إلى حدوث الثورات التي يعقبها التغيير المحتوم والذي يرى ماركس من خلالها أن جميع المجتمعات البشرية مصيرها التحول إلى مجتمعات اشتراكية لا محالة.

ومن خلال ما سبق نرى أن ماركس يؤكد على ديناميكية المجتمعات وأن المحرك الأساسي فيها يعود إلى العامل الاقتصادي، فكلما حدثت ثورة صاحبتها تغيرات في النظام الاقتصادي القائم في ذلك المجتمع وبالضرورة تتبعه عدة تغيرات تطال جميع النظم الموجودة السياسية منها والاجتماعية والثقافية وغيرها.

1-5-النظرية السيكو اجتماعية:

يعتبر الاتجاه السيكو اجتماعي من الاتجاهات المعاصرة التي تناولت تفسير ظاهرة التغير الثقافي، وقد نال اهتماما كبيرا من طرف العلماء والباحثين ويرجع السبب في ذلك إلى اسهامات الرائدين وإيفرت هاجن وديفيد ماكليلاند، ويذهب هذا الاتجاه إلى أن للعوامل الشخصية أو الفردية دور احداث عملية التغيير الثقافي في المجتمعات، فالأفراد هم الذين يتغيرون وبالتالي فإن المجتمع سيتغير بالضرورة، ولذلك أولي اهتمام بالغ بالعوامل السيكولوجية بدلا من الاهتمام بالعوامل التطورية والتكنولوجية أو الصراع أو غيرها.

يرى إيفرت هاجن أن التغيير من الأنماط التقليدية إلى المجتمع الحديث لن تتحقق بدون تغيير في الشخصيات، وقد طور أفكاره من خلال ملاحظته للتناقض القائم بين المجتمعات التقليدية والحديثة، على افتراض أن كل من هذه المجتمعات هي نتاج نوع مختلف من الشخصية، ومن وجهة نظر هاجن أن المجتمعات التقليدية تتميز بمستويات حالة ثابتة مثل الفلاحين والنخب والشخصيات في مثل هذه

المجتمعات تكون سلطوية وغير إبداعية، ويعتبر الأشخاص المنتمون إلى المجتمع التقليدي أنهم غير مبدعين لأنهم يرون أن العالم مكان تعسفي بدلا من أنه مكان خاضع للتحليل والمراقبة.[1]

ان مثل هذه المجتمعات تميل إلى الحفاظ على نفس القيم والمعتقدات التي اعتادوا، فالشخصيات فيها كما أشار هاجن تخضع لسلطة القوي ولا تسعى للابتكار أو الابداع فهي شخصيات خاضعة بالضرورة لاعتيادها على أسلوب هذا من المراحل الألى لطفولتهم، ما يجعل هذه المجتمعات تتمتع بمستويات مرتفعة من الثبات والاستقرار التي تمنع التغير من ملامسة أنظمته، ومن هنا تبرز أهمية الشخصية ومدى تأثيرها في البنى الاجتماعية في المجتمع.

أما بالنسبة إلى المجتمعات الحديثة فهي عكس المجتمعات التقليدية، فالشخصيات فيها تتميز بالتفكير الابداعي والفضول العلمي الذي يقودها دائما الى البحث والابتكار واستكشاف كل ما هو جديد، ولذلك فإن هذه الشخصية هي التي تساهم في دفع المجتمع نحو التغيير وابتكار سبل جديدة للتعامل مع المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي قد تواجهه، وكذلك ومقاومة الشخصيات السلطوية في المجتمع والتي تدعوا إلى الثبات والاستقرار.

بعد هذا النقاش حول أنواع الشخصية لدى إيفرت هاغن يقوم بطرح السؤال الرئيسي التالي: كيف يمكن أن تتحول المجتمعات التقليدية الثابتة التي تهيمن عليها الشخصيات الاستبدادية والسلطوية إلى مجتمعات حديثة تتميز بواسطة وجود شخصيات مبتكرة فيها؟ ووقد كانت إجابته عن التساؤل الذي طرحه في أن التغيير الثقافي يحدث عندما يشعر أعضاء المجموعة أن مبادئها وقيمها ومعتقداتها لا يتم احترمها من قبل المجموعات الأخرى في المجتمع، الذين يكنون لها الاحترام والتقدير فتتجلى مظاهر عدم الرضى

[1] Steven Vago: previous reference, pp 73.

لدى هذه المجموعة[1]، بمعنى أنه عندما يتم تجاهل القيم والرموز والمعتقدات الممثلة لتلك الجماعة يخلق جو من التوتر وعدم التقبل والرضا وهنا ينشأ لدينا مجموعتين اثنين:

المجموعة الأولى: هي تلك التي ترضخ للأمر الواقع وتجبر على تقبل الأوضاع والتهميش الذي تعاني منه كما هو دون محاولة التغيير أو حتى التعبير عن غضبهم أو سخطهم.

المجموعة الثانية: فهي تلك التي تجعل من هذه الأوضاع سببا في التغير فالرفض أو التجاهل يمثل نوع من أنواع الدافعية لابتكار حلول ابتداعيه لتجاوز هذه الأزمة

وكمثال على ذلك ننظر إلى طرق التنشئة الاجتماعية للأطفال في المجتمعات التقليدية التي تقوم على التفرقة بين الأطفال على أساس النوع الاجتماعي، فالذكور ينالون اهتماما خاصا مقارنة بالإناث اللواتي ينشئن لخدمة الرجل، فكانت المرأة تعاني من اضطهاد كبير ما خلق لديها شعور بالدونية والتهميش والتحقير في المجتمع، وهنا تتجلى التقسيمات التي تحدثنا عنها فقد سيطرت المجموعة الأولى لعقود طويلة على فكر المرأة التي أظهرت الخضوع لتلك الأوضاع، غير أن هذا لا يلغي حضور المجموعة الثانية الرافضة لتلك المعاملة التي كانت تتلقاها بالتزامن مع المجموعة الأولى، وهو الأمر الذي دفعها إلى البحث وابتكار حلول مناسبة لها، وهو ما نشهده حاليا من خلال الحركات النسوية المنتشرة في أنحاء العالم وهذا ما سنتطرق إله في العناصر المقبلة.

وأما بالنسبة إلى ديفيد ماكليلاند فقد كان مهتما في المقام الأول بنوع معين من التغيير وهي التنمية الاقتصادية، وركز اهتمامه على التحقيق بما يسمى بدافع الإنجاز والذي تم تغييره لاحقا إلى الحاجة إلى الإنجاز ويؤكد أن التنمية الاقتصادية سواء في المجتمعات التاريخية أو المعاصرة تنتج من تطور سابق للإنجاز وكلما زاد تطور الإنجاز كان من المرجح أن تكون التنمية الاقتصادية مكثفة، وقادته

[1] Steven Vago: previous reference, pp 73.

نتائجه إلى اقتراح أن المجتمع الذي يتمتع بمستوى عال من الإنجاز بشكل عام سينتج تنمية اقتصادية أكثر سرعة.[1]

والحاجة إلى الإنجاز هي سعي الفرد لتركيز الجهد والانتباه والمثابرة عند القيام بالأعمال الصعبة والتغلب على العقبات بكفاءة في أسرع وقت وبأقل جهد وأفضل نتيجة، وكذلك الرغبة المستمرة في النجاح لتحقيق مستوي طموح مرتفع والنضال والمنافسة من أجل بلوغ معايير الامتياز، وتتوافر هذه الحاجة بدرجة مرتفعة لدى من يكافحون ليكونوا في المقدمة، ومن يكسبون قدرا كبيرا من المال ومن يلتمسون معيارا مرتفعا جدا لأدائهم، وينشأ دافع الانجاز عن حاجات مثل السعي وراء التفوق أو تحقيق الأهداف أو اثبات الذات والارتقاء في المستوى لتحقيق كماليات الحياة.[2]

يعتقد ماكليلاند وزملاؤه أن الدوافع للإنجاز يتم تعلمها بالإشارة إلى كل من المحفزات الخارجية والداخلية، لأن معظم التحفيزات يتم تعلمها في مرحلة الطفولة المبكرة، وهذه الأخيرة لها أهمية حاسمة بالنسبة للسلوك الطفل لاحقا[3]، وبالتالي فإن ماكليلاند يولي أهمية بالغة لمرحلة الطفولة لتنمية الدوافع وذلك من خلال خلق جو مناسب للطفل لينشئ تنشئة سليمة تعود بالنفع عليه وعلى المجتمع.

ومن هنا فإن أصحاب هذا الاتجاه يهتمون بالسمات الشخصية والفردية بصفة خاصة، لاعتبار أنها العامل المباشر الذي يؤثر في عملية الثقافي، ولذلك يوصون بضرورة متابعة الأفراد منذ مرحلة الطفولة وتدريبهم على العمل الابداعي والاعتماد على الذات خاصة في المشكلات التي قد تواجههم،

---

[1] Steven Vago: previous reference, pp 74.

[2] رابح شرقي: __النمط القيادي للمديرين وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى معلمي المرحلة الابتدائية__، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009-2010، ص 77.

[3] Steven Vag: previous reference, pp 75.

لأن ذلك من شأنه تعليمهم القدرة على تحمل المسؤوليات ومواجهة الصعاب وإيجاد الحلول المناسبة وعدم التقبل للتهميش والرفض، ما يعني وجود حركة دائمة في المجتمع نحو التغيير.

2- عناصر التغير الثقافي:

إن عملية التغير الثقافي عملية معقدة جدا ومن أجل دراستها يجب على الباحث أن يجزئها ليتمكن من التعرف على كافة جوانبه والالمام بجميع تفاصيله، ومن خلال التعريفات التي تطرقنا إليها نستطيع تحديد العناصر الأساسية المكونة له وهي: نوع التغير، زمن التغير، مدى التغير، معدل التغير وكذلك يمكن ادراج العوامل المؤثرة في التغير كعنصر مهم لفهم عملية التغير الثقافي.

وفي ذات السياق ومن خلال محاولات ستيفن فايجو التوصل إلى تعريف عملي للتغير الثقافي تمكن من ابراز وتحديد مكونات التغير وهي ستة مكونات مترابطة ببعضها البعض[1] والعناصر هي كالتالي:

- **نوع التغير أو هويته:** وهو ذلك التغير الذي يحدث على مستوى الظواهر الاجتماعية للمجتمع كالممارسات اليومية والعادات والأعراف والفنون والتاريخ وحتى العلاقات الاجتماعية ووظائف وأدوار الأفراد فيه وغيرها.
- **مستوى التغير**: يشير إلى الموضع الذي يحدث فيه التغير وتتدرج مستويات التغير من الفرد إلى الجماعة إلى التنظيمات والنظم في المجتمع بأسره[2]، بمعنى أن التغير يحصل في جميع المستويات بدون حدوث استثناءات، وتجدر الإشارة إلى أن التغير إذا حدث في مستوى ما فإن بعض النواحي من المستويات الأخرى التي ترتبط به لابد لها أن تتغير أيضا.

---

[1] علي السيد الشخيبي وآخرون: <u>**في اجتماعيات التربية المعاصرة**</u>، عمان، الأردن، 2009، ص 294.

[2] نفس المرجع، ص 294.

- **زمن التغير:** وهي الفترة الزمنية التي يحدث فيها التغير وقد يحدث تغير طفيف من جيل إلى جيل في حين يزداد هذا الاختلاف من قرن إلى آخر ويظل يزداد حدة كلما تباعدت عن بعضها الفترات الزمنية التي تقارن بينها.[1]
- **وجهة التغير:** تشير إلى المسلك الذي يسير فيه التغير حيث يمكن أن يسير التغير في مسلك تقدمي إلى الأمام أو يسير في مسلك تقهقري إلى الخلف، كما قد يكون التغير تطوريا أو دائريا كما قد يحدث في شكل طفرات أو تذبذبات أو تنوعات على نفس الموضوعات الأساسية.[2]
- **معدل التغير:** هو يشير إلى درجة السرعة أو البطء في حدوث التغير وتختلف هذه الحركة من مجتمع الآخر وذلك لعدة عوامل أهمها عامل التقدم التكنولوجي، لذلك نجد أن المجتمعات الصناعية تتميز بسرعه تغير كبيرة وذلك نظرا لما تتمتع من إمكانيات هائلة في عدة مجالات، أما المجتمعات التقليدية ما تزال تحافظ على أسلوب حياة معين اعتادت العيش به وتأبى التخلي عنه، الشي الذي يجعلها تقاوم التغير خوفا من أن تدخل على ثقافتها مفاهيم جديدة من شأنها أن تؤثر سلبا عليها وتخلق بذلك العديد من المشكلات الاجتماعية والثقافية، لذلك قد لا نلاحظ حدوث التغير فيه إلا على المدى الطويل.
- **حجم التغير:** يشير إلى مقدار التغير في المجتمع فالتغير قد يظهر في شكل زيادة بسيطة أو إضافة طفيفة لعناصر جديدة،[3] وقد يكون تغيرات جذرية يستبدل فيه المجتمع أنظمته التقليدية

---

[1] علي لية وآخرون: <u>**التغير الاجتماعي والثقافي**</u>، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010، ص 414.

[2] علي السيد الشخيبي وآخرون: مرجع سابق، ص 295.

[3] علي السيد الخشبي وآخرون: نفس المرجع، ص 295.

بأنظمة حديثة مثلما حدث في الدول الأوروبية في عصر النهضة بعد تخليها عن النظام الزراعي وتبني النظام الصناعي.

3- أسباب وعوامل التغير الثقافي:

تعددت وتنوعت العوامل المتحكمة في التغير ومن خلال العناصر التالية سنورد أهم أسباب حدوث التغير الثقافي:

3-1- العامل البيئي:

يتمثل التغيير الذي يحدث بفعل العامل البيئي في التغيرات الطبيعية والمناخية والجغرافية ومن مظاهرها الزلازل والفيضانات والجفاف والتلوث، وهو الذي يسبب في حدوث تغيرات كبيرة في التركيبة السكانية وتؤدي في النهاية إلى الهجرة والنزوح إلى أماكن أخرى، لأن الشروط الطبيعية الآمنة للعيش هي الأساس المادي لعملية الإنتاج، لذا فهي تؤثر في تطور القوى المنتجة وفي توزيعها وفي تقسيم العمل وفي كثافة السكان وفي الغنى والفقر الاجتماعي.[1]

وكنتيجة لحركات الهجرات القسرية التي تحدث بسبب العامل الايكولوجي تحدث عملية التثاقف الذي يعتبر من أهم العناصر المعبرة عن التغير الثقافي، ويحدث نتيجة لاحتكاك المهاجرين بالسكان الأصليين للمناطق التي هاجروا إليها، فالاتصال المباشر والمستمر الذي يحدث بين هذين الفئتين يحدث تغيرات في السمات الثقافية لكلا الطرفين والذي ينتهي باستحداث ثقافة جديدة أو يهيئ لظهورها والتي تشتمل على الخصائص الثقافية للمهاجرين والسكان المحليين معا، وفي هذه الحالات غالبا ما تغلب عليها سمات المحليين باعتبارهم الأغلبية فيها والمهاجرين أقلية فتكون نسبة تأثرهم أعلى من نسبة تأثيرهم.

---

[1] سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، مرجع سابق، ص 192.

3-2- عامل الحروب:

تظهر معالم التغيير هنا على شكل مرحلتين الأولى تكون مع وجود الاحتلال والثانية تحصل فور نيل ذلك المجتمع استقلاله، وتتضح مساوئ الاحتلال في قهر الإرادة الوطنية للشعب المحتل وكبت وتقليص حرياته واستغلال ثرواته، ولواقعة الاحتلال نتائج كبيرة تؤثر في واقع المجتمع الخاضع فالقوي الغازية عادة ما تكون متفوقة في تنظيماتها وابتكاراتها، وعندما تقيم في بلاد مفتوحة فإنها تخلق بها حياة جديدة على غرار ما ألفته في بلادها الأصلية،[1] فتقوم هذه الدول المحتلة بنقل عاداتها وتقاليدها وأسلوب حياتها بصفة قصرية على الشعب لخلق وسط ملائم لعيش المستوطنين، فيجد السكان المحليون أنفسهم أمام مجموعة محدودة من الخيارات التكيف والتأقلم مع الوضع الجديد أو رفض ومقاومة ذلك التغيير لينتهي به الأمر في آخر المطاف لتحمل العقوبات التي تفرضها السلطات المحتلة.

وأما خروج المستعمر من هذه المجتمعات يعني حدوث خسائر مادية وبشرية لا تعد ولا تحصى وقاعدة اقتصادية مخربة فتنتشر فيها البطالة وتكثر فيها الهجرة، وينتج كذلك ارتفاع لنسب الأمراض والأوبئة وانتشار الآفات الاجتماعية فيها، فتتكاثف جهود الشعوب لإعادة بناء أوطانهم من أجل توفير بيئة سليمة للعيش فيها فالتغيير هنا يجد الدافع الذاتي من الأفراد بحد ذاتهم.

إن العجز الذي عاشته تلك المجتمعات كان أكبر حافز لها لتعجيل عملية التغير للتحسين من الأوضاع فيها، بالتالي تدخل في مهمة صعبة لإعادة تنظيم الحياة الاجتماعية وإعادة هيكلة البنى الاقتصادية والسياسية فيها، لذلك فالتغيير لا يكون عشوائيا بل مدروسا وممنهجا ولذلك يتم توفير وتسخير جميع الإمكانيات المادية والبشرية من أجل تحقيق الأهداف وإعادة التوازن الاجتماعي.

---

[1] عصام توفيق قمر وآخرون: <u>مدخل إلى دراسة المجتمع العربي</u>، دار الفكر، عمان، الأردن، 2008، ص 75.

3-3- العامل التكنولوجي:

يعتبر العامل التكنولوجي من أكثر العوامل المسببة للتغير خاصة في عصرنا الحالي لاعتبار أن جميع المجالات تعتمد عليه دون استثناء، كما يعتبر أهم مقوم في امتلاك السيادة العالمية فظهرت على أساسه تصنيفات كوجود دول متقدمة ودول نامية أو متخلفة أو كما يطلق عليها في اغلب الأحيان دول العالم الثالث، فتكون الدول المتقدمة بالتحكم واحتكار التكنولوجيا لجعل بقية الدول في تبعية دائمة لها.

والمقصود بالتكنولوجيا النسق الكلي لوسائل الانتاج التي تمتلكها الجماعة والتي تستعملها في التفاعل مع بيئتها، ويضم هذا النسق استخدام الأدوات ونمط العمل والمعلومات أو المعارف المستخدمة وتنظيم الموارد بما يخدم النشاط الإنتاجي، ولا يمكن فصل التكنولوجيا عن الاقتصاد والتنظيم الاجتماعي كما أنها تعتمد على التصنيف الثقافي للموارد المتاحة في البيئة الطبيعية،[1] كما يمكننا أن نظم إليها مجموع الاكتشافات والاختراعات التي توصلت إليها المجهودات البشرية والتي ساهمت بدورها في ترقية المجال نفسه.

وتتغير التكنولوجيا وتتطور من خلال عملية العمل الاجتماعي أي الجهد المنظم من أجل اشباع الحاجات الأساسية والاجتماعية، وعلى هذا النحو بدأت تظهر أنواع متعددة من التكنولوجيا منها كالتكنولوجيا كثيفة رأس المال والتكنولوجيا الوسيطة والتكنولوجيا الملائمة وغيرها، فهي تطبيقات عملية ذات جذور علمية ومعلوماتية وهي تعتبر مصدرا رئيسيا للتغير الثقافي، ويمكن ملاحظة هذه التأثير من

---

[1] شارلوت سيمور سميث: **موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط 2، 2009، ص 277.

خلال تحول العمل الذي يعتمد على مقدرة الفرد في العملية الإنتاجية وعلى مجهوده العضلي إلى الإنتاج الذي يعتمد على الآلات والتكنولوجيا.[1]

معنى هذا واضح ومتجسد في الحياة التي نعيشها فإذا أمعنا النظر ستجد كل شيء تغير، كتغير وسائل النقل ووسائل الاتصال والمدارس والمشافي بفضل الاختراعات وادراج الآلات في أداء المهمات فيها ما سهل من طريقة أدائها واختصر الوقت ووفر الجهد والمال، وكذلك وجود تغيرات من ناحية نتائجها فاستعمال الآلات أسهم في زيادة الدقة والجودة والفعالية في الأداء أكثر مما كانت عليه في السابق، وأصبح الهدف الآن هو البحث الدائم عن أساليب تطوير هذه التكنولوجيا فظهر مصطلح يعبر عنها وهو " up date " أو " up grade " الذين يحملان نفس المعنى وهو التطوير والتحديث، أي صنع النسخ المحسنة من تلك التكنولوجيا ما يجعلنا في ترقب دائم لإنتاج إصدارات جديدة منها، ومن هنا تتضح لنا الصورة بأننا نعيش في مجتمع في حالة تغير دائمة.

3-4- العامل الإيديولوجي:

علي الرغم من الدور الأساسي للإيديولوجيا في الحفاظ علي الثبات والتوازن الاجتماعي فهي تلعب أيضا دورا محوريا في عملية التغير، ولا يمكن لنا معرفة دور الايديولوجيا في التغير الثقافي دون توضيح مفهومها، فهي في مدلولها العام تمثل مجموعة الأفكار التي تكون مذهبا ولها استعمالات سلبية كوصف الأفكار التضليلية بأنها أيديولوجية، أما في السياسة فالأيديولوجيا مجموعة تصورات تعمد إليها طبقة اجتماعية فتتبناها لأنها تعكس طموحها وتستعملها في صراعها مع طبقة أخرى لكي تفرض هيمنتها كالبرجوازية أو علمانية أو اشتراكية أو قومية وغيرها من الأيديولوجيات.[2]

---

[1] السيد رشاد غنيم، مرجع سابق، ص 44.

[2] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 38.

إذن فالإيديولوجيا هي مجموع الأفكار والاتجاهات التي يتبناها الأفراد والجماعات في حياتهم والتي يتم من خلالها تفسر السلوكيات التي يتبعها، وبالضرورة فإن أي تغيير يمس الأيديولوجيات يعني إنه سيلحق به تغيير يشمل جميع الأنظمة حتما، ولذلك نجد أغلب الدول في صراع دائم مع الجماعات التي تمتلك أفكارا جديدة فتدخل معهم في صراع دائم خوفا من تمكنهم من نشرها في المجتمع لمعرفتهم درجة تأثير الايديولوجيا على الاستقرار والتوازن الاجتماعي.

ومع الثورة التكنولوجية الحاصلة في المجتمع وما صاحبها من تحولات في مجل المعلوماتية واكتشاف الانترنت، أصبح العالم قرية صغيرة يسهل الوصول إلى أي مكان يرغبون به والاطلاع على ثقافتهم وعلى عاداتهم وتقاليدهم وحتى الأعراف المنتشرة فيها.

إن هذا الانفتاح العالمي الذي وصلنا إليه ساعد أصحاب الإيديولوجيات على نشر أفكارهم على أوسع نطاق ممكن مخترقين بذلك الحدود المكانية والزمانية لوجودها لتصبح بذلك إيديولوجيات عالمية، وقد يكون التأثير هنا راجعا إلى تبني أفراد المجتمع الدخيلة والتي تختلف تماما عن الأفكار الي تنشأ عليها والتي قد تكون من دولة أخرى بعيدة عن دولته، وتكون الاستجابة هنا بالرفض أو القبول من طرف المجتمع إلا أن الأمر المتفق عليه هو أن عملية التغير الثقافي ستحصل في كلتا الحالتين، فالرفض يستدعي حدوث صراع تتمكن فيه الفئة المنتصرة من فرض أفكارها وفي حالة القبول تحدث عملية التثاقف كما سبق أن شرحنا، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أنه حدثت تغيرات طالت عملية التثاقف ذاتها، فبعدما كانت تقوم على الاحتكاك والتواصل المباشر بين الأشخاص أصبحت ممكنة الحدوث بطرق غير مباشرة بفضل العولمة وتطوير وسائل الاتصال وظهور مواقع التواصل الاجتماعي.

3-5- الأزمات:

نظرا لهذه الخصوصية العالمية التي ربطت الدول بعضها ببعض فإن أية أزمة كبرى تتحول إلى أزمة عالمية تصيب الدول كلها أو معظمها بدرجة أو بأخرى، وتفرض عليها تبعات ومسئوليات لا يخلو

منها أثر للتغيير، كأزمة الطاقة التي برزت في حرب أكتوبر 1973 والتي غيرت من خطط الدول الصناعية المتقدمة، واشتغلت هيئاتها العلمية بالبحث عن بدائل للطاقة التي تعوض النقص في النفط الذي ارتفعت أسعاره بشكل جنوني وظهرت بعدها اختراعات جديدة للطاقة الشمسية كالسيارة الكهربائية ومواد وقودية غير نفطية.[1]

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر هنا هي أن التغير عندما يحدث بدرجة كبيرة فإنه يرتبط بنوع من الأزمة، وقد أكد توماس كن في دراساته عن التغير الثقافي والأزمة أنها هناك علاقة بين الإنسان والبيئة، وتكون فيها الأزمة سببا في عدم قدرة الإنسان أو الجماعة الاجتماعية أو التنظيم في أن يستمر مدة أطول من خلال طريق معتاد للسلوك،[2] وعلى سبيل المثال الأزمة التي جاءت نتيجة لجائحة كورونا أو ما يطلق عليه كذلك ب كوفيد 19 نسبة إلى سنة ظهوره والتي كانت في أواخر سنة 2019 في مدينة ووهان الصينية، والتي سرعان ما تحولت إلى أزمة عالمية بسبب سرعة انتشارها.

ويعد فيروس كورونا من الفيروسات التاجية التي تسبب المرض للانسان والحيوان على حد السواء وهي من أشد الفيروسات التي عرفتها البشرية فتكا، ويسبب فيروس كوفيد 19 عدوى دون أن تظهر على الشخص المصاب أية أعراض ودون أن يشعروا بالمرض، وتزداد حدة المرض واحتمالات الإصابة به لدى المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات صحية خاصة تلك المتعلقة بالجهاز التنفسي وارتفاع ضغط الدم والسكري والسرطان وغيرها من الأمراض.

أدت هذه الأزمة إلى تفعيل نظام الطوارئ في جميع الدول واتباع العديد من البروتوكولات الوقائية للحد من انتشار الفيروس، كالحجر الصحي وغلق جميع الأماكن التي تكثر فيها التجمعات كالأسواق والمتنزهات وحتى أنها اشتملت على غلق المدارس والجامعات، كما قامن الدول بوقف جميع التظاهرات

[1] عصام توفيق قمر وآخرون: مرجع سابق، ص 77.

[2] سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، مرجع سابق، ص 36.

الاجتماعية والثقافية وحتى الرياضة وحتى المناسبات الاحتفالية كالزواج وأعيد الميلاد وغيرها ما سبب في شل حركة المجتمع لفترة طويلة من الزمن، وقد قامت أغلب الدول بفرض عقوبات صارمة على الأشخاص الذين يخالفون القانون خاصة القانون المتعلق بالتجمعات وتصل هذه العقوبات إلى دفع غرامات مالية ضخمة جدا.

وكنتيجة لهذه الأزمة اضطر العالم إلى ابتكار استراتيجيات جديدة لأداء مهامه فأصبحت أغلب النشاطات تمارس افتراضيا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي أو انشاء منصات جديدة كمنصة zoom وغيرها، فأصبحت أغلب الدروس تقام فيها أو حتى عقد الاجتماعات وممارسة التجارة، وهذه المظاهر التي برزت أثناء الجائحة كانت نقلة نوعية للمجتمعات لاعتمادها التام على الرقمنة وهذه الأخيرة تعبر عن التغيير الذي سنشهده في السنوات القليلة القادمة.

4- معوقات التغير الثقافي:

سنستعرض من خلال ما يلي مجموعة من المعوقات التي تعرقل حدوث عملية التغير الثقافي وهي كالتالي:

4-1- العامل الديموغرافي:

ان الزيادة في معدلات النمو الديموغرافي يعد من أصعب المشكلات الاجتماعية التي تواجهها المجتمعات، فالزيادة الغير طبيعية تعني تجاوز الحجم الساعي الذي تستطيع الدولة تحمله والاهتمام به، ما يعني التسبب في عجز اقتصادي وعدم تمكن الدولة من تحقيق الاكتفاء الذاتي لها، فتضطر إلى طلب المساعدات من دول أخرى ما قد يوقعها في شباك المديونية، التي قد لا تستطيع تجاوزها إلا بعد سنوات طويلة، وهذا ما ينتج عنه تبعات أخرى كارتفاع نسب البطالة وانتشار الآفات الاجتماعية

والأمراض وبالتالي ارتفاع نسب الجريمة، ما يخلق شبكة من المشاكل الاجتماعية المستعصية التي تخلق جوا مضطربا ومليء بالقلق والفوضى وعدم الرضا.

إن التغير الديموغرافي يؤثر على مخرجات العملية الإنتاجية مباشرة من خلال الادخار والاستثمار وبالتالي على تراكم رأس المال، ومن ناحية أخرى فان مستوى الدخل وتخزين رأس المال يؤثر على الخصوبة والوفيات، فعندما يتسع الهرم العمري للسكان يرتفع الانفاق الحكومي والعائلي على الاستهلاك مؤديا إلى انخفاض الادخار، وعندما يتحسن مستوى الدخل وتخزين رأس المال فان تأثيره ينعكس على الخصوبة والوفيات، ويعود ذلك إلى تحسن مستوى العائلة الصحي والتعليمي وبالتالي إلى تغير في سلوكها الإنجابي، فعندما نقارن تأثير نمو السكان في سن العمل مع تأثير نمو السكان الكلي يظهر بوضوح الأثر الكبير للهيكل العمري للسكان على النمو الاقتصادي.[1]

وبناء على ذلك فإن عدم استقرار نسب النمو الديموغرافي ينعكس سلبا على المجتمع، فهذا الأخير يكون في حالة اضطراب دائم ما يجعل عملية التغير تتم فيه على المدى الطويل.

4-2- التخلف الاقتصادي:

تطرقنا سابقا لعرض كيف يكون الاقتصاد عاملا مهما في تحريك عجلة التغير في المجتمعات ومن خلال ذلك ندرك أن التخلف الاقتصادي مشكلة خطيرة تهدد كيان المجتمع بأكمله، وفي الغالب ما تكون الدول النامية هي من تعاني من مشاكل اقتصادية وذلك لعدم تمكنها من استغلال الموارد الأولية المتوفرة في البلاد كالبترول والغاز والفوسفاط والفحم وغيرها من الموارد، لافتقارها إلى التكنولوجيا الحديثة التي تحول المواد الخام إلى مواد قابلة للاستعمال فتضطر إلى تصديرها إلى الدول المتقدمة التي تعمل

[1] السيد رشاد غنيم: مرجع سابق، ص 36.

على احتكار التكنولوجيا لهدف خدمة مصالحها الخاصة كالاستفادة من تحويل هذه الموارد وبيعها بأسعار مرتفعة جدا.

وينعكس التخلف كذلك على الدخل الفردي فكلما ارتفعت نسبة التخلف انخفضت معه قيمة الدخل الفردي، وبالتالي اخفاض المستوى المعيشي للمجتمع والذي ينجم عنه عجز في تلبية الحاجات الأساسية الأمر الذي يوسع الفجوة الموجودة بين الدول المتقدمة والدول النامية.

إن التخلف الاقتصادي يسبب جمودا شبه تام على مستوى جميع الأنظمة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية، فيفتقر أفراده إلى الدافعية للإنجاز والارتقاء وتغيب فيه الابداعات وبالتالي الاستسلام لتلك الأوضاع لفترة زمنية طويلة والتعود عليها والتعامل معها على أساس أنه الوضع الطبيعي للمجتمع، وهذا الركود والجمود في الوضع الاقتصادي يسبب تبعية كاملة للدول الغربية والاعتماد التام على تغطية احتياجاتها من خلال استيراد جميع متطلباتها.

4-3- العامل الإيديولوجي والانغلاق الثقافي:

إن الإيديولوجيا والانغلاق الفكري وجهان لعملة واحدة فالإيديولوجيا، هي الأفكار التي تشكل في مجملها مذهبا محددا، والانغلاق الفكري هو تبني مجموعة من الأفكار والدفاع عنها والميل إلى الاستمرار في العيش بنفس الوتيرة وإلى رفض استقبال الأفكار الجديدة ورفض التغيير رفضا قاطعا.

وتؤدي ظهور أي إيديولوجية إلى جديدة في المجتمعات المنغلقة إلى اثارة الصراع فيها ويتعرض أصحابها إلى النبذ الاجتماعي، أي انكار الجماعة انتماء تلك الجماعة اليها كنوع من العقاب الذي تسلطه عليها نتيجة لجلبهم تلك الأفكار الدخيلة داخل الجماعة، وهذا ما أشار إليه ايميل دورايكم في دراسته عن الوعي الجماعي أو الضمير الجمعي والذي يشير إلى مجموع المعتقدات والأفكار الاجتماعية المنتشرة في مجتمع ما، لتعمل عمل القانون فتوجهه وتضبطه حسب سياق معين لذلك كثيرا ما يتعرض

أصحاب تلك الأفكار لهكذا مشاكل إلا أنها ردة فعل طبيعية ومتوقعة من المجتمعات المنغلقة على نفسها.

إن الانغلاق الفكري لا يعني بالضرورة رفض الأفكار الجديدة كلها وإنما هي مجرد استراتيجية دفاعية للحفاظ على الاستقرار العام للمجتمع، فمن غير المعقول بالنسبة إليها تبني كل فكرة تردها وذلك لحماية خصوصياتها الثقافية خوفا من انتشار الأفكار المتطرفة فيه ونشر الفساد الذي قد يؤدي إلى تفكك البناء الاجتماعي، إلا أن هذا الأمر يؤخر من حدوث التغير الإيجابي المطلوب في ذلك المجتمع وتحول رفض التغير من آلية دفاعية إلى عامل سلبي على المجتمع.

4-4- العادات والمعتقدات الاجتماعية:

توجد هذه الظاهر بكثرة في المجتمعات المحافظة وفي أغلبها تكون المجتمعات النامية فتعمد بكثرة إلى الرجوع إلى سلطة العرف والعادات والتقاليد لفرض الضبط الاجتماعي فيه، وتعتبر هذه الخاصية فعالة لدرجة كبيرة في هذه المجتمعات وذلك للخضوع والرضوخ الكبيرين الذي تتميز به شعوبها، والسبب في ذلك ايمانه بالماورائيات واعتقادهم الشديد فيها ومن غضب الأجداد عليه إذا ما خالفوا العقيدة التي جبلوا عليها.

وينشغل أفراد تلك المجتمعات بأداء العادات والتقاليد والطقوس ويتغيرون ببطء شديد وعلى غير رغبتهم، وعندما تكون ثقافة مجتمع ما ثابتة نسبيا ولفترة طويلة من الزمن فإن الأفراد يفهمون أنها يجب أن تظل هكذا دون تجديد، فهم يعتبرون أن عاداتهم وثقافتهم وفنونهم صحيحة ودائمة ولذلك ينتقدون أي شخص يخرج عما ألفوه، فالاتجاه إلى المحافظة على الوضع الراهن أهم من حدوث التغير بالنسبة إليهم.[1]

[1] سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، مرجع سابق، ص 115.

وتظهر هذه الممارسات بشكل واضح في المناسبات والاحتفالات الاجتماعية التي تعتبر سببا لتجمع أكبر عدد من الأشخاص، والتي توفر مجالا ملائما لأداء هذه العادات والطقوس وعلى سبيل المثال العادات المرتبطة بدورة الحياة كالميلاد والبلوغ والزواج والوفاة، بمعنى وجود عادات خاصة بكل مرحلة والتي تمكنه من الانتقال إلى المرحلة الموالية وتعتبر في بعض المجتمعات حدثا مهما يجب أدائه حتما لتفادي غضب الأجداد عليه وليكون مباركا لديهم.

ويعتبر حدوث التغيير في هذه المجتمعات بالحدث الصعب لتمسكهم الشديد بمعتقداتهم واعتبارهم من التابوهات التي لا يجب المناقشة فيها، ومع ذلك فإن التغير يحدث في مثل هذا المجتمع ولكنه في أغلب الأحوال يكون بطيئا جدا لدرجة أنه لا يمكن ملاحظته في بعض الأحيان.

5- مكانة المرأة عبر التاريخ:

كانت ومازالت المرأة تتمتع بمكانة متفاوتة داخل المجتمعات فقد اختلفت هذه المكانة من مجتمع إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، فمنهم من اعتنى بها ورفع من قيمتها إلى درجة أنها اعتبرت آلهة في بعض المجتمعات، ومنهم من احتقرها وحرمها من جميع حقوقها الاجتماعية وجعل منها رمزا للشؤم والمكانة المتدنية، ومن خلال ما يلي سنقوم باستعراض أهم المحطات الزمنية التي تناولت فيها مكانة المرأة في مختلف الحضارات البشرية.

5-1- المرأة في الحضارة الفرعونية:

حظيت المرأة المصرية على مكانة مميزة جدا فقد تمتعت بالتقدير وحسن المعاملة وقد نالت كذلك جميع حقوقها فكانت لها كافة الصلاحيات في تسيير شؤونها وشؤون اسرتها، ولم تقتصر على هذا فحسب بل تمكنت كذلك من الوصول إلى الحكم وتسيير البلاد وقد عرف ذلك من خلال الأثار التي خلفتها الحضارة الفرعونية من تماثيل ونقوش وكتابات تؤرخ لذلك.

وتدل تلك الشواهد إحاطة المصريون القدامى المرأة بهالات مقدسة، اذ جسدت الأساطير مثالية الام والزوجة في شخص الربة ايزيس وصوروها بمشاعر بشرية صريحة يتعاقب منها الوفاء والعناد والسماحة والعنف والرحمة والنقمة على حد سواء، اذ كانت ايزيس أختا وزوجة للمعبود المصري اوزيريس فعاشت معه كما تحكي الأساطير على اسعد ما يعيش به الأزواج وشاركته هداية الناس ومسؤوليات الحكم.[1]

5-2- المرأة في الحضارة اليونانية والرومانية:

لم تكن المرأة عند اليونان بمثل حظ المرأة في الحضارة الفرعونية فلم يكن لها أي نصيب من علم أو ثقافة أو حتى حق اللجوء إلى الآلهة، فقد اعتبرت بمثابة النحس والنكبة المتوارثة وأنها كالماشية، يمتلكها الرجل ويتصرف بها كما يشاء، ولم يكن للآباء أي حق في تزويج بناتهم وليس لها الحق في أن تتزوج ممن تشاء، بل كان الأمر في ذلك للكهان الذين تجمع لديهم العذارى البالغات سنويا فيبعنهن في الأسواق بالمزاد العلني[2].

ولم تكن هذه الأفكار مقتصرة لدى عامة الشعب فقط ذلك بل كان هذا الرأي سائدا لدى شعرائهم وكتابهم وفلاسفتهم، ولم يقتصر ذلك على فترة معينة من تاريخهم بل استمر طيلة قرون عديدة، ويقول أرسطو " ثالث ليس لهم القدرة على التصرف في أنفسهم العبد فليس له إرادة والطفل له إرادة ناقصة والمرأة لها إرادة لكنها عاجزة "[3] ومفاد ذلك أن المرأة هنا لها إرادة ولكن لا يمكنها العمل بها وإن أرادت

---

[1] محمد علي عبد الأمير حسن: **دور المرأة ومكانتها في المجتمع المصري القديم**، مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات والاجتماع، العدد 2، جانفي 2016، ص ص 62-81.

[2] نوال بورحلة: **مكانة المرأة في الحضارات**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 31، ديسمبر 2017، ص ص 95-102.

[3] بصال مالية: **مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام**، تافزا مجلة الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة، العدد 00، أفريل 2021، ص ص 22-28.

ذلك فساووا بينها وبين العبد والطفل الصغير من ناحية العجز وعدم القدرة على الإنجاز وبالتالي فهي ليست حرة نفسها.

أما الرومان فقد اشتركوا مع اليونانيين في النظرة السوداوية والمشؤمة التي كونوها حول المرأة، فكانت تعتبر لديهم حيوانا نجسا وقد حرموها من الميراث وإدارة أموالها أو التصرف فيها بدون موافقة الرجل، كما أنهم منعوها من دخول المعابد في الدنيا وتحرم من الجنة في الآخرة، وبقيت المرأة طيلة حياتها خاضعة لسلطة الرجل الذي يخول له القانون الروماني أن يفرض عليها ما يشاء.[1]

5-3- المرأة في المجتمعات اليهودية والمسيحية:

من المعروف جدا عند اليهود أن خط النسب يعود إلى الأم فاليهودي لا يعتبر يهوديا إلا عندما يولد من رحم أم ذات أصول يهودية، ولأجل ذلك يحرص هؤلاء على تزويج ألادهم من فتيات يهوديات للحفاظ على النسب النقي، إذ يعتبر كل من ولد من أم تنتمي إلى ديانة أخرى حتى لو كان أبوه يهوديا شخصا غريبا ودخيلا على المجتمع، وبالرغم من هذا فقد تعتبر المرأة ذات مكانة مميزة ومرموقة في الشريعة اليهودية إلا أن الواقع يختلف عن ذلك.

تنظر الديانة اليهودية إلى المرأة على أنها مصدر الإثم واللعنة فحملتها التوراة ذنب غواية آدم وإخراجه من الجنة وجعلته يتملص من المسؤولية فتقول التوراة على لسانه " هذه المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت " الاصحاح سفر التكوين 3: 12 "، كما كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخدم، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة ولم يكن لها الحق في الميراث خاصة إذا كان لديها إخوة ذكور.[2]

---

[1] بابكر رحمة الله محمد أحمد: <u>مكانة المرأة وواقعها قبل الاسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الاسلام</u>، المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، 11-2013/01/12، ص ص 139-194.

[2] بصال مالية، مرجع سابق، ص ص 22-28.

واعتبرت اليهود المرأة في المحيض نجسة فتحبس في البيت لمدة أسبوع إلى غاية انتهاء الحيض، وعند تقديم الطعام لها يجب أن يبتعد المرء عنها عدة أمتار لتفادي الاحتكاك بها لأن كل من يلمسها يصبح نجسا مثلها حتى يتطهر، وإذا عاشرها الرجل أثناء الحيض تصيبه النجاسة هو الآخر ويجب عزله لمدة سبعة أيام، وتختلف مدة حجز المرأة الحائض بعد الولادة باختلاف جنس المولود فإذا كان المولود ولدا تعزل لمدة سبعة أيام أما إذا كان المولود بنتا فتعزل لمدة أربعة عشر يوما وأيام العزل هنا تعتبر أياما كافية لتصبح المرأة طاهرة.[1]

ولا يختلف وضع المرأة في الديانة المسيحية عن وضعها في الديانة اليهودية كثيرا فقد عانت المرأة كثيرا في تلك الفترة من القوانين التي كانت تفرضها الكنيسة، وبحكم الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها أوروبا في تلك الفترة من انتشار المجاعة والأمراض والأوبئة كالطاعون وغيرها، فكانت تعيش في اضطهاد تام من حرمان في الحقوق وكانت تعامل معاملة العبيد والحيوانات فمهمتها تلبية رغبات الرجال لا غير.

والدليل ما قررته مبادئ الكنيسة، فيما أورده الكاتب الدنماركي ويزكانذر " كانت العناية بالمرأة الأوربية في العصور الوسطى محدودة جدا لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقا في المرتبة الثانية "، وكان القانون الإنجليزي حتى عام 1805 يبيح للرجل ان يبيع زوجته وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنات، وقد حرم هنري الثامن على النساء الإنجليزيات قراءة الكتاب المقدس، وظلت نساء إنجلترا حتى عام 1882 غير معدودات من المواطنين وليس لهن أي حقوق شخصية أو حق في التملك الخاص.[2]

---

[1] عفاف بشير عباس عمر: <u>المرأة في الديانات السماوية والعصور المختلفة</u>، المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، مركز جيل البحث العلمي، طرابلس لبنان، 19-2015/03/21، ص ص 5-18.

[2] عفاف بشير عباس عمر: مرجع سابق، ص ص 5-18.

غير أن هذه الأوضاع المزرية كانت تعاني منها المرأة من الطبقات المتدنية أما نساء الطبقات البرجوازية والحاكمة فقد كانت تعيش في قمة الرفاه الاجتماعي، بحكم امتلاكها للسلطة والنفوذ والمال إذ يتم توفير كل متطلبات العيش الكريم لها وكانت تشرك في بعض الأحيان في الاستشارات السياسية، فكانت تتم معاملتهن معاملة جيدة مقارنة بالطبقات الأخرى ومن هنا نستنتج أن العامل المؤثر في مكانة المرأة في هذه الفترة هو الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها.

5-4- المرأة في الجاهلية:

كانت معيشة البداوة في الجاهلية العربية تمنح المرأة بعض الحرية لأنها كانت عضوا فعالا فيه تسقي وترعى وتطبخ، أما إذا كانت من العائلات الشريفة فإنه كان يقوم بهذه الأعمال مجموعة من الجواري، وتدل دلائل كثيرة على أن بنات الأشراف والسادة كان لهن منزلة سامية فكن يخترن أزواجهن ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملتهن، وبلغ من منزلة بعض شريفاتهن أنهن كن يحمين من يستجير بهن، ويرددن إليه حريته إذا استشفع بهن.[1]

كانت حياة البداوة تفرض على القبائل الدخول في صراعات دائمة فكانت المرأة تشكل مصدر خوف دائم وعبئا شديدا على أهلها خوفا من اختطافهن وسبيهن باعتبار أن المرأة ترمز للشرف وعرض الرجل عند العرب، فكان الرجال حين يبلغهم خبر أن زوجاتهن وضعن مولودة أنثى يخجل ويشعر بالعار الشديد، فيتوارى عن أنظار القبيلة لمدة زميلة لعجزه عن إخفاء خيبته وعدم تمكنه من الحصول على مولود ذكر، فكان العرب في هذه الحالة يقومون بوأد البنات كنوع من الممارسات الثقافية التي اعتادوا أن يفعلوها لمحوا العار الذي ألحق بهم، وهذه الممارسة تثبت وبشدة تمييز الذكور عن الإناث في المجتمعات العربية منذ القدم.

[1] لخضر حليتيم: **صورة المرأة في الأمثال الشعبية**، رسالة ماجستير، جامعة لمسيلة، الجزائر، 2009-2010، ص 67.

5-5- المرأة في الإسلام:

بعد المعاناة الطويلة التي شهدتها المرأة في جميع المجتمعات جاء الدين الإسلامي ليحررها من العبودية التي لاحقتها لسنوات، وتقوم معالم الإسلام على مكارم الأخلاق والعدل والإخاء وغيرها من السمات الحسنة، وجاءت هذه الأخيرة لتقويم وتصحيح الممارسات والسلوكيات الغير سليمة التي كانت تقوم بها المجتمعات، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على فعل الخير وترك التعالي والتفاخر وغيرها من الممارسات.

لقد أولى الإسلام المرأة اهتماما خاص فمنحها جميع حقوقها المسلوبة سابقا كالحق في العيش بعدما كان يتم وأدها وهي في المهد وكذلك الحق في التصرف في أملاكها وحق الميراث، فلا توجد ديانة كرمت المرأة مثلما فعل الدين الإسلامي فقد قدرها حق قدرها ورفع من مكانتها وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات وبين أن كليهما متساويان في المرتبة الاجتماعية وأمام الله كذلك وقد ألغى بذلك الأفضلية لجنس الرجل على حسابها.

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ المكانة المتدنية التي عانت منها المرأة لفترة زمنية طويلة في أغلب المجتمعات، وقد ارتبطت هذه الأخيرة بمكانة عائلها وزوجها والطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها فأغلب النسوة اللاتي واجهت تلك الظروف كن من الطبقات المتدنية، ولم تختلف تلك المكانة حتى بالنسبة للديانات السماوية كاليهودية والمسيحة التي استمر الوضع فيها كما كان عليه، غير أن الأمر اختلف وبشدة مع ظهور الدين الإسلامي حيث تمتع فيه المرأة بمكانة جد متميزة بفضله.

6- مكانة المرأة في المجتمع الجزائري:

لقد عرفت المرأة الجزائرية تاريخا حافلا بالتغيرات وذلك مرتبط بطريقة مباشرة مع تاريخ المجتمع الجزائري ككل، والذي عرف فترات متتالية من الاستعمار وآخر استعمار كان الاستعمار الفرنسي الذي

استمر إلى ما يفوق القرن وثلاثين سنة، وهذه الفترة كفيلة بإحداث تغيرات جذرية في البناء الاجتماعي وبالتالي احداث تغيرات على حياة المرأة الجزائرية التي فرض عليها آنذاك نمط حياة معين، وسوف نحاول فيما يلي التحدث عن وضعية المرأة الجزائرية بصفة خاصة في ظل تلك الظروف.

6-1- المرأة الجزائرية أثناء الاستعمار:

بعد فرض الهيمنة الفرنسية على الجزائر انهارت الأحوال الاجتماعية فيها كثيرا، نتيجة الجرائم التي ارتكبتها فرنسا ضد الشعب الجزائري، فالاحتلال الفرنسي مارس أشد أنواع الاجرام كالقتل والتعذيب من أجل ارغام الشعب على الاستسلام والخضوع له، فسادت في تلك الفترة أوضاع اجتماعية مزرية كانتشار الفقر وانعدام في الاستقرار والأمان، ولم يكتفي الاحتلال بذلك فحسب بل كرس جهوده لدراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائرية للتعرف على نظمه ووظائفه بغية فهم طبيعة المجتمع لتعزيز وجوده فيه.

وكانت المرأة تمثل أحد نقاط الضعف بالنسبة للمجتمع الجزائري باعتبار أنها تمثل شرف العائلة الذي يجب أن يحفظ وأن يقاتل بشراسة في سبيله، إذ يدخل كل من انتهك شرف وحرمة أسرة ما في صراع مع تلك العائلة وقد تصل فيها تلك الصراعات إلى حد القتل، لذلك كانت المرأة محاطة بحراسة مشددة عليها إذ تمنع منعا باتا في التواجد مع الرجال في أي مكان وان حصل ذلك فيكون تحت الرقابة الأسرية، وقد مكن اكتشاف الاستعمار لهذا الموضوع أمرا مفيدا يخدم مصالحهم الخاصة، فقد جعلوا المرأة مستهدفة من قبل الجنود الذي حاولوا تشويه شرف وسمعة المرأة الجزائرية، عن طريق تعذيبها والتنكيل بها واغتصابها، بهدف تفكيك لحمة الأسرة الجزائرية وتغيير مفاهيمها وكذلك بهدف إلحاق الضرر والعار بها.

إلا أن المرأة الجزائرية لم تستجب لذلك مطلقا فقد عملت جاهدة للدفاع عن نفسها وعن شرفها ومقاومة تلك التحرشات عبر العديد من الممارسات خاصة عند شعورهن بالخطر، فكن يقمن بدق الوشوم

على أجسادهن وتغطية أنفسهن بروث الحيوانات والوحل لتنبعث منهن الرائحة الكريهة لجعل الجنود ينفرون منهن ولا يقتربون إليهن، وهذا الأمر مكنهن من الحفاظ على أنفسهن ومكانتهن الاجتماعية في المجتمع.

ولم يكن الشرف هو المحدد الوحيد لمكانة المرأة في المجتمع الجزائري في تلك الفترة بل ارتبطت كذلك بالأدوار والمهام التي كانت تؤديها، فكانت للنساء مهمات ومسؤوليات كثيرة منها تموين المجاهدين بكل شيء كالأكل واللباس وغيرها واعتبر هو نشاطها المهيمن في تلك الفترة، أما الممرضات فهن إما فتيات من المدينة غالبا من طالبات الثانوية أو الجامعة فكن يلتحقن بالأدغال بعد تدريب قصير مع الكشافة للعمل في فريق صحي، كما أن المرأة استعملت مهارتها من خلال التداوي بالأعشاب التي اكتسبتها من الأجداد لتكون بذلك السند القوي للمجاهد الجزائري.[1]

6-2- وضعية المرأة الجزائرية بعد استقلال الجزائر:

لقد شاركت معظم الجزائريات المنتميات إلى أواسط اجتماعية مختلفة، في الكفاح المسلح انطلقا من بيتها وصول إلى الجبال اذ استدعت الضرورة ذلك، فارتقت في المراتب إلى أن وصلت إلى صنف الضابط، وهو ما خلق نظرة جديدة عن المرأة مخالفة تماما عن النظرة التقليدية لها، ولهذا كانوا يعتقدون أن هذه المعطيات الجديدة للمرأة ستحررها من الممارسات التي كانت تحد من حريتها بفعل العادات والتقاليد والعراف.[2]

لقد ورثت الجزائر وضعا مأساويا ومزريا عقب خروج الاحتلال الفرنسي منها بدء بقاعدة اقتصادية مدمرة كليا وسيادة سياسية ضعيفة، فضلا على تخريب الكثير من الأراضي الزراعية والمنشآت الصناعية

---

[1] حمداني مالية: <u>**ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية**</u>، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 105

[2] حمداني مالية: نفس المرجع، ص 107

بهدف ترك الجزائر في عجز تام عن تولي أمورها وفرض التبعية الاقتصادية لها، ولأجل ذلك سارعت السلطات في العديد من الإجراءات للنهوض بالبلاد مجددا كتبني النظام الاشتراكي كنظام سياسي واقتصادي لتسير شؤون للبلاد، وتأميم الأراضي وطبع العملة الوطنية وانشاء المؤسسات التعليمية والمشافي والعديد من المشاريع الزراعية والصناعية.

لقد ساهمت هذه التغيرات التي مست النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في التأثير على المرأة إلا أنها لم تشمل جميع النساء، فقد انحصرت هذه الموجة في المدن الكبرى وفي بعض الأحيان في الأرياف القريبة من المدينة، فأغلبية النساء القاطنات في الأرياف عادت لتمارس حياتها اليومية التقليدية، وذلك راجع لعدة عوامل كرفض المجتمع للإصلاحات الجديدة التي وضعت من طرف السلطات لتحسين جودة الحياة، والتمسك الشديد بالعادات والتقاليد والأعراف القديمة التي تعطي الأفضلية دائما للرجال قبل النساء.

وبالتالي فقد كانت الأوضاع التي مرت بها المرأة في هذه الفترة تتميز بالتذبذب وعدم الاستقرار بين نيلها حقوقها وبقاء وضعها كما هو، ومع ذلك فهذا لم يمنع من ظهور بوادر إيجابية لها في سبيل التغيير من تلك الأوضاع إلا أنها برزت على المدى الطويل، من خلال فرض قوانين أشد صرامة من القوانين التي سبقتها في محاولة من الدولة، ومحاولة التقليل من سلطة العادات في المجتمع عن محاولة المرأة نيل حريتها وجميع حقوقها الشرعية والمدنية.

وهذا يعني أن المرأة بعد الاستقلال دخلت في صراع لإثبات ذاتها ووجودها في المجتمع، وما يزال هذا الصراع قائما إلى يومنا هذا، فهي في مواجهة دائمة للعرف السائد في المجتمع الذي يخول للرجل التحكم في جميع تفاصيل حياتها وهو ما رفضته رفضا قاطعا وبذلت جهودها في تغيير الوضع.

7- محددات مكانة المرأة في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر:

لا يمكننا بأي حال من الأحول التعرف على مكانة المرأة من دون التطرق إلى أهم العوامل المتحكمة في تحديد هذه المكانة، فالمرأة تمثل نصف المجتمع فهي الأم والأخت والزوجة والابنة وهي المسؤولة على تسيير الأسرة وتربية الأبناء، وكذلك القيام بأعمال خارج المنزل والتي تساهم من خلالها في التنمية الاقتصادية للبلاد ولأجل ذلك سنعرض مجموعة المحددات المتحكمة في مكانة المرأة في المجتمع ما بين الماضي والحاضر.

7-1- محددات مكانة المرأة في الماضي:

7-1-1- دور التنشئة الاجتماعية في تحديد مكانة المرأة:

تستقبل الفتاة في الأسرة التقليدية دون أي مظاهر فرحة وبهجة، حتى من طرف عائلتها التي تدرك جيدا أن المحيطين بها لن يفرحوا بقدومها كون المجتمع المحلي يحبذ الذكور على الاناث، فحياة المرأة تختلف تماما عن حياة أخيها الذكر وذلك منذ اللحظة الأولى من مولدها، هي ستكون خاضعة له إلى أن تتزوج ثم تنتقل إلى سلطة زوجها وخدمته هو وأهله، وفي سن مبكر جدا تتعلم الفتاة الأعمال المنزلية، فالأم تدرك منذ ولادة ابنتها أنها ستغادرها يوما إلى أسرة أخرى أين تكون سفيرة لأسرتها ولذلك تركز في على تعليمها ما يعود عليها بالنفع في حياتها الزوجية.[1]

تنشئ الفتاة في ظروف صعبة لتهيئتها لتحمل مصاعب الحياة بصفة عامة وقسوة الحياة الزوجية بصفة خاصة، كما تربى على الخضوع والخنوع وتطبيق الأوامر والتعليمات فيتشكل في ذهنها أنه من

[1] نوارة نافع: <u>مكانة المرأة في المجتمع الجزائري</u>، مجلة دراسات اجتماعية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، العدد 11، جانفي 2013، ص ص 147-160.

الواجب عليها أن تكون هكذا وألا تعبر عن رفضها فهي ترى أن هذا الوضع هو الوضع الطبيعي لها، في حين ينشئ الذكر على الحرية وحق اتخاذ قراراته بنفسه، وأن له السلطة الكاملة في التصرف في اخوته البنات حتى وان كانت هذه التصرفات تعسفية في بعض الأحيان، فكانت الأنثى تحتل أسفل الترتيب الهرم الاجتماعي كما هو موضح في الشكل رقم (03):

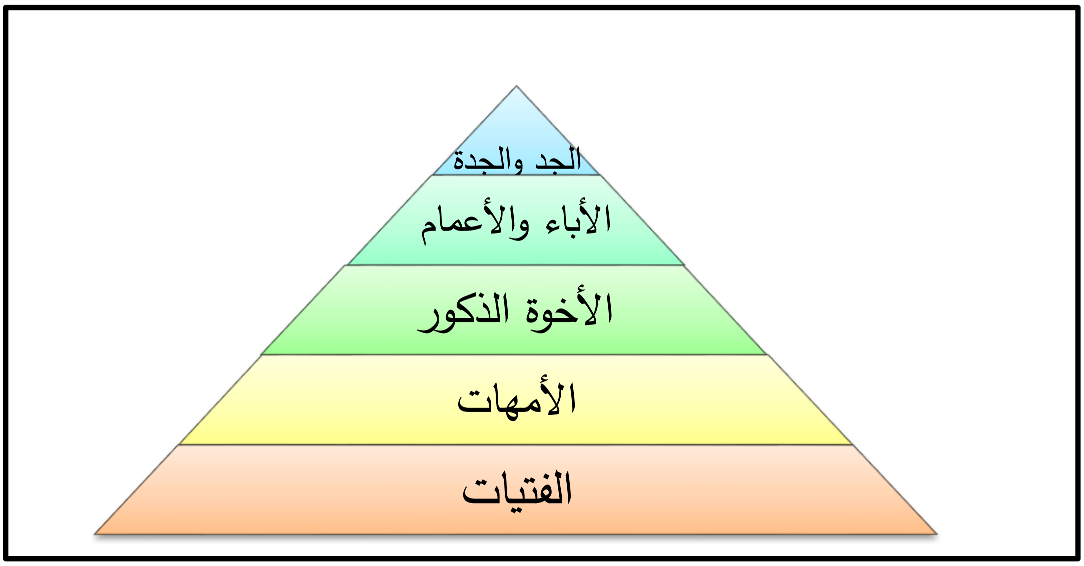

الشكل رقم (05): يمثل الترتيب الاجتماعي في المجتمع الجزائري حسب الجنس (المصدر: اعداد الطالبة)

ويأتي هذا الترتيب تبعا لما تم تداوله في مجتمع الدراسة، ففي السابق كانت الأسرة ممتدة تشمل جميع أفراد العائلة فيكون في أعلى الهرم الجد والجدة، والجد هنا يكون صاحب القرارات في العائلة أما الجدة فهي مسؤولة على تنظيم أمور المنزل ثم يليهم مباشرة الآباء والأعمام، ففي غياب الجد أو في حالة وفاته تنتقل السلطة إليهم مباشرة، ومن ثم الأخوة الذكور ومن ثم الأمهات اللواتي يكن مسؤولات عن تربية البنات وتعليمهن أصول الحياة الزوجية، ويكون واجب الفتاة الامتثال لهم والطاعة فقط ويتوجب عليها الحذر من الوقوع في الأخطاء خاصة فيما يتعلق بشرف العائلة، وهنا يتجلى بوضوح سبب الفصل بين الفضاءين الأنثوي والذكوري عن بعضهما، خوفا من العائلة من العار الذي قد تجلبه له ابنته.

إن فقدان الفتاة لعذريتها في المجتمعات التقليدية يعتبر كارثة كبيرة فتعاقب الفتاة عليه عقابا شديدا، هي وأمها لاعتبارها المسؤول المباشر عن تربيتها وتعتبر بذلك قد فشلت في مهمتها، وتصل هذه العقوبات إلى حد القتل لتنظيف شر العائلة من العار الذي ألحق بها وهذا ما يفسر لنا كذلك سبب الصرامة والحرص الشديدين في تنشئة الأنثى بهذه الطريقة.

ويتم تلقين الفتاة قواعد الانضباط والحياء التي تكرس الخوف والخضوع في العديد من المصطلحات التي تعارف عليها المجتمع مثل ***" العيب؛ العار؛ لفضيحة؛ الحرمة؛ النيف؛ لحيا؛ الحشمة، الظرافة؛ الرزانة "*** أو في التعابير التالية: ***" بنت الفاميلية؛ بنت لحرام، واش يقولوا علينا الناس؛ احشمي راكي طفلة؛ عيب هذاك راجل"*** إلى غير ذلك من المصطلحات التي تجعلها في حرص دائم على عدم مخالفة قوانين الأسرة أو القيام بأي فعل من شأنه أن يلحق العار بها وبأسرتها.

وقد كانت الفتاة في السابق تمنع حتى من حقها في التعليم والعمل لأن الاعتقاد السائد، كما يقول غيتا الخياط أن التعليم الطويل المدى يضيع أنوثة الفتاة أو يعطل تزويجها فيكون له نتائج وخيمة على إنجاب النساء، كما أنه يخاف من أثر تعليم الفتاة على أخلاقها وتصرفاتها في المنزل تجاه والديها وإخوتها الذكور فيما يخص موضوع الطاعة والتواضع، كما أن المرأة المتعلمة والعاملة تصبح منافسا لزوجها وهذا ما يمس بمكانته كرجل، بالرغم أن الإسلام ينادي بالعلم وفرضه على كل من الرجل والمرأة إلا أن العادات والتقاليد تأتي بالمرتبة الأولى هنا لتحرم المرأة من هذا الحق.[1]

7-1-2- دور الزواج في تحديد مكانة المرأة:

يبقى الزواج مرحلة تطمح لها المرأة في المجتمع الجزائري وهذا نتيجة للتصورات والخلفيات التي كونتها عليه من خلال الدور الذي يلعبه في تحديد مكانتها، فالمرأة المتزوجة في المجتمع المحلي أعلى

[1] نوارة نافع: مرجع سابق، ص ص 147-160.

مكانة من العازبة وأفضل منها لاعتبار أن المرأة ليس لها من سبل سوى منزل زوجها، فتتفاخر الفتيات اللاتي في سن الزواج بكثرة خاطبيها وذلك للدلالة على أنها مرغوبة وعلى مشارف الزواج.

وأما بالنسبة للنساء اللواتي لم يتزوجن فيعانين من أشد أنواع العذاب النفسي، الذي يلحق بهن من خلال توجيه مختلف الاهانات لهن كإطلاق مصطلح" ***بايرة*** " عليهن، وهذا الأخير مصطلح شائع ومنتشر في المجتمع الجزائري للدلالة على المكانة المتدنية للمرأة الغير متزوجة خاصة الكبيرات في السن اللواتي تجاوزن ثلاثين سنة، ومن هنا تتجلى لنا أهمية عامل السن في الزواج فكلما كان الزواج مبكرا كلما كانت مكانة المرأة أرفع من غيرها لارتباطه بالخصوبة والقدرة على الانجاب أكثر.

7-1-3- دور الإنجاب في تحديد مكانة المرأة:

يعتبر عامل الانجاب من أهم العوامل التي ترفع شأن المرأة في المجتمع الجزائري، فبعد دخولها عالم الزوجية تصبح محط الأنظار، لانتظارهم خبر منها ينبئهم بقدوم مولود جديد خاصة إذا كانت المرأة زوجة الابن الأكبر للعائلة، فنجد أن أم الزوج دائمة السؤال عما إذا كانت تعاني من تأخر في نزول الحيض، ما يجعل المرأة في حالة ضغط نفسي دائم إذا تأخرت عن الحمل، فتوجه لها التهم بأنها المسؤولة عن ذلك وبأنها عاقر لا تستطيع الانجاب لاسيما إذا كانت المرأة قد تزوجت في سن متأخرة، فتسارع هي وأمها في تحضير بعض العلاجات المكونة من المواد الطبيعية أو زيارة الطبيب في بعض الأحيان لمعرفة سبب التأخر، وتقوم حماة المرأة طيلة هذه الفترة بتهديد زوجة ابنها بتزويجه بالزوجة الثانية أو بالطلاق.

وتستمر المرأة على هذه الحال حتى تحمل ليكون ذلك بمثابة الانتصار ورد الاعتبار لها وسط عائلة زوجها، فتنتقل المرأة من التهميش إلى العناية التامة المقدمة من طرف جميع أفراد العائلة خوفا عليها من خسارة جنينها، كالقيام ببعض الممارسات والعادات الوقائية في فترة الحمل مثل العناية الجسدية

كارتداء ملابس مناسبة تقيها من الحر والبرد ودهن بطن المرأة الحامل بزيت الزيتون للحفاظ على دفئ تلك المنطقة وغيرها من الممارسات.

بعد فترة الحمل تأتي الولادة التي تعتبر موقف الحسم بالنسبة لتحديد مكانة المرأة الجزائرية فقيمة المرأة مرتبط بجنس المولود، فالذكر هو من يحافظ على استمرارية العائلة لحمله اسمها كما أنه يعد سند الأب في العائلة والذي سيقوم بالاهتمام بها بعده، فنجده يزف فور مولده بالأغاني والزغاريد وسط فرحة عارمة للأهل والأقارب هو وأمه عكس ما يحصل عند ولادة الفتاة، لذلك تعامل الأم التي أنجبت الفتيات معاملة دونية لكونها في نظر المجتمع أقل شأنا من قريناتها لعجزها عن انجاب الذكر، وتقول المبحوثة **(ج.ج):** " ***عايرتني طُفُلْتِي وقاتلي بلي جبت بومبات على فم المدفع***[1]"، وتقصد المبحوثة هنا أنها تعرضت للاستهزاء من طرف أخت زوجها بسبب انجابها للبنات فقط، وقد شبهتهم بالقنابل في المدفعية أي أن انفجارهن أمر لا محال منه، وذلك بسبب الإرث لأنها في حال لم تنجب ولد سوف يرثن معها أملاك زوجها وأن بناتها لن ينفعنها في شيء فاسترسلت المبحوثة قائلة: " ***كي عايرتني هكا ديسيديت نقعد نجيب لولاد حتان نجيب الطفل على المكر وجبت خمس بنات حتان الكرش السادسة باه جبت الطفل***"[2]، وتضيف ابنة المبحوثة قائلة: " ***أنا حابة كي نتزوج نجيب غير الذكورا هذا كامل على جال عماتي لي عايروا ماما باه تشوف بناتها واش جابو***"[3] ونلمس هنا الرغبة الملحة لابنة المبحوثة في الثأر لأمها عن طريق انجابها للعديد من الأطفال الذكور.

---

[1] مقابلة مع: " ج ج" بتاريخ 11-06-2022، 21:30-22:00، في منزل المبحوثة.

[2] نفس المقابلة.

[3] مقابلة مع: "ن ر" بتاريخ 10-06-2022، 11:15-12:00، حديقة لاندو.

7-2- محددات مكانة المرأة في الحاضر:

مع تغير المعطيات الاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية والثقافية التي نشهدها حاليا في المجتمع لاسيما المتعلقة بالمرأة ووضعيتها، ظهرت محددات جديدة متحكمة في مكانتها إلى جانب المحددات التقليدية، علما أن هذه الأخيرة قد نقص تأثيرها عليها مقارنة بالسنوات الفارطة، وبناء على هذا سنطرق إلى مجموعة من المحددات الحديثة المأثرة في مكانة المرأة وهي كالتالي:

7-2-1- دور العامل الديمغرافي في تحديد مكانة المرأة:

إن انقسام الأسرة الممتدة و بروز نمط الأسرة المتمركزة في المناطق الحضرية أثر على سلطة الزوج على المرأة داخل الأسرة، فالمرأة باستقلالها السكني عن الأسرة الممتدة أصبحت أكثر حرية في مختلف تصرفاتها داخل الأسرة وفي علاقتها بزوجها وأبنائها، حيث أصبح هناك حوار مباشر بين أفراد الأسرة و تشاور دائم في مختلف القضايا التي تهم الأسرة، فنمط الأسرة الحديثة يعزز مكانة المرأة بدعم زوجها لها، فيمنحها الحرية التامة في التصرف في شؤون المنزل واتخاذ القرارات بنفسها دون الرجوع إليه ودون انتظار اتخاذ للقرارات من طرف كبار العائلة.

7-2-2- دور التعليم في تحديد مكانة المرأة:

يعتبر العلم أحد المقومات الأساسية للحضارة الإنسانية لذلك نجد أنه لعب دورا حاسما ومهما في ترقية مكانة المرأة، وذلك بمساهمته في إخراجها من عالمها التقليدي الضيق المتمثل في الحياة المنزلية وتمكينها من الانفتاح على آفاق جديدة لمواكبة متطلبات العصر، كما أن التعليم يرفع كذلك من مستوى وعي المرأة بحقوقها والسعي إلى اكتسابها كما يزيد من فرص مشاركتها في الحياة العامة،

فالمرأة المتعلمة مقارنة بالمرأة الأمية تتلقى اهتماما واحتراما أكثر من طرف المجتمع، وذلك لما يعكس سلوكياتها وعلاقاتها و حتى نوع عملها ولباسها من دقة وأناقة ليلقى استحسان من حولها.[1]

7-2-3- دور العمل في تحديد مكانة المرأة:

عززت الأنساق التقليدية والقيم في ترسيخ الأفكار والمعايير التي تعزز التمييز بين المرأة والرجل، إذ تحاول أن تبين أن الرجل يتحمل مسؤولية السعي والجهاد وتأمين الرزق خارج المنزل، ما جعل مكانة المرأة منذ زمن بعيد تتحدد من خلال وصاية التامة للرجل عليها[2]، إلا أن الاستراتيجيات التي اتبعتها الدولة بعد الاستقلال ساعدت المرأة كثيرا في تغيير مكانتها، لتمكينها من تحقيق الاستقلالية المادية والاعتماد على نفسها عقب خروجها إلى العمل.

وبالرغم من ذلك فقد عانت المرأة كثيرا في بداياتها من عدم تقبل المجتمع لها، فوصفها بالكثير من العبارات السيئة واتهامها الانحلال الأخلاقي لمجرد أنها عاملة، ولكن مع مرور الوقت وتزايد نسب النساء المتعلمات والمثقفات أصبحت رؤية المرأة في العالم الخارجي أمرا طبيعيا ومقبولا لدى المجتمع، فأصبحت المرأة العاملة مثالا يحتذى به في العلم والاجتهاد فمعظم الأهالي الآن يشجعون بناتهم على التمدرس والعمل وتأجيل موضوع الزواج إلى حين، ولذلك حازت المرأة على مكانة أرفع من الماكثة في البيت نظرا للفائدة التي تقدمها للمجتمع، وحتى أن بعض الرجال في وقتنا الحالي يبحث عن امرأة عاملة كزوجة له لتتقاسم معه أعباء المعيشة الغالية التي نشهدها حاليا.

---

[1] بلقاسم الحاج: **المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية**، رسالة ماجستير، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2008-2009، ص 50.

[2] غنيمة هلال: **مكانة المرأة الجزائرية في ظل التغير الاجتماعي الحاصل في المجتمع الجزائر**، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، العدد 16، جوان – ديسمبر 2016، ص ص 175-196.

8- العوامل المساهمة في تغير مكانة المرأة في المجتمع الجزائري:

8-1- عامل التعليم:

قد كان لتنامي فرص التعليم دور حاسم في إزالة الحواجز التي كانت سببا في التضييق على المرأة ونيلها لحريتها، حيث بدأ تعليم الإناث يأخذ طريقه لدى العائلات الجزائرية عقب سن قانون اجبارية التعليم في الجزائر، وتعميمه على كافة الشعب خاصة في ظل وجود تيارات رافضة له بحكم العرف والعادات والتقاليد، ما أدى بشكل تدريجي إلى زيادة وعي المرأة بواقعها وهيأ لها سبل التحرر من سلطة المجتمع الذكوري الذي يرسم الحدود الرمزية التي تشكل عالمها وتقرر مصيرها، وقد تظافرت هذه العوامل وأدت إلى دخول هذه الأخيرة لفضاءات جديدة ظلت لفترة طويلة فضاءات رجالية بامتياز، كاقتحامها لعالم الشغل في مختلف القطاعات مما مكنها من تبوء مناصب ورتب نوعية في مؤسسات ذات طابع خدماتي وإنتاجي.[1]

8-2- عامل خروج المرأة إلى العمل:

إن هذه التغيرات التي لامست البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري أخرجته من حيزه التقليدي ومن الانغلاق الفكري إلى الانفتاح على المجتمع وتقبل مختلف الإيديولوجيات الجديدة، كالحركات النسوية التي تدافع على حقوق المرأة في المجتمعات والمتعلقة بالدرجة الأولى بتحسين وضعيتهن الاجتماعية كالحق في التعليم والعمل وغيرها من المتطلبات الأساسية.

لقد تطور عمل المرأة الجزائرية عندما انتهجت الدولة سياسة التصنيع لإعادة بناء هياكلها الاقتصادية المحطمة، باشتراك كل أفراد المجتمع من اجل النهوض بالبلاد حيث كانت بحاجة ماسة إلى

---

[1] نور الدين كوسة: <u>دور القيم الذكورية في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري –مقاربة نظرية استنادا إلى المدخل الثقافي–</u>، مجلة التدوين، المجلد 6، العدد 1، 30 جويلية 2020، ص ص 250-266.

كل طاقاتها البشرية، إلا أن المشاركة النسوية في ميدان العمل آنذاك كانت ضعيفة جدا حيث تشير إحصائيات سنة 1966 إلى أن نسبة اليد العاملة النسوية تمثل 1.8 واقتصرت في المدن[1]، وبعدما كان عمل المرأة وليد الضرورة لسد احتياجات الأسرة، أصبح عبارة عن وطموح في ظل تحسن الظروف المعيشية في الجزائر وتهيئة المناخ الملائم لها.

8-3- العوامل السيكولوجية:

أدت بعض العوامل السيكولوجية للمرأة في تغير مكانتها الفعلية في المجتمع الجزائري بعد التغير الحاصل في حياتها، إلى تغير صورة الذات لديها من كونها تعتقد بمحدودية أدوارها إلى شخص منتج في المجتمع وهذا الأخير أدى إلى زيادة شعور الثقة بالنفس لديها وبقيمتها، إن شعور المرأة بأنها متميزة ومهمة وجديرة بالاحترام ساهم بشكل كبير في تحفيز دافعيتها للإنجاز، فأطلقت العنان لنفسها وأفكارها وتركيز جهدها عند القيام بمختلف الأعمال داخل وخارج المنزل، ورغبتها المستمرة في النجاح والوصول إلى أهدافها في الحياة من أجل تحقيق ذاتها وإثبات وجودها في المجتمع على أنها شخص يمكن له أن يكون ما يريد بالرغم من نظرتهم إليها.

8-4- الفهم الخاطئ للآيات القرآنية بشأن المرأة:

من الأسباب الكثيرة التي ساهمت في الأوضاع المزرية التي مرت بها المرأة الجزائرية هو الفهم الخاطئ للدين، وتأويل الآيات والأحاديث تأويلا حسب مفهومهم الشخصي وبما يتوافق مع العرف السائد في الجماعة، خاصة في قوله تعالى ***" الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء "***[2] فقد فسر الكثيرون منهم منم خلال

---

[1] هلال غنيمة: مرجع سابق، ص ص 175-196.

[2] القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 34.

هذه الآية أن الدين فضل الرجل على المرأة في المكانة، فنجده الرجل يستعملها في كل المواضيع لتقييد حرية المرأة علما منه بمدى تأثير الجانب الروحاني في المجتمع الجزائري.

فالدين هنا يعتبر من التابوهات التي ليست محل نقاش أو جدال في المجتمع الجزائري فكل ما يأتي منها يطبق بصفة إلزامية، فوجدت المرأة نفسها في موضع لا تستطيع الخروج منه لأن كل محاولة تصدر منها قد يتم اتهامها بالكفر والخروج على الشريعة الإسلامية، ما جعلها خاضعة تماما لما يمليه عليها المجتمع، إلا أنه مع تقدم العلم والتكنولوجيا الحديثة وتراجع نسب الأمية والبطالة والانفتاح الفكري مكن أفراد المجتمع من التخلي على العرف السائد والاطلاع على التعاليم الصحيحة المفسرة للدين والأحاديث، واكتشافهم بأن معظم الممارسات السائدة ساهمت في ظلم المرأة ما جعل الكثير منهم يتراجع عنها ويساهم في دعمه لها نحو تحقيق حياة كريمة.

8-5- الحركات النسوية:

لقد كانت لظهور الحركات النسوية في المجتمع علاقة بتاريخها الطويل مع المعاناة والاضطهاد الذي لقيته في المجتمعات، فالمرأة كانت تعامل معاملة دونية وتعتبر مسلوبة الإرادة مثلها مثل العبيد فكانت تشبه في أغلب الأحيان بالحيوانات فكان هذ الوضع مصدر قلق دائم لها، ولذلك استغلت الإصلاحات الجديدة في المجتمع كالتعليم والعمل لإثبات وجودها.

وتسعى النسوية دئما إلى الوقوف مع المرأة لاستعادة الحقوق المسلوبة منها والعمل على إيصالهن إلى العدالة الاجتماعية بينها وبين الرجل في نيل الحقوق وأداء الواجبات، وقد نشأت هذه الحركة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، إلا أنها أصبحت بعد مدة حركة عالمية وانتشرت شعاراتها ومطالبها لتشمل جميع النساء في جميع المجتمعات، وكنتيجة لذلك فإننا نشهد آثر النسوية في عصرنا الحاضر على كل الساحات من القرارات الدولية إلى القوانين المقرة في البرلمانات،

وقد كتب عنها في الكتب والمجلات والجرائد الصادرة وصولا إلى تجسيدها في الأفلام والمسلسلات التي تغذي أذهان الناس بأنماط الحياة بل وحتى في نوع العلاقة الزوجية في عصرنا الحاضر.[1]

تعود أولى المجموعات المدافعة عن حقوق النساء في المجتمع الجزائري إلى بداية سنة 1980، وقد أخذ اندراج المرأة كعنصر فاعل في النشاط الجمعوي يأخذ منحى تصاعدي ويشهد حيوية سايرت تنامي المطالب النسوية الهادفة إلى الحصول على جملة من المكاسب المتعلقة بوضعيتهن الاجتماعية، فأسهم دخول المرأة التدريجي للفضاءات المتصلة بالعمل وكذا ممارستها للنشاط الجمعوي الدخول إلى معترك الحياة السياسية وتوليها مناصب حساسة في المجتمع[2]، وبالتالي ظهورها في الساحة أكثر مما مضى ومنافستها للرجل على هذه المناصب ما أدى إلى اعتياد المجتمع على رؤيتها خارج الحيز التقليدي لها ووجودها في مختلف التخصصات التي كانت حكرا على العنصر الذكري.

وتشهد الجزائر حضور هذه الحركة بكثرة خاصة في السنوات الأخيرة تزامنا مع انتشار استعمال مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الخطابات النسوية في الساحة السياسية وخروجهن في مظاهرات للمطالبة بحقوقهن، وعلى سبيل المثال المسيرة التي نظمتها مجموعة من النسوة سنة 2018 في ***"الصابلات"*** في الجزائر العاصمة لممارسة الرياضة كرد فعل على حادثة الاعتداء التي تعرضت لها فتاة كانت تمارس الرياضة، ليقول لها المعتدي: ***" بلاستك في الكوزينة "*** والذي يقصد بقوله أنه لا يحق لها ممارسة الرياضة بل يجب أن تكون في المطبخ، وقد أطلقت احدى المشاركات والمدعوة بـ: ***" أميرة بواري"*** شعار ***" بلاستي وين نحب ماشي في الكوزينة "*** ليصبح أحد أهم الشعارات المتداولة اليوم لدى النساء في المجتمع الجزائري.

---

[1] نرجس رودگر: <u>فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها، أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية</u>، هبة ظافر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، 2019، ص 10.

[2] نور الدين كوسة: مرجع سابق، ص ص 250-266.

الصورة رقم (02): صاحبة الشعار أميرة بوراي في مسيرة 2018

(المصدر: https://www.echoroukonline.com/%D8%AC%D8%, 22-03-2023, 03 :56)

إن تبني المرأة الجزائرية لهذا الشعار جاء للتعبير على أن امكانياتها ليست محصورة في الطبخ فقط بل تستطيع أن تقوم بأكثر من ذلك، وأن المشكل الأساسي هنا ليس المكان الذي تتواجد فيه بل المجتمع الذي تنتمي إليه والذي ينظر إلى المرأة نظرة سطحية اذ يربط وجودها وكيانها بالمطبخ فقط، وأن هذا الشعار لا يرمي إلى تحرر المرأة وانسلاخها من مبادئها، بل يهدف بالدرجة الأولى إلى تغيير نظرة المجتمع إليها بإبراز قدرتها على القيام بالكثير من الأشياء وشغلها العديد من الوظائف كالتعليم والطب والهندسة والتصميم وغيرها.

8-6- العامل التكنولوجي:

ساهم التطور التكنولوجي كثيرا في تغير مكانة المرأة الجزائرية بصفة مباشرة وغير مباشرة وذلك في التأثير على جميع جوانب الحياة لديها، من خلال اتاحة وقت فراغ كبير لها لتستغله المرأة في القيام بأعمال أخرى أو حتى الجلوس دون فعل أي شيء والاستمتاع بوقت فراغها كاملا، باعتبار أن التكنولوجيا في حد ذاتها تعمل على تقليل الجهد العضلي الذي يبذله المرء في العمل، وتقليص مدة إنجازه فيها سعيا إلى رفع المستوى المعيشي له وتوفير الرفاهية للمجتمع، وهذا ما انعكس بطريقة إيجابية على المرأة

خاصة من ناحية الأعمال المنزلية لتوفر منزلها على معظم الأدوات الالكترونية والأجهزة الكهرومنزلية التي أزالت عليها عبئا ثقيلا من على عاتقها.

إلى جانب ذلك نجد التغيرات واضحة في نقص الإنتاج المنزلي وتوجه أفراد الأسرة إلى استهلاك المنتجات الجاهزة خاصة المأكولات لانتشارها الواسع، لكون معظم أفراد الأسرة يقضون أغلب أوقاتهم خارج المنزل أصبحت المأكولات الجاهزة أو السريعة روتينا يوميا لهم، ما جعل أغلب أدوار المرأة في المنزل تتقلص ولتوجه تفكيرها إلى أشياء أخرى كالدراسة وتعلم أو الخروج إلى العمل.

إن ما وفرته التكنولوجيا من رفاهية للمرأة الجزائرية قد ساهم بشكل كبير في فتح آفاق جديدة أمامها للتعرف على مختلف المجتمعات الأخرى سواء المحلية أو الأجنبية، ولما وفرته من خدمات الانترنت وخاصة مع تواجد مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والانستغرام وغيرها، كما أن الانفتاح الفكري على المجتمعات الأخرى قدم فرصة جيدة للمرأة للتعرف على مختلف الذهنيات الموجودة، وهذا ساعدها على تنمية أفكارها والاستفادة منهم عن طريق ملاحظتها لممارساتهم واعتقاداتهم حول الحياة من جهة، أو التعرف عليهم شخصيا وتكوين علاقة صداقة بينهم من جهة أخرى، وهذا من بين الأسباب الرئيسة التي أثرت على طريقة تفكير المرأة الجزائرية ونظرتها لذاتها، من خلال مقارنة نفسها مع المرأة الأجنبية وإلى أي مدى تمكنت هذه الأخيرة من التحرر من القيود الاجتماعية المفروضة عليها في مجتمعها.

وقد تعدى تأثير الانفتاح على المجتمعات الأخرى إلى ملامسة بعض القيم والمعايير الثابتة في المجتمع، لنجد المرأة قد تبنت واكتسبت بعض الأفكار والأنماط السلوكية قد تختلف عن ما هو سائد في المجتمع المحلي وتريد أن تطبقها فيه لتجد استجابات مختلفة حول هذه الأفكار من رفض وقبول، خاصة إذا تنافت تماما مع الدين والعادات والتقاليد والأعراف في جماعتها، كالتخلي عن ارتداء الحجاب واعتبار

ذلك نوع من أنواع تحرر المرأة محاكاة للشعارات التي تهتف بها نساء المجتمعات الأجنبية، ولذلك فإن التكنولوجيا الحديثة والانترنت يعتبران سلاحا ذو حدين ويجب أن يكون استغلالهما استغلال رشيد.

الفصل الثالث: ميلاد المرأة عادات وطقوس بين الثبات والتغير

- الحمل
- عادات الولادة
- تزين المولودة
- عادات تحصين المولودة
- تهويدات النوم
- العقيقة
- ثقب الأذن
- انبات الأسنان
- عيد الميلاد

تمهيد:

يعتبر الحمل والولادة من أهم المراحل التي تمر بها المرأة في حياتها خاصة الزوجية، إذا لا يمكن للمرأة في المجتمع الجزائري أن تحظى بأطفال خارج إطار الزواج وذلك عائد للمرجعية الدينية له والتي تحرم جميع تلك العلاقات، ولذلك نجد أن موضوع الولادة لا يقل أهمية عن موضوع الزواج وأن كلاهما مرتبطان في كونهما يحددان مكانة المرأة في المجتمع وهذا ما سبق التطرق إليه في الفصل السابق.

إن مرحلة الميلاد هي المرحلة الأولى في دورة حياة الانسان، لذلك يتم الاستعداد لهذه المناسبة عبر التحضير الجيد لها سواء من طرف الأم أو من العائلة كلها، فالولادة لا تعتبر مناسبة فردية بل العكس من ذلك فهي تعد مناسبة جماعية تشمل الأم والأب وعائلتيهما وحتى الأقارب، لذلك فإن استقبال المولود الجديد يرافقه القيام بالعديد من الطقوس والممارسات الاحتفالية الشائعة لدى تلك الجماعة، والتي تبدأ منذ اللحظة الاولى لمعرفة المرأة بحملها.

تشكل طقوس الحمل والميلاد وما يصاحبهما من عادات وتقاليد وشعائر كلا كاملا ومستقلا طبقا لنظرية فان جينيب، فإن الشعائر الأولى المرتبطة بها تهدف إلى العمل على فصل الحامل عن المجتمع، ويتبع تلك الشعائر الانفصالية تهدف إلى تهيئتها وإعدادها للمكانة الجديدة، لذلك فإن هذه الفترة تعتبر بمثابة فترة تمهيدية أو إعدادية أو هامشية، وأخيرا تأتي شعائر الميلاد وهي التي تهدف إلى إعادة اندماج وتكامل المرأة مع جماعتها وحصولها على وضع ومكانة جديدة في المجتمع، خاصة في حالة إنجاب الطفل الأول ومن ثم تظهر مرحلة الاندماج.[1]

---

[1] ميرفت العشماوي عثمان العشماوي: **دراسات في التراث الشعبي: دورة الحياة دراسة للعادات والتقاليد الشعبية**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الاسكندرية، مصر، 2011، ص 65.

إن اعتبار الولادة كطقس عبور عائد إلى التغيرات الاجتماعية التي يحدثها في المجتمع ليس على الأبوين فحسب بل على العائلة ككل، فعملية انفصال الجنين من بطن المرأة وانتقاله إلى العالم الخارجي، ينقل الزوج والزوجة وكل من في العائلة إلى وضعيتهم الاجتماعية الجديدة كالأم والأب والجد والجدة والعم والعمة والخال والخالة، ما يعني استحداث علاقات اجتماعية وتغيرا في الأدوار والمكانات في العائلة.

تختلف العادات الاجتماعية المرافقة للحمل والولادة في المجتمع الجزائري باختلاف جنس المولود، ولقد حظي المولود الذكر باهتمام أكبر من المولودة الأنثى لاعتبار أن المجتمع الجزائري مجتمع ذكوري، ولذلك سادت بعض التميزات القائمة على أساس النوع الاجتماعي حتى فيما يخص عادات استقبال المولود الأنثى لمدة زمنية طويلة، غير أن ذلك لم يصمد أمام موجات التغير الحاصلة في المجتمع ولذلك فقد ظهرت ممارسات جديدة بفعلها، وهذا ما سنقوم بالتطرق اليه في هذا الفصل.

1-الحمل:

يعتبر الحمل المرحلة السابقة للولادة وهي فترة تكون الجنين في رحم الام، وهو الوظيفة التي أسس الزواج من أجلها، وهذا الأخير لا يختلف عن الولادة فهو الاخر يستدعي القيام بالعديد من الممارسات والعادات الشائعة لدى الجماعة التي تنتمي إليها المرأة، لاعتبار أن هذه المرحلة حساسة بالنسبة لها وإلى الجنين وقد جاءت هذه العادات للحفاظ عليهما ورعايتهما.

ان مسألة الحمل في المجتمع الجزائري أمر مهم جدا لذلك تحرص المرأة على مراقبة نفسها والاعتناء بها منذ اللحظة الأولى لزواجها، فنجد أنها تنتظر بفارغ الصبر حدوث ذلك وقد تم التطرق في العناصر السابقة إلى مدى تأثير الولادة على مكانة المرأة في المجتمع التقليدي، وهو الأمر الذي جعلها

تركز جل اهتمامها على الحمل بسرعة، وذلك رغبة منها إلى تعزيز مكانتها في بيت الزوجية وكذلك يرجع السبب إلى الضغوطات المجتمعية التي تتلقاها.

إن الحمل هو بالتأكيد فترة انتقالية من مرحلة إلى أخرى بالنسبة للمرأة، فمن خلالها تنتقل المرأة من مجرد زوجة إلى أم، فيستمر انتقالها من الحمل إلى مرحلة الولادة وإلى ما بعد لحظة الولادة ومن ثم تبدأ دورة حياة المولودة التي تصحبها العديد من المراحل الانتقالية هي الأخرى، كالمرحلة الانتقال من الميلاد إلى مرحلة الطفولة المصحوبة بالتنشئة وإلى مراحل أخرى[1]، وتبدأ مرحلة الحمل مع بداية الأعراض الأولى لها وهي تأخر نزول الحيض لمدة أسبوعين بعد مرور الفترة الطبيعية لها، فتبدأ المرأة بالتحقق من أن هذا الانقطاع أهو نتيجة الحمل أو مجرد تأخر بسيط لها.

ولا يعد انقطاع الحيض وحده هو العرض الوحيد على الحمل بل تصاحبه مجموعة أخرى من الأعراض، كالغثيان والقيء المصاحبان لبداية الحمل في الصباح أو عند المشي أو عند النهوض من الفراش، وكذلك الإحساس بوخز خفيف وحكة في جلد الثدي خاصة حول الحلمة وزيادة كمية الدم في جلد الثدي، مع كثرة التبول ولكن العلامات والأعراض السابقة مجرد إشارات قد تصدق وقد تكذب، ومع ذلك فالممكن أن تشعر المرأة بجميع هذه الأعراض ومع ذلك لا تكون حاملا، وأنها قد تكون مجرد حالة نفسية كأن تكون تواقة إلى الحمل بشدة.[2]

ورغم تعدد أعراض الحمل إلا أن المرأة في المجتمع التقليدي تعتمد في التعرف على حملها على انطاع دورتها الشهرية، ولذلك تقول المبحوثة **(ي.ل)** صاحبة 61 سنة: ***" حنا بكري ما كنا نروحوا عند طبيب ما عندنا كيفاش نعرفوا بلي رانا بالكرش، كنا نعرفوا غير كي تروحلنا العادة برك "***[3]، وبعد التأكد

---

[1] Arnold van gennep: previous reference, p 43.

[2] فاطمة العراقي: __الحمل من الألف إلى الياء__، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، 2000، ص 9.

[3] مقابلة مع: "ي ل" بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

من الحمل فعلا تبدأ النساء بالتعرف على الأعراض الأخرى له فتضيف وتقول: " ***كل وحدة كيفاش يجيبها الحمل تاعها، أنا كي هزيت الكرش اللولة نتفكر جاتني غير على الرقاد، نحب نرقد برك والكرش الثانية عانيت مع لقيا وحتى لكروش لخرين كل مرة كيفاش*** "[1]، وتخبرنا المبحوثة من خلال تجاربها أن أعراض الحمل تختلف في كل مرة تحمل فيها، وكذلك تختلف من امرأة إلى أخرى وهذا ما تأكدنا منه من خلال إجرائنا للعديد من المقابلات مع مختلف النساء ففي كل مرة تخبرنا امرأة منهم عن عرض مختلف للحمل.

لقد اتفقت عينة الدراسة على وصف المرحلة الأولى من الحمل بالمرحلة الصعبة وذلك عائد للتغيرات الفيزيولوجية التي حدثت لهم، وعلى الرغم من ذلك فإن معظم النساء في مجتمع البحث لم يتلقين المعاملة المناسبة لهن في تلك الفترة كما وصفت لنا المبحوثات فتقول (ح.ل): " ***حنا بكري حتى كي كنا نعرفو بلي رانا بالكرش مكانت تتبدل حتى حاجة، كنا نكملو نقضيو قضيتنا كيما قبل ما يتبدل والو*** "[2]، وتشير المبحوثة هنا إلى الأوضاع التي كانت تعاني منها الحوامل في تلك الفترة وبأنهن لم يتلقين أية معاملة خاصة طوال فترة الحمل، بل على العكس من ذلك فقد واصلن القيام بأشغالهن اليومية وكأن شيئا لم يحدث، إلا أن هذا لم يعني عدم وجود بعض العادات والطقوس الخاصة التي يطلب من المرأة الحامل القيام بها قصد حمايتها هي وطفلها.

لقد كانت المرأة الحامل في تلك الفترة محط الأنظار خاصة إن كان الحمل الأول لها فالكل يترقب وينتظر يوم الولادة للتعرف على جنس المولود، ومن بين العادات الشائعة التي تقام في مرحلة الحمل هي وضع " ***الحنة*** " للمرأة في أيديها وأرجلها التزين، كذلك بوضع " ***الكحل*** " في عينيها ومضغ " ***المسواك*** " ، وكل هذه الممارسة لها دلالة رمزية مشتركة وهي للتعبير عن الفرح والسعادة بهذا الخبر،

---

[1] مقابلة مع: "ي ل " بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

[2] مقابلة مع " ح ل " بتاريخ 26-03-2021، 22:30-23:30، في منزل المبحوثة.

كما تقوم المرأة الحامل بالاهتمام بطريقة لبسها وتفادي ارتداء ملابس خفيفة لتجنب اصابتها بنزلات البرد، لاعتقادهم أن النساء الحوامل أكثر عرضة للإصابة بالأمراض من غيرها لأن أجسامهن ليست في حالتهم الطبيعية، ولذلك يشدد على هذا الموضوع فيطلب منهم الاهتمام بهذا الجانب واختيار ملابس مناسبة لهم خاصة في فصل الشتاء، فضلا على ذلك فقد اعتادت النساء في الأشهر الأولى من الحمل وقبل بروز البطن بفترة معتبرة بالبدء في دهن منطقة الرحم والبطن بزيت الزيتون، وذلك للمحافظة على جلد البطن من ظهور التشققات عليه أثناء الحمل نتيجة لكبر بطن الحامل.

ولا تقتصر حماية المرأة الحامل على الجانب الجسدي من الأمراض ومختلف الأشياء التي قد تصيبه فحسب بل تتعدى ذلك لتشمل الماورائيات، فبعض النسوة تقوم بإخفاء حملهن خوفا عليهن من العين والحسد اللذان قد يصيبانها جراء معرفة الغير بخبر حملها، فتتقوم بممارسة بعض الطقوس كتعليق ما يعرف في مجتمع البحث بـ: ***" لْحجابات "*** و ***" لْحروزْ "*** ، أما عن لحجابات فهي عبارة عن أوراق كتب فيها آيات قرآنية، أما بالنسبة للحروز فمكتوب عليها بعض الطلاسم السحرية التي تدفع العين في اعتقادهم وتلف هذه الأوراق في قماش أخضر ويعلق في ملابسها، وللون الأخضر مكانة هامة في المجتمع الجزائري والدلالة الرمزية له هي اعتبار الون الأخضر لون الملابس التي يرتديها الناس في الجنة، ولذلك اعتمد هذا اللون لدى الأولياء الصالحين فنجد أغلب أضرحتهم وإن لم نقل جميعهم مغطيين بقماش باللون الأخضر، ولأجل ذلك يتم الاستبراك بهذا اللون لدفع العين والحسد والمس في مختلف المناسبات في المجتمع المحلي وليس في الحمل والولادة فقط.

وإلى جانب ذلك تعتمد المرأة الحامل تعليق تمائم أخرى على شكل دبابيس أو ما يطلق عليه في مجتمع الدراسة بـ: ***" بروش "***وهو مصطلح فرنسي الأصل ***" Broche "*** نذكر منها على سبيل المثال: ***" خمسة لالة فاطمة "*** نسبة إلى ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة أو ما يقال عنها ***" الخمسة "*** فقط أو دون ذكر اسمها، وكذلك يوجد بروش آخر على شكل عقرب ويستعمل أيضا لدفع العين هو

الآخر، وفي العادة تكون هذه الدبابيس مصنوعة من الفضة وأما الدبابيس الذهبية فتستعملها الجماعات ذوات المستوى المادي المرتفع.

الصورة رقم (03): دبابيس (بروشات) للإبعاد العين (المصدر: تصوير الطالبة)

التأويل الأنثروبولوجي:

لم تختلف عادات الحمل اليوم عما كانت عليه في السابق فرغم التحول الكبير الذي شهده هذا المجال إلا أن الممارسات التقليدية ما تزال محاطة به، كوضع الحنة والكحل والاعتقاد باعين والحسد وغيرها، إلا أن ممارسة هذه العادات تختلف من شخص لآخر فقد أصبحت اختيارية أكثر من كونها اجبارية، فهناك من لا تحب وضع الحنة والكحل فترفض رفضا شديد القيام بها، ومنهن كذلك من لا تؤمن بالتمائم وذلك للمرجعية الدينية التي تحرم كل هذه الممارسات، وتفضل والاكتفاء بالآيات القرآنية لتحصين نفسها وجنينها فقط.

وإلى جانب ذلك فقد ظهرت ممارسات أخرى جديدة إلى جانب القديمة كطرق التعرف على الحمل التي تمكن المرأة من التعرف على حملها مبكرا، كزيارة الأطباء المختصين في الحمل والولادة عكس ما كان عليه الوضع في السابق، فالمرأة لم تكن تذهب إلى الطبيب إلا في حالات نادرة حين تستدعي الضرورة ذلك، أو التعرف على حملها عن طريق الاختبارات المنزلية السريعة.

إن الاختبار المنزلي يستطيع تشخيص حالة الحمل عن طريق اكتشاف هرمون الحمل في البول وهو هرمون موجهة الغدد التناسلية المشيمية، وبعض هذه الاختبارات المنزلية يستطيع أن ينبئ المرأة بحملها في وقت مبكر قد يكون منذ اليوم الأول لغياب حيضها، ويكشف هذا الاختبار النتيجة خلال دقائق من فحص عينة البول منزليا وفي أي وقت من أوقات النهار، ويتم التعرف على النتيجة من خلال ظهورها على الاختبار، وفي أغلب الاختبارات تكون بظهور خطين متوازيين فيه وهي الدلالة على أن المرأة حامل كما هو موضح في الصورة.[1]

الصورة رقم (04): جهاز الاختبار المنزلي للحمل (المصدر: تصوير الطالبة)

1-1- الوحم:

يبدأ وحم المرأة مع بداية الحمل ويستمر معها إلى قرابة ثلاثة أشهر في أغلب الأحيان أو أكثر فلا توجد مدة محددة له، وخلال هذه الأشهر تعاني المرأة من تقلبات مزاجية صعبة نتيجة لتغير هرموناتها وافراز الجسم لهرمونات جديدة، ولذلك قد لا تستطيع المرأة الحامل التحكم في نفسها أو في مشاعرها، وهو الشيء الذي يجبرها على القيام بتصرفات قد لا تتوافق مع طبيعتها، وقد وصفت مرحلة الوحم في أكثر من مرة بأنها مرحلة جد صعبة على المرأة وذلك ما اتفقت عليه أغلبية المبحوثات خاصة في الماضي.

[1] فاطمة العراقي: مرجع سابق، ص 11.

وتستمر مع فترة الوحم أعراض الحمل التي سبق ذكرها كالغثيان والقيء خاصة في الفترة الصباحية وكذلك الشعور بالدوار وحدوث حالات اغماء والرغبة في النوم، والأمر الذي تتميز به هذه المرحلة هي اشتهاء المرأة الحامل لبعض الأكلات أو بعض الخضر أو الفواكه، ولذلك يسعى أفراد العائلة لتوفير ما تطلبه المرأة من الأكلات وليس ذلك فحسب بل يساهم الأقارب والجيران في ذلك أيضا.

كما قد يحدث أيضا أن تكره الحامل بعض الروائح مثل رائحة الطبخ أو روائح الخضراوات أو القهوة، أو حتى رائحة زوجها أو أحد أفراد العائلة لأن ذلك قد يؤدي إلى شعورها بالغثيان، ولذلك تنصح المرأة بتجنب كل هذه الأمور لاعتقاد ساد في مجتمع البحث يتمثل في أن كل شيء يحدث لها في هذه الفترة قد ينعكس على مولودها ولذلك يقال إن المرأة التي لا تأكل الشي الذي توحمت عليه فإنه يظهر على شكل وحمة في جسد مولودها.

وبناء على ذلك يطلب من المرأة في الأشهر الأولى من الحمل بالنظر إلى أشخاص جميلي الوجه والمظهر لتلد مولودا جميلا مثلهم، وهذه الممارسة تندرج ضمن الممارسات التي يقوم بها المجتمع لمحاولة تحديد شكل المولود كأن يقال " ***أخزري في فلان زين باه يخرج ولدك زين كيفو*** "، وفي ذات السياق تقول أحد المبحوثات " ***مرت عمي كي كانت بالكرش تاع يزيد كرهت جارهم وكان كحلوش، وكي زيدت جا ولدها كحلوش على خاوتو وهوما في الدار أكل بيض*** "[1].

وتنتهز المرأة من الوحم الفرصة لتختبر بها مكانتها الاجتماعية وتستعيد بعض ما فقدت من هذه المكانة بحكم ظروف الحياة اليومية، كما وعبر عن ذلك مالك شبال ويقول: " ***يمثل الوحم ذريعة لتلبية كل رغباتها وحاجاتها المكبوتة قبل الحمل، فتبدو الأشياء كما لو أنها في مقابل وعدها بمنح العائلة مولودا فتقوم هذه العائلة بتلبية حاجاتها*** "، فيعتني بها الزوج والحماة والجيران بتسابقهم لمنحها أطيب

[1] مقابلة مع: "م ب" بتاريخ 01-03-2021، 12:10-12:35، أثناء الذهاب إلى زيارة منزل عمها.

الأكلات أندر الفواكه، لأنه من الشائع في المجتمع الجزائري بصفة عامة تسابق الأهل والجيران إلى تقديم أفخر الأكلات إلى الحامل في بدايات الحمل لنيل رضاها، بحكم الاعتقاد أن دعواها مستجابة أثناء الولادة من جهة ولنيل رضوان والله من جهة أخرى.[1]

التأويل الأنثروبولوجي:

إن فترة الوحم في المجتمع الجزائري كانت ومازالت من أهم الفترات التي تمر بها المرأة، إلا أنه من بين الأشياء التي تغيرت بالنسبة لهذا الموضوع هي تغير المعاملة تجاه المرأة الحامل، فقد أصبحت تنال اهتماما أكثر من السابق خاصة في الأشهر الأولى من الحمل فتكرس العائلة وخاصة زوجها كافة جهودهم لخدمتها والاعتناء بها، وذلك عائد لارتفاع الوعي لدى العائلات بسبب التعلم والانفتاح على العالم ومعرفة الظروف الصعبة التي تعاني منها المرأة في تلك الفترة من تقلبات في المزاج، ولذلك أصبحت تعامل بحذر أكثر فيوفر لها جو مناسب بعيدا عن الضجيج والمشاكل للاسترخاء للمحافظة على صحتها النفسية والجسدية وكذلك لتفادي التأثير السلبي على جنينها.

وتراعى المرأة في مجتمع البحث نفسها كثيرا حيث تتجنب الحامل أثناء أشهر الحمل الأولى القيام ببعض الأعمال المنزلية، كالقيام بالأعمال التي تتطلب منها مجهودا كبيرا كحمل الأشياء الثقيلة أو تنظيف المنزل بصورة مبالغ فيها، وقد يأتي أي شخص من العائلة ليساعدها كأمها أو اختها أو حماتها أو اخت زوجها، وفي بعض الأحيان قد يقوم زوجها بمساعدتها في بعض الأعمال البسيطة كترتيب مائدة الطعام أو الاعتناء بالأطفال الآخرين[2]، وهذا بالتأكيد من أكبر التغيرات التي حصلت في المجتمع الجزائري بصفة عامة، فقد سبق أن أشرنا إلى أن السلطة الذكورية في المجتمع تمنح الأفضلية

---

[1] وهيبة مهيدة: **رعاية الطفل الرضيع قراءة في العادات والتقاليد المنتشرة في سيدي بلعباس مع مقارنة بالأساليب الطبية الحديثة**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010–2011، ص 146.

[2] ميرفت العشماوي عثمان العشماوي: مرجع سابق، ص 70.

للرجل على حساب المرأة، فالمرأة في السابق كانت تعتبر كائنا مخلوقا لخدمة الرجل وطاعته وتلبية جميع احتياجاته فلم يكن الرجل يقدم أية مساعدة لزوجته مهما كان وضعها، وإن حصل هذا سيتم انتقاده من طرف الجماعة التي ينتمي إليها وخاصة من طرف أمه، فيتم اتهامه وشتمه بالعديد من الألفاظ كقول: ***"مشي راجل، طحان ديوث، خروف"*** وكلها للدلالة على أن زوجته تتحكم فيه، ما جعل من مساعدة الزوج لزوجته عيبا وعارا في العرف السائد في تلك الجماعة، ولكن في الوقت الراهن وبفعل الانفتاح انعكست الأمور وأصبحت نظرة المجتمع إلى الزوج الذي لا يساعد زوجته في المنزل وفي تربية الأولاد زوجا غير كفئ وأناني.

1-2- الطقوس العلاجية للتأخر في الحمل والعقم:

بمجرد زواج المرأة تصبح محط الأنظار خاصة من قبل أم زوجها التي لا تنفك تسألها حول وجود أية أعراض للحمل، وذلك من الشهر الأول للزواج فتبدأ بمراقبة سيرورة الحيض لدى زوجة ابنها وملاحظة تصرفاتها أيضا، لاعتبار أن المرأة الحامل تظهر عليها بعض العلامات التي تدل على حملها فتقول **(ي.ل)**: ***" كنت قاعدة حذا جداتي هك شوية قالت لماما واقيلة بنتك راهي بالكرش، كي سقساتها كيفاش عرفت قاتلها باين من عينيها شوفي شفارها كيفاش دايرين على بعضاهم، وصح بعد مدة طلعت بالكرش "***[1]، ولأجل ذلك يقال على النساء المسنات أن لهن من الخبرة ما يكفي لجعلها تتعرف على المرأة الحامل من بعض العلامات البارزة عليها، وان حدث أن تأخر حملها تتعرض إلى مضايقات شديدة ويتم اتهامها بالعقم فيقال أنها ***" عاڨر"***، وهو المصطلح الذي يستعمل للدلالة على المرأة التي لا تستطيع الحمل.

[1] مقابلة مع: "ي ل" بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

ويعتبر العقم في المجتمعات التقليدية كما لو كان الشر الأعظم فالعقم يقف عائقا في وجه استمرار السلالة، وبما أن المرأة تعتبر الوعاء البيولوجي للحمل والتكاثر فإن كانت عاقرا فإنها في نظر المجتمع شخص عاجز وغير قادر على تأدية وظائفه الاجتماعية، بما أنها لن تلبي تلك الوظيفة التي من أجلها طلبت للزواج، وفي هذا يذهب مالك شبال إلى حد اعتبار العقم موتا اجتماعيا وهاجسا نفسيا متجذرا في المرأة الجزائرية وبإعطائها ذكورا للجماعة تكتسب احتراما اجتماعيا ليس فقط باعتبارها زوجة فلان ولكن باعتبارها أم فلان[1]، وغالبا ما تكون نهاية المرأة العاقر هي الطلاق وعودتها إلى منزل والدها أو زواج الرجل عليها من زوجة ثانية ليتمكن من الحصول على الأطفال، وفي غالب الأحيان ما يكون مصير الزوجة التي تنجب البنات مثل مصير المرأة العاقر لأنها لا تختلف عنها كثيرا في نظر المجتمع، لذلك كان يتوجب على المرأة أن اعتقاد الجماعة أن تنجب الذكر لتثبت مكانتها فيه.

ومن هذا المنطلق تظهر ممارسات أخرى متعلقة بالحمل تتمثل في الذهاب إلى بعض المعالجين الشعبيين لإجراء فحوص من أجل التعرف على أسباب تأخر الحمل ومعالجتها، ويضم هذا العلاج مختلف الأنماط كالتداوي بالأعشاب الطبية أو الحجامة أو حتى اللجوء إلى الممارسات السحرية، ومن خلال اجرئنا للمقابلات مع مختلف المبحوثات توصلنا إلى عدة طرق لعلاج خاصة التداوي بالأعشاب، وهذه الأخيرة تختلف طرق استخدامها في العلاج ما بين أكلها عن طريق الفم أو إدخالها في المهبل وغيرها، ومن أمثلة ذلك نذكر خليط" ***زيت الزيتون وقشرة البصل الأولى و ملح الحية والحلبة والخزامة والشيح*** " وطريقة الخلط هي تسخين الزيت قليلا ووضع تلك المكونات داخلها والانتظار ريثما تطلق هذه المكونات عصارتها، ومن ثم تقوم المرأة بلفها في قماش ووضعها في لباسها الداخلي وترتديها لليلة كاملة ومن ثم تقوم بالاستحمام بعدها، ويستحسن القيام بهذه الخلطة بعد انقطاع الحيض وقبل أيام التبويض،

[1] وهيبة مهيدة: مرجع سابق، ص 124.

وهذا الخليط يوصف للمرأة التي تعاني من وجود الهواء في رحمها أو كما يعرف بـ: " ***برد الرحم*** " وله مفعول مطهر إذ يقوم بتنظيف الرحم وتدفئته.

ومن الممارسات العلاجية كذلك غلي مجموعة من الأعشاب في الماء وشربه كعشبة " ***التيزانة، النعناع، سنا مكي، الزعتر، الخنجلان، زريعة البسباس، الحلبة*** " وغيرها من الأعشاب التي يمكن استعمالها والجدير بالذكر أن هذه الأعشاب يمكن أن تشرب كل واحدة على حدا أو خلط بعض المكونات مع بعضها البعض.

وفي ذات السياق وجدت طقوس علاجية أخرى بعيدا عن العلاج الشعبي بالأعشاب وله علاقة بجانب الروحانيات كالاعتقاد في الله والاولياء الصاحين، فتقوم بعض النساء بإخراج صدقة على نية الحمل وهي تعرف باسم " ***المعروف*** " في مجتمع البحث وهي طبخ أكلة غالبا ما تكون " ***الكسكسي*** " أو ما يقال عنها : " ***البربوشة*** " وتوزيعها على الجيران والأقارب وكذلك الفقراء والمساكين، وقد تتوجه النساء إلى الأولياء الصالحين أو أضرحتهم للتبرك والتقرب بواسطتهم إلى الله ليستجيب لدعائهم بالحمل، وفي أغلب الأحيان تقطع النسوة وعودا أمام قبور هؤلاء الأولياء بإقامة " ***وعدة*** " وهي كلمة مشتقة من وعد، وهي كالمعروف أكلة تقدمها المرأة في سبيل الاستجابة لدعائها سواء قبل أو بعد الحمل ولكن الفرق بين الوعدة والمعروف هي أن الوعدة تقام في ضريح الولي الصالح، أو حتى في منزلها ولكن بنية وفئها بالوعد الذي قطعته للولي.

ومن هنا نستنتج الارتباط القوي بين الحمل والعادات والمعتقدات الشعبية ولذلك تظهر النساء جانبا آخر وهو الاعتقاد بالماورائيات، وذلك له علاقة بلإيمان الشديد الذي تظهره المبحوثات حول موضوع العين والحسد والمس وكذلك السحر، وقد تجلى ذلك بوضوح في تكرارهن لقول: " ***العين حق*** " وأن بإمكانها أن تصيب أي شخص بدون استثناء وكذلك لاستشهادهن على وجود السحر لأنه ذكر في القرآن، فيعمدن لممارسة بعض الطقوس للحماية منها كاللجوء إلى الطب السحري كما في اعتقادهن.

يهدف السحر الطبي الوقائي إلى غاية أساسية هي الوقاية من الشرور قبل حصولها وأثناء حصولها عن طريق التعاويذ أو الرقي أو التمائم، وعن طريق التشخيص السحري الذي يرجع المرض إلى أسباب شيطانية كحدوث المس أو الإصابة بالعين، ولذلك فإن كل شخص يذهب إليهم يكون على استعداد نفسي بأن ذلك المعالج أو الساحر سيشفيه عن طريق تشخيص الإصابة واعطائه طرق العلاج منها.[1]

ونجد بعض النسوة في مجتمع البحث تعتقد أن عدم حملها أو تأخره بسبب اصابتها بالعين أو تعرضها للسحر، وقد يلجأن في بعض الأحيان إلى الذهاب إلى الرقاة بقصد القيام بالرقية الشرعية لإبعاد العين، وتجدر الإشارة أنه من خلال الدراسة الميدانية اتضح لنا أن هنالك جهل لمفهوم الرقية الشرعية الحقيقي لدى النساء في المجتمع التقليدي، فقد شاع في السابق الذهاب إلى أشخاص معروفين بأنهم يقومون بالرقية الشرعية وهم في واقع الأمر يمارسون بعض طقوس السحر والشعوذة تحت مسمى الرقية، ويطلق على هؤلاء في مجتمع الدراسة اسم "***الطَّالْب***" أو "***العزَّام***" وهما شخصان مختلفان في الحقيقة فالأول يطلق على طالب العلوم الشرعية والإسلامية وأما الثاني فهو الساحر والمشعوذ، إلا أن هذين المصطلحين قد أصبحا متداخلين وقد يطلقان على شخص واحد ألا وهو الساحر، وذلك بسبب بعض الرقاة المزيفين الذين يمارسون السحر تحت مسمى الرقية الشرعية، غير أن هذا لا ينفي معرفة بعض النساء بحقيقتهم فهم يذهبون عن قصد إليهم.

وحتى أنه توجد هناك البعض من الممارسات الغريبة عن الدين الإسلامي وتمارس في أماكن مفتوحة باسم الدين كالزوايا أو أضرحة الأولياء الصالحين، ومن الأمثلة عن ذلك النسوة اللواتي يطؤهن

[1] خزعل الماجدي: **بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص 218.

رجال غرباء غير أزواجهن بهدف فك عقدة العقم التي تطاردهم كاللعنة[1]، إلا أن هذه الممارسة تتم في بطريقة سرية لمعرفة الأشخاص أن مثل هذه الممارسات هي تجاوزات للدين والمبادئ الاجتماعية التي تعارفت عليها الجماعة، فلا يصرح ممارسوها بفعلها أبدا تحت أي ضرف كان لأنها ستصبح فضيحة ووصمة عار لهم.

التأويل الأنثروبولوجي:

من خلال الدراسة الميدانية يمكن القول أن هذه العادات والطقوس المتعلقة بعلاج التأخر في الحمل والعقم هو من أكثر المواضيع التي لم تتأثر كثيرا بموجات التغير الثقافي الحاصلة، لاعتباره موضوعا جد حساس في المجتمع، فالمرأة التي تأخر حملها تكثف جهودها هي وزوجها أو حتى عائلتها وأقاربها للبحث عن علاجات تمكنها من الحمل، فلا يهمها في هذه الحالة إن كان علاجا شعبيا بواسطة الأعشاب أو عن طريق الطب الحديث أو غيرهما، سواء كان متواجدا في المدينة التي تعيش فيها أو في مكان آخر، وهذا ما صرحت به بعض المبحوثات اللواتي عانين من تأخير في الحمل فتقول احداهما: ***" ما خليت لا طبيب ولا عشاب مرحتلوش سوا في بسكرة ولا برا بسكرة وين يقولولي نروح نروح وواش يقولولي ندير ندير "***[2]، وبناء على هذا الأساس نستنتج الأهمية البالغة التي توليها المرأة للحمل وامكانياتها لفعل كل شيء في سبيله.

ويكمن القول إن الممارسات المتعلقة بالروحانيات كزيارة الأضرحة أو الذهاب إلى الطلبة والعزامة، قد قلت مقارنة بما كانت عليه في الماضي، ولكن هذا لا يعني اختفائها أو زوالها بل أصبحت تمارس في سرية تامة أكثر مما كانت عليه في السابق، والسبب في ذلك هو انتشار الوعي الديني في مجتمع البحث والذي أصبح يرفض هذه الممارسات لأنها ممارسات وطقوس شيطانية.

---

[1] وهيبة مهيدة: مرجع سابق، ص 131.

[2] مقابلة مع: "ب م" بتاريخ 04-06-2021، 14:20-15:00، في منزل والد المبحوثة.

1-3- تحضيرات الولادة:

من المتعارف عليه أنه منذ بداية الحمل تترقب المرأة قدوم مولودها فتقوم ببعض الترتيبات والتحضيرات الخاصة به هي وعائلتها، وتنوعت وتعددت هذه التحضيرات فمنها تحضيرات خاصة بالأم ومنها الخاصة بالمولودة، وهذا ما سنتعرف عليه في العناصر التالية:

1-3-1- تحضيرات الأم:

اقتصرت تجهيزات الولادة للأم في مجتمع البحث في الماضي على اقتناء بعض الملابس وهي "***القنادر***" وهي جمع الفساتين باللغة العامية، إذ تقوم المرأة بخياطة فستان أو فستانين أو ثلاثة على الأكثر كل حسب القدرة المادية لها ولزوجها، وذلك لتتناسب مع حالتها وتكون هذه الفساتين ذات رقبة واسعة لتتمكن من ارضاع مولودتها، في حين أن هناك بعض النساء الاتي لا تقوم بهذه التحضيرات وتكتفي بملابسها القديمة أو بعض الفساتين التي تمنح لها من عند نساء أخريات.

لم تكن المرأة الحامل فيما مضى تهتم بجانب التحضيرات الخاصة بها وذلك للأوضاع المعيشية الصعبة التي كانت سائدة في تلك الفترة، وقد اتضح لنا ذلك عند سؤالنا للمبحوثات الكبيرات في السن عن التحضيرات التي كن يقمن بها فكانت لهن إجابة مشتركة هي "***مكنا نديروا والو***"، وبالتالي يتجلى لنا هنا عدم الاهتمام بهذه بهذا الأمر كثيرا، وكذلك للمكانة المتدنية التي كانت تحظى بها سابقا فلم تكن تستطيع التعبير عن كل رغباتها كما يحلوا لها إلا في أوقات نادرة، وفي ظل الظروف كان يستوجب على المرأة العيش بما تفرضه الجماعة التي تنتمي إليها من قوانين وقواعد.

وكانت هناك بعض العادات التي تتبعها المرأة عند دخولها الشهر التاسع كالذهاب إلى الحمام والاستحمام بالمياه المعدنية الساخنة، أو الاستحمام في المنزل فحسب شرط أن تكون المياه دائما ساخنة وذلك لمساعدة جسم المرأة على الاسترخاء وجعله مرن قصد تسهيل الولادة، ومن العادات أيضا هو

تبخير البصل المغلي في الماء، وتضع المرأة الاناء في الأرض وتقف بحيث يكون بين أرجلها، ليصعد البخار إلى رحمها، ويوجد كذلك عادة شرب القرفة التي تستعمل لتحفيز آلام الولادة أو تسريعها وتنصح المرأة الحامل كذلك على النوم على شقها الأيمن لتسهيل الولادة.

ويسود اعتقاد شائع جدا في مجتمع البحث أن المعاشرة الزوجية في الأيام الأخيرة للحمل تساعد المرأة في الولادة فتقول أحد المبحوثات: ***" لمرا لازم ترقد مع راجلها في ليامات اللخرة تاعها تاع الحمل خطراه يعاونها باه تتفتح الولادة تاعها "***[1].

لقد كانت أولوية المرأة في الفترة التي تسبق الولادة هي التحضير لهذه المناسبة بدلا من الاهتمام بنفسها، فكانت تقوم رفقة حماتها أو أمها أو بعض القريبات بالتعاون وتجهيز المنزل كتنظيفه وترتيبه، وكذلك تحضير بعض الأكلات التي اعتاد المجتمع المحلي تقديمها للمرأة النافس وللضيافة منها:

- **الزرير**: ويطلق عليها كذلك ***" الطمينة "*** تتكون من ***" حبات القمح وحبات الحمص وحبات العدس أحيانا "*** وهنالك من تضيف المكسرات كذلك حسب رغبتها، وتقول المبحوثة **(س،ب)**: ***" الزرير تاع الصح مايكونش فيه مكسرات هذاك ميحكمش بزاف وقادر يغمل بصح لي حب يزيدو يزيدو "***[2]، وطريقة تحضيره هي تنظيف حبات القمح من الشوائب ثم يغسل في الماء ويقطر جيدا وبعدها يحمص ويوضع جانبا وتقام نفس العملية مع الحمص والعدس، وقد يضاف إليها لاحقا مكون ***" اللبلابي "***، ومن ثم ترحى جميع المكونات للحصول على مزيج على شكل بودرة ويترك هكذا إلى اليوم الذي تنجب فيه المرأة ويقدم لها في أوقات متفرقة.
- **زرير لمرور**: تحضر هذه الأكلة بنفس الطريقة التي يحضر فيها الزرير ولكن يضاف إليها مجموعة من الأعشاب، والتي يطلق عليها ***" حشاوش*** أو ***حشاحش لمرور"*** وهي ***" كليل، زعتر،***

---

[1] مقابلة مع: "ش م" بتاريخ 14-02-2020، 20:30-21:00، في حفل زفاف ابنت عمها.

[2] مقابلة مع: "س ب" بتاريخ 05-04-2023، 22:00-22:30، في منزل المبحوثة.

نعناع يابس، ورقات رند، عشبة مقل السيف، عشبة قفت، قنطس، حبات كبابة " وترحى مع المكونات السابقة.

- **الرفيس ورفيس لمرور**: تتكون هذه الأكلة من " ***الغرس، دقيق خشن، حبات زقوقو، دهان ذايب، حشاوش لمرور المرحيين، المكسرات حسب الرغبة*** "، وطريقة التحضير هي تحميص الدقيق والزقوقو كل على حدا ويوضع الدقيق فوق الغرس وهو ساخن وتبدأ المرأة بعجن المكونين معا مع إضافة الدهان بالتدرج، وتواصل العجن إلى أن يندمج المكونان وقد تضاف رشة ماء خلال عملية العجن ومن ثم تضاف بقية المكونات حشاوش لمرور والزقوقو والمكسرات وتعجن جيد وتشكل على أشكال حسب الرغبة.
- **عيش لمرور**: وتعد هذه الأكلة هي الأكلة الرئيسة التي تقدم للمرأة النافس في مجتمع البحث، وعيش لمرور هو العيش المفتول مع حشاوش لمرور وتكون حباته سوداء اللون ويفتل قبل موعد الولادة لقدم هو الآخر للمرأة النافس كما هو موضح في الصورة التالية:

الصورة رقم (05): عيش لمرور

(المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=ecvqs_au76Q 21-03-2023, 20:45)

- **مشروب الأعشاب**: وهي الأعشاب التي تغلى وتقدم للمرأة النافس عقب الولادة، فتقوم المرأة بتجميعها ووضعها مع التحضيرات الأخرى كعيش لمرور والزرير والرفيس، والاعشاب هي "

التيزانة، النعناع، سنا مكي، الزعتر، الخنجلان، البابونج، كف مريم، زريعة البسباس، الحلبة، الدرع " وغيرها من الأعشاب.

1-3-2- تحضيرات المولودة:

لم يكن يحظى التحضير للمولود القادم باهتمام كبير فقد اكتفت المرأة بجمع بعض الأقمشة القديمة له، ويقال عنها في مجتمع البحث " ***الشلالق*** " وهي نتاج بعض الملابس القديمة كقيام الأم بتمزيق بعض الملابس الرثة وتكوين هذه الشلالق، وهذه الأخيرة تكون على شكل مستطيلات أو مربعات لتستعملها في التقميط، وأخرى مثلثة الشكل لتستعملها كحفاظات للمولدة.

وإلى جانب هذه الأقمشة التي تجهزها الأم لاستقبال مولودتها تقوم بتحضير مفروشات لها كذلك ويطلق عليها " ***بْسَاطَاتْ*** " ، وهي جمع بساط وهي كلمة مأخوذة من اللغة العربية الفصحى، وتصنع هذه البساطات من مجموعة كبيرة من الشلالق فتضعها الأم فوق بعضها البعض وتخيطها لتصبح فراشا قابلا للاستعمال، أو قد تستعمل بدل هذه الشلالق " ***الزاورة*** " وهي الغطاء الذي يتلحف به في الشتاء، وإن كانت العائلة ميسورة الحال يستخدمون لصناعة هذه البساطات الاسفنج ويقال " ***بونج*** " وهي كلمة فرنسة الأصل " ***éponge*** ".

الصورة رقم (06): بساط مصنوع من الشلالق وزاورة قديمة

(المصدر: .https://www.google.com/imgres?imgurl=https2%, 21-03-2023, 00:23)

التأويل الأنثروبولوجي:

لقد عرفت التحضيرات للولادة واستقبال المولودة في وقتنا الحالي إضافات جديدة إلى جانب التحضيرات السابقة، فالكشف المبكر لجنس المولود ساهم كثيرا في ذلك، فأصبحت المرأة تبدأ في التجهيز للمولود ابتداء من اللحظة التي تعرف فيها جنسه كاشتراء الملابس والمفروشات وغيرها، وكذلك تقوم بتجهيزات خاصة بها، وقد اتفقت عينة الدراسة على ضرورة وجود بعض الأشياء هي:

- ملابس حديثي الولادة وملابس أخرى تتناسب مع الرضع من ثلاثة أشهر فما فوق لاعتبار أن المولودة تكبر بسرعة في عامها الأول.
- شراء أو صنع بعض المفروشات والأغطية والوسائد لابنتها والخاصة بالأطفال الصغار.
- ومواد العناية بها مثل شامبو غسول للجسم ومرطب وعطر وحفاظات ومشط ومقلم الأظافر ومبرد، وكل هذه الأشياء التي تكون مناسبة للمواليد الجدد.
- بعض الأشياء الخاصة بالرضاعة كزجاجة الرضاعة **le biberon** وأخرى للماء والمصاصة **la sucette.**
- كما انها تحضر لنفسها بعض ملابس الحمل والرضاعة وتكون ملابس قطنية مريحة وتساعدها في مرحلة الرضاعة.

والشيء الملاحظ في التجهيزات الخاصة بالمولودة هي اختيار الأغراض ذات اللون الوردي في أغلب الأحيان، لأن اللون الوردي هو اللون الذي يمثل البنات إلا أن هذا الأمر ليس قاعدة تتبعها جميع النساء الحوامل فمنهن من تشتري أشياء ذات ألوان حيادية لتتناسب مع الجنسين ولتستطيع استعمالها مرة أخرى، والصور التالية تمثل بعض تجهيزات فترة الحمل الخاصة باستقبال المولودة.

الصورة رقم (07): بعض ملابس المجهزة للمولودة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (08): بعض مستلزمات الحمام وتنظيف المولودة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (09): مستلزمات الرضاعة الصناعية (المصدر: تصوير الطالبة)

2- عادات الولادة:

تأتي طقوس الولادة حسب أرنولد فان جينيب بهدف إعادة دمج المرأة في المجموعات التي كانت تنتمي إليها سابقا أو ترسيخ مكانتها الجديدة كأم خاصة إذا كانت قد أنجبت طفلها الأول[1]، وتعد هذه اللحظة هي أهم مرحلة في مجتمع البحث لأنه يتم فيها التعرف على جنس المولود، فإن كان المولود ذكرا تعلوا الزغاريد من المنزل ويزف الخبر إلى والده بسرعة، وفي بعض العائلات يقوم زوج المرأة بعد

[1] Arnold van gennep: previous reference, p41.

سماع خبر ولادتها للذكر بإطلاق البارود أمام منزله، كعادة متوارثة في المجتمع للدلالة على انجابها الذكر، وهنا يتم إعادة ادماج المرأة في الجماعة ولكن ليس كأم فقط بل كأم لذكر لأنها تحتل مكانة أكبر من الأم التي تنجب الفتيات، وفي المقابل يتم استقبال الأنثى بعبوس شديد لأن الأنثى كانت تعد حملا ثقيلا على الأسرة، وبالرغم من الاستقبال الشاحب الذي كانت تحظى به الأنثى في السابق فهذا لا يعني عدم سعادة والديها بها، ولكن الاعتقادات السائدة في المجتمع وما تعارفوا عليه هي السبب في جعل أغلب الأزواج يحبطون لولادتها، ولشعور المرأة الدائم في ضرورة انجاب الذكر من أجل الحفاظ على استمرار زواجها خاصة إن كانت قد أنجبت سوى الفتيات.

وقد كانت تتم الولادة في المنزل بإشراف امرأة تدعى "***القابلة***" في غرفة أعدت خصيصا لهذا الحدث من طرف نساء البيت، والقابلة هي امرأة مسنة في الغالب لم تتلقى أي تكوين في مجال التوليد إلا أنها اكتسبت المهنة عن طريق الممارسة[1]، ولهذه الشخصية خبرة كبيرة في أداء طقوس الولادة المتمثلة في فصل المولود عن أمه وإعادة ادماجهما في المجتمع، وهذه الأخيرة تنقسم إلى قسمين بعضها خاص بالمرأة وبعضها خاص بالمولودة وهي كالتالي:

2-1- المولودة:

2-1-1- السرة والمشيمة:

وهي أول طقس تقوم به القابلة بعد الولادة وهو فصل المولودة عن أمها وذلك عن طريق قطع الحبل السري، فكانت القابلة تقوم بربط الحبل السري من جهة الأم والمولودة معا إذ تترك مسافة معتبرة بين السرة ومكان المخصص لقطعها وتقدر غالبا بثلاثة أصابع، وفي نفس الوقت تهتم بقية النسوة بتغيير ملابس المرأة وتنظيف الغرفة من الدماء التي نزلت في لحظة الولادة، وأما القابلة فتأخذ قطعا قماشية

---

[1] بدرة ميموني، أسماء معروف: **الطفل وطقوس العبور مقاربة أنثروبولوجية لطقوس الميلاد في مدينة وهران**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 17، جوان 2017، ص 103-109.

تنظف بها المولودة جيدا من الدماء ثم تدهنا بزيت الزيتون، وترش عليها الملح وتفركه بحذر على جميع أنحاء جسدها، ومن ثم تأخذ قطعا قماشية أخرى لتلفها فيها وهي عملية القماط التي سنتعرف عليها لاحقا وتضعها بجانب أمها لتقوم بإرضاعها.

وأما بالنسبة للمشيمة التي خرجت مع خروج المولودة من رحم الأم فتقوم القابلة بأخذها بعد الانتهاء من عملية الولادة والاعتناء بالأم والمولودة، برش الملح عليها جيدا لتجهيزها للدفن كما تعارف عليه المجتمع آنذاك، وتكون بذلك قد أتمت جميع خطوات الفصل وإعادة ادماج الأم والمولودة إلى المجتمع بمكانتيهما الجديدة.

وتعد رمزية استعمال الملح في دهن جسد المولود ورش المشيمة بها عائدة إلى فوائده واستعمالاته الكثيرة، إذ يرى المجتمع الجزائري أن الملح من أفضل المواد المستعملة لتطهير المولود وطرد الأرواح الشريرة عنه ولدرء عين الحاسد واتقاء السحر كذلك، والناظر في بعض كتب التراث يقف على منافع الملح إذ أنه استعمل لإصلاح أجسام الناس وتقويتها ولتكميد مواضع الوجع وللقضاء على بعض الأورام ولدفع الأوساخ العالقة بالجسد ولحفظ اللحوم والأطعمة، ولذلك تقوم النسوة برش الملح على بدن المولود اعتقادا منهن أن الملح يساعده لتتصلب بشرته، حتى يقل انفعالها عما يرد عليها من الحر والبرد وملامسة الأشياء الخشنة، وتختلف طريقة التمليح باختلاف جنس المولود فإن كان المولود ذكرا فيكون التمليح قويا لأن المقصود من الذكر هو قوة الصبر والجلد وتحمل الشدائد، وإن كانت المولودة أنثى فيكون التمليح قليلا لأنه يستحبّ منها أن تكون بشرتها ناعمة وجميلة.[1]

وينطبق الأمر كذلك على السرة فبعد عدة أيام تجف وتسقط من بطن المولودة وذلك بعد القيام بعدة ممارسات خاصة لجعلها تجف كدهن السرة بالكحل أو الزيت أو وضع الشيح وغيرها، وبعد أن

---

[1] آمال قرامي: **الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص 62.

تسقط السرة يضعون صرة الشيح مع دهنها بزيت الزيتون كنوع من الطقوس العلاجية للغازات ولجعل السرة تلتئم بسرعة، وأما عن الجزء الذي سقط فيتم دفنه هو الآخر حاله حال المشيمة ولكن الاختلاف بينهما يكمن في مكان الدفن، فكانت الأمهات تحرص على إعطائها لزوجها أو أحد رجال المنزل ليدفنها في المسجد، وتعتبر الدلالة الرمزية لدفن السرة في الفضاء المقدس تبركا به لينشئ المولود سواء ذكرا أو أنثى تنشئة إسلامية صحيحة وليكونا من حفظة القرآن، غير أن الغالب في مجتمع البحث هو دفن سرة الفتاة في المنزل وذلك من أجل أن تنشأ محبة للبيت وأعماله لتكون ربة بيت جيدة في المستقبل.

وأما عن عادة دفن المشيمة فهي عادة لها مرجعية دينية في المقام الأول فالدين الإسلامي يشيد بدفن أي جزء انفصل عن جسم الانسان كالشعر والأظافر والمشيمة أيضا، وجاءت هذه العادة لتكريم الانسان فالدفن هنا يعني التخلص من هذه البقايا دون تدنيسها، وكذلك لحماية لمولودة من استعمال مشيمتها في السحر الذي قد تصيبها ويؤثر سلبا في حياتها.

2-1-2- القماط:

إن عملية التقميط من العمليات الأساسية التي تقوم بها الأم للمولودة والتي تصاحبها لعدة أشهر منذ يوم الولادة، وهذه الأخيرة هي عبارة عن لف المولودة في قماش كانت الأم قد جهزته مسبقا من أجل تأدية هذه المهمة، فتوضع المولودة في منتصف هذا القماش ويلف عليها بشدة من الجهتين ويربط بقماش آخر طويل يشبه الحبل لكيلا تستطيع فك هذا القماط، وذلك للحد من حركة الطفلة ولمساعدتها على النوم بشكل جيد، وفي الغالب تكون هذه العملية بعد دهن المولودة جيدا بالزيت.

لقد أشادت النسوة في مجتمع البحث بمنافع قماط المولودة فهو وسيلة لحفظ البدن بشد أعضاء الطفلة وضم بعضها إلى بعض وتصويبها حتى تعتدل قامتها، إذ يعتقدن أن المولود عندما يخرج من بطن أمه يكون رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء، فربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها بسبب

أي حادث قد يقع، ومن خلال هذا نلحظ القيمة التي تسندها معتقدات المجتمع إلى الجسد وسبل حمايته من جميع الأخطار.[1]

2-1-3- الآذان:

إن طقس التأذين في أذن المولودة طقس منبثق من الثقافة الإسلامية، فقد رويت في بعض الأحاديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أذن في أذن ابنته فاطمة حين ولدت، ولذلك قد مارست المجتمعات هذه العادة في أغلب مناسبات الولادة، وبالرغم من أن البعض يتجه إلى ضعف هذه الأحاديث إلا أنها منتشرة وبكثرة في المجتمع فهم يرون أنه لا حرج من ممارستها بل وعلى العكس فهي طقس يدل على الايمان والتقرب من الله عبرها.

جرت العادة في مجتمع البحث أن كبير العائلة هو من يقوم بالتأذين في أذن المولودة وغالبا ما يكون الجد وإن لم يوجد ناب عنه والدها، وتعد رمزية الآذان في مباركة المولودة الجديدة في بداية حياتها بطقس ديني لجعلها من الذرية الصالحة، لتكون فتاة بارة لوالديها وعونا لهم في لحياة، وكذلك لحمايتها من الشرور كالعين والحسد وغيرها.

كما أن للآذان رمزية أخرى متعلقة بآخر طقس من طقوس العبور وهو عند الوفاة، فقد لاحظنا من خلال الدراسة الميدانية واجراء العديد من المقابلات، تكرار الحديث عن علاقة الولادة بالوفاة وطقس الآذان، فأغلب المبحوثات يحببن الإشارة إليها وذلك للتدبر في خلق الله ووعظ بعضهم البعض بضرورة التوبة العاجلة فيقلن: " ***شفتي كي يزيد الواحد يأذنولو في وذنو وميصليوش عليه وكي يموت يصليو عليه بلا ما يأذنولو*** "، وذلك للدلالة على قصر حياة الانسان وحصرها في المدة ما بين الآذان وإقامة الصلاة.

---

[1] آمال قرامي: مرجع سابق، ص 63.

2-1-4- التسمية:

تكون عادة التسمية في مجتمع البحث في أغلب الأحيان بعد الأذان في أذن المولودة، فيقوم الشخص الذي أذن بنطق اسمها فيقول: ***"اسمها فلانة "***، ولكن هذا ليس بالضرورة فقد يقوم أي شخص آخر بقول اسمها كالأم والأب أو الجدة أو غيرهم، والجدير بالذكر أنه قد تختلف عادة التسمية من عائلة إلى أخرى ومن جماعة إلى أخرى، فهناك من يقوم بتسميتها فور ولادتها وهناك من يقوم بتأجيلها إلى غاية اليوم السابع وهو يوم العقيقة.

وتعد التسمية وسيلة من وسائل الدمج الاجتماعي للمولود وشاهدا على انتمائه إلى المجتمع، وعاملا من عوامل تجذيره في ثقافة لها مميزاتها الخاصة وبذلك يكتسب هوية اجتماعية ودينية وتنطلق حياته الفعلية، ويعكس إطلاق الاسم على المولود منظومة القيم السائدة ويكشف النقاب عن العلاقات بين الرجال والنساء من جهة وبين الأجيال من جهة ثانية.[1]

لقد شاع في مجتمع البحث سابقا فيما يخص عادة تسمية المواليد الجدد التيمن بأسماء الأجداد والآباء وذلك للاعتزاز بهم، فعند سؤالنا المبحوثات خاصة الكبيرات في السن عن طريقة التسمية تشابهت إجاباتهن وهي ***"حنا كنا نسمو برك ساعات على اسم جدات الراجل ولا جدات لمرا ولا عمتو لي جات"***، والمقصود هنا أن عملية تسمية المولودة لم يكن يخطط لها كثيرا وذلك لكون الأسماء محصورة في إطار أفراد العائلة، وقد تم تداول بعض الأسماء آنذاك ك: ***" مسعودة، حدة، يمينة، فطيمة، ظريفة، أم هاني، أم الخير "*** وغيرها من التسميات، وكثيرا ما كانت حماة المرأة تتدخل في إيجاد اسم للمولودة وفي بعض الأحيان كانت تفرضه بصفة قصرية عليهم.

[1] آمال قرامي: مرجع سابق، ص 78.

ولم تكن طريقة التسمية مرتبطة بالأجداد فقط بل تعلقت أيضا ببعض جوانب الحياة الأخرى نذكر على سبيل المثال اسم " ***بَرْكَاهُمْ*** " وهو مشتق من كلمة " ***بَرْكَا*** " في اللغة العامية لمجتمع البحث وهي بمعنى توقف، وقد كانت الأهالي تتخذ هذا الاسم للدلة على رغبتهم في التوقف على الانجاب لكثرة مواليدهم، أو للدلالة على رغبتهم في التوقف عن إنجاب الإناث بصفة خاصة.

2-1-5- تسجيل المولودة:

اعتاد مجتمع الدراسة على تأخير تسجيل المواليد في الدفتر العائلي لعدم اهتمامهم بقانون الحالة المدنية واعتبار أنه ليس ضروريا، وذلك لاكتفائهم بإجراء العقود الشرعية فقط دون تسجيل زواجهم في المكاتب البلدية بالدرجة الأولى، لذلك يتعمد الأولياء هذا التأخير لتفادي الإجراءات القانونية التي سيخوضها بسبب ذلك، فالأسر الجزائرية في السابق تعتمد بصورة كاملة على العرف الاجتماعي ولم تكن تقر بالقانون الوضعي.

إن تكوين العائلة الجزائرية في الماضي (الأسرة الممتدة) وتقسيم الأدوار القائم على النوع الاجتماعي (ذكر وأنثى) له تأثير كبير على تأخير تسجيل المواليد، والسبب يعود إلى محدودية هذه الأدوار ففي أغلب الأحيان تكون المرأة في المنزل، وتقوم بوظيفتها المتمثلة في ربة البيت التي تنظف وتطبخ وتعتني بالأطفال والعائلة، أما الرجل فيكون خارج المنزل يقوم بمختلف المهام كالفلاحة والتجارة وغيرها من الأعمال التي تفرض عليهما المكوث في محيط محدد، والذي يكون خارج الاطار الذي يستدعي أية تعاملات قانونية بالوثائق كالعمل في المؤسسات الحكومية.

وكان تسجيل المواليد لا يتم إلا في حالة الضرورة القصوى كالذهاب إلى المستشفيات التي تتطلب اثبات نسب هذا المولود، وكذلك الالتحاق بمقاعد الدراسة غير أن ذلك ليس متاحا للجميع ففي تلك الفترة لم يكن التمدرس شائعا لديهم خاصة لدى الإناث، ولأجل ذلك وجدنا أن بعض العائلات تأخر تسجيل أولادهم لسنوات طويلة سواء ذكورا كانوا أم اناث، حتى ينسى تاريخ ميلادهم مثلما حصل مع

المبحوثة (ي،ل) فتقول: ***" كاين عم بابا ربي يرحمو منعرفوش وكتاه زايد واقيلة مركاوه بعد 7 سنين من زاد وحتى جدي ربي يرحمو مركينو في 1902 بصح في الشك إذا مركاوه كي زاد بعد قادر يكون زايد ما بين (1895-1902)، وأنا ثاني منعرفش وكتاه زايدة كي راح بابا يمركيني في البلدية كتبوني زايدة خلال عام 1961 ومكتبو لا نهار لا شهر، وعندي خاوتي ثاني كيف كيف طول بابا باه مركاهم بصح هوما كتبولهم التاريخ لي تمركاو فيه في البلدية هو النهار لي زادو فيه خطراه تمركاو في نفس العام[1] "***، وتخبرنا المبحوثة هنا عن وضعها هي وعائلتها بداية من أجدادها وصولا إلى إخوتها الذين شهدوا تأخيرا في تسجيلهم في المكاتب البلدية.

2-2- الأم:

2-2-1- علاج جرح الولادة:

تعددت الممارسات العلاجية التي اتبعتها النسوة في علاج جروح الولادة وقد كانت أهمها التداوي بالأعشاب الطبية، ويعود السبب في ذلك إلى العقلية الشائعة في المجتمع والتي لا تؤمن بفعالية الطب الحديث والتي ترى أنه لا طائل منه، وهو الأمر الذي أدى إلى عزوف كبير عليه من قبل الأهالي وهذا نتيجة لقلة الوعي الصحي وانتشار الأمية في ربوع الوطن، فضلا على كون المجتمع الجزائري مجتمعا محافظا يرفض خروج النساء من الفضاء المخصص لهن إلا في حالات الضرورة، لذلك كانت الولادة تتم في المنزل تحت اشراف القابلة، وكذلك كان نقص مرافق الصحة والكفاءات الطبية في المجتمع الجزائري خاصة في الأرياف والمدن الصغيرة والصحراوية عاملا أساسيا ساهم في جعل الجماعات تلجأ إلى التداوي بالطب البديل.

[1] مقابلة مع: " ي ل" بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

ومن الممارسات العلاجية الخاصة بالولادة والشائعة في مجتمع البحث هي استعمال ما يعرف بـ: ***" الشب "***، وهذا الأخير عبارة عن حجر بلوري أبيض اللون يستخدم بعد إعادة تصنيعه على شكل مسحوق، وله عدة استعمالات طبية كعلاج الإمساك وتبيض الأسنان وغيرها كما يستعمل كذلك لإزالة العرق ومنع ظهور الرائحة الكريهة، وكذلك يستعمل لعلاج تمزقات الجلد التي تحدث أثناء الولادة فتقوم المرأة بوضع الشب على تلك المنطقة مع دلكه برفق، فضلا على استعماله لتسريع عملية الشفاء وهذا ما أكدته لنا أحد المبحوثات: ***" كي تزيد لمرا يحطولها الشب على الجرح ويحكوه شوية باه الشب يدخل في الجرح ويخليه يبرا في سع ".***[1]

2-2-2- المأكولات الخاصة بالمرأة النافس:

تحظى المرأة النافس في الأيام الأولى من الولادة باهتمام بالغ من طرف أهلها اذ يقدم لها أجود أنواع الطعام وأزكاها والمحضرة خصيصا من أجلها، وقد ذكرنا سابقا بعض الأكلات التي تقدم للمرأة النافس كالعيش والزرير وغيرها وذلك بهدف استعادتها لصحتها ولتتمكن من ارضاع مولودتها، وكانت الأغذية المقدمة إليها مختلفة حسب الوجبات ففي الفطور كانت تأكل البيض المسلوق بزيت الزيتون أو الدهان مع أكل الكسرة ليساعدها على انتاج الحليب، أما وجبة الغداء فكانت تتناول عيش المرور لمدة أسبوع كامل وتتكون مرق عيش لمرور من ***" الطماطم المصبرة، الطماطم، البصل، الثوم، الفلفل الأخضر بأنواعه (فلفل عرب وقرن غزال)، الفلفل الأحمر المجفف (القاوجة)، القديد أو الخليع، الحلبة، ورق الرند، ورق الكبار، الفول اليابس، زيت الزيتون، التوابل (راس الحانوت، زنجبيل، كركم، قنطس، فلفل أسود) "***، والملاحظ أنه من خلال المكونات نجد أن عيش المرور أكلة غنية بالبهارات ومختلف ***" لحرور"*** كما يطلق عليها في مجتمع البحث، وذلك ليس وليد الصدفة البحتة فهذه المكونات أو عيش لمرور

---

[1] مقابلة مع: "س ش" بتاريخ 11-11-2020، 12:35-13:05، في منزل المبحوثة.

يمكن من تصفية رحم المرأة من جميع الشوائب العالقة نتيجة الولادة، وينصح بعد تناوله بعدم شرب الماء على الأقل بنص ساعة، ويستبدل بمشروب الأعشاب " ***التيزانة*** " وتغطى المرأة بعدها لتدفئة جسمها ولجعلها تتعرق كأحد الممارسات العلاجية والوقائية من هواء الرحم، ويقال " ***عيش حامي حار يرقص يفصد على القلب*** " بمعنى أن حرارته تثلج صدر الانسان وتولد له شعور جميل، ويقال كذلك " ***عيش مرور قد حرورو قد مرورو*** " بمعنى أن مقدار فائدة العيش توازي مقدار الطعم الحار فيه.

ويقدم كذلك زرير لمرور للمرأة النافس لتتناوله هو الأخر وتعد الفوائد التي يتميز بها موازية تماما لفوائد عيش لمرور لأنهما يشتركان في بعض المكونات، وتخلط بودرة زرير لمرور مع الدهان والعسل الحر بعد تسخينهما ليشكل خليط متمازج، ويقدم لها لتأكله ساخن ليعطي نتيجة أفضل لها وفي أوقات مختلفة من اليوم قد تكون بعد الفطور أو في المساء أو حتى الليل ويستحسن أن يكون بعد الافطار.

2-2-3- الرضاعة:

تعد الرضاعة ظاهرة بيولوجية طبيعية وهي الطريقة التي يتغذى بها الرضيع من خلال حليب الأم، وبواسطة الرضاعة تتمكن الأم من اعطاء المولود أفضل غذاء لأن الحليب يحتوي على الدهون والمعادن والفيتامينات، بالإضافة إلى أنه غني بالأجسام المضادة التي يحتاجها جسم المولود لمحاربة الالتهابات والحفاظ على صحته، وبالنظر لأهمية الرضاعة الطبيعية وفوائدها الكثيرة فقد اوصت منظمة اليونيسيف الأمهات وحثتهن على ارضاع أطفالهن خلال الأشهر الستة الأولى من الحياة، كما أكدت بضرورة الاستمرار في الرضاعة الطبيعية الى غاية سن 24 شهر ولو مع ادخال تغذية تكميلية[1].

ويعد الإرضاع في المجتمع الجزائري من أهم الأدوار التي يجب على الأم القيام بها من أجل الحفاظ على سلامة المولود وتغذيته، وكانت عملية الرضاعة تستمر إلى غاية العامين وهذا ما يتطابق

---

[1] الحوسين طلباوي: **واقع الرضاعة الطبيعية في الجزائر حسب المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات لسنة 2019 (MICS6)**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 1، مارس 2022، ص 425-442.

مع توصيات منظمة اليونيسيف، غير أن هذه الأخيرة ماهي إلا نتيجة جاءت بعد عدة دراسات وبحوث قد أجرتها في السنوات الأخيرة لتتأكد من فوائد الرضاعة الطبيعية، أما بالنسبة للمجتمع الجزائري والمجتمعات الإسلامية كافة فهم يتبعون ما ورد في نصوص القرآن في الآية التالية " ***وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ*** "[1] وفي آية أخرى " ***وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ*** "[2]، وكان تفسير هاتين الآيتين هو إرضاع المواليد الجدد إلى غاية سنتين كاملتين، عدا الحالات الاستثنائية كجفاف حليب الأم أو المرض أو الحمل مباشرة أو غيرها.

ومن العادات الشائعة كذلك في حالة عدم اكتفاء المولود بحليب الأم أو جفافها يتم اللجوء الى البحث عن مرضعات، وغالبا ما تكون هذه المرضعات من العائلة كالأخت أو زوجة الأخ أو العمة أو الخالة أو في بعض الأحيان جدة المولودة كما فعلت أحد المبحوثات فتقول: " ***عندي ولد ولدي رضعتو كنت مزيدة أنا وعروستي وولدها يبكي بزاف حكمتو رضعتو باش يسكت*** "[3].

توصى المرأة النافس حديثا باتباع حمية غذائية خاصة في فترة الارضاع من أجل در الحليب ولتفادي الجفاف، فتوصف لها مجموعة من الأغذية المساعدة على ذلك كالتمر خاصة وتعد هذه العادة مستقاة من القرآن أيضا من خلال الآية التالية " ***وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا*** "[4]، فتوجد مجموعة من النساء اللواتي يتيمن بهذه الآية ويعملن بها يقينا أن التمر ذو فائدة عظيمة للمرأة المرضعة.

---

[1] القرآن: **سورة البقرة**، الآية 233.

[2] القرآن: **سورة لقمان**، الآية 14.

[3] مقابلة مع: "س ب" بتاريخ 05-04-2023، 22:00-22:30، في منزل المبحوثة.

[4] القرآن: **سورة مريم**، الآية 25.

ومن الأكلات التي ينصح بها أيضا والتي تساعد المرأة على انتاج الحليب هي البيض المغلي قليلا فيكون شكل البيضة ما يزال سائلا لتقوم المرأة بشربه، وإلى جانب التمر والبيض يوصى كذلك بأكل "***الكسرة***" أو شرب بعض مشروبات الحشاحش ك: "***الحلبة وحبات الدرع***" والاكثار من شرب الماء وغيرها من الممارسات، وتنبه النافس على أكل البصل خاصة في المرحلة الأولى من الولادة وذلك لاعتقادهم أن البصل يجعل رائحة حليب الأم كريهة وقد تسبب نفور المولودة لها.

2-2-4- الجبر:

تعد عملية جبر المرأة النافس من الممارسات التقليدية التي كانت شائعة جدا في المجتمع الجزائري، والمقصود هنا بالجبر هو جبر الجسم والعظام مخافة الأمراض التي قد تصيب النافس بعد الولادة، فجسم المرأة يكون في تلك المرحلة متعب جدا نتيجة للتغيرات التي حدثت لها خلال فترة الحمل والولادة معا، فتكون معرضة لإصابتها بالأمراض خاصة هواء الرحم كما سبق أن أشرنا، فجاءت عملية الجبر هذه كنوع أخر من العادات العلاجية التي يتبع المجتمع في فترة الولادة.

تكون عملية الجبر في العادة بعد عشرون أو أربعون يوم من الولادة أو حسب الجماعة التي تنتمي إليها المرأة، فتذهب المرأة إلى الحمام وبعد عودتها تقوم النسوة بلفها في "***الزاورة***" كما تلف المولودة في القماط فتوم امرأتين بالجلوس متقابلتين واحدة منهما بجانب الشق الأيمن للمرأة والأخرى في الشق الأيسر لها، فيقمن بعد ذلك بوضع أقدامهما على النافس وشد أيدي بعضهما البعض وسحبهما مع الضغط عليها بأرجلهما وذلك لتعود جميع العظام إلى أماكنها، فيقال في مجتمع البحث "***لمراكي تزيد تتفتح***" بمعنى أن عظامها تتحرك من مكانها خاصة في منطقة الحوض وبواسطة الجبر تعود إلى مكانها، والصورة التالية توضح طريقة جبر المرأة النافس.

الصورة رقم (10): عملية جبر المرأة النافس

(المصدر: رشيد مقدم، جزائريون: المرأة النفساء بين رابطة الأمومة وتقاليد الأجداد، ربورتاج في قناة النهار، في https://www.youtube.com/watch?v=v5s4-HWHU-E&t=224s 13-03-2023، 22:00.)

2-2-5- الأربعينية:

تعد الأربعينية أخر يوم في فترة النقاهة المعطاة للمرأة النافس فبعدها تعود المرأة إلى حياتها الطبيعية، فتباشر بالقيام بأعمال المنزلية بعدما توقفت عنها طوال تلك المدة، وحدد عدد الأيام بأربعين يوما قياسا على المدة التي تستغرقها المرأة لانقطاع دم النفاس، غير أن بعض العائلات لا تنتظر المرأة لتصل ليومها الأربعين لتباشر أعمالها بل تبدأ قبلها خاصة في حالة وجود أطفال آخرين للمرأة.

خلال هذه الفترة توجد العديد من المحرمات التي لا يجب على المرأة القيام بها، كالنوم في غرفتها هي زوجها فيتوجب عليها أن تنام مع المرأة التي تهتم بها وفي الغالب تكون حماتها، وكذلك تمنع من الذهاب في زيارة إلى منزل والديها حتى تنقضي هذه المدة، كما يمنع اخراج المواليد حديثا خارج المنزل لأي سبب كان مخافة اصابتهم بالأمراض بحجة أن أجسامهم لم تكتسب المناعة بعد.

التأويل الأنثروبولوجي:

طرأت العديد من التغيرات على العادات المتعلقة بالولادة في المجتمع الجزائري في الوقت الحالي نتيجة للتطورات التي لامست جميع النظم، بداية مع مكان الولادة الذي كان يتم في المنزل فأصبح في المستشفيات وقد حدث ذلك عقب الاستقلال كما سبق أن أشرنا من خلال الاستراتيجيات والمشاريع التي نفذتها الدولة في سبيل ترقية القطاع الصحي، وكذلك سن بعض القوانين المرتبطة بها وقد شدد عليها

كثيرا خاصة في السنوات الأخيرة كوجوب تسجيل المرأة للولادة في المستشفى قبل الشهر التاسع، لتبرمج للولادة فيه عن طريق احضار بعض الوثائق وبشكل خاص الدفتر العائلي الذي يثبت الوضعية الاجتماعية للمرأة، وقد جاءت هذه القوانين بهدف اجبار الأهالي على تسجيل مواليدهم في الحالة المدنية كرد فعل لهم على عدم القيام بذلك لمدة طويلة ما أثر سلبا على التركيبة الاجتماعية في المجتمع، ولذلك أصبح تسجيل المواليد يتم في المستشفى بعد لحظة الميلاد مباشرة، ومن ثم يثبت في البلدية في آجال قصيرة، وقد يتعرض كل من يخل بهذه الإجراءات أو يساهم في عرقلتها إلى المساءلة القانونية.

قبل تسجيل المولودة تحرص الأم والأب على إيجاد اسم جميل لابنتهما خاصة الأم فهي تعتبر المسؤولة الأولى على اختيار الأسماء عكس ما كن عليه الوضع في السابق، وتكون طرق الاختيار كثيرة إلا أن الشائع الأن هو تسمية أسماء حديثة، لتفادي احراج أطفالهم بتسميات تقليدية وفي هذا السياق فقد كنت على معرفة بفتاة اسمها " ***مسعودة*** " وكانت لا تحب أن تنادى باسمها لأنه يسبب الاحراج لها، وقد ذكرت في كثير من المواقف انها عازمة على تغييره، لذلك ابتكرت اسما للدلع فأصبحنا نناديها به وهو " ***كوكا*** " ، فضلا على ذلك تقوم المرأة باختيار اسم مولودتها تيمنا بشخصيات مشهورة، وهذه الظاهرة قد لقيت انتشارا واسعا خاصة في الآونة الأخرة وبالتحديد المشاهير من تركيا بسبب الصدى الواسع الذي حققته مسلسلاتها سواء في العالم العربي أو الجزائر على سبيل التحديد.

وفي ذات السياق قد أصبحت المرأة تتجهز بطريقة مختلفة لولادتها في المشفى وذلك عن طريق تحضير حقيبتين واحدة لها وأخرى لمولودتها، وقد اتفقت عينة الدراسة على مجموعة من المستلزمات التي تحتويها هذين الحقيبتين وهي:

- **حقيبة الأم**: ملابس قطنية دافئة، ملابس داخلية، جوارب، بعض الأدوية التي يصفها الأطباء، فوط صحية، مستلزمات النظافة الشخصية، بعض مواد التجميل، حذاء، بعض الأفرشة والأغطية وكذلك وسادة في بعض الأحيان.

الصورة رقم(11): ملابس المستشفى التي تأخذها المرأة (المصدر: تصوير الطالبة)

- **حقيبة المولودة:** ملابس للاستعمال مباشرة بعد الولادة، ملابس تستعمل بعد تنظيف المولودة، القماط، قنينة الرضاعة والمصاصة، حفاظات، لحاف للف المولودة، كحل زيت الزيتون.

الصورة رقم (12): الملابس التي تستعمل بعد الولادة مباشرة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (13): قماط حديث (المصدر: تصوير الطالبة)

ومن العادات التي لم تعد تمارس في المجتمع هي دفن المشيمة بحكم ولادة المرأة في المستشفى، بحيث تتكفل اللجان القائمة عليها بدفنها في الأماكن المخصصة لها، غير أن هناك بعض الرواسب الثقافية المستمرة في هذا السياق والمتعلقة بالسرة ودفنها، إلا أنه قد لامسها تغير طفيف نتيجة للتطور

التكنولوجي فلم تعد هذه الأخيرة تربط بخيط بعد الولادة لأنها قد استبدلت بمشبك خاص بها وهذا ما هو موضح في الصورة التالية:

الصورة رقم (14): مشبك السرة (المصدر: تصوير الطالبة)

أما فيما يخص عادات الدفن فما تزال الأم تقوم بإعطاء سرة مولودها لأحد أفراد العائلة ليقوم بدفنها أمام بعض الأماكن كالمسجد أو المدرسة أو الجامعة، أو حفضها في مصحف أو في علب وغيرها، ولقد صادفني موقف كهذا خلال اجرائي للدراسة الميدانية وتطبيق أحد أدوات الدراسة فقد قدمت لي سرة مولودة وطلب مني دفنها في الجامعة على أمل أن تصبح المولودة طالبة علم مثلي، وأما عن دهن منطقة السرة بالكحل بعد جفاف السرة وسقوطها فقد أصبحت نادرة الحدوث لاعتقاد مجتمع الدراسة أن هذا الأمر ينعكس سلبا على المولودة، فيقولون: " ***يقولوا كي تدهنو للطفل سرتو بلكحل يخرج قلبو أكحل*** " بمعنى أن سواد الكحل ينعكس على قلب المولودة فيصبح مثله.

الصورة رقم (15): سرة مولودة بعد سقوطها (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (16): سرة مولودة مدهونة بالكحل (المصدر: تصوير الطالبة)

ومن العادات التي أصبحت نادرة الممارسة في مجتمع البحث والسائرة إلى الزوال هي عادات جبر المرأة النافس، ففي السنوات الأخيرة تخلت النساء عن ممارسة هذه العملية وذلك بسبب اللجوء إلى الطب الحديث والاعتماد عليه في أغلب الأحيان، بحكم تتبع المرة الحامل لحالة حملها وصحتها منذ البداية وحتى الولادة لدى الطبيبة المختصة والتي تعلمها بجميع التطورات لديها وتحيطها بالحماية ما جعلهن يتخلين عن هذه الممارسة التقليدية.

وأما بالنسبة للعادات التي ما تزال ثابتة فهي الأذان في أذن المولودة والقماط ونوع المأكولات التي تقدم للنافس بعد الولادة وكذلك الرضاعة وغيرها، غير أنه أضيفت إليهم بعض الأشياء بحكم التغير الثقافي كالمأكولات مثلا فقد أصبحت أكثر تنوعا عن ذي قبل كتقديم اللحوم الحمراء للنافس وكذلك كبد الخروف أو الدجاج وذلك حسب الإمكانيات المادية لزوجها، وأما عن الرضاعة فقد تأثرت خاصة لدى النساء العاملات، وهذه الأخيرة تحظى بعطلة أمومة يبلغ أجلها ثلاثة أشهر للمرأة التي ولدت ولادة طبيعية وأربعة أشهر بالنسبة للمرأة التي ولدت ولادة قيصرية، فبعد عودتهما تضطر المرأة لتغذية مولودها عبر الحليب الصناعي طوال فترة غيابها عنه بسبب العمل.

ومن العادات المستحدثة في مجتمع البحث نجد ما يسمى بـ: " ***القهوة*** " وهي ليست للدلالة الفعلية على القهوة ولكن ترمز للعزيمة التي تقام بعد الولادة، إذ تجتمع فيها النسوة في يوم تحدده النافس لزيارتها ولرؤية المولودة، ويقدم في هذا اليوم بعض الحلويات والتي تكون في أغلب الأحيان حلويات

فيها أشكال رسوم متحركة ك: " ***هالوكيتي***" وأشكال أخرى تشبه زجاجة الرضاعة وغيرها كما تقدم القهوة والحليب وكذلك الشاي والمشروبات الغازية.

الصورة رقم (17): حلويات قهوة المولودة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (18): زينة الحائط (المصدر: تصوير الطالبة)

وتعتبر الغاية من يوم القهوة هو جمع النسوة للزيارة في يوم واحد للحد من الزيارات العشوائية التي كانت تتم فيما مضى، غير أن هذا الاجراء لم يصل إلى هدفه بعد فمازالت الزيارات لمنزل النافس تتم فور سماعهم خبر ولادتها، وهذا ما يثير غضب بعض النساء وسخطهن من هذه الزيارات وهذا ما لاحظته خلال اجرائي للمقابلات مع المبحوثات فتقول احداهن: " ***عانيت جدا من الزيارات المتكررة من اهلي وأقاربنا واللي كانت في اوقات غير مناسبة ولمدة غير مناسبة وكانت اكثف من الزيارات التي رأيتها في طفلي الاول بسبت الفضول باه يشوفوا الطفلة ويهزوها ويشوفو قشها*** "[1]، وقد بررت

[1] مقابلة مع: "خ ب" بتاريخ 07-03-2023، 17:30-18:00، في الطريق إلى منزل المبحوثة.

المبحوثات سبب هذا الموقف تجاه الزيارات بقولهن " ***يرحم من زار وخفف*** " وذلك للدلالة على تعبهم من الحمل والولادة وأنهن يحتجن للراحة ولا يستطعن استقبال الزوار في جميع الأوقات.

3- تزين المولودة:

لقدت اعتادت النسوة في مجتمع الدراسة على القيام ببعض الممارسات لتجميل المولودة الصغيرة خاصة في الأيام الأولى من ميلادها، وهذا ما سنتعرف عليه في العناصر التالية:

3-1- الكحل الطبيعي:

يعد الكحل الطبيعي من أهم المواد التجميلية في المجتمعات التقليدية والعلاجية أيضا فهي تقي عين الانسان وتنظفها من الباكتيريا والالتهابات التي قد تصيبها، ولذلك تحرص الأم دائما على سلامة عيون مولودتها فتحضره لها خصيصا قبل الولادة، لأنه قد يحدث في بعض الأحيان أن تصاب العين بالاحمرار والانتفاخ أثناء عملية الولادة، ولذلك تسارع القابلة بعد تنظيفها للمولودة بوضعه في عيونها لحمايتها، وتعد رمزية الكحل الجمالية في اعتقاد مجتمع البحث أن الكحل يجعل عين المولودة أكثر جمالا واتساعا ويساهم كذلك في تطويل الرموش، وذلك ما أكدته لنا أحد المبحوثات: " ***بعد ما ولدت ماما هي لي قعدت باه تتهلا في الطفلة ودارتلها الكحل في عينيها ورسمتلها حواجبها بيه ودارت هكا غير باه تزينها، ويكونوا حواجبها كحل وشفارها طوال وكحل ثاني خطراه كانوا لحواجب الكحل والشفار الطوال هوما علامات الجمال عن المجتمع تاع بكري*** ".[1]

3-2- الحناء:

تعد الحناء مادة تلوينية قديمة عرفت تاريخيا عند الفراعنة بهذا الاسم وقد شاع استعمالها في العصر الجاهلي عند العرب والعصر الإسلامي أيضا، وساعد على انتشارها نشاط التجار العرب الذين

[1] مقابلة مع: "س ش" بتاريخ 11-11-2020، 12:35-13:05، في منزل المبحوثة.

كانوا يستوردونها من بلاد الهند على شكل صبغة نباتية ذات لون أحمر أو أسود"[1]، وتربط الحناء في المجتمع الجزائري بالعديد من الرموز كالسعادة والفرح والعلاج والزينة، لذلك نجدها من الطقوس التي تقام في أغلب المناسبات خاصة مناسبتي الولادة والزواج، لاعتبار أن هاتين المرحلين من أهم المراحل التي تعيشها المرأة ولتعبر عن سعادتها تتزين بنقوش جميلة من الحناء.

يعتبر طقس حناء المولودة الجديدة من الطقوس الثابتة في مجتمع البحث فتجتمع نساء المنزل في الليلة الأولى من مولدها في أجواء مليئة بالسعادة، فتقوم أحد الحاضرات هناك والتي تكون في أغلب الأحيان جدة المولودة بخلط مزيج الحنة وسط الزغاريد والأغاني الشعبية، وعندما تنتهي من مزجه تقوم بوضعه على أيدي وأرجل المولودة بعد أن دهنت سائر جسدها بزيت الزيتون جيدا ومن ثم تلفها بقماطها وتطلب من أمها ارضاعها.

لا يقتصر وضع الحناء للمولودة في اليوم الأول من ميلادها فقط بل يستمر ذلك معها طيلة الأشهر الأولى، وبعد ذلك تنقص الأم من عدد المرات وضعه لها فيقتصر على المناسبات كالأعياد والأعراس وغيرها، وقد شاع في مجتمع البحث أحد الاعتقادات المرتبطة بحنة الأطفال فتقول المبحوثة **(ك.ح): *" كي يزيد البيبي يحنولو خطراه يقولك يسخفو عليها ملايكاتو "*[2]**، بمعنى أن الملائكة المرافقة للمولودة هي من تحب أن تراها واضعة الحنة، وهو الأمر الذي جعل أهلها يضعونه لها بصفة متكررة كثيرا.

وفي صباح اليوم الثاني تقوم الجدة بإزالة الحنة من يدي وأرجل المولودة بعد أن جف وتكون عملية التنظيف بزيت الزيتون، فتوضع بعد نزع القطع السهلة من الحناء الجافة على تلك التي بقيت

---

[1] كامل عمران وآخرون: **الحنة وظائفها وطقوسها الاجتماعية دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 33، العدد 1، 2011، ص 165-182

[2] مقابلة مع: " ك ح " بتاريخ 01-03-2023، 10:30-11:00، في جامعة محمد خيضر.

عالقة في الجلد وكذلك الأظافر والحكمة من استخدام الزيت هنا هي لجعل الحناء الجافة رطبة وندية فتمسحها بقطعة قماش ملساء الملمس، فضلا على أن الزيت تزيد من احمرار وجمال لون الحنة لذلك يتم استخدامه عوضا عن الماء.

3-3- زيت الزيتون:

تعد وظيفة زيت الزيتون متعددة مثلها مثل الحناء فهي الأخرى تؤدي وظيفة جمالية متمثلة في الحفاظ على بشرة المولودة رطبة دائما، فبعد أيام قليلة من الولادة يبدأ جلد الرضيعة بالتقشر وهي ظاهرة طبيعية وشائعة بين الأطفال، لكون المولودة قبل الميلاد محاطة بالسوائل في رحم أمها فمن الطبيعي جدا حدوث هذا الأمر بعد الولادة لانتقال المولودة من المحيط الرطب إلى الجاف، فتقوم الأم أو الجدة بدهن المولودة يوميا بالزيت لتحمي بشرة مولودتها ولتبقيها ملساء.

التأويل الأنثروبولوجي:

كانت ومازالت عادات تزين المولودة الحديثة حاضرة في المجتمع الجزائري خاصة عادة الكحل والحناء فرغم التغير الثقافي الحاصل إلا أنهما ما يزالان محافظان على مكانتهما ثابتة، ويعود السبب في ذلك إلى الرمزية التي يحملها هذين الطقسين، فكلاهما مرتبطان بالفرح والسعادة وهو الأمر الذي جعل غالبية المجتمع تتمسك به.

الصورة رقم (19): تكحيل عيون المولودة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (20) وضع الحناء للمولودة الحديثة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (21): يدي المولودة بعد وضع الحناء (المصدر: تصوير الطالبة)

وإلى جانب هذين العادتين برزت عادات أخرى لتزين المولودة كشراء الملابس الحديثة والمزينة بالرسومات، وكذلك تكون باللون الوردي لأنه الون المخصص للفتيات ويتناسب مع الأعمار من سن اليوم إلى سنة، فضلا على الباسها قفازات وقبعات قطنية مطرزة وربطات الرأس المتنوعة الأشكال والألوان والشائعة باسم ***" البوندو "*** وهي كلمة معربة من اللغة فرنسية **Le bandeau**، كما تقوم الأم بشراء عطر مخصص للأطفال لتضعه على ملابس ابنتها لتظهرها بأحسن صورة خاصة في يوم القهوة كما هو موضح في الصور التالية:

الصورة رقم (22): تزين المولودة بالملابس الوردي وربطة الرأس في يوم القهوة
(المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (23): تزين المولودة بالقبعات والقفازات (المصدر: تصوير الطالبة)

4- عادات تحصين المولودة:

تعددت وتنوعت طقوس تحصين المولودة من العين والحسد وشتى المخاطر التي قد تتعرض إليها في المجتمع الجزائري، وذلك للتنوع الثقافي الهائل الذي تشهده البلاد والذي يختلف من جماعة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى، إلا أن الأمر القطعي هنا هو مدى إيمان المجتمع المحلي بهذه الظواهر الماورائية وقوة خوفه منها.

إن العين الشريرة في المعتقد الشعبي في مجتمع الدراسة يشكل خوفا شديدا في نفوس من يؤمن بها وتأثيرات مرضية روحية وبدنية واجتماعية خطيرة، فهي تلحق الأذى بالإنسان والحيوان والنبات أو حتى الجماد وبصفة مفاجئة، فيتعرض الإنسان للسعتها الخبيثة وهو في بيته أو في مكان عمله أو في

الشارع، وقد حرص المجتمع على محاربة العين الشريرة وأذاها بشتى الوسائل والطرق[1]، فحرصت الأم على القيام بمختلف الطقوس الاحترازية التي تحمي المولودة منها وهي كالتالي:

4-1- القرآن:

يعتقد المجتمع كثيرا في قدرة القرآن على حمايتهم من العين والحسد الذين قد يصيبان المولودة الجديدة، فنجد الأم تحرص على وضعه تحت فراش أو وسادة المولودة ليشكل حجابا حاجزا بينها وبين الشخص العائن ولا تنزعه أبدا خاصة في الأيام الأولى، وقد تصل المدة إلى الأربعين يوم وهي فترة استراحة المرأة كما سبق أن ذكرنا سابقا، وتمتاز هذه الفترة بكثرة الزائرين سواء من الأقارب أو الجيران الذين يأتون للتهنئة المرأة على ولادتها وكذا ليتمكنوا من رؤية المولودة وهو الأمر الذي قد يجعلها عرضة للإصابة بالعين.

ويركز مجتمع البحث على ثلاثة سور على وجه الخصوص وهي ***" سورة الإخلاص "*** و ***" سورة الفلق "*** و ***" سورة الناس "*** وكذلك ***" آية الكرسي "***، وتعد هذه السور وهذه الآية مخصصة لدرء العين عن الشخص والتي يستوجب عليه قراءتها يوميا، ولذلك تعد من أهم السبل الوقائية التي تلجئ إليها المرأة خاصة حين تشتبه بأن شخصا ما قد يصيب مولودتها فتقرأ عليها المعوذات في قلبها واضعة يدها على أي جزء من جسدها لكيلا يستشعر الشخص أنها تفعل ذلك بسببه.

ويتمثل الاستعمال الثاني للقرآن في حماية المولودة من العين في الرقية الشرعية، وهي قراءة آيات قرآنية على المولودة لتحصينها، ويتكفل بهذه المهمة شيخ كبير قد يكون جد المولودة أو أحد كبارها، أو في بعض الأحيان تستعين العائلة بجلب أحد الرقاة المشهورين في المنطقة ليقوم بهذه المهمة، ويصحب عملية الرقية بعض الطقوس الأخرى كدهن المولودة بزيت الزيتون ولفها في القماط لتجهيزها

---

[1] هيبة بوعروج، جفال نور الدين: **سحر ضربة العين كمفعل أنثروبولوجي يثبت الاعتقاد وطقوس الرقوة الشعبية بمدينة تبسة شرق الجزائر**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 5، العدد 10، 2019، 61-86.

لعملية الرقية الشرعية، وبعد الانتهاء يقوم الراقي بقراءة القرآن على الزيت وكذلك الماء والعسل الحر على حد السواء فيقال: " ***ماء مرقي، زيت مرقي...*** " لتستعمله المولودة وأمها معا.

4-2- الأذكار:

تعد هذه العادة مستوحاة من الدين الإسلامي هي الأخرى وتنفيذا لوصايا وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكون هذه الأخيرة في أوقات محددة كأذكار الصباح التي تكون بعد صلاة الفجر وأذكار المساء التي تكون بعد صلاة العصر، ويتطلب قراءة سور المعوذات معها وكذلك قراءة دعاء تحصين النفس وهو: " ***أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما نزل من السماء وعرج فيها، ومن شر ما ذرا في الأرض، ومن شر فتن الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمان*** "، والأمر الجدير بالذكر هنا هو أن ثقافة قراءة الأذكار لم تكن منتشرة بكثرة في السابق، ويعود السبب في ذلك لانتشار الأمية والجهل بكثرة في البلاد بفعل السياسات التي استعملها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وبقيت تابعاتها تلاحقها لسنوات طويلة حتى بعد الاستقلال.

4-3- السكين:

يعد استعمال السكين في مجتمع البحث كتميمة للوقاية من العين الحاسدة هو الآخر، فيوضع تحت فراش المولودة أو تحت الوسادة بجانب المصحف أو يوضع وحده، اعتقادا منهم أن الجن يخاف من السكين فلا يستطيع الاقتراب من المولودة التي وضع تحت فراشها، كما أن للسكين رمزية أخرى وهي في الأغلب اعتقاد ضعيف وهو حماية المولودة من الكوابيس.

4-4- التمائم:

عمدت النسوة في بعض الأحيان إلى اللجوء لتعليق التمائم لوقاية المولودة الحديثة من الحسد، وتعرف التميمة على أنها خرقة أو خيط يوضع على اليد أو الخصر وفيها تميمات أو قطع رصاص أو كتابات وغيرها يعتقد أنها تقي حاملها من الشر أو السحر أو الحسد، وجرت العادة في المجتمع تعليق هذه التمائم للمولودة لحمايتها من أعين الحاسدين، وليفك عن والدتها القلق والخوف من أن يصيب مولودتها مكروه[1] ومن هذه التمائم نذكر:

4-4-1- الحجابات والحروز:

تعد الحجابات والحروز من الظواهر المنتشرة بكثرة في المجتمع التقليدي وقد سبق الإشارة إليها وتكون هذه الأخيرة قطعة قماشية خضراء اللون يوضع فيها كتابات غير معروفة ما نوعها، غير أنه من الشائع عند البعض أنها كتابات قرآنية لحماية الطفل، في حين أن البعض الآخر ينفي كونها آيات قرآنية ويزعم أنها طلاسم سحرية من عمل الشيطان وأن صاحبها ينكر الموضوع خوفا من المجتمع وما قد يحدث له عند معرفته بحقيقتها، وتعلق هذه الحجابات في ملابس المولودة أو على رقبتها كذلك الأم إلا أنها تخفيها داخل ملابسها لكيلا تبدو ظاهرة للعيان بالنسبة إليها، ومنهم من يقوم بوضعه تحت وسادة المولودة أو تحت فراشها.

4-4-2- العين الخمسة والعقرب:

للعين والخمسة والعقرب مدلول جمالي وسحري تستعمل لحماية الانسان نفسه من العين، وكانت هذه الأخيرة تمائم يستعملها الفراعنة قديما لإبعاد الشر عنهم، وتقول الدكتورة فاتن شريف: " ***عثر في***

---

[1] المولودة بكوش، قشيوش نصيرة: **وسائل وطرق درء العين عادات ومعتقدات**، مقياس أنثروبولوجيا أشكال التعبير الشعبي، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2020، ص 6.

مقابر الفراعنة على بعض الصور من الرقي والتعاويذ والتمائم كعين حورس، والكف والخرزة الزرقاء وغيرها لحمايتهم من الارواح والعين الشريرة في حياتهم وبعد موتهم، وهي لازالت تستخدم في العصر الحالي لدرء الحسد".[1]

يتم صنع هذه التمائم من مواد يعتقد في قدرتها على درء العين كالذهب والفضة والنحاس وغيرها، فتقوم الأم بتعليق هذا النوع من الأحاجي على ملابس المولودة أو على قبعتها لتبدوا ظاهرة لكل شخص ينظر إلها، ويتحكم المستوى المادي في نوع التمائم التي يتم تعليقها ففي العادة يتم تعليق تمائم فضية كون سعرها في متناول الجميع، وأما الذهبية منها فيقتنيها الأهالي أصحاب الدخل المادي المرتفع مثلما هو موضح في الصورة التالية:

الصورة رقم (24): تميمة ذهبية للتحصين المولودة (المصدر: تصوير الطالبة)

4-4-3- صرة الكمون وصرة الملح:

تعتبر صرة الكمون والملح من المعتقدات المتجذرة في المجتمع الجزائري عامة ومجتمع البحث خاصة والتي تستعمل للحماية من المس الشيطاني وتحصين المولودة من جميع المخاطر، إذ تقوم الأم بإحضار قطعة قماشية قديمة بيضاء اللون أو أية لون آخر، وتضع المادتين كل على حدا أي كل مادة

---

[1] المولودة بكوش، قشيوش نصيرة، مرجع سابق، ص 6.

في قطعة قماشية، وتلف به وتربطها بخيط ثم تعلق في قماط المولودة أو في فراشها كما تقوم الأم كذلك بتعليقها في ملابسها ولكن تكون مخفية كما سبق أن ذكرنا.

الصورة رقم (25): صرة الكمون معلقة مع تميمة الخمسة (المصدر: تصوير الطالبة)

4-5- الحناء:

لم تقتصر الحنة على وظيفة إبداء الفرح فحسب بل اشتملت على عدة وظائفها كالوظائف العلاجية مثلا، وكذلك الوظائف الوقائية من العين الحاسدة فتقول أحد المبحوثات: ***" كاين لي يدير الحنة للمزيود الصغير على جالة العين باش لي يشوف فيه يحمارو عينيه كيما الحنة "***[1]، وتخبرنا المبحوثة هنا على وضع الحنة كطقس احترازي من العين البشرية، التي قد تضر بالمولودة الحديثة فيكون احمرارها بمثابة الحجاز الحاجب بين العين والمولودة.

4-6- حرق البخور:

لقد كان لحرق البخور في أول الأمر عرضا تطهيريا لأن البخور يطهر ويحرر الشخص من القوى الشريرة، وحرق البخور يكون بتفاعل البخور مع النار وبذلك تكون له القوة الفعالة والقدرة الكامنة لصرف الأذى وطرد الشياطين، فقداستها نابعة من خطورتها لذلك يقال لها ***" العافية "*** تفاؤلا بها ولقد

[1] مقابلة مع: " ك ح " بتاريخ 01-03-2023، 10:30-11:00، في جامعة محمد خيضر.

ارتبط معناها بالمرجعية الدينية الإسلامية التي تتوعد الكفار والشياطين من الجن والانس بالاحتراق في نار جهنم.[1]

وبناء على هذا المعتقد تقوم الجدة بتحضير إناء وتضع فيه البخور وتقوم بإشعال النار فيه، ومن ثم تقوم بتبخير جميع غرف المنزل بالدخول إليها غرفة بغرفة واحاطة جميع زواياها بالبخور وبالخصوص الغرفة التي تمكث فيها النافس ومولودتها، وذلك لتحصين المنزل والمولودة من أن يلحق بها الضرر جراء العين الشريرة لكثرة الزوار في تلك المرحلة.

4-7- تسبيع الملح:

تعتبر مادة الملح من أكثر المواد التي تتعدد استعمالاتها لتحصين النفس وقد سبق أن ذكرنا أحد الاستعمالات وهي صرة الملح، وأما عن التسبيع بالملح فتقوم الأم أو الجدة بوضع كمية من الملح في كفها الأيمن، ومن ثم تقوم بغلق يديها وتحركها حركة دائرية على رأس المولودة باتجاه عقارب الساعة سبع مرات، وعند الانتهاء تقوم بعكس الحركة أي عكس عقارب الساعة سبعة دورات أيضا، ويقام هذا الطقس عند الاشتباه في أن المولودة بها عين، كظهور أعراض عليها كالبكاء الحاد، أو قدوم شخص يقال بأن" ***عينه حارة*** "كما هو شائع في مجتمع البحث، بمعنى أنه شخص عائن، ويرمز رقم سبعة إلى المعتقدات الإسلامية للمجتمع الذي يعطي هذا الرقم رمزية كبيرة وذلك للدلالة على خلق الله للأرض والسماء في سبعة أيام، لذلك فإن هذا الرقم يستعمل للمباركة به ولأجل تحصين وحماية المولودة من العين والحسد والمس.

[1] المولودة بكوش، قشيوش نصيرة: مرجع سابق، ص 2.

التأويل الأنثروبولوجي:

يعتبر الايمان بالغيبيات كالعين والحسد والتابعة والمس الشيطاني من أقوى المعتقدات التقليدية حضورا في مجتمع البحث، فرغم التغير الثقافي والتطور التكنولوجي الهائل الذي وصل إليه المجتمع إلا أنه ثابت وراسخ بشدة في المجتمع، وهذا ما تجلى لنا من خلال الدراسة الميدانية ومن خلال اجراء المقابلات مع المبحوثات، فكل واحدة منهن لها اعتقاد تام بالعين وبقدرتها على افساد حياتها وعلى أذيته هي وعائلتها وخاصة مولودتها الحديثة، فهنا يظهر بأن الخوف من العين موحد ولكن طرق الوقاية منه تختلف من امرأة إلى أخرى وتتحكم في ذلك القناعات الشخصية للفرد، وقد انقسمت المبحوثات هنا إلى ثلاثة أقسام هي:

- **القسم الأول:** هن النساء اللواتي يعتمدن على القرآن والرقية الشرعية وكذلك أذكار الصباح والمساء فقط لتحصين المولودة، وهؤلاء النسوة يرون أن جميع الممارسات التقليدية ماهي إلى ممارسات شركية لا تمت للإسلام بصفة وأن السبيل الوحيد لحماية وتحصين المولودة هو ما أوصى به الرسول عليه السلام، وفي هذا السياق تخبرنا أحد المبحوثات بـ: " ***من ولادة بنتي حرصت على تحصينها بأذكار الصباح والمساء سواء نقرأهم أنا ولا نديرهم بالتليفون، ودرت في بالي بلي غير القرآن والذكر الوحيدين لي يحصنو بصح عند ماما وعجوزتي لالا، ودارت امي صرة الملح والكمون ودارتهم في خيط القماط باش يحموها من الجن، ومن الناحية الاخر دارت عجوزتي عقدة فيها البارود وربطتها كالبراسلي في يد صغيرتي وزادتلها علكة من الحنتيت على شعرها هذا كامل باه يحموها من الجن والعين والحسد، بصح أنا متحملتش***

ريحة الحنتيت وخيط البارود ولا صرة الكمون والملح وكي روحت لداري نحيتهم ورميتهم كامل. [1]

- **القسم الثاني:** هن النسوة اللاتي يمارسن جميع الطقوس التحصينية المذكورة أعلاه لحماية المولودة ولكن ليس للاعتقاد فيها وإنما تمارسها لكونها من عادات الأجداد المتوارثة، فتقول (ش،هـ): ***" حنا نديرو هاذ لحوايج كي لقينا جدودنا يديرو هكا برك، سما من عاداتنا مشي حاجة خلاف ".*** [2]

- **القسم الثالث:** هن مجموع النسوة اللواتي يقمن بممارسة وتطبيق جميع هذه الطقوس اعتقادا منهن في قدرتها الحقيقية في الحماية من العين والحسد.

وإلى جانب هذا فقد استحدثت مظاهر جديدة للتحصن من العين وهي الخرزة الزرقاء، وبالرغم من كون هذه الأخيرة أداة قديمة جدا وقد ثبت استعمالها في عدة مجتمعات أخرى إلا أنها حديثة العهد في مجتمع البحث وقد وصلت إلينا عن طريق الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى، خاصة المجتمع التركي الذي يستعملها بكثرة وفي جميع المناسبات.

الصورة رقم (26) محل مخصص لبيع الخرزات الزرقاء في تركيا (المصدر: تصوير الطالبة)

---

[1] مقابلة مع: " خ ب" بتاريخ 07-03-2023، 17:30-18:00، في الطريق إلى منزل المبحوثة.

[2] مقابلة مع: " ش هـ " بتاريخ، 07-07-2022، 16:15-16:40، في يوم عقيقة ابنتها.

الصورة رقم (27): الخرزة الزرقاء في مشبك مع زينة نحاسية (المصدر: تصوير الطالبة)

5- تهويدات النوم:

تعد تهويدات تنويم المولودة الصغيرة من العادات الشائعة في المجتمع الجزائري فلا نكاد نجد امرأة لا تعتمدها في حياتها اليومية، وهذه التهويدات هي عبارة عن أغاني خاصة لتنويم الأطفال الصغار ترددها المرأة أثناء محاولتها جعل ابنتها تنام، وأثناء الغناء له تقوم الأم بالطبطبة على المولودة وهزها وهي حركات مرافقة بالضرورة لأغاني النوم لتتوقف الطفلة عن البكاء ولتشعرها بالأمن والطمأنينة، ومن أشهر تهويدات النوم وأكثرها في مجتمع الدراسة نجد:

نيني ينيني يا بشة   واش نديروا للعشا

نديروا جاري بالدبشة   ونعيطوا لبنتي تتعشا

وتضيف الأم اسم مولودتها في الأغنية ودلالة ذلك هو رغبة الأم في أن تصبح الأغنية أكثر شاعرية من ذي قبل، ولتبين صدق مشاعرها تجاه ابنتها فضلا على زيادة شعورها بالأمان أكثر بذكر اسمها فيها فتصبح على سبيل المثال:

نيني ينيني يا (زينب، فاطمة، ياسمين)   واش نديروا للعشا

نديروا جاري بالدبشة   ونعيطوا (زينب، آسيا، ياسمين) تتعشا

وإلى جانب هذه التهويدة تقوم الأم بالغناء لمولودتها أية أغنية أخرى ترغب بها وفي الغالب تكون أغاني الثورة، وسبب الاختيار يكون نتيجة لمشاعر الفخر والاعتزاز اللذان كانت تشعر بهما المرأة تجاه الثورة المجيدة، فتقوم بغناء هذا النوع من الأغاني لتنقل لابنتها أحداثها وكيف عاش الشعب الجزائري في تلك الفترة والأهم كيف استطاع اخراج المستعمر منها.

التأويل الأنثروبولوجي:

ارتبطت الأغنية الشعبية بالحياة الاجتماعية السائدة في المجتمع فكانت حاضرة معه في أغلب مناسبات حياته وما تزال كذلك، وأغاني النوم جزء لا يتجزأ منها فهي الأخرى ما تزال موجودة في المجتمع وذلك نتيجة للحفاظ عليها ونقلها من جيل إلى آخر عبر تداولها كثيرا في الحياة اليومية، لأجل ذلك لم تتأثر هذه الأخيرة لمختلف التغيرات الثقافية التي طرأت على المجتمع خاصة تهويدة " ***نيني نيني يا بشة*** " فما تزال الأم في مجتمع الدراسة تلجأ إليها كلما أرادت جعل ابنتها تنام، وهذا ما أكدته لنا أغلب المبحوثات من خلال الدراسة الميدانية فكلهن يغنينها لمواليدهن سواء كانت أنثى أو ذكر في حسبهن النشيد الرسمي لجعل الأطفال ينامون بهدوء.

وأما بالنسبة لمجموعة أخرى من الأمهات فهن يلجأن لتنويم أولادهن إلى قراءة القرآن بدل الأغنية فهن يرين أن القرآن أنسب لتأدية هذه الوظيفة، والسبب عائد إلى هذه الآية الكريمة: " ***الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ*** "[1] فقد ورد في تفسير هذه الآية أن قلب الانسان يهدأ ويستكين عندما يذكر الله، ولذلك تقوم الأمهات بقراءة القرآن لأطفالهن ليكفوا عن البكاء وليتمكنوا من النوم بهدوء أو تشغيل سور عن طريق التلفاز أو الهاتف.

[1] القرآن الكريم: سورة الرعد، الآية 28.

6- العقيقة:

يقال في مجتمع البحث العقيقة أو السبوع وهو اليوم السابع لولادة الطفلة وهي عادة مستمدة من الشريعة الإسلامية لمن استطاع ذلك فمن لم يقدر فيؤجلها لغير ذلك اليوم، وقد جرت العادة أنه يتم الاحتفال بالمولود في هذا اليوم، وبناء على ذلك تقوم العائلة على ممارسة العديد من الطقوس المتعلقة بهذا اليوم لمباركة المولودة وشكر الله على نعمة الانجاب ومن بين هذه الطقوس نذكر:

6-1- الذبح:

هي الذبيحة التي تذبح عن المولود وهنا تجدر الإشارة إلى ما جاء في كتاب فقه السنة عن هذا الموضوع وعن أصلها الديني، فالعقيقة سنة مؤكدة ولو كان الأب معسرا فقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا تجوز فيها المشاركة، ومن الأفضل أن يذبح عن الولد شاتان متقاربتان شبها وسنا وعن البنت شاة واحدة، فتنظم الأسرة حفلة ومأدبة غداء يحضر فيها أفراد العائلة والأحباب والأصحاب.[1]

لا يعتبر الذبح سنة إسلامية فحسب بل هي مناسبة اجتماعية تتجلى من خلالها العديد من المظاهر التي تعكس معتقدات الجماعة وعاداتهم وتقاليدهم، وتظهر أسمى وأرقى معاني التضامن الاجتماعي ففي هذا اليوم تجتمع النساء والرجال لمساعدة أهل البيت في هذه المناسبة السعيدة، فيهتم الرجال بموضوع ذبح الشاة وسلخها وتقطيعها، وأما النساء فتهتم بجانب التنظيف كغسل الدوارة والأمعاء وتحضير الغداء الذي يكون في أغلب الأحيان" ***البربوشة*** " أو كما يطلق عليها أيضا بـ: " ***الكسكسي و الطعام*** "، وبعد الانتهاء من تحضير طعام الغداء يوزع جزء منه على الرجال الذين شاركوا في عملية

[1] مهيدة وهيبة: مرجع سابق، ص 152.

الذبح وكذلك المدعوين، وجزء آخر يوزع على الجيران والفقراء والمساكين كصدقة جارية وهو ما يعرف في مجتمع البحث بـ: " ***المعروف*** " ، وأما الجزء المتبقي فيوزع على نساء المنزل فتجلس النسوة لتناول المأدبة وكذلك لتبادل أطراف الحديث والتغزل بالمولودة الصغيرة وملاطفتها، وعند الانتهاء يقمن بتنظيف المنزل وإعادة ترتيبه كما كان من قبل.

6-2- حلق الشعر:

وعادة ما يرافق الذبح في السبوع حلق شعر المولود والتصدق بوزن الشعر فضة أو ذهبا على المساكين ودفنه في الأرض حتى لا يتم في استخدامه في السحر ، وهي عادة إسلامية أخرى أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، والغاية من حلق إماطة الأذى عن المولود حين يولد ما يعني أن طقس حلق شعر المولود هو طقس تطهيري، ذلك أنّ الحلق يخرج الصغير من حالة الضعف والوهن التي ولد عليها ليكسبه بعض الخصائص التي تساعده على اقتحام الحياة، أي إنه إعلان عن ولادة ثقافية.[1]

وتعد عادة حلق الشعر عادة خاصة بالمولود الذكر التي تميزه عن الأنثى وذلك كنوع من الطقوس التي تحدد الهوية الجندرية للمولود، فحلق شعر الذكر يمثل أحد طقوس الاندماج في الجماعة حسب ما ذهب إليه فان جينيب ويعتبر من معالم الرجولة، وأما عن المولودة الأنثى فلم يكن الأمر لازما بالنسبة لها غير أن المجتمع يتبعها في أغلب الأحيان ولكن رمزيتها تختلف علن رمزية الذكر ، فحلق شعر الأنثى تكون الغاية منه هو إعادة تجديد شعرها ليكون في صحة جيدة أحسن من الشعر الذي ولدت به لأنه من الشائع جد أن ذلك الشعر يتساقط في جميع الأجوال، لذلك تؤكد النسوة على حلق لينبت بدله شعر جديد وجميل وأملس كرمز من الرموز الأنوثة.

[1] أمال قرامي: مرجع سابق، ص 72.

6-3- التحنيك:

بعد ذبح الشاة وحلق شعر الرأس يأتي طقس التحنيك والتحنيك عملية يقوم بها أحد كبار العائلة كالجد والجدة، إذ يقوم فيها بمضغ حبة تمر حتى تصبح طرية جدا ويدخلها في فم المولودة بإصبع السبابة ويدلكها على سائر لثتها ولتبتلع المولودة شيء منه، والغاية من تحنيك المولودة هو جعل المولودة صاحبة لسان حلو تتقن الكلام وجعل منها شخصا جيدا وصالحا لأن التمر في المخيال الشعبي ثمرة مباركة أوصى بأكلها النبي محمد، وكذلك وقع الاختيار عليها لأنها تستعمل لتقي المولودة الشرور كالعين والسحر والمس الشيطاني لإيمان الجماعة بأن بلعها بعض منه يساهم في حماية المولودة من الأذى.

وفي الروايات التي تضمنها الكتب القديمة على أن طقس التحنيك كان طقسا يمارسه الرسول عليه الصلاة والسلام، ولقد ورد في حديث عن عائشة: ***" إنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنّكهم"*** وبناء على ذلك أصبح المجتمع يمارسها ويعمل بها وكذلك يميل إلى اعتبار عملية التحنيك طقسا دينيا بحتا.[1]

وقد جرت العادة في مجتمع البحث أنه إذا لم يوجد التمر لتحنيك المولودة يستعمل بدله أي شيء حلو، والذي يكون في أغلب الأحيان العسل الحر كون العسل مادة حلوة هو الآخر، فيقوم كبير العائلة بنفس العملية دلك جميع فمه بالعسل مع ترك القليل منه لتبتلعه المولودة، وعند الانتهاء يقدمها لأمها لتقوم بإرضاعها وجعلها تنام.

التأويل الأنثروبولوجي:

ما يزال طقس العقيقة حاضرا وثابتا في مجتمع البحث وذلك لخلفيته الدينية وبحكم أن مجتمع البحث مجتمع محافظ على التعاليم الإسلامية، إلا أننا لاحظنا من خلال الميدان أن بعض المظاهر

---

[1] أمال قرامي: مرجع سابق، ص 74.

المتعلقة بها قد تغيرت، بداية بتأجيل السبوع إلى يوم آخر لعدة أسباب كرغبة المرأة في الاستراحة أكثر من عناء الحمل والولادة، لأنها لا تستطيع أن تهتم بضيوفها في تلك الحالة الصحية، وكذلك الغلاء المعيشي الذي جعل بعض العائلات في عجز عن تغطية مصاريف العقيقة واشتراء الكبش، فيضطر البعض منها إلى اقتناء اللحوم الحمراء أو البيضاء وإقامة وليمة بها، بعد أسبوعين أو شهر من الولادة مع الإبقاء على نفس التسمية " ***السبوع والعقيقة*** " أو ادراج تسمية أخرى وهي " ***القهوة*** " للإشارة على الوليمة التي سوف تقام. ويعود السبب إلى هذا التأجيل أيضا.

وما أصبح مميزا في هذا الطقس هو مكان اقامتها فالعائلات ذوات الدخل المرتفع تقيمها في قاعات الحفلات، وأما عن العائلات الأخرى فتقيمها في المنزل غير أن هذا ليس ضروريا فالمكان هنا يكون حسب رغبة الأهل، وقد أصبح طقس العقيقة تقريبا احتفالا نسويا خاصة بعد اعتماد عادة ذبح الشاة في المذابح الصناعية، فيحضر الزوج بما يعرف في مجتمع الدراسة بـ: " ***الجزرة*** " جاهزة مقطعة ومعدة للطبخ، ويكتفي الرجال في يوم العقيقة بطعام الغداء أما النساء فيمكثن إلى المساء لشرب القهوة والحليب والشاي وتناول الحلويات وكذلك زرير النافس والطمينة وغيرها.

وأما بالنسبة للمرأة النافس فترتدي فستان جديدا كانت قد جهزته مسبقا، وخصيصا لهذه المناسبة السارة، فتسرح شعرها وتضع مساحيق التجميل وتتزين بالحلي المختلفة، ومن ثم تقوم بتجهيز مولودتها وتلبيسها هي الأخرى ملابس جميلة وتخرجها للحضور ليروها، لتتوالى النسوة عليها بعبارات التهاني والمباركات والدعاء لها بالصلاح وطاعة أبويها كما يقمن بتقديم مبلغ مالي لها يدعى " ***الباروك*** " ، تختلف قيمته من امرأة إلى أخرى حسب مدخولهم المادي، والصور التالية تمثل بعض المظاهر المستحدثة في طقس العقيقة في مجتمع البحث:

الصورة رقم (28): مجلس النساء في يوم القهوة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (29): ملابس مولودة في يوم القهوة (المصدر: تصوير الطالبة)

7- ثقب الأذن:

يعد ثقب أذن المولودة في المجتمع الجزائري من أهم العادات التي تقام في مرحلة الميلاد فهي الأخرى تعتبر من المظاهر التي تحدد على أساسها الهوية الجندرية للمولودة، فهذا الطقس يراد به الإعلان الصريح على أنها أنثى، ذلك أن التفريق بين جنسي الرضع في بعض الأحيان صعب دون النظر إلى أعضائهما التناسلية فثقبة الأذن دلالة واضحة للعيان على أن جنس المولودة هو أنثى، كما تعتبر ممارسة لتزيد من جمال الأنثى وجاذبيتها أمام الرجل عندما تكبر.

لقد حاول الفقهاء أن يضفوا شرعية على طقس ثقب أذن البنت فأعادوا أصل هذه الممارسة إلى النبي إبراهيم، فالأسطورة تشير إلى أن زوجته السيدة سارة كانت تغار من ضرتها السيدة هاجر عند حملها بسيدنا إسماعيل فأقسمت بالله أنها سوف تقطع ثلاثة أطراف من السيدة هاجر، فأمر سيدنا إبراهيم زوجته سارة بأن تقوم بقص شيء من شعر السيدة هاجر وثقب أذنيها لتحقيق قسمها وعدم الاخلاف

به،[1] ومن ثم وضع إبراهيم عليه السلام حلقين في أذنيها لتكون بذلك أول امرأة تقوم بثقب أذنيها في التاريخ والتي أصبحت عادة متداولة إلى يومنا هذا.

كانت تتم عملية ثقب أذن المولودة في السياق في حدود شهرين من ولادتها، ولكن هذا التوقيت ليس ضروريا فكل عائلة تقوم باختيار الوقت المناسب له، غير أنهم يتجنبون ثقبها في أوقات الحرارة المرتفعة جدا خاصة في فصل الصيف وذلك مخافة أن يتعفن الجرح أو أن تصيبه البكتيريا والجراثيم، وكانت الجدة هي من تتولى هذه المهمة فتقوم بوضع خيط خشن في إبرة ومن ثم تضعها على النار وتسخنها جيدا، وبعدها تثقب أذن الطفلة بسرعة كي لا تألمها ثم تربط ذلك الخيط على أذنها ليصبح على شكل حلقة وتكرر نفس العملية للأذن الثانية، وبعد الانتهاء من ذلك تقوم بدهن زيت الزيتون عليهما لاعتبار أن الزيت يعقم الجرح ويحافظ على نظافته وكذلك تنصح الأم بتكرار دهنه يوميا ليلتئم الجرح بسرعة، وبعد عدة أيام يتم التحقق من شفاء الجرح لتقوم الجدة باستبدال ذلك الخيط بأقراط مصنوعة من الفضة أو الذهب حسب الإمكانيات المادية للأسرة.

التأويل الأنثروبولوجي:

لقد حمل التغير الثقافي في طياته العديد من المظاهر المستحدثة الخاصة بعادة ثقب أذن المولودة في المجتمع الجزائري، والسبب يعود للتطور الحاصل في مجال الطب والتكنولوجيا الذين فرضا بعض القواعد المنظمة لهذه العملية بداية من موعد ثقب الأذن وصولا إلى طريقة الثقب، فأصبحت الأم تتفادى ثقب أذن مولودتها في الأشهر الأولى وذلك لعدم اكتساب جسمها المناعة الكافية لتحمل وجود أية معادن تلامس جسمها، فتكون الفترة المسموح لهم بها بعد تطعيم الستة أشهر من ولادتها، ويساعد هذا التطعيم في الحماية من الالتهابات التي قد تصيب الأذن.

---

[1] أمال قرامي: مرجع سابق، ص 82.

ويعد التغير الآخر الذي لامس هذه العملية محصورا في الشخص والمكان اللذان تجرى فيها عملية ثقب الأذن، ففي السابق كانت الجدة هي المسؤولة عنها أما الآن فقد أصبحت الأم تأخذ ابنتها إلى محل المجوهرات ليثقب لها أذنيها باستخدام مسدس خاص بثقب الأذنين مقابل مبلغ مالي معتبر، ويستعمل فيها أقراط خاصة تعرف بـ: " ***الأقراط المسمارية*** " أو " ***أقراط المسامير*** " إذ تكون أحد أطرافها كالمسمار لتتمكن من اختراق الأذن وتكون مصنوعة من مادة " ***البلاكيور*** ".

الصورة رقم (30): شكل الأقراط المسمارية (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (31): عملية ثقب الأذن عند الصائغ (المصدر: تصوير الطالبة)

8- انبات الأسنان:

تعد مرحلة نمو الأسنان أحد أهم المراحل عند المولودة فيحدث فيها تغيرات جسمية كثيرة كنتيجة لها، كما تصاحبها عدة أعراض تنبئ بها ككثرة اللعاب وضغط المولودة على فكيها وكذلك انتفاخ اللثة فضلا على ارتفاع حرارتها واصابتها بالإسهال والقيء، فعند ملاحظة الأم لجميع هذه الأعراض تعلم يقينا أن مولودتها ستنبت أول سن لها ويكون هذا الأمر مفرحا بالنسبة إليها لأنها نقطة تحول ودلالة على بداية كبر المولودة.

يصاحب ظهور الأسنان مجموعة من العادات الاجتماعية المتداولة في مجتمع البحث أهمها هو طبخ أكلة" ***الشرشم*** " وهي بمثابة الفأل الأول للمولودة، وتطبخ هذه الأكلة من " ***القمح*** " الذي يغسل وينظف من جميع الشوائب ثم يجفف، ومن ثم يوضع في قدر مع كمية" **حمص** " جاف ويضاف إليهما الخميرة ويسكب عليهما الماء بمقدار ضعفين لكمية القمح والحمص، ثم يترك لينقع ليلة كاملة في الماء من أجل أن تصبح حبة القمح منتفخة وطرية وجاهزة للأكل، وبعد إتمام تلك العملية يستبدل ذلك الماء بماء جديد ليطبخ فيه الشرشم فيضاف إليه كمية من " ***الملح والزيت*** " وتغلق القدر وتتركه ليستوي لمدة ساعة أو ساعة ونصف، وعند الانتهاء تضيف إليه القليل من " ***الكمون*** " أو عشبة " ***التقفت*** " حسب الرغبة وهكذا يكون جاهزا للأكل، فتجتمع العائلة على الغداء أو العشاء ويقدم لها كوليمة على شرف الطفلة الصغيرة وفي بعض الأحيان يوزع على جيرانهم لمشاركتهم فرحتهم.

الصورة رقم (32): أكلة الشرشم (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (33): ظهور الأسنان للمولودة (المصدر: تصوير الطالبة)

التأويل الأنثروبولوجي

ان ظهور الأسنان لأول مرة للمولودة الصغيرة كان ومازال في مجتمع البحث يحظى بأهمية كبيرة، ومازالت مجموعة العادات والطقوس والممارسات المرتبطة به ثابتة خاصة أكلة " ***الشرشم*** " ويعود السبب في ذلك لعدم تقاطع العادات مع الشريعة الإسلامية، وهذا ما أكدته لنا أغلب المبحوثات من خلال إجراء المقابلات معهن، فبالنسبة لهن فأكلة الشرشم تعد تقليدا لإظهار وإبداء السعادة لان مولودتهم الصغيرة قد أنبتت أول سنين لها.

وبالرغم من ثبات هذه العادة لعدة أجيال فإن هذا لا يعني أن التغيرات لن تلامس بعض من ممارساتها، فقد أصبحت الأم الآن عنده ملاحظتها لأعراض أو علامات الانبات خاصة انتفاخ اللثة وضغط المولودة على فكيها تشتري لها بعض الألعاب الصحية لتساعدها على التخلص من حكة الفم، وتعرف هذه الالعاب في مجتمع البحث باسم " ***الكدادات*** " كما تقول أحد المبحوثات " ***كي يكون فمها ياكل فيها وتتنفخ اللثة تاعها نعرفها حتنبت نشريلها الكدادات باه تكددهم*** ".

الصورة رقم (34): الكدادات (المصدر: تصوير الطالبة)

9- عيد الميلاد:

عيد الميلاد هو الذكرى السنوية لميلاد الطفلة وفي هذه المناسبة تقوم الأم بالتحضير المسبق لها، ويكون ذلك عبر القيام باحتفالية صغيرة تضم افراد العائلة كالأب والأخوة وفي بعض الأحيان

الأخوال والأعمام أو ربما تكون حفلة خاصة بالنساء فقط، وإن كانت الأسرة ذات امكانيات ماديه كبيرة فيقيمون احتفالا أكبر من هذا.

ويتم التحضير للاحتفال بصنع الحلويات التي تكون مزينة بأشكال كالدببة والزهور وكذلك الرسوم المتحركة ك: ″ ***هالو كيتي*** ″ أو ″ ***مني ماوس*** ″ أو ″ ***ماشا والدب*** ″ أو إحدى ″ ***أميرات ديزني*** ″ وغيرها، فضلا على طلب كعكة بموضوع معين تكون متناسقة مع الحلويات وغيرها، وتزين المنزل فتوضع فيه بالونات يغلب عليها اللون الوردي في بعض الأحيان باعتباره لون الفتيات أو اللون الأحمر حسب ما يتناسب مع الموضوع الذي تبنته الأم ليكون أساس ذلك الاحتفال.

في ليلة الميلاد تجهز الأم ابنتها فتلبسها ملابس مطابقة للموضوع المختار، ويقام هذا الاحتفال باجتماع العائلة مع المدعوين في ظل جو يسوده الفرح والسعادة والأغاني والزغاريد وغيرها من المظاهر الاحتفالية، وفي آخر السهرة تجلب الأم الكعكة لتقطيعها هي وزوجها وابنتها معها بعد اطفائهما لشمعة ابنتهما الأولى مع تشغيل أغنية خاصه بعيد الميلاد وهي أغنية باللغة الأجنبية اسمها ″ ***happy birthday to you*** ″، وتتكون هذه الأغنية من مقطع واحد مكرر ويغني الحضور معها فيستبدلون في النهاية المقطع ″ ***you*** ″ باسم الطفلة كما هو موضح أدناه:

Happy birthday to you

Happy birthday to you

Happy birthday to (Zineb, Fatima, Yasmin)

وإلى جانب أغنية او أغنية Happy birhtday to you توجد أغنية عربية أخرى هي ″ ***سنة حلوة يا جميل*** ″ وهي أغنية مصرية الأصل لقت انتشارا واسعا في المجتمع الجزائري، وتغنى هي الأخرى بتكرار المقاطع مثل الأغنية الأولى وتكون كالتالي:

سنة حلوة يا جميل

سنة حلوة يا جميل

سنة حلوة يا (زينب، فاطمة، ياسمين)

وعند الانتهاء من تقطيع الكعكة تقسم وتوزع على جميع الحضور هي والحلويات والمشروبات ثم يتبادلون التهاني والهدايا وبذلك تنتهي تلك السهرة ويعود الجميع إلى منازلهم.

الصورة رقم (35): كعكة عيد الميلاد الأول (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (36): زينة المنزل لعيد الميلاد مع الأطفال المدعوين (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (37): عيد ميلاد بموضوع ميني ماوس (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (38): عيد ميلاد بموضوع هالو كيتي (المصدر: تصوير الطالبة)

التأويل الأنثروبولوجي:

ان عادة عيد الميلاد هي عادة مستحدثة وغريبة عن عادات وتقاليد المجتمع المحلي فلم يكن يعرفها المجتمع الجزائري إلا في السنوات الأخيرة، وهذه الأخيرة هي عادة نشأت في المجتمعات الغربية وقد تبناها المجتمع الجزائري بعد الاحتكاك والتواصل مع تلك المجتمعات، ونمت وكبرت خاصة مع الانتشار الواسع لمواقع التواصل الاجتماعي فأصبحت عادة تقام في أغلب المنازل رغم رفض المجتمع لها في البداية كونها مخالفة لما اعتاد عليه المجتمع، والشيء الذي جعلها بهذا الانتشار هو ما لقيته

هذه العادة الجديدة من استحسان واقبال من طرف العائلات باعتباره يوما يبث السعادة في قلوب الحاضرين وكذلك سعادة الوالدين وامتنانهما لنعمة ابنتهما خاصة إذا كانت المولودة الأولى.

خلاصة:

يعد طقس الولادة في المجتمع الجزائري من الطقوس المقدسة فهو يمثل الهدف الأسمى الذي تتمنى كل عائلة الوصول إليه، وهذا ما تمت ملاحظته من خلال المقابلات التي تم اجراؤها مع المبحوثات، ولذلك تولي العائلة الجزائرية بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة العادات المرتبطة بالميلاد اهتماما بالغا من أجل بلوغ حدث الميلاد بسلامة، وعليه فقد خلصنا إلى عدة نقاط أهمها:

- إن مرحلة الميلاد في مجتمع الدراسة تعد من أهم مراحل العبور فمن خلالها يتم تحديد مصير المرأة، فكل الطقوس التي تقام لها تكون في سبيل تحضيرها للأدوار التي ستشغلها في المستقبل، والتي تتلخص في كونها ربة بيت تخدم بيت زوجها وأهله خاصة في المجتمع التقليدي.
- ثبوت وجود فوارق بين النساء اللواتي ولدن الذكور وبين اللواتي ولدن الإناث، فالمجتمع ما يزال يعقد المقارنات بينهم ويمنحن الأفضلية لأم الذكور أكثر من أم الإناث، غير أن هذا الأمر لم يعد يشكل هاجسا أو عرقلة بالنسبة للأنثى بصفة عامة بفضل التغيرات التي لامست الأسرة الجزائرية.
- ان التغيرات التي جاءت كنتيجة للتحولات السياسية والاقتصادية والثقافية قد أثرت بشكل كبير في عادات الميلاد وطرق ممارستها، فقد توصلنا بفضل الدراسات الميدانية إلى أن الكثير من عادات الميلاد قد تم تحديثها لتلائم الظروف المعيشية الحالية، والسبب يعود إلى ارتفاع الدخل الفردي وكذلك توفر المرافق والمواد والأدوات التي من شأنها أن تحسن وتحدث جودة ممارسة طقوس الميلاد.

- بالرغم من ظهور طقوس جديدة نابعة من الحداثة إلا أن النساء في مجتمع البحث لم يستغنين عن الطقوس التي ورثنها من أجدادهن، ولذلك توجد مزاوجة بين استخدام العادات التقليدية والحديثة أثناء ميلاد الفتاة

الفصل الرابع: مرحلة البلوغ لدى الفتاة بين المقتضى الثقافي المحلي وحتميات المثاقفة

- تمهيد
- أنواع البلوغ
- الجسد في المجتمع الجزائري
- الفصل بين الفضاء الأنثوي والفضاء الذكوري والعادات المصاحبة له
- طقوس الصفح وحماية عذرية الفتاة في المجتمع الجزائري
- الحضور في المناسبات الاجتماعية والأماكن العامة
- طقوس العناية بالجسد والمظهر
- عادات التجميل

تمهيد:

يعد البلوغ المرحلة التالية لمرحلة الولادة وهي انتقال الفتاة من كونها مجرد طفلة صغيرة إلى امرأة راشدة، ويعتبر البلوغ الممهد الأول لدخول المرأة إلى عالم الزوجية والانجاب وتربية الأطفال الذي كانت تحضر له منذ صغر سنها، وتتحكم في هذا العملية العديد من العوامل كالعوامل الاجتماعية والثقافية والبيولوجية وغيرها، كما ترافقها العديد من العادات والطقوس المرتبطة بهذه المرحلة والتي تعد ممارسات متممة لعملية البلوغ.

يعتبر أرنولد فان جينيب أن عملية البلوغ تعكس طقوس البدء فهذه الأخيرة تعد الفترة الانتقالية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد وبالتالي تعيش الفتاة حياة جديدة وتقوم بأدوار مختلفة، ويضيف أنه لا ينبغي إنكار الطبيعة الجنسية لهذه المرحلة، فالبلوغ هو الذي يدفع المجتمع لقول إنها مرحلة تجعل الفرد رجلا أو امرأة، وبالتالي فإن البلوغ هنا يصنف ضمن طقوس الانفصال والاندماج أيضا فالانفصال يكون عن العالم اللاجنسي والاندماج يكون في عالم الحياة الجنسية.[1]

تتمتع مرحلة البلوغ في المجتمع الجزائري بمكانة خاصة وذلك لارتباطها الوثيق بمرحلة والزواج، فهذه العملية تعكس الدلالات الوظيفية والأدوار الاجتماعية التي سيشغلها كل من الفتاة والشاب بعد دخولهما لمرحلة البلوغ، فنجد مختلف العائلات تفتخر بوصول أبنائها لهذه المرحلة وذلك عائد لعدة أسباب فالمجتمع الجزائري ينظر إلى أن الانجاب وكثرة الأولاد استثمار ناجح في الحياة خاصة في المجتمع التقليدي.

ويميز جينيب نوعين من البلوغ هما البلوغ الجسدي والبلوغ الاجتماعي تماما كما نميز بين القرابة الدموية والقرابة الاجتماعية بين النضج الجسدي والنضج الاجتماعي، غير أن هذا الأمر غير شائع

[1] Arnold van gennep: previous reference, p 65.

كثيرا فالأغلبية من المجتمع لم يعرفوا أنهم كانوا يتعاملون مع ظاهرتين مختلفتين للبلوغ واستخدموا كلمة " ***سن البلوغ*** " للدلالة على معنى واحد[1]، وهي في حقيقة الأمر مصطلحان يختلفان عن بعضهما البعض وقد لا يلتقيان أبدا.

إن البلوغ الجسدي أو البلوغ الاجتماعي مهما اختلفا فإنهما يشتركان في نقطة واحدة وهي انتقال الفتاة من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، ويتبع هذه الأخيرة مجموعة مختلفة من العادات الاجتماعية والطقوس التي تؤسس لهذا الحدث والتي تكمل بدورها طقوس فصل الفتاة من المجتمع وإعادة دمجها فيه، وتأسيسا على هذا فإننا في هذا الفصل بصدد رصد العادات المتعلقة بمرحلة البلوغ في ظل التغير الثقافي.

1-أنواع البلوغ:

لقد أشرنا في العنصر السابق إلى تقسيم أرنولد فان جينيب البلوغ إلى نوعين هما البلوغ الجسدي أو البيولوجي والبلوغ الاجتماعي، وهذان الأخيران يختلفان عن بعضهما البعض ومن خلال العناصر الآتية سنقوم بالتطرق لهذين المصطلحين وكذلك معرفة العادات المرتبطة بهما.

1-1- البلوغ البيولوجي:

البلوغ البيولوجي هو انتقال الفرد سواء ذكر كان أو أنثى من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد ودخول عام البالغين، إذ تحدث في هذه المرحلة العديد من التغيرات الفسيولوجية على جسم الانسان وتختلف هذه التغيرات من الذكر إلى الأنثى، ولا يختلف البلوغ الجسمي حتى باختلاف المجتمعات وثقافاتهم لأنه مرتبط بعوامل بيولوجية بحتة، وهذا الأخير لا يحدث بصفة مباشرة بل تسبقه العديد من العلامات والدلالات على قربه.

---

[1] Arnold van gennep: previous reference, p 68.

1-1-1- علامات البلوغ:

تتمثل علامات البلوغ البيولوجي لدى للفتيات في انتفاخ الثديين وبروزهما، واتساع في الحوض وكبر حجمه وزيادة وزن الفتاة ما يعطيها شكلا انثويا أكثرا، ويرافق تغير جسد الفتاة تغيرات في ملامح وجهها وانتقاله من ملامح طفولية إلى بروزها بشكل حاد مما يوحي إلى أنها قد انتقلت إلى المرحلة التالية، فضلا على تغير نبرة الصوت وظهور ما يعرف بـ" ***حب الشباب*** " لدى بعض الفتيات وهذا الأخير هو انسداد مسامات الوجه بالزيوت المفرزة والجلد الميت ما يؤدي إلى ظهور البثور على الوجه، وقد يشكل حب الشباب مشكلة بالنسبة للفتيات في هذا السن وذلك لارتباطه بمعايير الجمال لديها.

ومن المؤشرات الجسدية التي تدل على البلوغ لدى الفتيات أيضا هو ظهور الشعر في جميع مناطق جسمها كالأرجل واليدين والابطين والعانة، وتغير رائحة الجسد والتعرق الناتج عن زيادة نشاط الغدة الكظرية، وهذه التغيرات بمثابة الدخول الرسمي إلى عالم البالغين غير أن الفتاة لا تعد هنا بالغة بمجرد ظهور هذه العلامات فقط فالأمر الفاصل هنا هو نزول دم الحيض، والملاحظ هنا أن جميع العلامات المذكورة هي علامات خارجية وظاهرة على الجسم ويمكن ملاحظتها بالعين المجردة.

1-1-2- الحيض:

الحيض هو المؤشر البيولوجي الرئيسي الذي يجعل الفتاة بالغة رسميا أمام المجتمع، وهو مجموع التغيرات التي تحدث على المستوى الداخلي للجسم، وهو نزول الدم وبعض الافرازات من رحم المرأة عن طريق المهبل، ويختلف سن نزول الحيض من امرأة لأخرى فتبدأ دورة الحيض عند أغلب الفتيات من سن 11 أو 12، ومنهن من تحيض في سن مبكرة جدا ابتداء من 8 سنوات سنة ولكنه من الطبيعي أيضا أن يبدأ الحيض مبكرا في هذا السن، ومنهن كذلك من تتأخر دورتها فتتجاوز سن 16 أو أكثر وفي هذه الحالة يستلزم عرض الفتاة على طبيبة مختصة لترى سبب هذا التأخر.

يستمر الحيض في الحالة العادية من 3 أيام إلى 7 أيام وتمتد المدة الفاصلة من دورة إلى أخرى ما بين 21 و35 يوم، وتختلف عدد أيام الحيض ودورته من فتاة إلى أخرى والأمر المتحكم فيه هو مجموع العوامل الفسيولوجية، فالبنية الجسمية للمرأة تختلف من امرأة لأخرى ولذلك لا يمكن إطلاق أحكام مطلقة حول الموضوع، وتستمر دورة الحيض لدى المرأة بشكل دوري حتى تصل إلى سن ما بعد 50 سنة فتتوقف وهو ما يعرف بسن اليأس.

يرافق الدورة بعض الأعراض كالألم في منطقة الرحم وأسفل الظهر وألم في المفاصل والتعب والشعور بالفشل والتعب نتيجة النزيف، ويضاف إلى هذه الأعراض الشعور بالغثيان والقيء وكذلك الاسهال في بعض الأحيان وجميع هذه الأعراض طبيعية وذلك لتغير هرمونات المرأة في هذه الفترة، ويرتبط الحيض بصفة مباشرة بقدرة الفتاة على الحمل والولادة، فقبل بدء الحيض يطلق المبيض بويضة قابلة للتلقيح وتسمى هذه العملية بـ" ***التبويض*** ".

يعد موضوع البلوغ في المجتمع الجزائري من المواضيع الشائكة والتي تصنف في غالب الأحيان من ضمن التابوهات، فكان يمنع الحديث عنه ومناقشته علنا ولذلك لم يكن من الشائع تداوله أو الخوض فيه، فلم تكن الأمهات يعلمن بناتهم حول الموضوع وكيفية التعامل معه ما خلق مشكلات عدة لدى الفتيات، وهذا ما أكدته مجموعة كبيرة من مفردات العينة، خاصة النساء الكبيرات في السن فقد صرحن أنهن كن يجهلن عن ماهية البلوغ وما هي علاماته ومؤشراته حتى يفاجأن بنزول الدم عليهن، وهذا الأمر شكل لهن العديد من المشاكل كالخوف الشديد لإخبار أمهاتهن أو أي شخص آخر، وكذلك الخوف من اكتشافهم لذلك الأمر له اعتقادا منهن أنه شيء خطير وقد يعرضهن لمشكلات عدة.

ويستمر هذا الوضع معهن إلى غاية اكتشاف أحد أفراد العائلة بأمر بلوغها فتعطيها بعض المعلومات والنصائح القليلة حوله، كتعليمها طريقة مع التعامل الحيض وتقدم لها بعض الأقمشة القديمة والبالية ويطلق عليها " ***الشلالق*** " لتضعها في ملابسها الداخلية لتحميها من تسرب الدم إلى الخارج،

وتغير الفتاة هذه الأقمشة بطريقة دورية كلما امتلأت بالدم ومن ثم تقوم بغسلها وتنظيفها جيدا من أجل إعادة استخدامها.

ومن الطقوس العلاجية لآلام الحيض في السابق هي مشروبات الأعشاب المختلفة كـ" ***التيزانة، النعناع، سنا مكي، الزعتر، الخنجلان، البابونج، كف مريم، زريعة البسباس، الحلبة، الدرع***"، وتشابه العلاج بين الحيض والنفاس يؤكد فعالية هذه الطقوس العلاجية، كما ينصح بتناول المأكولات الساخنة والحارة كـ " ***كعيش المرور والمقطعة*** " وغيرها من المأكولات التي تحتوي على الكثير من التوابل، وتحرص الأم على مراقبة لباس ابنتها وتنبهها على ارتداء ملابس مناسبة تقيها من البرد لتفادي اصابتها بهواء الرحم، وهذا الأخير هو مرض يؤخر الحمل لدى المرأة، لذلك كانت الأمهات في المجتمعات التقليدية حريصات جدا خاصة على هذا بموضوع نظرا لأهميته ولتحكمه في مكانة المرأة.

ومن أهم ما تحرص الأم عليه في مرحلة بلوغ ابنتها هو تنبيهها على الحرص على السرية التامة أثناء دورتها وخاصة أمام أبيها وإخوتها الذكور، وهذا ما خلق مفهوما خاطئا لدى الفتيات بأن الحيض أمر يخجل منه وهو ما أكدته أحد المبحوثات بقولها: " ***أنا كي جاتني العادة كي كنت صغيرة كانوا ديما يوصويني بلي ملازم حتى واحد يعرف من الدار وملازمش يشوفوني هكا لازم كلش يكون بالتخبية وعليها كبرت وأنا دايرة في بالي بلي الشي هذا عيب وقعدت نحشم منو حتان كبرت مليح وعرفت صلاحي*** "[1].

ومن العادات المرتبطة بالحيض في المجتمع الجزائري هي التوقف على أداء الفرائض كالصلاة وصوم رمضان أثناء نزول الدم، وهذه عبادة إسلامية إذ منح الله رخصة للمرأة للتوقف المؤقت عنها فيسقط فرض أداء الصلاة دون قضائها، وأما بالنسبة للصوم فيستلزم عليها اعادة قضائه بعد انقضاء

[1] مقابلة مع: "هـ ب" بتاريخ 27-11-2021، 11:10-11:45، في منزل والد المبحوثة.

شهر رمضان وعدم لمس المصحف أيضا إلى غاية طهرها، فضلا على اعلام الفتاة أنه لا يجوز شرعا القيام بالعلاقة الحميمة مع زوجها في هذه المرحلة إلا بعد طهرها لأن ذلك يؤثر سلبا على صحتها الجسمية، وتندرج هذه المحرمات ضمن طقوس العزل التي تحدث عنها أرنولد فان جينيب، فالتوقف عن أداء العبادات والامتناع عن العلاقة الحميمية ماهي إلا سبل عزل للمرأة عن المجتمع وتنتهي بمجرد انتهاء تلك الفترة.

يعقب طقوس العزل طقوس التطهير والمتمثلة في الاغتسال من الحيض بعد ظهور علامات الطهر، كنزول بعض الافرازات البيضاء وتعرف بـ" ***القصة البيضاء*** " أو الجفاف التام من الدم، بـ: "***الغسل***" هو اغتسال الفتاة بطريقة معينة للتطهر من الحيض لإعادة ادماجها في المجتمع بعد عزلها منه، وكذلك والسماح لها بالقيام بوظائفها المعتادة كممارسة الشعائر الدينية وقضاء ما عليها من دين كالصوم مثلا.

التأويل الأنثروبولوجي:

لقد تغيرت تصورات المجتمع الجزائري حول موضوع البلوغ البيولوجي فبعدما كان هذا الموضوع يتسم بالغموض والسرية أصبح من السهل الحديث فيه والنقاش على أدق تفاصيله، وذلك بفضل تطور العلم وخاصة مجال الطب الذي مكن المجتمع من شرح أن البلوغ والحيض هما مجرد عمليتان بيولوجيتان لا تستدعي الحرج أو التستر عليها، فأصبحت الأمهات أكثر حرصا على تعليم بناتهن قبل بلوغهن فأغلب الفتيات في وقتنا الحاضر على معرفة مسبقة بتفاصيل البلوغ ابتداء من علاماته الأولى وصولا إلى نزول الدم وكذلك كيفية التعامل معه.

وقد ساهم التطور في مجال الطب كذلك بصنع فوط صحية للمرأة توضع على الملابس الداخلية بدل الأقمشة القديمة، وهي طريقة أكثر أمانا من سابقتها لأن الفوط الصحية مصنوعة بمعايير عالية الجودة للحفاظ على المنطقة الحساسة، ولذلك ينصح بتغيرها كل أربع ساعات أو قبلها ان أمكن تفاديا

لحصول أية التهابات، وتتوفر هذه الفوط بمختلف الاحجام والاشكال وهو الشيء الذي يساعد المرأة عى التحرك بسلاسة ويمكنها من القيام بجميع أدوارها على أكمل وجه فتقول أحد المبحوثات" ***حنا بكري صرا فينا الباطل مشي كيما ضرك، بكري كي تجينا العادة نحصلوا نديروا غير طراف قماش وخلاص لبنات تاع ضرك رحمهم ربي ومعاشوش كيفنا " .***[1]

وعلى الرغم من انتشار المعلومات حول موضوع البلوغ، إلا أنه ما يزال يشكل لدى بعض الفتيات مصدر قلق لعدم توفر المعلومات الكافية حوله، وهذا ما أكدته المبحوثة (أ،ب) بقولها: " ***أنا بلغت في عمر 15سنة وكنت خايفة شويا خطراه المعلومات لي كانت عندي قليلة والشي بي عرفتو كان من عند صحاباتي في المدرسة ومش من عند ماما، بصح مور ما خبرتها وراتلي حوايج وقاتلي على ضرورة النظافة وفقط، وأختي لكبيرة هي لي علمتني طرقية الغسل وكيفاش ندير les bondes، وحنا في دارنا ما نديرو حتى عادة خطراه الموضوع هذا نحسبوه من التابوهات ومنحكيوش عليه نهائيا "***[2] وهذا ما يعني عدم وجود التوعية الوالدية لبناتهم ،وما يعكس ذلك أيضا استخدام المبحوثات لمصطلحات تدل عل ذلك كتكرار قول: " ***خوف، قلق، حيرة، احراج، معنيش معلومات على الموضوع، ماما ما قاتليش*** " وغيرها من المفاهيم التي تشرح الوضعية الصعبة الي صادفت بعض المبحوثات في مجتمع البحث.

أما بالنسبة إلى الطقوس العلاجية فمازال المجتمع متمسكا بالطرق التقليدية لتفادي آلام الدورة كمشروبات الأعشاب والالتزام بنظام غذائي محدد، وإلى جانب هذه العلاجات أصبحت المبحوثات تلجأن كذلك إلى الطب الحديث كأخذ الأدوية المسكنة للآلام أو الذهاب للمستشفى خاصة في حالة أولئك الفتيات اللواتي يعانين من آلام حادة في تلك الفترة.

---

[1] مقابلة مع: " ي ل" بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

[2] مقابلة مع: "ع ب " بتاريخ 14-12-2020، 10:10-12:00، في منزل المبحوثة.

الصورة رقم (39): دواء يستعمل لتسكين آلام الدورة (المصدر: تصوير الطالبة)

1-2- البلوغ الاجتماعي:

يختلف البلوغ الاجتماعي في المجتمع الجزائري التقليدي عن البلوغ الجسدي خاصة إذا تعلق الأمر بالفتاة، وذلك عائد إلى تدني مكانها مقابل الذكر، فالطفلة منذ ميلادها يحدد مستقبلها ويحصر في تأدية الأعمال المنزلية والعناية بالعائلة كما تنشأ على الخضوع لسلطة الذكر أيا كان سواء جدها أو أبوها أو أعمها أو خالها أو حتى اخوتها كبارا أو صغارا، ما يعني أن البلوغ الاجتماعي ليس له علاقة بالتغيرات الجسمية التي تطرأ على جسد الفتاة أو نزول دم الحيض عليها، بل بالثقافة الاجتماعية الشائعة لدى الجماعة التي ولدت فيها الفتاة.

تبدأ مرحلة البلوغ الاجتماعي للفتاة في مجتمع الدراسة في سن مبكرة جدا وحتى قبل ظهور علامات البلوغ الجسدي خاصة إذا كانت الفتاة الأولى في العائلة، فتبدأ الأم بإشراك ابنتها في الأعمال المنزلية فتبدأ بتدريبها شيئا فشيء، كتكليفها بحراسة اخوتها الصغار أو ترتيب بعض الأشياء أو ملئ الأواني المائية وغيرها، إلى غاية أن تصبح قادرة على القيام بها دون مساعدة منها، فإن وصلت الفتاة إلى هذه المرحلة تعتبر بالغة اجتماعيا لأنها مؤهلة لتحمل مسؤولية العائلة.

وعلى الرغم من اعتبار الفتاة بالغة اجتماعيا وقدرتها على تسيير شؤون العائلة إلا أنها ليست معدة للزواج بعد، فالزواج في المجتمع الجزائري التقليدي مرتبط بشكل مباشر مع البلوغ الجسدي فنجد الأم تنتظر تلك اللحظة لإعلان أن ابنتها بالغة من جميع الجوانب، والدلالة الرمزية هنا هي قدرة الفتاة

على وظيفة الانجاب وكلما كان بلوغ الفتاة أبكر كلما كان مؤشرا جيدا بالنسبة إليها، فالبلوغ المبكر في المجتمع يعني طول مدة خصوبة المرأة وبالتالي قدرتها على إنجاب الكثير من الأطفال.

التأويل الأنثروبولوجي:

لقد اختلف مفهوم البلوغ الجسدي في المجتمع الجزائري عما كان عليه في السابق فبعدما كان ينظر إليه على أنه قدرة الفتاة على تحمل مسؤولية العائلة وتسيير شؤونها، أصبح الأمر يتخطى ذلك نتيجة لتغير الكثير من المعطيات في المجتمع كتغير نمط وأسلوب حياة الأسر، فطبيعة الأسرة الممتدة تولي أهمية لمن يستطيع تحمل أعبائها أكثر، أما بالنسبة للأسر النووية حاليا فتولي أهمية للاستقلال الفردي ودعم أطفالها للوصول إلى مراكز مرموقة أكثر.

إن التغير الثقافي ساهم بشكل مباشر بتغير مكانة المرأة في المجتمع ما فتح أمامها آفاقا للتعلم والعمل وكذلك مكنها من الانفتاح على العالم الخارجي، ما جعل طريقة تفكيرها تتغير وهو الأمر الذي انعكس على أسلوبها في تنشئة بناتها، فالأم في المجتمع الحالي تركز على جعلهن يدرسن جيدا من أجل تحصيل علامات جيدة بعيدا على تشتيتهن بالأعمال المنزلية حتى وإن وصلن إلى مرحلة البلوغ الجسدي، فتؤجل الأمهات تعليمهن إلى سن متأخر أو تكتفي بتلقينهن بعض المهمات البسيطة فقط فتقول إحدى المبحوثات: ***" أنا ماما ملي كانت متحيرنيش على قضية الدار تقولي أقراي برك هاني أنا قضيت بكري واش ربحت "***[1]، وهذا ما يؤكد تغير الأولويات لدى الأسر.

إن توجيه الأمهات لبناتهن للحياة العملية أكثر أدى إلى انعكاس على ترتيب البلوغ في المجتمع فالبلوغ الجسدي أصبح يسبق البلوغ الاجتماعي وليس هذا فقط بل أدى ذلك إلى تغير مفهومه أيضا،

[1] مقابلة مع " أ ل " بتاريخ 15-10-2021، 22:12-13:06، في جامعة محمد خيضر.

فهذا الأخير أصبح متعلقا بدرجة الوعي لدى الفتاة، والوعي هنا يقاس بحسن تصرف الفتاة ومدى لباقتها وكذلك التفكير الجيد وقدرتها على حل المشكلات بنفسها دون اللجوء إلى مساعدة من أشخاص آخرين.

ويرى جينيب أنه لا يمكن في مجتمعنا تزامن العمر الاجتماعي مع لحظة البلوغ الفسيولوجي، وإذا تلاقت هاتان اللحظتان، في يوم من الأيام سيكون ذلك نتيجة للتقدم العلمي،[1] وهذا ما يشهده المجتمع حاليا فيحدث في بعض الأحيان أن تصادف إحدى الفتيات التي ينطبق عليها هذا الأمر وذلك لسهولة التوفيق بينهما ولتوفر العلم والتكنولوجيا لتحقيق ذلك.

2- الجسد في المجتمع الجزائري:

لقد شغل الجسد الإنساني موقعا متميزا في جدل النظرية الأنثروبولوجية على مدار العقدين الأخيرين وذلك من خلال الأطروحات والمناقشات الواسعة التي قدمت، فثمة احتفاء بالجسد باعتباره مفهوما وحاضرا فعليا في إطار الحداثة الراهنة، ولعل الوضع الأكثر صعوبة حين يتم تناول الجسد الأنثوي أنثروبولوجيا، لاسيما في المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة والذي تحكمه الكثير من الأبعاد الثقافية المؤسسة للهوية الاجتماعية، والمحددة للكثير من الأدوار والمراكز التي تجعل من البحث الأنثروبولوجي حول الجسد الأنثوي بحثا من نوع خاص، خصوصا في علاقته بالمخيال الاجتماعي والممارسات الثقافية من طقوس وأمثال شعبية وتابوهات مجتمعية.[2]

يعد موضوع الجسد من الموضوعات التي نالت اهتماما كبيرا من قبل العلماء والباحثين من مختلف التخصصات، ولذلك نجد العديد من المفاهيم والمقاربات المختلفة حوله وعليه فإنه من الصعب جدا

---

[1] Arnold van gennep: previous reference, p 65.

[2] نورة قنيفة: **الجسد الأنثوي ودلالاته الرمزية في قراءات أنثروبولوجية متعددة**، مجلة التغير الاجتماعي، المجلد 2، العدد2، ص ص 461-477.

حصر مفهوم الجسد من وجهة نظر واحدة، وقبل الخوض في الحديث عن الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري توجب علينا التطرق إلى التناول الأنثروبولوجي للجسد.

2-1- التناول الأنثروبولوجية للجسد:

تتناول المقاربة الأنثروبولوجية الجسد من وجهة النظر الاجتماعية والثقافية للمجتمع فالتصورات الاجتماعية السائدة في كل جماعة هي التي ترسم الخطوط الكبرى لكل موضوع مهما كانت طبيعته، فالجسد بالنسبة للمجتمع ليس مجرد بنية جسدية فقط، بل الأمر يتعدى ذلك فهو كيان اجتماعي مشبع بالرموز والدلالات الثقافية التي تميزه عن غيره خاصة، في المجتمعات التقليدية التي كانت تولي أهمية كبيرة للجماعة على حساب الفرد لاعتبار أن الجسد ملك للجماعة.

فلا يمكن للإنسان بكونه حاملا لهذه البنية الجسدية بمختلف وظائفها وأبعادها الرمزية والدلالية التخلي عن الجوانب الأساسية التي تجعل منه كائنا متوازنا في هذه الحياة، فللجسد لغة وهي سابقة عن لغة اللفظ فكل استعمال للجسد هو تعبير كما أن النشاط والسلوك ينم عن إدراك عام لما يفرزه المحيط الخارجي من معان نتبينها من مختلف التعابير الجسدية، وبالتالي فان التصورات الذهنية والتمثلات المكونة من طرف الأفراد والجماعات نحو الجسد تتباين من ثقافة لأخرى[1].

غير أن هذه التصورات الاجتماعية للجسد لم تصمد أمام التغيرات التي شهدها العالم خاصة مع تطور التكنولوجيا، وإذا ما تكلما على المجتمعات الأوربية تحديدا فهي السباقة في تغيير النظرة حول الجسد من كونه كيانا اجتماعيا بحت إلى كيان فردي مستقل بذاته عن كل ما هو مرتبط بالرموز الاجتماعية للجماعة التي ينتمي إليها، إلا أن هذا لا يعني الانفصال التام عن الجماعة ولكن المقصود بهذه الحركات الانفصالية هو إعطاء الفرد حرية أكثر في التحكم في جسده.

---

[1] محمد حمادي، **البنية الرمزية للجسد ومظاهره الطقوسية والتعبيرية**، مجلة الواحات للبحوث الدراسية، جامعة غرداية، العدد11 ، 2011، ص 208-224.

إن تحرر الإنسان إذا قبلت الصيغة مؤقتا أمر نسبي جدا إذ يمكن بسهولة إظهار أن المجتمعات الغربية تبقى دائما قائمة على محو الرموز الثقافية للجسد[1]، ويترجم من خلال طقوس عديدة منتشرة في مختلف مواقع الحياة اليومية ويمكن القول إن الجسم البشري قد تم تغييره بعدة وسائل ليتلاءم مع المعايير الثقافية والاجتماعية والجمالية والجنسية السائدة في الثقافة العالمية، حيث أصبح الجسد الآن أشبه بنسخة عالمية واحدة خاصة إذا تعلق الأمر بجسد المرأة.

إن المرأة في مختلف المجتمعات قد عانت كثيرا من الهيمنة الذكورية التي أنتجت تمثلات مسيئة لجسدها خاصة بعد مرحلة البلوغ، فقد كانت أغلب الجماعات تنظر إليها كجسد مدنس يجب فصله عنهم إلى غاية انتهاء الحيض وممارسة طقوسها التطهيرية ليتم إعادة دمجها في الجماعة مرة أخرى، ولذلك كانت تعامل بدونية واحتقار شديدين كمحاولة للحط من مكانتها واقصاء وجودها فيه.

في السنوات الأخيرة وفي ظل ظهور الحركات النسوية في المجتمعات الغربية التي سبق أن تحدثنا عنها للدفاع، عن حقوق المرأة ضد التمييز الذي عانت منه لقرون طويلة من طرف الرجل، بدأت تتغير النظرة للجسد الأنثوي شيئا فشيء خاصة مع ازدهار مجال العلوم البيولوجية فاتخذتها النساء قاعدة علمية وركيزة لحركاتهن، فأصبحت هذه الحركات تدعوا أيضا إلى تحرير الجسد الأنثوي من النظرة التقليدية له كالنظر إلى جسدها بدونية، وحصر وظيفته في اشباع الرغبات الجنسية للرجل وارغامها على ارتداء نوع محدد من الملابس، وكرد فعل على ذلك انطلقت العديد من المسيرات والتظاهرات من أجل دعم قضيتهن المتمثلة في التحرر من جميع القيود الاجتماعية.

---

[1] محمد حمادي: مرجع سابق، ص 210.

الصورة رقم (40) احتجاجات ضمن الحركة النسوية في شوارع نيويورك سنة 1971

(المصدر: https://www.theguardian.com/books/2021/oct/06/feminism-for-women-by-julie-bindel-review-equality-is-not-enough 05-06-2023, 22: 00.)

ومن أشهر الحركات النسوية منظمة **FEMEN** في أكرانيا والتي أصبحت ناشطة دوليا بسبب أسلوبها الملفت في التظاهرات، فقد استخدمت هذه المنظمة تكتيكات خارجة عما عهده المجتمع للاحتجاج كخلع ثيابهم في الطرقات والأماكن العامة والكتابة على صدورهم، للتعبير عن رفضهم على ما يسميه شيفتشينكو المؤسسات الأبوية الثلاثة: ***" الديكتاتورية، وصناعة الجنس، والكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية"*** وهو تذكير مهم لأولئك الذين يوازنون بين التطرف والإسلام بأن الدين المؤسسي لجميع الطوائف يمكن أن يكون خطيرا[1]، وهذه التكتيكات جاءت ضمن سياق تحرير الجسد من القيود السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها، ومن الشعارات الأساسية لهذه المنظمة نجد شعار:

"My body is sexual when I decide it to be sexual, my body should be political when I decide it to be political"[2]

[1] https://www.opendemocracy.net/en/5050/politics-nudity-feminist-protest/ 05-06-2023, 22 : 00.

[2] https://www.opendemocracy.net/en/5050/politics-nudity-feminist-protest/ 05-06-2023, 22 : 00.

ومعنى هذا الشعار : ***" جسدي جنسي عندما أقرر أنه جنسي، جسدي يجب أن يكون سياسيا عندما أقرر أنه سياسي"،*** ودلالته أن للمرأة الحرية الكاملة في التصرف في جسدها كما يحلوا لها دون تدخل الغير في تصرفاتها، ولم تتوقف مطالب هذه الحركة هنا فحسب بل شكلت جبهات وتحالفات مع مختلف الحركات النسوية في العالم لمناهضة الحجاب الذي يرونه نوعا من أنواع العبودية والتخلف المفروض على المرأة، ما جعل صدى هذه الحركة يصل إلى عمق المجتمعات الإسلامية وتبني هذه الفكرة والقول بأن الحجاب ليس فرض وبأنه حرية شخصية وغيرها من الشعارات، ومن أكبر الناشطات العربيات التي تبنت هذا التيار الناشطة المصرية نوال السعداوي التي كان لها الأثر البالغ في التأثير على تصورات المرأة العربية حول نفسها وجسدها.

2-2- الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري:

إن الصورة التي يرسمها أي مجتمع للجسد ومكوناته تستمد عناصرها من الرموز السائدة في ذلك المجتمع، تلك الرموز التي تحدد الوظائف التي يقوم بها الجسد وتنهض بها أجزاؤه المختلفة وعلاقاتها ببعضها البعض مما ينتج في النهاية نوعا من المعرفة التي تسير الإنسان وادراكه بهذا الجسد ووظيفته، ما يتيح له أن يدرك حقيقة موقعه من المجتمع وعلاقاته مع الآخرين، لكون ثقافة الجسد والحديث عنها تربط بمئات القضايا والمجالات من مختلف الثقافات.[1]

إن الصورة النمطية التي رسمها المجتمع الجزائري عن المرأة جعلها تكون دائما في خطوة إلى الوراء مقارنة بالرجل، ما انعكس سلبا على مكانتها في المجتمع وما أدى بالضرورة إلى أن ينظر إلى جسدها نظرة دونية، إن ارتباط الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري بالمخيال الشعبي حدد مسبقا أسلوب

[1] مها محمد حسين: **العذرية والثقافة**، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010، ص 41.

الحياة الذي ستعيش من خلاله المرأة، ويمكننا فهم هذا التصور من خلال المقاربة التي صاغها بيير بورديو حول الرأسمال الرمزي.

ويعتبر بيير بورديو الرأسمال الرمزي على أنه رأسمال ذو قاعدة معرفية تشتمل على جميع التجارب التي مرت بها الجماعة والتي تكون بمثابة القانون المسير لها، ويحظى هذا الأخير بالقبول من جميع أطراف الجماعة والالتزام به وأن كل من يخالفه قد يعرض لعقوبات من قبلها وهذا ما ينطبق تماما على الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري فالمخيال الجمعي فرض على المرأة الرضوخ له والتجاوب معه والالتزام به، لذلك نجد المرأة في المجتمع التقليدي قد عانت من الكثير من المشكلات الاجتماعية بسبب النظرة الدونية لجسدها، وهذا ما تجلى لنا واضحا من خلال المقابلات التي أجريت مع النساء الكبيرات في السن، فأغلبهن قد عبرن عن سخطهن الشديد حول ما يتعلق بمسألة الجسد والعادات والطقوس المتعلقة به، وما قد عايشنه في مجتمع البحث خاصة في المرحلة التي تسبق البلوغ، ولقد عبرن على ذلك بقولهن أن المجتمع ينظر إلى المرأة على أنها مجرد جسد فقط ولا ينظر إليها أنها كائن اجتماعي له كيانه الخاص، وقد حددت وظيفته في انجاب الأطفال وفي تقديم المتعة الجنسية للرجل فقط، في حين منعت هي منها، لاعتقاد أنه من العيب والعار على المرأة التعبير عن رغباتها الجنسية ما ولد لديها سخطا تجاه الرجل والجنس والنظرة المجتمعية إليها.

لقد فرضت الظروف الاجتماعية والثقافية منذ زمن بعيد على المرأة أن تكون مجرد جسد فقط فأدى هذا إلى اندثار نفسها وعقلها، وجهل الناس بمرور الزمن أن المرأة يمكن أن يكون لها كيان مواز للرجل تماما، ولا شك أن تلك المحظورات والقيود التي فرضها المجتمع على المرأة أو بالذات على أعضائها التناسلية قد ساعد على تشويه معنى العلاقة الجنسية لدى المرأة وأدى إلى ارتباطها في الأذهان

بالإثم والخطيئة والنجاسة وغير ذلك من التعبيرات المعيبة، التي جعلت الناس يخشون الحديث عن الجنس وبالتالي أصبحوا يجهلون عنه الكثير.[1]

ولم يقتصر مفهوم الجسد على النساء البالغات فقط فكانت هذه التصورات تطال جميع الفئات العمرية فقد كانت الفتيات الصغيرات ينشئن على هذا المفهوم، فالفتاة منذ صغر سنها ترسم لها قواعد وحدود في المجتمع لا يجب عليها تجاوزها لاعتبار أن المرأة جزء من الشرف الذي لا يجب تدنيسه، ولأجل ذلك تحيط العائلة الفتاة بالحماية المفرطة وكذلك المراقبة طوال الوقت، وما يدعم هذا هو اتفاق أغلب المبحوثات على أن المرأة في المجتمع الجزائري قد نشأت بنفس الطريقة بصرف النظر عن الجماعة التي تنتمي إليها وقد أشرن إلى مصطلح " ***عيب*** " أنه القاسم المشترك بينهن.

إن الدلالة الرمزية لمصطلح عيب في المجتمع الجزائري يشمل جميع المحرمات والممنوعات التي لا يجب على المرأة القيام بها، خاصة إذا تعلق الأمر بموضع جسدها وفي جميع مراحلها العمرية وبالتحديد مرحلة البلوغ، وقد صرحت المبحوثات ببعض العبارات التي تكررت على مسامعهن طوال فترة الطفولة، وكذلك بعض الممارسات التي نهو عنها مثل " ***عيب غطي روحك " أو " استري روحك " أو " عيب يشوفوك الناس "*** أو " ***متلبسيش هكا قدام الناس " واش يقولوا علينا الناس "***، وتحمل هذه العبارات نفس الدلالات وهي المنع والخوف الشديد من التصورات التي قد تؤلفها الجماعة عنهم.

وكان المجتمع الجزائري يبرر هذه التصرفات بخوفهم الشديد على نسائهم مما قد يحدث لهن إذا خرجن من فضائهن النسوي والتحقن بالفضاء الخارجي الذكوري، والذي يعتبرونه مكانا ليس بآمن بالنسبة إليهن لأنهن قد يتعرضن للخداع بسهولة، وكانت تقوم الأمهات بسرد مختلف الروايات لبناتهن خاصة

---

[1] بوزيدي سلاف: **إشكالية الشرف لدى المرأة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، سبتمبر 2014، ص ص 111-124.

بعد مرحلة البلوغ عن خداع الرجال للنساء واستغلالهن جسديا، وبهذه الروايات كانت الأم تمنع الفتيات إلى حد بعيد من الاختلاط بالجنس الآخر.

وكان من الشائع جدا في الوسط الأنثوي أن تسمع عبارات كهذه ***" كي تتزوجي يديرلك راجلك "*** أو ***" كي تتزوجي يديك راجلك "*** أو ***" كي تتزوجي البسي لراجلك "*** وهذه الأخيرة كانت بمثابة الوعد بالمكافئة التي ستنالها الفتاة نتيجة تقيدها بالتعاليم المفروضة عليها، وكذلك حماية جسدها وشرفها من العار بعدم الاختلاط مع الرجال والدخول معهم في علاقات خارج إطار الزواج.

التأويل الأنثروبولوجي:

إن الجدلية الحاصلة بين المرأة والرجل في المجتمع الجزائري ما تزال حاضرة وبقوة وذلك عائد للخطابات المستمرة حول هذا الموضوع، فالمرأة في المجتمع ماتزال ترى نفسها بعيدة كل البعد عن حقوقها وأن المعتقدات السائدة في المجتمع ماتزال هي الأخرى تقيدها وتحد من حريتها، وبعد التطور الحاصل في مجال الاتصال أصبحت المرأة قادرة على التعبير على آرائها بسهولة من خلال توجيه خطاباتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فنجد العديد من الناشطات عبر هذه المنصات تدافع باستمرار على حقوق المرأة وكذلك تحفيزها بالخروج إلى العمل وتحقيق الذات والابتعاد عن الحياة التقليدية التي فرضها المجتمع عليها.

ولم تكن خطابات المرأة على هذه المواقع مقتصرة على المطالبة بحقوقها كالمساواة والعمل وغيرها بل تخطت ذلك لتصل إلى رغبتها في تغيير التمثلات الاجتماعية لجسد المرأة في المجتمع، وتنحصر هذه الفئة في الغالب عند النساء الشابات المتأثرات بالحركات النسوية الغربية التي زرعت في المجتمع أفكارا تخالف الدين والعرف السائدين فيه، وبالرغم من ذلك فقد لقيت هذه التيارات تجاوبا كبيرا من طرف النساء خاصة إذا تعلق الأمر بالحجاب، فتقول بعض المبحوثات حول مسألة الجسد وستره بالحجاب ***"الحجاب علابالنا بيه فرض وربي يهدينا بصح مراناش معريين رواحنا والرجال لازم يحبسو ما يتبلاو***

في لمرا وإذا حنا ربي أمرنا بالستر فهوما أمرهم بغض البصر " [1]، والأمر المقصود هنا من كلام المبحوثة رغبتها في التزام كل طرف سواء المرأة أو الرجل بنفسه دون التدخل في الغير، وفي ذات السياق تكررت على مسامعنا جملة " ***كل واحد يتحاسب وحدو*** " للدلالة على أن منع المجتمع لها لن يغير من شيء لأن الله يحاسب كل شخص على أعماله وحده، والأمر الملاحظ هنا أن هذا المعتقد شائع جدا وسط النساء، ويستعملنه في كل موضع يتعرضن للضغط فيه من طرف المجتمع وليس فيما يخص الحجاب أو الجسد.

وقد بررت الفتيات جميع التصرفات والممارسات التي يقمن بها بقولهن أنها نتيجة للضغوطات الأسرية التي عانين منها خاصة في فترة المراهقة، والتي وصفنها بأنها الفترة حساسة بالنسبة للمرأة ففترة البلوغ تعد مرحلة صعبة ويصعب التحكم فيها، وذلك للتغيرات الفيزيولوجية التي تحدث لهن وأن عدم تفهم أسرهن لهن في تلك المرحلة، أدى بهن للقيام بأعمال ليست جيدة وفي بعض الأحيان تكون مخلة بالحياء، وأن بعض تلك الممارسات كانت تمردا منهن ورد فعل قاسي على أشكال الضغط النفسي الذي تعرضن إليه، وقد وصفت لنا أحد المبحوثات تجربتها الشخصية في لبس الحجاب في مرحلة المراهقة قائلة: " ***أنا كي كنت صغيرة نقرا سنة رابعة متوسط مزلت منعرفش مام با صلاحي ولا نعرف الدين كيفاش مداير وكنت حدي عام من درت الخيمار وكنت ضعيفة دبوس حاجة متبان فيا بصح كان خويا ميخلنيش يعسني كي نخرج من الدار وساعات يلقاني برا يتلفني يقولي بدلي قشك وأنا معنديش واش نلبس، ويقولي كون يشوفوك الناس برا يقولو اخت فلان شوفو كيفاش لابسة، زيرني بزاف لدرجة أني كرهتو وكنت ديما نتخبا كي نخرج ووليت ندير حوايج بالدرقة عليهم نلبس لقصير نهدر مع الذكور نمشي معاهم نهدر في التليفون غير باه نثبت وجودي قدام لبنات برا خطراه هوما ديما كانوا يلبسو***

[1] مقابلة مع " أ غ "، بتاريخ 05-05-2023، 16:00-16:45، في منزل المبحوثة.

الحطة وأنا لا وحتى كي كبرت باه بديت نفهم بلي لمرا لازم تستر روحها بصح مش بالطريقة هذيك لي كان يدير فيها معايا عقدني وإلى يومنا هذا مقدرتش نتخطى اللبسة الزينة ومزلت نتخبا منهم كي نجي نخرج من الدار ". [1]

إن الضغط النفسي الذي تتعرض له المرأة في المجتمع نابع من المجتمع ذاته وهذا ما لاحظته من خلال مقابلاتي مع المبحوثات، فمن خلال الحديث معهن تبين لي أن جميع التجارب الصعبة التي مررن بها كان نتيجة للفهم الخاطئ للجسد الأنثوي، واستغلال الدين كذريعة لهن لفرض القيود على النساء وعلى حرياتهن فلا يهمه صغر سنها ولا طبيعة شكلها بل الأهم هنا أن تطبق جميع ما أمرت به.

3- الفصل بين الفضاء الأنثوي والفضاء الذكوري والعادات المصاحبة له:

لقد أسفرت التصورات الاجتماعية لجسد المرأة في المجتمع الجزائري عن العديد من العادات والممارسات التي تصنف من ضمن أساليب حماية العنصر النسوي في المجتمع، ومن بينها الفصل بين الفضاءين الأنثوي والذكوري من خلال عامل التنشئة الاجتماعية والعديد من العادات والممارسات المساهمة في ذلك، وتتدرج عملية الفصل ضمن طقوس العزل، وتختلف فترة العزل من جماعة إلى أخرى، ويتحكم في مدة الفصل سبب الفصل ذاته، مثل عزل المرأة الحائض في بعض الجماعات اعتقادا منهم أن المرأة نجسة وأن كل ما تلمسه يصبح نجسا كما في المجتمعات اليهودية.

ان طقس العزل في المجتمع الجزائري نابع من التخوف الشديد على المرأة وما قد يحدث لها، لارتباط المرأة بمفهوم الشرف كما سبق أن أشرنا، وكذلك الصورة النمطية التي رسمها المجتمع عن العلاقة التي تجمع بين المرأة والرجل، فكانت تتلخص هذه النظرة في أن أي لقاء يجمع الرجل بالمرأة

---

[1] مقابلة مع " ن ك " بتاريخ 12-11-2022، 10:25-11:45، في منزل المبحوثة.

ينتهي إلى حدوث علاقة جنسية خارج إطار الزواج، وهذا كان بمثابة أكبر عار قد يلحق بالعائلة الجزائرية، وعلى ذلك الأساس جاءت طقوس العزل هذه للفصل بين الجنسين لمنع حدوث أية فضائح.

هناك قانون شرف يعطي عمق الدلالة لمكانة الرجل والمرأة ويحدد هدف هذه الأفكار نحو من هي مصوبة، ومن هنا تظهر علاقة الهيمنة والسلطة الذكورية بين الرجل والمرأة وتعبر عنها نماذج القيادة وطريقة تسيير السلطة داخل الفضاء، إذ يدرك كل جنس معنى دوره في البيت، فتقسيم الفضاء بين الجنسين ذو أصل اجتماعي وثقافي، ويؤدي إلى إتباع القوانين التي نسميها التقسيم الأخلاقي للفضاء الذي يحدد القوانين المناسبة للسير التي تبين حسب نوع الجنس.[1]

ويتجسد مظهر الفصل كذلك في التصميم الهندسي للمنزل فنلاحظ حجم الأبواب والنوافذ الصغيرة وذلك للحرص على ستر المنزل ونسائه، وهذا ما يعرف بمصطلح ***" الحرمة "*** وهذا الأخير يعبر عن الشرف والنخوة وغيرة الرجال على نسائهم، ودلالة الأبواب ذات الأحجام الصغيرة هي انحناء واخفاض رأس أي شخص أثناء دخوله المنزل، وفي أغلب الأحيان تكون الغرفة المجاورة للباب هي غرفة استقبال الضيوف، فبعد دخول الرجل يتجه مباشرة إلى هذه الغرفة وتعرف هذه الغرفة باللغة العامية لمجتمع الدراسة بـ: ***" الصالة "*** .

وقد صاحب الفصل بين الفضاء الأنثوي والفضاء الذكوري مجموعة من العادات التي تعارف عليها المجتمع الجزائري لتحديد معالم كل فضاء، وذلك لجعل كلا الجنسين منشغلين بالأعمال المخصصة لهما في إطار حيزهما الطبيعي لمنع تواجدهما معا، ومن بين الممارسات الخاصة بالمرأة نذكر:

---

[1] بوزيدي سلاف: مرجع سابق، ص ص 111-124.

3-1- القيام بالأعمال المنزلية:

جرت العادة في المجتمع الجزائري أنه عند حدوث البلوغ الاجتماعي للفتاة تبدأ الأم بتعليمها مختلف الأعمال المنزلية، كالاهتمام بإخوتها الصغار والمساعدة في تنظيف المنزل واعداد الطعام وغيرها، وليس ذلك فحسب بل تعلمها المكان والزمان الصحيحين للقيام بذلك كنوع من أنواع التربصات المغلقة لتحظيرها للدور الذي ستجسده في المستقبل، لذلك تحرص الأم على تعليم بناتها بطريقة صارمة جدا، وذلك ليقال عنها أنها أم صالحة تمكنت من تربية فتياتها بطريقة جيدة وهذا ما تم استنتاجه من خلال المعطيات التي جمعت من لميدان، فتقول أحد المبحوثات: ***" أنا ماما بكري قتلتني بالضرب باه نتعلم القضية تاع الدار، كانت تحكمني من خدودي وتجبد كي نغلط في حاجة هكا تعلمت "*** [1]

يطلق على المرأة النشيطة والتي تتقن أعمال المنزل بالمرأة: ***" القافزة "*** وهي التي تحسن الأعمال المنزلية، كصنع جميع أنواع الرغيف وهي ***" الكسرة، الخميرة، الرڨاق، خبز الدار المحجوبة بأنواعها "***، فضلا على تعليمها عملية ***" فتيل البربوشة "*** التي تعتبر من الأعمال الصعبة لاستغراقها وقتا طويل ومهارة لإنجازه، فكان هذا الأمر يعد محل فخر للأم وبناتها كونه من أقوى العوامل التي تجلب الخاطبين إليها.

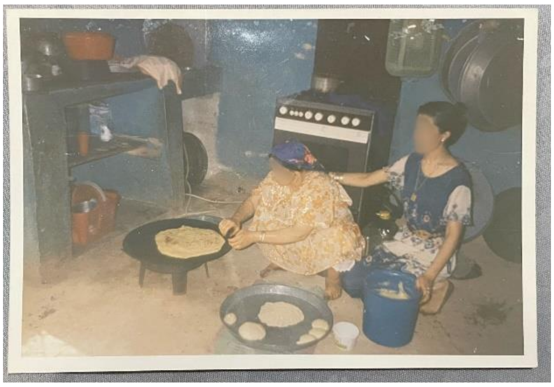

الصورة رقم (41): فتاة تساعد والدتها في خبز الرڨاق (المصدر: صورة قدمتها أحد المبحوثات)

[1] مقابلة مع " ح ل " بتاريخ 26-03-2021، 22:30-23:30، في منزل المبحوثة.

الصورة رقم (42): امرأة تقوم بمخض الحليب (المصدر: صورة قدمتها أحد المبحوثات)

3-2- تعلم الأشغال اليدوية:

لا يقل تعليم الأشغال اليدوية للفتاة في مرحلة البلوغ أهمية من تعليمها الأعمال المنزلية وذلك لاعتباره هو الآخر معيارا هاما من المعايير التي يتم اختيار الزوجة على أساسها، فإتقان الفتاة لهذه الأشغال إلى جانب قدرتها على تحمل مسؤولية المنزل، يجعل منها الفتاة المثالية في تصور مجتمع الدراسة لتكوين أسرة متكاملة، فضلا على تعلم الصبر لاعتبار أن جميع هذه الأشغال تستغرق وقتا طويلا لإنجازها فتتعلم قيم الصبر وسعة البال من خلالها فتكون فرص تلك الفتاة أعلى من فرص غيرها خاصة إذا شاع صيتها في الجماعة التي تنتمي إليها فنجد العديد من الخاطبين يتقدمون لخطبتها.

ويعتبر السبب الثاني لتعليم الأم لها لهذه الحرف هو تمكين الفتاة من تحضير جهازها وشورتها اللذان ستأخذهما معها لبيت الزوجية، فتمنحها الأم في مرحلة البلوغ صندوق خشبي أو حقيبة يطلق عليها " ***الفاليزة*** "، وقد تكون هذه الأخيرة حقيبة مصنوعة من القماش الخشن المخصص لصنع الحقائب أو حديدية الصنع وذلك لتملأها الفتاة بأشياء من صنعها، ومن العادات التي تعارفت عليها النساء هي وضع قطع من الكافور داخل ذلك الصندوق أو الحقيبة للحفاظ على الرائحة الطيبة للقطع التي وضعت فيها.

الصورة رقم (43): فاليزة جمع الجهاز (المصدر: تصوير الطالبة)

وكان أنسب وقت للممارسة هذه الحرف في اعتقاد الأمهات هو الصباح الباكر بعد بزوغ الشمس، وذلك عائد إلى الطاقة التي يكتسبها جسم الفتاة بعد النوم لاعتبار أن هذه الأشغال تعتمد كثير على التركيز وعلى القدرة الجسدية، فضلا على استغلال الإضاءة الطبيعية للشمس في العمل، والأشغال اليدوية التي تتعلمها الفتاة في مجتمع البحث كثيرة نذكر منها:

3-2-1- الطرز بالدبلة:

التطريز بالدبلة هو من الصناعات التقليدية الشائعة في المجتمع الجزائري كافة ويطلق عليها الدبلة أيضا مصطلح " ***السفيفة*** " فنقول " ***طرز الدبلة*** " أو " ***طرز السفيفة*** "، ويطلق عليها في اللغة العربية الفصحى " ***الأشرطة*** " وتصنع هذه الأشرطة بأحجام وألوان مختلفة، وتستعمل عادة في تزيين الوسائد والمناديل وكذلك تزيين المفروشات، ويعتمد في هذا النوع من الطرز مجموعة من الوسائل هي ***" القماش، فازلين الطرز، القرقاف (الطارة)، الابرة الخاصة بالتطريز، كُشتوبان، الدبلة بمختلف الأحجام والألوان "*** .

قبل أن تبدأ الفتاة في عملية الطرز تختار القماش المناسب ومن ثم تختار الشكل الذي تريد أن تقوم بتطريزه فترسمه على قطعة بلاستيكية أو ما يطلق عليه " ***النيلو*** " أو " ***الجلد*** "، ومن ثم تثبت النايلون على القطعة القماشية من جانب واحد بواسطة الإبر بعد أن قامت بلصق الفازلين على القماش

من أجل حمايته من ظهور انكماشات فيه، ومن ثم تدخل ما يعرف بـ: *" كالك "* بين النايلون والقماش لنسخ الشكل على القماش من أجل تمكن الفتاة من اتباع أثره وتطريزه بشكل جيد.

الصورة رقم (44): طرز بالدبلة (المصدر: تصوير الطالبة)

3-2-2- الطرز بالفتلة:

يعتبر التطريز بالفتلة من بين أرقى الصناعات التقليدية في الجزائر ويرجع السبب في ذلك لصعوبة اتقانه وانجازه، وكذلك لاستغراق وقت طويل لصنع قطعة واحدة وكذلك لغلاء ثمن مواد صنعه واستهلاكه الكثير منها، تستعمل الفتلة في صنع الوسائد والملابس ومن بين أكثر الملابس رواجا في المجتمع التقليدي هي: *" ڨندورة الفرڨاني "* المصنوعة يدويا من الفتلة وترتديها المرأة في يوم حنتها، وتعد هذه الأخيرة مصدر فخر لكل فتاة مقبلة على الزواج خاصة إن كانت هي من قامت بتطريزها، لاعتبار أن ڨندورة الفرڨاني رمز للرقي والوقار، وكون الفتاة ذا شأن في أسرتها وذلك ما يرفع من مقامها أمام الجماعة التي تنتمي إليها وعلى وجه الخصوص عائلة زوجها التي ستنتقل للعيش معهم.

ويستعمل في عملية التطريز مجموعة من الأدوات والمواد تشبه معظمها الأدوات المستعملة في طرز الدبلة وهي: ***" القماش، فازلين الطرز، الابرة الخاصة بالتطريز، كُشتوبان، الفتلة الحرة، خيط الصنارة"***، أما عن طريقة التطريز فلا تختلف هي الأخرى على طريقة الطرز بالدبلة فتقوم الفتاة في بادئ الأمر بنقل الشكل على القماش وتبدأ بعملية التطريز، إلا أنه يشترط في اختيار نوع القماش أن يكون ذو جودة عالية مثل: قماش المخمل ويطلق عليه *" الدان "* وهي كلمة فرنسية الأصل *" **Dan** "*

أو قماش " ***القطيفة*** "، ويعد هذا الأخير مشابها لقماش المخمل غير أنه أكثر سمكا منه، وقد يستعمل كذلك في طرز الفتلة قماش "***الساتان***" وهذا المصطلح ذو أصل فرنسي هو الآخر " ***Satiné*** ".

الصورة رقم (45): طرز بالفتلة (المصدر: تصوير الطالبة)

3-2-3- الطرز بالخيوط:

تعد عملية التطريز بالخيوط من الأشغال اليدوية التي تناقلتها الأجيال في مجتمع الدراسة ولا تختلف هذه الأخيرة عن عملية التطريز بالدبلة، فتتطابق معها في الوسائل والأدوات والخطوات المستعملة فيها وتقوم الفتاة باستبدال الدبلة أو السفيفة بالخيوط فقط، ويستعمل في هذا النوع من التطريز الخيوط الرقيقة والسميكة كل حسب رغبة الفتاة، وكان التطريز بالخيوط على المفروشات كاللحاف والوسائد الأكثر استعمالا وشيوعا في هذا النوع من التطريز، والصورة التالية توضح الأدوات التي عادة ما تستعمل في الطرز وقد يكون للأداة الواحد أكثر من استعمال.

الصورة رقم (46): بعض الأدوات المستعملة عادة في الطرز بأنواعه (المصدر: تصوير الطالبة)

3-2-4- الكروشيه:

هو نوع من أنواع الحياكة التي تقوم المرأة فيها بشبك الخيوط مع بعضها البعض لتصنع أنواعا مختلفة من الغرز لتشكل من خلالها أشكالا متعددة كالمفروشات والاغطية والمناديل، فضلا على استخدامها لتزيين المنزل كوضعها على الموائد والتلفاز وعلى الخزائن وكذلك صنع علاقة مقابض الأبواب والخزائن وغيرها، ويستخدم في هذا النوع جميع أنواع الخيوط الرقيقة والخشنة الحريرية والقطنية والمختلف الألوان، وتقوم المرأة هنا بحياكة تلك الغرز بواسطة " ***ابرة الكروشيه*** " أو تستخدم كلمة " ***الكروشيه*** " وحدها بدون قول ابرة كما هو متعارف في مجتمع البحث.

الصورة رقم (47): غطاء وسادة مصنوع من الكروشيه (المصدر: تصوير الطالبة)

3-2-5- النسيج والمنسج:

هما من أصعب الاشغال اليدوية التي كانت المرأة الجزائرية تقوم بها نظرا لثقل الأدوات والمعدات المستخدمة فيه وكذلك الوقت الطويل الذي يستغرق في إنجازهما، كما أنه يتطلب جهدا كبيرا ودقة لإتمامهما ولذلك اعتبرا من أصعب أنواع الأعمال اليدوية المنزلية، والنسيج يكون لغرض تنظيف الصوف بعد غسله جيدا وفكه وتمشيطه لإعداده ليكون مادة أولية في صنع الملابس وخاصة حياكة الملابس الصوفية، وتتكون أدوات النسيج من " ***القرداش ولخلالة والمشاط والمغزل أو الصنارة*** ".

أما بالنسبة للمنسج فيستعمل لحياكة الاغطية كـ: " ***الحولي والحنبل*** " والملابس خاصة الصوفية كـ: " ***البرنوس والقشابية*** " وكذلك المناديل والزرابي وغيرها، ويستعمل فيه مجموعة من المعدات هي

"لماصق أو لمواثق، السداية أو الخشبة، القوايم، لقدادم، القصبة، الجريدة، زوج جبايد أو العضاضات، لخلالة، النغاد، لملزم، النيرا، السفاحة، لخبال، الطعمة ".

الصورة رقم (48): بعض أدوات المنسج (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (49) امرأة تقوم بتحضير الخيط المستعمل في المنسج (الطعمة)
(المصدر: صورة قدمتها أحد المبحوثات)

الصورة (50): أدوات صنع خيط المنسج (الصنارة) (المصدر: تصوير الطالبة)

3-2-6- خياطة وحياكة الملابس:

تعد خياطة الملابس من أكثر الحرف انتشارا في المجتمع الجزائري، فكانت المرأة تحمل على عاتقها مسؤولية تلبيس عائلها كاملة، فنجدها تقوم بجميع أعمال الحياكة والخياطة معا لتتمكن من توفير

الملبس الجيد لهم، وقد اقتصرت حياكة الملابس في فصل الشتاء لتوفير ملابس دافئة تقيهم من البرودة الشديدة وأما بقية الفصول فكانت المرأة حرة في اختيار النوع الذي تريد خياطته، كخياطة ملابس للأيام العادية أو ملابس خاصة بالأعراس أو غيرها أو حتى اعتمادها كمهنة لجني النقود منها، ولذلك نجد الأم حريصة على تعليم بناتها هذه الحرفة لتساعدها لسد حاجة عائلتها سواء قبل أو بعد بعد زواجها.

وقد ارتبطت فكرة تعليم الخياطة للفتاة البالغة في الأساس لتمكينها من تحضير جهازها وشورتها وكذلك ملابس التصديرة التي سوف ترتديها في عرسها وهذا ما سنتعرف عليه في العناصر المقبلة، وقد توسع تعليم الخياطة ليشمل تعلم التطريز وقد سبقت الإشارة إلى تعليم الفتاة تطريز الفتلة على سبيل المثال لتتمكن من صناعة قندورة الفرقاني المخصصة لوضع الحنة.

يعد اتقان الحرف اليدوية في المجتمع الجزائري بمثابة الامتحان الذي يجب على كل فتاة بالغة أن تجتازه، وذلك لتمكينها للالتحاق بركب البالغين ولتتمكن من الحصول على زوج ذو مكانة اجتماعية متميزة، فكانت معظم الفتيات يسعين لتحقيق ذلك فكن يتنافسن على عدد الأعمال التي يحسن القيام بها وكذلك على عدد ما قمن بصناعته ويتباهين به أما الجميع لتظهر بمظهر الفتاة " ***القافزة*** "، ومن بين أشهر المقولات التي تطلق على هؤلاء الفتيات حسب ما أدلت به أغلب المبحوثات هي: " ***كل صبع بصنعة*** "، والدلالة الرمزية لهذه العبارة هو تعدد الأشغال التي تتقنها الفتاة ولذلك قيل على أن كل اصبع من أصابعها يتقن حرفة ما، وكانت هذه العبارة تستخدم حصريا لمدح الفتيات خلال وصفهن أمام النساء وذلك لاستقطاب العرسان إليهن كأن يقال: " ***فلانة الزين والدين وطاعة الوالدين وكل صبع بصنعة تعرف دير كلش*** ".

التأويل الأنثروبولوجي:

أصبحت مسألة الفصل بين الفضاء الأنثوي والذكوري في المجتمع الحديث مسألة شبه مستحيلة وذلك للمتطلبات الجديدة التي فرضها العصر، كالدراسة والعمل والسفر وغيرها فأصبح من الطبيعي جدا

تواجد الجنسين معا في مجال واحد دون خوف الأهل على فتياتهم، ولتوفر الأمن وزوال التصور التقليدي حول إمكانية حدوث أية مواقف من شأنها أن تؤثر على سمعة الفتاة أو أهلها من مجرد الاحتكاك بالفضاء الذكوري، فضلا على سماح الأهالي لبناتهن في تكوين صداقات مع زملائهن من الذكور والخوض معهن في أحاديث غير رسمية من منطلق فتح المجال أمامهن للاكتشاف وفهم الحياة، والمبرر في ذلك هو خوف الأهالي مما قد يفعلنه في حالة منعهن من ذلك فنجدهم يفضلون منحهن بعض الحرية المشروطة للتمكن من مراقبتهن بشكل أفضل، فالمنع المطلق هنا قد يجلب الرفض والمقاومة وقد يؤول في النهاية إلى مخالفة الفتيات لأوليائهن والقيام بأمور محظورة كالدخول في علاقات حب والتي قد تؤدي في بعض الأحيان إلى علاقات جنسية خارج الزواج.

إن الأمر الملاحظ هنا وبوضوح شديد هو تغير الممارسات التابعة للشعور بالخوف على الفتيات فالخوف في المجتمع التقليدي كان يعقبه المنع والحد والمراقبة الشديدة لتصرفات الفتيات، أما في المجتمعات المعاصرة فقد أصبح الشعور بالخوف يولد التساهل والسماح للفتيات بفعل بعض الأمور التي كانت ممنوعة من قبل، لاعتبار أن التقسيم الثقافي والاجتماعي للفضاء الأنثوي والذكوري قد تلاشى تقريبا، فالمنع كان يصاحبه المكوث في المنزل أما في الوقت الحالي ومع خروج الفتيات للتعلم ساهم في الغاء تلك القيود وخلق مجال أوسع لها، فالممارسة هنا يتحكم فيها تغير المعطيات الاجتماعية التي تعيشها الجماعة وهذا ما يقودنا بالضرورة إلى التحليل الذي صاغه بورديو حول مسألة الشرف.

إن تغير المفهوم بتغير المعطيات يؤدي كذلك إلى تغير العادات المصاحبة لها، فمكوث المرأة في المنزل سابقا جعلها تلجأ إلى القيام بالأعمال المنزلية والأشغال اليدوية لتتمكن من تمضية الوقت واستثمار جهودها في القيام بأشياء تعود عليها وعلى أسرتها بالنفع، وكذلك كنوع من الممارسات الخاصة بالمجال الأنثوي لاعتبار أنها لم تكن قادرة على الخروج بكثرة إلا في أوقات الضرورة.

غير أن الأمر لم يعد كذلك فقد أصبحت الحرف والأشغال اليدوية تصنع بناء على الرغبة وميولات الفتاة ففي السابق كانت تنجز لزيادة حظوظها في الزواج أما الأن فيرجع لاختيار الفتاة لهذه الحرف، فلم تعد مجبرة على للقيام بها وتركها لن يؤثر على فرصها في الزواج، فضلا على تشجيع الأهالي لبناتهم على الدراسة والتركيز فيها وعدم القيام بأي شيء من شأنه أن يشتت انتباههن، إلا أنه ما يزال يطلق على الفتاة بأنها " ***كل صبع بصنعة*** " إذا ما أتقنتها إلى جانب تفوقها في الدراسة، ما يجعلها فتاة كاملة ومثالية في التصور الاجتماعي الحديث لمجتمع البحث.

إن الحرف اليدوية اليوم قد اختلفت عما كانت عليه في السابق فقد تطورت وظهرت أنواع أخرى منها كما توفرت مواد وأدوات أخرى لتحسينها، خاصة أعمال التطريز والخياطة التي استحدثت فيها آلات جديدة مكنت الفتاة من تطوير قدراتها وتحويلها من حرف إلى تجارة حرة تحقق من خلالها الاستقلال المادي بواسطتها، وما ساعدها هو منصات التواصل الاجتماعي التي وفرت مساحات لعرض أعمالهن والترويج لها.

وفي ظل ظهور أشغال جديدة قد تراجعت صناعات تقليدية أخرى خاصة الصناعات الثقيلة والتي تتطلب الجهد الجسدي والوقت كحياكة الملابس والمنسوجات بمختلف أنواعها، والأمر الذي تجدر الإشارة إليه أنه مع تناقص بعض الأعمال نتج عنه ضياع لتسمياتهم وطرق العمل بهما خاصة في الأجيال الحالية، فأغلب تركيز الأهالي يكون مقتصرا على تعليم بناتهم في المدارس وليس للحرف اليدوية، فأغلب الفتيات الآن لا يعرفن الصناعات التقليدية التي كانت شائعة في وقت مضى أو ماهيتها أو ماهية أسمائها أو حتى الهدف منها.

4- طقوس الصفح وحماية عذرية الفتاة في المجتمع الجزائري:

لقد تطرقنا في العناصر السابقة إلى الحديث عن وضعية الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري والذي كان ومزال يشكل موضوعا حساسا في المجتمع، وكذلك الفصل بين الفضاءين الأنثوي والذكوري اللذان يعكسان الأهمية البالغة التي يوليها المجتمع إليه، وعلى ذلك الأساس قد مارست مختلف الجماعات عدة طقوس لحمايته من مختلف الانتهاكات التي قد تطاله، وبصفة خاصة الاعتداءات الجنسية أو حتى القيام بالعلاقات الجنسية طوعا.

وأما مصطلح العذرية فهو منبثق من المفهوم البيولوجي لها وهو التمتع بغشاء البكارة، ولذلك نجد جميع الباحثين والعلماء على اختلاف ايديولوجياتهم وأطرهم العلمية فإنهم يستندون في توضيحهم لهذا المفهوم على المفهوم البيولوجي، وعلى سبيل المثال نجد أن فاطمة المرنيسي تذهب إلى القول بان العذرية مرتبطة بالفتاة العذراء التي لم يسبق لرجل أن لمسها، ومن هنا فان العذرية ليست مسالة نسائية أنثوية بل هي ذكورية تلعب فيها المرأة دور الوسيط الصامت، فهي تمثل قيمة الشرف لأنها مظهر من مظاهر الهيمنة الذكورية في المجتمعات، التي تعمل المرأة على إعادة إنتاج سلب الأنثى وحرمانها من الثقة بالنفس، وهذا ما أكدته الباحثة والطبيبة نوال السعداوي بقولها أن العذرية والشرف مفهومان متلازمان.[1]

وتعتبر العذرية في المجتمع الجزائري كغيرها من المجتمعات من المواضيع المسكوت عنها، والتي يتم تفادي الحديث فيها وذلك لارتباط موضوع العذرية لدى الفتاة ارتباطا مباشرا بالجسد وبالتحديد بغشاء البكارة لديها، وبناء على ما تم ذكره فإن جميع الممارسات الغير شرعية التي تؤدي إلى فضه تشكل

[1] ساري وهيبة، قريصات الزهرة: **العذرية وهوس الافتضاض: مقاربة أنتروبولوجية لممارسة التصفيح في المجتمع المحلي بمدينة الشريعة**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 9، العدد 1، جوان 2023، ص ص 152-163.

مشكلة اجتماعية مستعصية وذلك للمفهوم المعقد الذي صاغه المجتمع عليه ولربطه دائما بموضوع الشرف، ولذلك يسعى المجتمع إلى الحفاظ على شرف الفتاة إلى أن تتزوج ليتم الإعلان عن فضه علانية وأمام جميع الحاضرين للتفاخر بشرف ابنتهم وعفتها.

هكذا أسست التنشئة الأسرية تابو العذرية والتابو في حقيقة الأمر ما هو إلا قرار اجتماعي ثقافي يحرم الأشياء التي تخالف القيم والأعراف التي صاغتها الجماعة ذاتها، وفي هذا السياق نجد أن الباحث زين الدين ورموز في دراسته الموسومة بـ" ***الفتاة، العائلة، العذرية*** " يؤكد أن قيمة العذرية هي ذلك التابو والمقدس اللذان لا يمكن مناقشتهما، فعذرية الفتاة هي وعاء يحمل رجولة الأبناء الذكور وعذرية النساء الأخريات في العائلة، ومن هنا فان الفتاة تفقد فردانيتها لحساب العائلة وما يضفي على العذرية الصيغة العائلية والمجتمعية.[1]

وهذا ما يفسر حالة اليقظة الدائمة في المجتمع التي تظهر نفسها من خلال السيطرة والمراقبة والقلق والشكوك فيما يتعلق بسلوك الفتاة التي يتم تجاهلها وإنكارها كفرد، ومنذ ساعات الولادة الأولى للفتاة حتى يوم زفافها تقام لها ترسانة من الممارسات والعادات والطقوس المحيطة، وعندما نتحدث عن العذرية في السياق التقليدي[2] فإننا نجد العديد من الطقوس المرتبطة بها والطقس الأكثر شيوعا هو "***التصفاح***" كما يطلق عليه في مجتمع البحث.

والتصفاح أو الرباط كما هو معروف هو طقس سحري يمارس على المرأة ليتم من خلاله المحافظة على عذريتها وبالتالي الحفاظ على شرفها، وليتم ضمان نجاحه نجده يتم ضمن ظروف معينة

---

[1] ساري وهيبة، قريصات الزهرة: نفس المرجع، ص ص 152-163.

[2] Dahbia Dahmani, Wahiba Guiraa Hatem: **La désacralisation de la virginité féminine : L'orientation sexuelle en question The desacralization of female virginity: The sexual orientation in question**, journal des lettres et des sciences sociales, volume 19, Numéro 2, pp 326-336.

فليست جميع الأوضاع سانحة لنجاحه، ومن بين شروطه أنه يجب القيام به قبل البلوغ الجسدي للفتاة وعادة ما يكون في سن السابعة أو الثامنة وذلك خوفا من البلوغ المبكر للفتاة، وكذلك لتمكنها من الكلام بطلاقة ولقدرتها على تكرار ما تقوله لها المرأة التي ستقوم بصفحها.

تتعدد وسائل الصفح وتختلف من منطقة إلى أخرى وذلك حسب الثقافة الخاصة بكل جماعة وكذلك الوسائل المتاحة لها، ومن أهم الوسائل الشائعة في الاستخدام في مجتمع البحث هي" ***التشلاط، الحجرة، الكادنة أو المفتاح، المنسج، الفاس، القزاز، الحمص*** " وغيرها من الوسائل المستعملة، وقد جرت في العادة أن تأخذ الأم بناتها لامرأة متخصصة في التصفاح، تكون امرأة كبيرة في السن تذهب لها جميع النساء في تلك الجماعة لتصفيح بناتهن، وسنعرض هنا بعض الطرق لتصفيح الفتيات كل حسب الوسيلة المستعملة.

4-1- تصفيح التشلاط:

تتم عملية التصفيح عن طريق التشلاط بقيام المرأة المسؤولة عنها بجلب ما يطلق عليه في مجتمع البحث بـ" ***الريزوار*** "، وهو شفرة الحلاقة المستعملة في السابق وكلمة الريزوار كلمة فرنسة الأصل هي ***Rasoir***، وتستعمل الشفرة نظرا لحدتها وصغر حجمها للتأكد من عدم ترك أثر على جسد الفتاة بعد القيام بعملية التشلاط، وتتم هذه العملية بعد كشف الفتاة لفخضها إذ تقوم المرأة بتشليطها أو جرحها قليلا 7 مرات بواسطة هذه الشفرة وحجم الجرح يجب ألا يتعدى 1 سنتيمتر، ومن ثم تقوم برش القليل من الكحل على فخضها مع دلك ذلك الجرح وتطلب منها تكرار عبارة" ***أنا حيط وهو خيط*** " 7 مرات مرة واحدة بعد كل جرح، والدلالة الرمزية هنا هي جعل بكارة الفتاة بمثابة الحائط الذي لا يمكن اختراقه وأن قدرة الرجل كالخيط بدون تأثير، ويستحسن هنا الحفاظ على الريزوار المستعمل للصفح من أجل إعادة فك الرباط مرة أخرى مع موعد زواج الفتاة، ويشاع أن هذه العملية السحرية هي عقد اتفاق مع جني لحراسة الفتاة وحمايتها من أن تفض بكارتها لأي سبب كان.

وتتم عملية فك الرباط بنفس الطريقة التي تم الربط بها بجلب الشفرة التي استعملت أول مرة وإن لم تتوفر تجلب المرأة شفرة أخرى مشابهة لها لفكه، كما يفضل أن تقوم نفس المرأة المشرفة على عملية الصفح بفكه لمعرفتها المسبقة بتفاصيل الصفح، لأن عدم توفر هذه الأشياء أو نسيان شيء قد يصعب عملية الفك وقد لا تتم بالأساس، وتكون عملية الفك بنفس الخطوات بتشليط فخض الفتاة 7 مرات، غير أنها تقوم بعكس العبارة وتقول: ***" أنا خيط وهو حيط "*** ليتم بذلك فك التصفاح وعودة الفتاة إلى الحالة الطبيعية، وليتمكن زوجها من الدخول عليها ليلة الزفاف ذلك أن عملية الفك غالبا ما تكون في ليلة الزفاف أو قبلها بأيام قليلة لتشفى ساق الفتاة من الجروح.

الصورة رقم (51) شفرة الحلاقة المستعملة في عملية التصفاح (المصدر: تصوير الطالبة)

4-2- تصفيح الحجرة:

تعد طريقة التصفيح باستخدام الحجر من أسهل الطرق لمثل هذه العمليات اذ يتم اختيار حجر صغير الحجم ليتناسب مع العملية، فتقوم المرأة هنا بتسخين الحجر على النار جيدا ثم تقوم بوضع الحجر في إناء به رمل ثم تطلب من الفتاة التبول عليه بطريقة متقطعة 7 مرات، ثم تخبرها بتكرار نفس العبارة التي استخدمت في التصفيح بالتشلاط ***" أنا حيط وهو خيط "*** وهكذا إلى أن تنتهي، وتعد عملية الفك بنفس الطريقة مع عكس العبارة ***" أنا خيط وهو حيط "*** .

وفي ذات السياق تروي لنا أحد المبحوثات على طريقة صفحها فتقول: ***" كي كنت صغيرة في عمر 7 سنين ولا 8 سنين صفحتني ماما، مع اللول جات ديرلي التشلاط مقدرتلوش قعدت نبكي ولات بدلتلي دارتلي بالحجرة، حكمتها سخنتها مليح ودخلت بيها لبيت الماء وقاتلي بولي عليها 7 مرات***

وفي كل مرة قاتلي عاودي من ورايا أنا خيط وهو حيط، وكي كبرت باه فهمت تاع واه الحاجة هاذي وأنا وخواتاتي كامل مصفحين ودارتلنا هي وحتى في فاميلتي ثاني، بصح ماما تصفحت مش بلعاني خطراه قعدت تنقز على الحفرة تاع المنسج " [1]، ومن خلال كلام المبحوثة نتأكد من أن عملية الصفح كانت منتشرة وبكثرة لدرجة أن فتيات العائلة كلهم قد تم صفحهم.

4-3- تصفيح المنسج:

يكون التصفيح من خلال المنسج عبر استغلال معداته كاملة وتوجد عدة طرق صفح المنسج نذكر منها أحد الطرق، والتي تكون عبر غرس ثلاثة مسامير كبيرة الحجم في الأرض وتسمى في مجتمع البحث بـ: ***" المواثق "،*** فيغرس مسماران منهما جنبا إلى جنب ويغرس المسمار مقابلا لهما ومن ثم تقوم المرأة المسؤولة عن عملية التصفاح بلف خيط المنسج حول هذه المواثق الثلاث، ثم يطلب من الفتاة تخطي الخيط الملفوف على المسامير سبع مرات ذهابا وإيابا عليها، وفي كل مرة منهما تقوم بتكرار عبارة التصفاح ***" أنا حيط وهو خيط "*** لتتم عملية التصفيح على أكمل وجه.

وتكون عملية فك الرباط هنا كالعادة في يوم العرس فتقوم المرأة بتكرار نفس العملية بتخطي الخيط الملفوف حول المسامير مع عكس العبارة وقول: ***" أنا خيط وهو حيط "،*** ومن ثم تستحم فوق جميع الأدوات والمعدات التي تستعمل في المنسج والتي حضرت مسبقا لأجلها فتوضع في الأرض لتلامسها المياه التي تستحم بها المرأة، وعند الانتهاء تقول امرأة بتقشير بعض الشظايا من معدات المنسج كلها وتحمص جيدا مع الدقيق وتخلط مع العسل الحر، وبعد ذلك تقدم للعريس والعروس ليأكلاها سويا مع تكرار عبارة فك الصفح، وهكذا يكون قد أزيل وفك رباط تلك الفتاة، وهذا ما ينطبق تماما لما حدث لأحد المبحوثات فتقول: ***" أنا في ليلة عرسي صرالي مشكل مقدرش راجلي يدخل عليا خطراه كنت***

---

[1] مقابلة مع " ن م " بتاريخ 22-03-2023، 18:20-19:20، في الحافلة متجهين إلى المنزل.

مصفحة وعلى أساس نحاولي التصفاح بصح ماعرفتش علاش صرالي هكاك، وراحو عاودولي الخدمة هذيك كامل وتخطيط لخيوط ودوشت فوق المنسج وكليت الخلطة هذيك باه قدر راجلي يقدملي".[1]

يشاع في مجتمع البحث أن التصفيح عبر المنسج قد يحدث بطريقة غير مقصودة وذلك عبر تخطي الفتاة للحفر التي وضعت من أجل المنسج، وقد تكرر ذكر بعض الحوادث التي أدت إلى صفح بعض الفتيات خلال اجرائنا للدراسة الميدانية، ومن بين تلك الحوادث أشرنا لما حدث لأم المبحوثة (ن.م) فتقول الأم: ***" كي كنت صغيرة كنت نلعب مع بنات أكثر مني شوية في لعمر وقعدنا نقزو فوق الحفرة تاع المنسج ومعلابالي بوالو، وكي لحقت ليلة عرسي ما قدرش راجلي يدخل عليا حتان اليوم الخامس وبالسيف باش فقنا للسبة وقعدنا نخمو حتان تفكرت نهار لي تصفحت فيه وولهوني هذوك لبنات لي كانوا معايا خطراه هوما تصفحو ثاني كيفي كي نقزنا كامل، بصح هوما كي ولاو كبر مني شوية علابالهم واش صرالهم وأنا حتان مور زواجي باه عرفت ".***[2]

وحسب ما ورد لدى بعض المبحوثات فتصفيح المنسج له عدة طرق مختلفة لفكه وقد سبق التطرق إلى واحدة منها، وأما الطريقة الثانية تكون باستعمال أداة ***" لخلالة "*** مثلما يطلق عليها في مجتمع الدراسة، وتستعمل في دق خيوط المنسج لتنسجم مع بعض ولتتماسك أكثر، وتسخن لخلالة على النار جيدا ويطلب من الفتاة المصفحة وضعها بين رجليها والتبول عليها بطريقة متقطعة لسبعة مرات وقول ***"أنا خيط وهو حيط"*** في كل مرة منها لفك سحر الصفح.

---

[1] مقابلة مع " ص ل " بتاريخ 17-07-2023، 11:50-12:20، في مكالمة هاتفية مع المبحوثة.

[2] مقابلة مع " ص ح " بتاريخ 17-07-2023، 12:30-13:15، هاتفية مع المبحوثة.

الصورة رقم (52): لخلالة المستعملة في فك التصفيح (المصدر: تصوير الطالبة)

تعد طقوس التصفيح بواسطة المنسج من أسهل الممارسات في مجتمع البحث وأكثرها شيوعا وذلك عائد إلى توفر أدواته في كل منزل تقريبا فلا تكاد عائلة لا تملكها، ولذلك كانت معظم الأمهات تلجئ لهذه الطريقة بالتحديد لصفح بناتهن وكذلك لسهولة فكه، فالأم هنا لا تقلق على وسيلة الفك نظرا لتوفر بديلاتها وإمكانية الحصول عليها في أي وقت، عكس التصفيح عن طريق القفل.

4-4- تصفيح الكادنة أو المفتاح:

يعتبر التصفيح عن طريق الكادنة أو القفل من العمليات التي تحذر المرأة منها قبل القيام بها نظرا لخطورتها على مستقبل الفتاة، وذلك عائد إلى شروط عملية الصفح ذاتها والتي يتوجب فيها استعمال الأدوات نفسها ونادرا ما يستعمل البديل، فإن ضاعت هذه الأخيرة لن تتمكن الفتاة من فك رباطها أبدا وقد يؤثر ذلك على قدرتها على الانجاب.

تكون عملية الربط عن طريق القفل بتلبيس الفتاة فستان دون الملابس الداخلية فتضع المرأة القفل بين رجليها وتطلب منها تكرار عبارة ***" أنا حيط وهو خيط "*** 7 مرات مثل المعتاد، وفي المرة السابعة تقوم بإغلاق القفل للدلالة على أن بكارة الفتاة قد أغلقت وحصنت مع انغلاق ذلك القفل، ومن ثم يقدم ذلك القفل للأم مع تنبيها على ضرورة الحرص عليه مهما كلفها الأمر.

التأويل الأنثروبولوجي:

تعتبر طقوس الصفح من المواضيع التي كانت ومازالت محل اهتمام المجتمع وذلك لاعتباره معطى ثقافي مميز ، ولاعتباره شأنا جماعيا بالدرجة الأولى فالعذرية وجسد المرأة كانا ومازالا يعبران عن شرف الجماعة وذلك ما جعل الأغلبية منهم يسعى بإستماتة إلى حمايتهما بجميع الطرق الممكنة، غير أن ممارسات التصفيح وجدت رفضا اجتماعيا كبيرا في الفترة الأخيرة سواء من جانب الرجال أو النساء ، فقد أجمع الأغلبية أن طقوس الصفح هي طقوس شرك بالله يجب على المجتمع التوقف عن ممارستها دون محاولة التدقيق في الموضوع أو فتح مجال للنقاش فيه، فالسحر محرم جملة وتفصيلا وهذا خير دليل على وجوب وقف هذه الممارسة.

ومن خلال ما تمت ملاحظته بعد اجراء المقابلات مع جميع المبحوثات نجد أنه قد تشابهت ردود أفعالهن وأجوبتهن أثناء التطرق لموضوع الصفح، وكان التوجس والاحراج الشديدين من هذه الممارسة باديا على تعاليم وجوههن خاصة النسوة اللواتي صفحن، وكانت الكلمات التي وصفن بها الموضوع هي ***" حرام، مشي مليح "*** وأضفن أنهن كن يجهلن أن هذه الطقوس هي طقوس سحرية وأنها محرمة شرعا وأنهن قد توقفن عن ممارستهن لها منذ وقت طويل، وقد بررن سبب فعل أمهاتهن وجداتهن لهذه الطقوس السحرية من منطلق حماية جسدهن عذريتهن، وما قد يفعله بهن آباؤهن واخوتهن في حال فقدانهن لها قبل الزواج، وبذلك نستنتج أن هذه العادات والطقوس تبرز مدى الهيمنة الذكورية على الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري، وأن هذه الممارسة على الأنثى في محيطها الاجتماعي والثقافي نتيجة قهرية لتلك الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة الزمنية.

5- الحضور في المناسبات الاجتماعية والأماكن العامة:

كانت من عادات النساء في مجتمع البحث بعد مرحلة بلوغ بناتهن اصطحابهن إلى الأماكن العامة كالحمام والسوق وكذلك إلى المناسبات الاجتماعية كالأعراس وحفلات الختان وغيرها، وكانت الدلالة الرمزية لهذه العادة هي إشاعة خبر بلوغ الفتيات وجاهزيتهن للزواج وتحمل جميع مسؤولياته، ومن خلال تواجدها في هذه الأماكن يتمكن النسوة من رؤيتهن وتداول أخبارهن في الجماعة التي ينتمين إليها من أجل جلب الخاطبين إليها.

إن هذا التنظيم الذي اتبعه المجتمع الجزائري في مسألة الزواج هو ما حافظ إلى حد بعيد على النمط التقليدي الذي عرفته الأسرة الجزائرية لسنوات طويلة، والمقصود بذلك هو أسلوب التنشئة الاجتماعية المتشابه للفتيات لدى جميع العائلات، وليس ذلك فقط فإن تم التدقيق في جميع هذه التفاصيل نجد أن الغاية هنا ليست الزواج فحسب، بل الحفاظ على الروابط الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية في تلك الجماعة التي تنتمي إليها المرأة، ومن بين الأماكن والمناسبات الاجتماعية التي تقصدها الفتاة في مرحلة البلوغ مع أمها نذكر:

5-1- التويزة:

تعرف التويزة في المجتمع الجزائري على أنها شكل من أشكال التضامن والتعاون الاجتماعي، فهي تشير إلى مدى تماسك أفراد الجماعة ببعضهم البعض باعتبارها جزء هاما من أساليب التعامل فيما بينهم، وتأخذ هذه الأخيرة أشكالا متعددة ومتنوعة تجسد من خلال بعض الممارسات والطقوس الخاصة بتلك الجماعة، وتنقسم هذه الممارسات بين الفضاءين الأنثوي والذكوري بالتوازي بناء على الطبيعة البيولوجية للجنسين وكذلك المرجعية الثقافية للمجتمع.

وقد جاء هذا التقسيم بناء على القدرة الجسدية للجنسين وكذلك الخلفيات الثقافية في المنطقة، فالخصوصية الجسدية والثقافية للأنثى في مجتمع البحث لا تسمحان لها بالخوض في الكثير من الأعمال خاصة تلك المتعلقة بالمجهود الجسدي أو الأعمال التي تكون خارج نطاق المنزل، وذلك من أجل عدم اختلاطها بالرجال حفاظ عليها وعلى شرفها وعفتها.

تتنوع أشكال التويزة التي تشارك فيه المرأة باختلاف نوع المناسبة التي ستقام على شرفها فنذكر على سبيل المثال مجموعة من المناسبات الاجتماعية" ***جني الزيتون، تشلاط الزيتون، طبخ الشخشوخة يوم الدالة، فتل البروشة قبل العرس، نسج الزرابي، غسل الصوف، التحضير للأعراس*** "، وتختلف متطلبات كل مناسبة عن الأخرى وذلك حسب نوعها وموعدها وكذلك القدرة المادية للجماعة.

وتهدف التويزة إلى مد يد العون إلى أفراد العائلة أو الأصدقاء أو الجيران وقت الحاجة فنجدهم يتكاتفون لتوفير جميع المتطلبات لهم، وتقوم الأم هنا بأخذ بناتها البالغات معها ليساعدنها في تأدية بعض المهام الموكلة إليهم، وكذلك لتبرز الأم من خلال هذا الفعل قدرة بناتها على المساعدة وتحمل المسؤولية في الظروف الصعبة والطارئة، فضلا على ابراز مدى اتقانها للأعمال المنزلية على قول مجتمع البحث" ***توري قفازتها*** " أو " ***توري حنة يديها*** "، ومعنى ذلك ابراز جميع قدراتها لتراها النسوة وان نجحت في ذلك تصبح حديث الساعة بينهن فيتناقلن أخبارها بينهم فيقلن: " ***شفتو بنت فلانة واش قافزة*** "، ويعد هذا الأمر مصدر فخر للفتاة وأمها وبذلك يكون الهدف من تلك الزيارة قد حقق على أكمل وجه.

5-2- الأعراس:

تعتبر حفلات الزفاف في المجتمع الجزائري من أكبر المناسبات فيه وأهمها ولذلك تحظى باهتمام بالغ من طرف الجميع، وتقام الأعراس في ظل أجواء مهيبة وفي حضور كبير يجمع بين العائلة والأقرباء والمعارف والجيران، ويسوده مجموعة من العادات والتقاليد والطقوس التي تعارف عليها المجتمع منذ مدة

طويلة، وتستمر الأعراس في المجتمعات التقليدية إلى عدة أيام ويخصص كل يوم للاحتفال بطقس من الطقوس كالاحتفال بذهاب العروس إلى الحمام ويوم حنة والدها ويوم جلب المؤونة ويوم الحنة وغيرها من الطقوس المختلفة.

إن تعدد أيام العرس والعادات المخصصة لكل يوم منه يستدعي حضور عدد كبير من النسوة ليتشاركن فيه وللعمل مع بعضهن البعض من أجل تخفيف الأعباء على العائلة، وفي هذه المناسبة تستغل الأمهات الوضع من أجل احضار بناتهن المقبلات على الزواج ليساعدن في الأعمال، كغسل الأواني أو تحضير الغذاء وتوزيعه على المعازيم وغيرها من المهمات، وذلك لتحقيق غايتين اثنتين هما:

- الأولى هي تقديم يد العون للعائلة التي تقيم حفل الزفاف وبالتالي الحفاظ على الروابط الاجتماعية في الجماعة وإظهار مدى التضامن بينهم.
- والثانية هي اخبار الحضور على أن لديها فتيات جاهزات للزواج ويتقن القيام بجميع الأعمال المنزلية.

5-3- الحمام:

يعتبر الحمام من بين أكثر المرافق العمومية التي اعتادت المرأة الذهاب إليها في مجتمع البحث، لاعتباره المتنفس الوحيد الذي يمكنها الذهاب إليه في ظل القواعد الصارمة والمحظورات المفروضة عليها، ما جعله وجهة أسبوعية لها ولقريناتها فيتبادلن فيه الأخبار ومختلف الأحداث التي وقعت لهن طوال ذلك الأسبوع، فضلا على سرد الكثير من القصص والنكت وخلق جو فكاهي لهن فيه أثناء عملية الاستحمام والاسترخاء.

إن الحمام الشعبي في المجتمع الجزائري يشغل مخيلة خصبة مليئة بالطقوس والممارسات والخطابات والعادات التي بلورها الأفراد حول هذا الفضاء الذي يعد مكان للمتعة والتطهر، فأول الخدمات التي يقدمها بدون شك هي إمكانية إجراء ممارسات التطهير والتنظيف الجسد كاملا، هذه الممارسات

التي غالبا ما تكون طويلة ومعقدة، يسهل أداؤها حين الإحساس بالمتعة نتيجة عتمة المكان وحرارته، وهذا ما جعله يحظى بأهمية كبيرة في يومية النساء.[1]

تعد زيارة الحمام من أهم الطقوس التي تقوم بها الفتاة قبل موعد زفافها لاعتباره من الطقوس الانفصالية حسب أرنولد فان جينيب التي تعد الفتاة للانتقال للمرحلة التالية من حياتها، وفي الغالب يكون قبل يوم واحد من العرس، إذ تجتمع العروس مع مجموعة من الفتيات العازبات المقبلات على الزواج سواء من العائلة أو الجيران للذهاب إلى الحمام مع العروس لاستكمال هذا الطقس، فتخرج الفتيات سيرا على الأقدام محدثين ضجة في الطريق على سبيل الإعلان أن بينهن عروسا ستزف وكذلك للإشارة إلى أن جميع الفتيات اللواتي ذهبن معها عازبات وجاهزات للزواج، وعليه فإن الأم وقبل هذا اليوم تقوم بأخذ بناتها معها لمختلف المناسبات الاجتماعية لتتم ملاحظتها ودعوتها لمثل هذه الخرجات كحمام العروس وذلك كفأل خير عليها، فيقال ***" ان شاء الله تلحق "*** للدلالة على تمني زواجها بعد العروس التي ذهبت معها إلى الحمام.

التأويل الأنثروبولوجي:

كان ظهور الفتيات في المناسبات الاجتماعية والأماكن العامة في المجتمعات التقليدية دور هام في حصولهن على فرص أكبر في الزواج من خلال اثبات جدارتهن أمام الجماعة التي ينتمين إليها، عن طريق ابراز قدراتهن في الأعمال المنزلية وتقديم المساعدة لكل عائلة قد تحتاجها، وعليه فقد كانت الفتيات توفرن جهودهن لمثل هذه الأماكن والمناسبات، ومع مجموع التغيرات التي لامست النظام الاجتماعي في المجتمع الجزائري تغير أسلوب حياة العائلة بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة وتغيرت

---

[1] خيرة بن زيان: **الطقوس النسائية والفضاء الاجتماعي (الحمام الشعبي نموذجا)**، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 5، العدد 2، سبتمبر 2016، ص ص 143-148.

أولوياتها وأهدافها في الحياة، فأولوية الجماعة الآن أصبحت تقتصر على تعليم الفتيات وتثقيفهن وحثهن على الخروج إلى العمل وتأجيل الزواج إلى آجال أخرى قد تطول وقد تقصر حسب رغبة المرأة.

وتأسيسا على ما سبق ذكره فإن ضرورة الحضور إلى المناسبات الاجتماعية من أجل الزواج قد يتلاشى مع مرور الزمن، غير أنه ما تزال بعض التصورات المتعلقة به كشيوع فكرة بين الفتيات حول الرقص في الأعراس كقول بعض المبحوثات: ***" نروح للعرس نضربها بشطحة كشما نافيڤي عريس "،*** فالرقص هنا يعتبر وسيلة للفت الأنظار إليهن على أمل خطبتهن، خاصة إن كانت بين الحضور أحد أمهات الشبان المعروفين ذوي المناصب المرموقة، فيتقصدن فعل ذلك أمامها لاعتبارهن أنها من الفرص التي لا تتكرر.

أما بالنسبة للظهور في الأماكن العامة كالحمام والسوق وغيرها فقد تراجع دورها بشكل كبير نظرا للسماح للمرأة لمزاولة الدراسة والعمل وخروجها إلى الفضاء العام لأي سبب كان، فالأهمية التي اكتسبتها هذه الأماكن كانت نتيجة للتقسيم الاجتماعي والثقافي للفضاءات بين الرجل والمرأة فمنع المرأة من الخروج من المنزل سابقا، وتحديد أماكن تواجدها أدى بالضرورة إلى اختيار بعض الأماكن للقاء وتبادل الأخبار وكذلك للبحث عن الفتيات المقبلات على الزواج.

6- طقوس العناية بالجسد والمظهر:

سعت المرأة على مر العصور إلى الاعتناء بنفسها وجسدها فالفطرة التي خلقت بها المرأة تثبت حبها للتجمل والظهور بأحسن صورة أمام نفسها وجماعتها وخاصة أمام الرجل، ولذلك كانت تسعى باستمرار إلى الاعتناء بنفسها وبجسدها بشتى الطرق الممكنة والمتاحة لها من أجل تحقيق ذلك، وكانت الفتاة تبدأ بتعلم هذه الأمور بعد حصول البلوغ الاجتماعي والبيولوجي معا وذلك لتحضيرها للزواج، فذهاب الفتيات إلى المناسبات الاجتماعية يستدعي ظهورهن بأبهى حلة أمام الحضور، لتداول أخبارهن

عن اتقانهن للأعمال المنزلية ومدى جمالهن الذي يجعل كل أم تتمنى أن تكون احداهن زوجة لابنها، فتقوم الأم بتلقينها بعض الأمور الشائعة التي اعتادت النسوة على فعلها والمتعلقة بالعناية بالجسد والمظهر في مجتمع البحث وهي:

6-1- الاستحمام:

يعتبر الاستحمام من الأمور الطبيعية والشائعة في المجتمعات غير أنها في حقيقة الأمر تحمل خلفية اجتماعية وثقافية عند التدقيق في الأمر أكثر، كون هذه العملية مليئة بالطقوس والعادات ولكونها ممارسة تطهيرية في الأساس، والتطهر يكون لعدة أسباب كالاغتسال العادي والتطهر من رائحة العرق وتنقية الجسم من الجراثيم، كما يوجد الغسل وفق تعاليم الدين الإسلامي وهو غسل الحيض الذي يكون بعد انقطاع الحيض نفسه وكذلك غسل الجنابة الذي يكون بعد العلاقة الحميمية.

6-1-1- الاستحمام كعادة احتفاء بالثقافة:

يأخذ الاستحمام طابعا ثقافيا واجتماعيا في مجتمع البحث لأنه يرتبط بالدرجة الأولى بالحمام وقد سبقت الإشارة في الفقرات السابقة أن الحمام هو أحد أهم الفضاءات الأنثوية، وترجع أهمية هذا الأخير إلى الطقوس والممارسات المختلفة التي تتم فيه كالاستحمام والتطهر والاحتفال بحمام العروس، فضلا على اعتباره فضاء للتعارف والبحث عن الفتيات لمقبلات للزواج من أجل خطبتهن، وعليه فإن الحمام لم يكن مقتصرا على وظيفة واحدة بل كان ومزال سبيلا في تحقيق العديد من الوظائف والأدوار الاجتماعية الشائعة في المجتمع الجزائري.

إن الذهاب إلى الحمام تزامن أسبوعيا مع الحياة الاجتماعية للمرأة تعبيرا منها على الاعتناء بجسدها وتقديسها له، ويعد ذلك جزء من ممارسات التطهير والتنظيف للجسد كاملا لهذا تكونت علاقة نفسية اجتماعية ثقافية بين الحمام والمرأة، لهذا تعتبر نظافة الجسد وظيفة اجتماعية لاعتبار الجسد

إنتاجا اجتماعيا، فظاهرة اهتمام المرأة بجسدها أصبح حتمية اجتماعية ثقافية لاكتساب جسد مثالي ومميز من خلال سلسلة من الممارسات والوظائف التي تجري في الحمام.[1]

لقد تعددت الممارسات الثقافية التي اعتادت المرأة ممارستها في الحمام الشعبي قبل شروعها في الاستحمام كوضع الحناء ومضغ المسواك ونزع الشعر أو حتى دق الوشوم كنوع من الممارسات الجمالية، فنجدها تمارس هذه العادات ضمن مجموعات من النساء فيتشاركن الأدوات والوسائل المستعملة في ذلك وفي خضم الخوض في العديد من الأحاديث المختلفة، وكانت النساء يقمن بهذه الممارسات في وجود الفتيات الصغيرات أو حتى البالغات ليعلمنهن تقنيات العناية بالجسد والاهتمام بأنفسهن للظهور بصورة جميلة أمام المجتمع ليتمكن من الزواج.

إن رمزية الاستحمام في المجتمع الجزائري تتجاوز فكرة التطهر من روائح العرق والنجاسة وغيرها بل تتخطى ذلك ليعطيها بعدا اجتماعيا أكثر، فالمعلوم هو أن الحمام هو فضاء عام تلجأ إليه بعض النسوة للخطبة لأبنائهن إذ تقوم تلك الفئة بمراقبة الفتيات أثناء الاستحمام لمعرفة مدى اهتمامهن بنظافتها، ويعتمدن في ذلك على العديد من المعايير هي:

- طريقة الاستحمام وسرعتها فالسرعة المفرطة تترك تصورا أن الفتاة قد لا تتمكن من الاغتسال جيدا وبالتالي فهي ليست نظيفة.
- طرق إزالة شعر الجسد من جميع الأماكن وخاصة المنطقة الحساسة.
- مراقبتها أثناء قيامها بعملية تقشير البشرة للجلد الميت وذلك لتفقد درجة نظافتها فالأوساخ الناتجة عنه تعني عدم قيامها بهذه العملية لمدة طويلة، وأما عدم ظهور تلك الأوساخ فهي بالضرورة تعني اهتمام الفتاة لنظافتها الشخصية.

---

[1] خيرة بن زيان: **تمثلات الجمال للجسد الأنثوي " الحمام الشعبي أنموذجا" دراسة ميدانية بحمام شعبي**، مجلة المواقف، المجلد 19، العدد 1، جوان 2023، ص ص 1055-1076.

والأمر الجدير بالذكر هنا هو أنه قد تدوم فترة مراقبة هؤلاء النسوة لعدة أسابيع من أجل التأكد من الفتاة على أنها الزوجة المناسبة لابنها، ولا تشتمل المراقبة على تقنيات العناية بالجسد فحسب بل تتضمن الانتباه لأشكال أجسامهن، فالجسم المثالي للفتاة يلعب دورا كبيرا في ذلك وكان يطلق على الفتيات الجميلات صاحبات الأجسام الجميلة" ***مربوعة القد*** " للدلالة على جمالها الكامل، وكانت معايير جمال الجسد في مجتمع البحث تتمثل فيما يلي:

- الجسم الخالي من التشوهات.
- الطول المعتبر بمعنى ألا تكون قصيرة وألا تكون طويلة.
- الصدر الممتلئ.
- المؤخرة الكبيرة.

وكانت الفتاة النحيفة في مجتمع البحث تعاني من كثرة التهكم على جسدها، وأنه لا أحد قد يرغب في الزواج منها ما يجعلها تتصور أن فرص اختيارها كزوجة لابنها تقل بشدة مقارنة مع الأخريات، وكان يقال لها بعض العبارات ك: " ***مطرق الشوا، دبوس بالية، طول بلا غلة، بونتة، ما فيك والو*** " وكل هذه العبارات للدلالة على أنها لا تمتلك أهم مقومات الجمال في نظر الرجل الجزائري، فيقلن لها أيضا: " ***واش رايح يلقى فيك يلقى غير لعظم*** " بمعنى أن الرجل لن يسعد بإقامة علاقة حميمية معها ولذلك فهو يفضل المرأة الممتلئة عليها، وهو الأمر الذي جعل الفتاة تبحث على العديد من الطرق والوسائل والخلطات الطبيعية الخاصة بالتسمين وغيرها لنيل اعجاب النساء في الحمام والرجال على حد السواء.

ويرى كريستيان بوسيلو أن ظاهرة الاعتناء بالجسد أصبحت مفروضة على الأنثى لتصبح هذه الظاهرة راهنا جديدا فيقول: " ***إنه في الحقيقة القلق الذي بدا يعترينا اتجاه أجسادنا والكيفية التي يتوجب علينا أن نتعامل بها معه، بدأت تغرس جذورها في قيم الأفراد الثقافية والمعرفية والمادية***

وبالتالي أصبحت تشغل حيزا كبيرا من المشاعر ذات الأبعاد النفسية والاقتصادية "، ولقد أكد دبورد قاي على أننا نعيش في مجتمع يؤمن بسلطان الجسد والمظاهر وأن النساء أكثر الفئات تشجيعا لذلك[1]، ومن هنا نلمس مدى سيطرة الرجل على الفضاء الأنثوي وكيفية تسخير المرأة للقيام بجل الأمور التي تسعده والتي تساهم بدورها في استمرار السلطة الذكورية عليها.

6-1-2- غسل الحيض والجنابة:

أكدت التعليمات الإسلامية على ضرورة التطهر لأن جوهر فعل التطهر هو فن التسامي بالجسد، فتحضرنا هنا إشكالية الطهارة وعلاقتها بالجسد، فالجسد هو أداة الإنسان للتقرب إلى الله فمن خلاله يتعبد، يركع ويسجد ويصوم وتوجب عليه قبل كل طقس ديني تطهير هذا الجسد بالاغتسال ووضعه في خدمة النفس والروح، والطهارة اسم يقوم مقام التطهر بالماء، الاستنجاء، الوضوء والغسل والمقصود منها التقرب إلى الإله.[2]

وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الطهارة وضوابطها وأوقاتها المناسبة ما يعكس الأهمية البالغة التي أولتها الشريعة الإسلامية للطهارة ومن بين هذه الآيات قوله تعالى: ***" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ***

---

[1] خيرة بن زيان: تمثلات الجمال للجسد الأنثوي " الحمام الشعبي أنموذجا" دراسة ميدانية بحمام شعبي، مرجع سابق، ص ص 1055-1076.

[2] خيرة بن زيان: الطقوس النسائية والفضاء الاجتماعي " الحمام الشعبي نموذجا "، مرجع سابق، ص ص 143-148.

عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " [1]، ومن هنا اكتسب الاستحمام والتطهر هذه الأولوية في المجتمع.

وقد اشتملت التعاليم الإسلامية على ضرورة الاغتسال للمرأة أيضا بعد الحيض لاعتبار هذا الأخير نجاسة توجب الغسل بعد انقضائه، وخلال فترة الحيض يحظر على المرأة لمس القرآن لقوله تعالى: " ***إنَّـه لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُون*** "[2]، وكذلك تسقط عنها فريضتي الصلاة والصوم كما يحظر عليها جماع زوجها إلى غاية انقضاء مدة الحيض وذلك لتجنب الأضرار التي قد تلحق بها، وبعد انقضائه يستوجب عليها الاغتسال وتطهير جسدها من أجل عودتها لممارستها طقوسها الدينية كما كانت من قبل ويقول الله تعالى: " ***وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّـى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ*** "[3]، ويعتبر المجتمع الجزائري هذا الموضوع أمرا مفصولا فيه لاعتباره أمرا إلهي يجب الامتثال له وتطبيقه، فلا تجد المرأة فيه حرجا أو أية مشاكل.

ويكون الاغتسال بعد ظهور علامات الطهر كالقصة البيضاء والجفاف التام للفتاة فيتوجب عليها الاغتسال مباشرة بعد ظهور هذه العلامات، وتكون خطوات الاغتسال كالتالي:

- النية بالطهارة من الحدث الأكبر.
- البسملة.
- غسل اليدين ثلاث مرات.
- غسل موضع النجاسة.

---

[1] القرآن الكريم: **سورة المائدة**، الآية 6.

[2] القرآن الكريم: **سورة الواقعة**، الآية 77-79.

[3] القرآن الكريم: **سورة البقرة**، الآية 222.

- غسل اليدين وتنظيفهما.
- الوضوء الكامل مع إمكانية تأخير غسل الأرجل إلى الانتهاء من الاغتسال.
- افاضة الماء على الرأس ثلاث مرات حتى يصل الماء إلى جذور الشعر.
- افاضة الماء على الجسد كاملا بداية من الشق الأيمن ثم الشق الأيسر.

وتبدأ الفتاة بتعلم هذه الأمور من أمها تزامنا مع البلوغ البيولوجي فتخبرها عن الحيض ومدته وكيفية التعامل معه وكذلك طريقة الاغتسال وغيرها من الأمور المتعلقة به، غير أن بعض النساء في مجتمع الدراسة قد عانين وبشدة فيما يتعلق بهذا الموضوع، فالحيض كان من المواضيع المحرم الحديث فيها حتى أن بعض الفتيات لم يكن يعلمن به حتى بلغن، وهذا حسب ما ورد من خلال المقابلات مع المبحوثات فقد لاحظنا جهل العديد من النسوة في مرحلة البلوغ البيولوجي لكل ما يتعلق بالحيض، وعدم شرح أمهاتهن له وحتى أن البعض منهن لم تكن تعلم طريقة الغسل الصحيحة إلا بعد سنوات عديدة، فضلا على عدم معرفتهن لوجوب ترك بعض الفرائض.

التأويل الأنثروبولوجي:

إن طقس الاستحمام في مجتمع كان ومزال ذو طابع اجتماعي وثقافي وديني لمحافظة الجماعة على رموزه وجميع العادات المتعلقة به، غير أن بعض المظاهر قد تغيرت بسبب تغير الأوضاع والظروف الراهنة، كظهور فئة من النسوة ترفض الذهاب إلى الحمام الشعبي من أجل الاستحمام والتطهر والقيام بطقوسه فتفضل القيام بها في المنزل بدلا منه لكونه أكثر راحة من الحمام الشعبي.

وكذلك من الأسباب التي أدت إلى عزوف النسوة والفتيات على الذهاب إلى الحمام هي الشكل الهندسي للحمام، ففي السابق كانت الحمامات جماعية اذ تستحم النسوة في مكان واحد وعلى مرأى الجميع، وهذا التصميم يعكس البعد الاجتماعي والثقافي للحمام لأنه كان بمثابة متنفس للنساء فالاستحمام فيه أسبوعيا يعد لم شمل للنساء لتبادل الأخبار الأسبوعية وغيرها من الطقوس والممارسات الاجتماعية

المرتبطة به، وهذا الأمر لم يعد مرحبا به لأنه في نظر العديد من النساء انتهاكا للخصوصيات الشخصية فتقول أحد المبحوثات: ***" كي كنت صغيرة واقيل 6 ولا 7 سنين ماشفيتش مليح المهم كانت ماما تديني معاها للحمام كل سمانة وأنا كنت نكره هذاك الشي خطراه كي نلحقو لهيه تعريني قدام الناس وأنا منحبش نتعرى، والمشكل النسا لي ثما كامل يتعراوا قدام بعضاهم وينحو الشعر نورمال وهاذ لي تقلقني ميحشموش وأنا صغيرة مكنتش نحب نشوف المظاهر هاذي نحس بالقرف وكي كبرت شويا وليت منحبش نروح معاها وديما نصطحلها باه متدنيش ومن ثم ما عتبتش للحمام حتان عام 2013 كان عرس ولد اختي والعين كانت ماتجيش وتحتمنا نروحو ليه وسبحان الله نفس المناظر لي شفتها كي كنت صغيرة مزالت كاينة قلبي قريب نردو وحلفت من وراها لا نزيد نخش حمام إلا إذا كان تاع كل واحد وشمبرتو "***[1]، والشيء الملاحظ من خلال ما قالته المبحوثة هو الاستنكار الشديد للمظاهر التي شاهدتها في الحمام والتي كانت وفي وقت قريب مظاهر عادية ومستحبة إلى النساء.

ومع تصاعد الوعي والفهم الصحيح للشريعة الإسلامية أصبح العديد من الرجال يرفضون ارسال بناتهم ونسائهم لمثل هذه لأماكن التي يكشف فيها عورات أهلهم، بناء على المرجعية الدينية التي تحرم على المرأة كشف جسمها أمام أي كان، ولذلك أصبح التوجه الجديد في انشاء الحمامات هو تخصيص غرف فردية تسمح للمرأة بممارسة طقوسها فيه بحرية أكبر، أو اكتفائهن بالاستحمام في المنزل دون الذهاب إليه.

أما فيما يخص موضوع الاغتسال من الحيض والجنابة فقد أصبح موضوعا عاديا يمكن الخوض فيه مع الأمهات والأخوات والصديقات أو أي شخص آخر، فقد أزيحت عنه الكثير من المفاهيم الخاطئة فأصبحت الأمهات تسعى بجهد أكبر لتثقيف بناتهن قبل موعد بلوغهن وذلك لتفادي تكرار الحوادث التي

[1] مقابلة مع:" أ ل " بتاريخ 15-10-2021، 12:22-13:06، في جامعة محمد خيضر.

وقعن فيها في مرحلة بلوغهن فتقول المبحوثة (س.ل): " ***أنا كي كنت صغيرة صرا فيا الباطل كي بلغت وضرك منخليش بناتي يتبهدلوا كيفي*** "[1]، وقد اشتركت أغلب الأمهات في هذا التصور فترك الفتيات دون معلومات كافية حول الموضوع سيدفعهن بالضرورة إلى البحث عنها في أماكن أخرى، كسؤال الغرباء أو البحث في الانترنت وهذا ما قد يؤدي بهن إلى الولوج إلى عوالم أخرى قد تنعكس سلبا عليهن.

ومع ذلك فإن هذا لا ينطبق على الجميع فما تزال مجموعة كبيرة من الفتيات يخضن تجارب سيئة بعد بلوغهن نتيجة لعدم معرفتهن لحقائق البلوغ كاملة فوردت بعض الصفات عن ردود أفعالهن عن الحالة التي عايشنها في تلك الفترة ك: " ***الخوف، القلق، الرعب، الاحراج، الحيرة، البكاء، عدم التقبل*** " وأغلب من كانت ردود أفعالهن هكذا كانت نتيجة الجهل بالموضوع وعدم شرح الأم لهن لذلك، والأمر الجدير بالذكر هنا أن أغلب هؤلاء الفتيات قد لجأن إلى اخبار الأخوات قبل الأمهات ما يعكس نوع العلاقة التي تربط الأم بالبنت والتي تتميز بالسطحية، عكس أولئك الفتيات اللواتي كن على معرفة مسبقة بالموضوع فقد كانت ردود الفعل لديهن طبيعية جدا.

6-2- العناية بالشعر:

تنقسم عادات العناية بالشعر لدى المرأة في مجتمع الدراسة إلى قسمين، الأول مخصص لتقنيات العناية بشعر الرأس والثاني مخصص لطرق نزع الشعر من مختلف مناطق الجسد، ومن خلال الفقرات التالية سنتعرف على أهم العادات التي تتعلمها الفتيات حول العناية بالشعر في مرحلة البلوغ:

6-2-1- العناية بشعر الرأس:

يعد شعر المرأة من أهم علامات الجمال والأنوثة لديها في جميع المجتمعات ولذلك سعت المرأة للاعتناء به جيدا بجميع الوسائل المتاحة لها لكي يبدوا دائما جميلا ومشرقا، وهذا ما ينعكس عليها بشكل

---

[1] مقابلة مع: " س ل " بتاريخ 12-12-2022، 20:15-21:00، في منزل والد المبحوثة.

إيجابي خاصة في مرحلة البلوغ لاعتبارها المرحلة الممهدة للزواج، والشعر الجميل في مجتمع الدراسة لا يحمل دلالات جمالية فحسب، بل دلالات اجتماعية وثقافية أيضا فالفتاة لم تمتلك الحق في التصرف في شعرها كما يحلوا لها، لأنه بمثابة ملكية جماعية لا فردية قد تتحكم فيه الأم أو الأب أو حتى الجدة لاعتباره من أهم العوامل الجالبة للأزواج، ولذلك تفرض الأم على بناتها العديد من القواعد والقوانين الصارمة لاتباعها كعدم قصه واتباع تسريحات محددة وغيرها، لتتمكن من جعل بناتها محط الأنظار خاصة في المناسبات الاجتماعية، فالشعر هو أكثر ما يبرز جمالها وأول شيء قد يلفت النظر إليها، ويعتمد المجتمع الجزائري عدة معايير تقرر جمال الشعر من عدمه نذكر منها:

- طول الشعر فكلما كان الشعر أطول كلما كان أجمل في تصورهم.
- الشعر الكثيف.
- الشعر الصحي الغير متقصف.
- لمعان الشعر.

وقد تعددت العادات والطقوس التي اعتمدتها المرأة في العناية بشعر رأسها واختلفت مواعيدها فكل طقس أو عادة تقام حسب الوقت المحدد لها، غير أن هذه ليست حتمية تتبعها النساء فبعض الطقوس لا تستدعي أن تقام في وقت محدد فيترك المجال أمامهن لاختيار متى يرغبن بالقيام بها ومن بين تلك العادات:

6-2-1-1- دهن الشعر بزيت الزيتون:

يعد دهن الشعر بزيت الزيتون في مجتمع الدراسة من أكثر عادات العناية بالشعر شيوعا في المجتمع الجزائري، إذ تواظب المرأة على دهن شعر بناتها منذ اليوم الأول من ميلادها من أجل تغذيته ليصبح أكثر كثافة وصحة وكذلك ليساعده على النمو بسرعة أكبر، وتحرص الأم على تعويد الفتيات

على استعمال الزيت بشكل دائم وخاصة بعد الاستحمام لأن هذا الأخير يجعل من الشعر جافا وقد يعرضه للتقصف.

وتستعمل الأمهات بعض المواد المعطرة لإكساب زيت الزيتون رائحة جميلة لتفادي شم رائحة الزيت الطبيعية على شعر الفتاة الذي قد يسبب لها نفور من حولها، ولذلك عمدت إلى تعديل رائحته ومن بين تلك المواد تضع ***" الورد الطبيعي، أوراق الرند، الطيب، زريعة التفيضاس، عطر بوماري "***، والتيفيضاس هي كلمة أمازيغية الأصل وهي بذور تشبه إلى حد بعيد بذور الحلبة لذلك يطلق عليها الحلبة في أغلب الأحيان، يوضع هذا الخليط في القارورة المخصصة للزيت، ويوضع في فم القارورة قطعة من صوف الخرفان وتغلق القارورة عليه وتستعمل تلك القطعة الصوفية من أجل دهن الشعر بها فتغرق بالزيت قبل إخراجها من القارورة وتعصر قليلا قبل الدهن وتوضع مباشرة على الشعر.

الصورة رقم (53): قارورة زيت الزيتون المخصصة لدهن الشعر (المصدر: تصوير الطالبة)

6-2-1-2- وضع الحنة:

نالت الحنة مكانة هامة في المخيال الشعبي الجزائري وذلك للتصورات الاجتماعية المرتبطة بها من فرح وسرور، فهي ترمز للبركة ويقال إن رائحتها من الجنة، ولارتباطها الدائم بالمناسبات الاجتماعية السعيدة كالزواج والميلاد والعقيقة والأعياد الدينية وغيرها من المناسبات، وليس ذلك فحسب بل كانت رمزا دلاليا يعكس جمال المرأة وزينتها فكانت تستعمله بكثرة وبشكل دوري.

وتستعمل الحنة في صبغ الشعر واعطائه لونا جميلا ولمعانا أكثر كما أن الحنة تقوم بتقوية الشعر وجعله صحيا وناعما كما تستعمل أيضا في صبغ الحواجب لتبدوا بنفس لون الشعر، وتقوم المرأة بوضع الحنة في المساء وتنام به ليلة كاملة وفي الصباح تغسله وتنظفه جيدا منها، وتحرص على ألا تبقى أية آثار للحنة في الشعر وبعد أن يجف تدهنه بزيت الزيتون ليتغذى أكثر، وقد جرت العادة أن تقوم الأم بوضع الحنة لبناتها خاصة في الصغر وبصفة متكررة كثيرا ليتشبع الشعر منها ويتغذى جيدا ليكون شعرها جميل عندما يكبرن.

ويرافق وضع الحنة للبنات الصغار في عمر السنة تقريبا حلق شعورهن ويكون ذلك بحلق شعر رأس الفتاة كاملا بواسطة شفرة الحلاقة بهدف جعل الشعر الذي سينبت كثيفا وسميكا، وبعد نموه قليلا تبدأ الأم بوضع الحنة على شعرها مرات متعددة، ثم تكرر العملية كاملة من حلق لشعر البنت ووضع الحنة لهاوهكذا دوليك وقد تصل عدد المرات إلى ثلاث أو أربع مرات، وبعدها تكتفي بوضع الحنة فقط وفي فترات متباعدة وتكون في أغلب الأحيان في فصل الصيف لتفادي نزلات البرد التي قد تصيف الفتاة في فصل الشتاء ولأن الحرارة تساعد على جفاف الحناء بسرعة.

6-2-1-3- قص الشعر:

كان قص الشعر للفتاة في المجتمعات التقليدية أمرا غير مستحب ويمنع على الفتاة منعا باتا قصه أو العبث فيه، لاعتبار أن الشعر الطويل من أهم علامات الجمال للمرأة والتي تبرز أنوثتها فضلا على تفضيل الرجل للشعر الطويل بدلا من الشعر القصير، لذلك كانت الأم تخبر ابنتها أن قص الشعر قبل الزواج ممنوع وأن لها كامل الحرية بعد الزواج، غير أن ذلك لا يعتبر صحيحا في العادة فكانت الفتاة قبل الزواج تخضع لسيطرة الأم على شعرها وبعد الزواج تخضع لسيطرة زوجها عليه، وتلك السيطرة ناتجة على العادات الاجتماعية السائدة في المجتمع التقليدي فلا تكتسب المرأة الحق في التصرف في

شعرها إلا بعد مدة طويلة من الزواج وانجاب الأطفال فيسمح لها الرجل بفعل ما تريده به كقصه وصبغ وغيرها من الأمور.

لقد اقتصر قص الشعر سابقا في قص الأطراف المتقصفة فقط وتكون من سنتيمين إلى ثلاث سنتيمات من فترة إلى أخرى، وقد كانت في أوقات محددة كأن تقصه الفتاة في الأيام البيض من كل شهر، وهي الأيام الثلاث التي تتوافق مع منتصف الشهر القمري وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وهي ليالي اكتمال القمر، وقد ارتبط قص الشعر واكتمال القمر في المخيال الشعبي الجزائري بأن له فوائد كثر كتحسين صحة الشعر وتغذيته، وأنه يساهم في تسريع نمو الشعر مع زيادة كثافته والتقليل من مشاكله كالتقصف وظهور القشرة والجفاف الشديد وغيرها، ويشاع أنه يجب المداومة على تكرار هذه العملية من فترة إلى أخرى فتقول أحد المبحوثات بناء على تجربتها الخاصة: ***" أنا نقص لشعر في الأيام البيض مرة كل تلاث شهر باه يطوالي ومالازمش ديريها كل شهر خطراه هكاك متصلحش "***[1]، وتوجد أيام هجرية أخرى يستحب قص الشعر فيها حسب المعتقدات الشعبية الجزائرية كيوم عاشوراء.

6-2-1-4- القردون:

يعد القردون من أهم التقنيات الجيدة والشائعة التي اعتادت الفتاة الجزائرية القيام بها سابقا لتمليس الشعر وله عدة تسميات أخرى كـ ***" العصاب أو العصام "***، ويوضع مباشرة بعد الاستحمام وتسريح الشعر فتقوم الفتاة بلف ذيل شعرها جيدا بقطعة طويلة من القماش وتركه لمدة ساعات لكي يجف الشعر عن طريقه ويتسرح، إن استراتيجية القردون تكون عبر شد الشعر جيدا وبطريقة مستقيمة بواسطة هذا القماش ليكتسب ذلك الشكل بعد جفافه.

[1] مقابلة مع:" خ ن ر" بتاريخ 16-06-2022، 20:30-21:00، في جامعة محمد خيضر.

وقد اعتمدت هذه الطريقة كثيرا في جميع المنازل الجزائرية تقريبا وذلك لفعاليتها الكبيرة وكذلك لعدم توفر الأدوات الحديثة التي تمكن الفتيات من تسريح شعورهن بطريقة أسرع ولتحصل على تلك النتيجة، وكانت تعتبر كذلك من طرق الزينة التي تتعلمها الفتاة قبل الزواج من أجل أن تتجمل لزوجها ولتريه جمال شعرها ومدى نعومة ملمسه.

6-2-2- طرق نزع الشعر:

تعددت وتنوعت طرق ازالة الشعر من الجسم كل حسب المنطقة المراد نزع الشعر منها وذلك عائد إلى نوعية الجلد ودرجة حساسيته، فمنطقة الأرجل تختلف عن الوجه وعن الابطين وغيرها من المناطق وعليه كانت المرأة تختار النوع الذي تفضله حسب ما تراه مناسبا لها، وكانت أغلب هذه الممارسات تتم أسبوعيا وفي الحمام إذ تتبادل النسوة أطراف الحديث وهن يقمن بنزع الشعر، كما تحرص هؤلاء النسوة على اصطحاب بناتهن معهن لتعليمهم هذه الطرق خاصة مع بداية ظهور علامات البلوغ البيولوجي، وذلك من أجل تعليمهن أصول النظافة وتحظيرهن للدخول في عالم الزوجية والاهتمام بمظهرها لتبدو بمظهر حسن أما زوجها، ومن بين أهم الطرق الشائعة التي كانت تستخدمها المرأة في مجتمع البحث نجد:

6-2-2-1- الحلاقة بالشفرة:

تعد الحلاقة بالشفرة من أسهل الطرق التي استخدمتها النساء لإزالة شعر الجسم، ومنهن من يكتفي باستعمالها في المنطقة الحساسة ومنهن من يستعملها لحلق الشعر من كافة مناطق الجسم، وتتميز هذه الطريقة بالسرعة غير أنها تتسبب بنمو الشعر بسرعة هو الآخر ولذلك يتوجب على المرأة في حال اختيار هذه الطريقة الانتظام في حلقه بشكل دوري، فضلا على تسببه أيضا في جعل الشعر يصبح خشنا ومدببا ولذلك تنصح النسوة الفتيات بالابتعاد عن هذه الطريقة خاصة بعد الزواج، لأنه قد يؤثر

على نعومة الجلد والتي تعتبر من أهم معايير الأنوثة التي يحبها الرجل في زوجته فيقال: ***" مشي كي يجي يمسك راجلك يلقاك حرشة كي الشوك "***.

6-2-2-2- الحلاوة:

ويطلق عليها في مجتمع البحث ***" الرجينة "*** وهي خليط متكون من ***" كأس من السكر، القليل من الماء، القليل من الليمون "***، وتقدر كمية الماء والليمون بملعقتين كبيرتين وتضاعف المقادير حسب الكمية المراد صناعتها، توضع المقادير على نار متوسطة إلى درجة الغليان مع التحريك المستمر حتى يكتسب اللون الذهبي، ثم تضعها في اناء خاص بها وتنتظر حتى تبرد قليلا وتنزعها وتقوم بدلكها قليلا حتى يصبح شكلها كالعلكة.

يصلح استعمال الحلاوة على كافة مناطق الجسم غير أنها تسبب بعض الألم أثناء عملية النزع إلا أنه بعد المداومة عليها يقل ذلك الألم نتيجة للتعود عليه، أما عن طريقة نزع الشعر بواسطتها فتقوم المرأة بوضع الحلاوة على الرجل ومن ثم تسحبه بسرعة عكس اتجاه نمو الشعر ليتم نتف الشعر من الجذور، وتتميز هذه الطريقة بتقشير الجلد الميت ما يساهم في تنظيم البشرة وتنعيمها فضلا على بطئ نمو الشعر وجعله خفيفا عكس ما تفعله الشفرة، وتشجع الفتيات بعضهن لاستعمال هذه الطريقة للنتيجة المرضية التي تقدمها.

6-2-2-3- الخيط:

يخصص نزع الشعر بالخيط للشعر الرقيق أو ما يعرف ب ***" الزغب "*** وقد جرت العادة في استعماله في الوجه كنمص الحواجب أو شعر الشارب أو الشعر الموجود على الجبهة، أو تحت الأذنين أو حتى شعر الظهر أو السرة، فتقوم المرأة بلف خيط رقيق في اصابعها وتشكله على شكل مقص وتبدأ

بعملية النتف التي تكون عكس اتجاه الشعر وبسرعة، وتعد هذه الطريقة من الطرق المستحب استعمالها إلى جانب الحلاوة هي الأخرى كونها تقدم نفس النتيجة.

التأويل الأنثروبولوجي:

تعددت وسائل العناية بالشعر سواء شعر الرأس أو الجسم وتنوعت حيث أصبحت تحدد حسب حاجة المرأة إليها وكذلك يلعب العامل المادي دورا هاما في تلبية هذه الاحتياجات، ففي السابق اعتمدت المرأة على الوسائل التقليدية والمتاحة والسهلة والتي تتوفر مواد صنعها في كل منزل كالزيت والحناء والحلاوة والخيط وغيرها، أما في الوقت الحالي فقد استحدثت العديد من المواد للعناية بالشعر والتي تتفرق حسب الاستعمال، فشعر الرأس مثلا تصنع له سلسلة من المنتجات التي تستخدم جميعها معا، ويطلق عليها " ***روتين العناية بالشعر*** " ويكون هذا الأخير روتينا أسبوعيا على الأقل ويبدأ على سبيل المثال حسب بعض المبحوثات بـ: " ***حمام زيتي*** " قبل الاستحمام ثم " ***الشامبو، البلسم، قناع مكثف للشعر*** " أثناء الاستحمام، " ***قناع مرطب للشعر*** " بعد الاستحمام، ومن ثم تضع " ***سيروم واقي الحرارة*** " قبل استخدام المجفف و " ***سيروم مرطب*** " بعد استخدام المجفف، وتختلف هذه الروتينات حسب شعر المرأة من شعر ناعم أو خشن أو شعر مصبوغ أو متقصف وغيرها، وقد استحدثت أيضا منتجات أخرى للمعالجة مشاكل الشعر كـ: " ***البروتين والكيراتين*** " وغيرها من المعالجات، وإلى جانب هذا أصبحت الفتيات يلجأن إلى وصل الشعر خاصة الفئة التي تعاني من خفة الشعر وذلك من أجل إبرازه بمظهر الكثافة.

أما فيما يخص جانب نزع الشعر فهي الأخرى قد ظهرت منتجات ومعدات جديدة مع الحفاظ على الأساليب التقليدية، فظهرت الحلاوة الاصطناعية التي تباع في المحلات وكذلك آلات خاصة بها لتسهل عملية نزع الشعر على المرأة، فضلا على آلات الشمع والآلات الكهربائية متعددة الرؤوس والاستعمالات، وإلى جانب هذا قد شاع في الآونة الأخير في مجتمع البحث اللجوء إلى أحدث الطرق

للتخلص من الشعر نهائيا وهو إزالة الشعر بالليزر، وهذا الأخير هو اجراء طبي تجميلي يقام على مستوى العيادات الطبية المتخصصة من قبل طبيب جلد، ويقام في عدة حصص للتخلص النهائي منه والحصول على النتيجة المرادة، إلا أن هذا الأخير يكلف الكثير من المبالغ المالية والتي تدفع مرة كل جلسة ليزر.

غير أن اختيار أحد هذه الطرق والوسائل واتباعها كروتين للعناية بالشعر أو ازالته سواء التقليدية أو الحديثة يعود دائما إلى اختيار المرأة، فالموضوع إذا تعلق بالشعر تفضل المرأة اختيار أنسب الطرق لها وأكثرها فعالية.

6-3- الاعتناء بالبشرة:

اهتمت المرأة وخصوصا بجمال جلدها ولون بشرتها وحرصت على إظهار بدنها في أحسن صورة معتمدة في ذلك العديد من الوصفات والخلطات لتبرزها، وتترابط عادات الاعتناء بالبشرة مع العديد من العادات الأخرى للاهتمام بالجسم كالذهاب إلى الحمام وإزالة الشعر والاستحمام واستغلال حرارته لعنايتها ببشرتها، فماء الحمام الساخن والبخار المنتشر في الأجواء يساعد البشرة على الارتخاء والليونة، ما يجعلها مساعدة على تطبيق بعض الممارسات، كفرك سائر الجسم بما يعرف في مجتمع البحث بـ: "***الكياسة*** " أو حجر متوسط الحجم خشن الملمس وذلك لتقشير البشرة وإزالة الجلد الميت، لتحظى ببشرة نقية وناعمة الملمس لأن نعومة البشرة تعتبر عامل يبرز أنوثة المرأة وجمالها.

ويساهم فرك الجسد أيضا في أماكن المفاصل كالمرفقين والركبتين في تصور النسوة خاصة إلى تبييض هذه المناطق وتوحيد لونها مع سائر الجسم، فالبشرة البيضاء في المخيال الشعبي هي أمثل بشرة وأجملها، لذلك إذا امتلكت الفتاة هاتين الصفتين تعتبر من أوفر الفتيات حظا لكثرة المقبلين عليها لخطبتها، ويعتبر بياض البشرة كذلك مكتسبا وذلك من خلال مكوث الفتاة في المنزل وتجنب أشعة الشمس الحارقة وإن دعت الضرورة لخروجها خرجت في الصباح الباكر جدا.

وتحافظ المرأة على نعومة بشرتها أيضا عن طريق وضعها لبعض الخلطات للعناية بالبشرة المعدة في المنزل، منها خلط" ***زيت الزيتون مع الشمع المذوب*** " لصنع مزيج مكثف مخصص لدهن الجسم به، ويساعد هذا الأخير على حماية البشرة من التشقق والجفاف والاصابة بالالتهابات خاصة في فصل الشتاء، وقد تكتفي المرأة بدلك زيت الزيتون فقط لتغذية بشرتها كونها تقوم بنفس الوظيفة التي يؤديها ذلك المزيج.

كما تعتمد المرأة على الحناء أيضا في محافظتها على بشرتها فالحنة لم تكن مقتصرة يوما على الشعر فقط، ولم تحمل دلالة جمالية فحسب بل كانت توضع بهدف تطهيري طبي أيضا فهي تعمل على علاج البشرة من الالتهابات والجفاف الذي قد يصيبه كما يقوم بعلاج تشققات الأقدام وتنعيمها فضلا على تسريع التئام الجروح، ووضع الحناء سواء في الأيدي أو الأرجل أو الشعر وغيرها من الأشياء التي تجلب الأنظار وتنبه إلى الهوية الجنسية للمرأة.

كل ذلك في سبيل تمييز الذات الأنثوية بجملة من الصفات التي حددتها الثقافة، فهي لا تفعل ذلك لأمر ما في نفسها بقدر ما تراعي رغبات الرجل وميوله وذوقه، فهو الذي يحب المرأة فائقة النظافة التي أزالت ما على جسدها من شعر فصارت بشرتها ملساء وبراقة باعثة على الشهوة، قياسا بجسد السوداء الذي عد غير لين أو جلد الفقيرة الذي تشقق بسبب الشمس أو البرد أو قلة الاستحمام.[1]

التأويل الأنثروبولوجي:

ترى المرأة أن العناية بالبشرة موضوع بالغ الأهمية بالنسبة إليها لذلك عكفت على استخدام كل الوسائل المتاحة لها للقيام بذلك، ومع الأبحاث الحديثة التي قام بها علماء الجلد أصبح من السهل على المرأة اختيار الطرق المناسبة لها للاعتناء بجسمها وبشرتها بداية بتحليل نوع البشرة خاصة بشرة الوجه

[1] أمال قرامي:مرجع سابق، ص 176.

كبشرة: " ***عادية، جافة، دهنية، مختلطة*** " ومن ثم اتباع روتين خاص بها كاستعمال: " ***غسول للوجه أو هلام منظف أو مقشر*** " ثم " ***رش الوجه بماء الورد*** " ثم " ***سيروم مرطب أو مقشر*** " وبعد جفافه توضع " ***كريمة مرطبة*** " للحافظ على نضارة البشرة ونعومتها، وما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الروتينات تختلف من امرأة إلى أخرى وتتحكم فيها القدرة الشرائية لها، فضلا على اختلاف أنواع المواد حسب المنطقة المراد الاعتناء بها فتوجد منتجات مخصصة للوجه واليدين والأرجل وأخرى مخصصة لسائر الجسم والمناطق الحساسة وغيرها.

7- عادات التجميل والتزين:

تميل المرأة بالفطرة إلى الأشياء الجميلة فهي تحب الظهور بأجمل الحلل ولذلك فهي تعتبر التزين من ضروريات الحياة، فاعتمدت العديد من الطرق التي تبرز جمالها وزينتها حسبما هو شائع في الجماعة التي تنتمي إليها ومن أهم عادات التزين في مجتمع البحث هي:

7-1- الملابس والحلي:

تشكل الملابس مظهرا اجتماعيا يعكس الثقافة السائدة في المجتمع الجزائري، وما يميز هذا الأخير هو التنوع الثقافي الهائل في موروثاته خاصة إن تعلق الأمر باللباس والحلي، فلكل منطقة وجماعة لباس خاص به يميزه عن بقية المناطق، وقد تميز مجتمع البحث بمجموعة من الألبسة والحلي المكملة لها هي:

7-1-1- القندورة:

وهو عبارة عن الفستان الذي ترتديه المرأة في سائر أيام الأسبوع، ويعرف اسم فستان الصيف بـ: " ***قندورة عرب*** "وتطلق عليها هذه التسمية بناء على مواصفاتها وهي " ***فستان عريض، قماش خفيف، خياطة بسيطة*** "، وتساهم هذه المواصفات بدفع حرارة الصيف وقساوته فالفستان العريض الذي لا يلامس

جسم المرأة يسمح بنفوذ الهواء بسهولة كما أن القماش الخفيف لا يحتفظ بالحرارة كثيرة، أما فستان الشتاء فهو " ***قندورة القطيفة*** "نسبة إلى القماش الذي تصنع منه وهو " ***القطيفة*** "وهذا الأخير قماش مخصص لفصل الشتاء وذلك لخشونته ما يمكنه من الحفاظ على حرارة مناسبة للجسم.

7-1-2- بوعوينة:

بوعوينة أو بالحايك وهو اللباس التقليدي الذي اعتادت النساء ارتدائه أثناء الخروج من المنزل لتستر به نفسها، وتبدأ المرأة بارتدائه بعد بلوغها وذلك لإخفاء مفاتنها وحمايتها من جميع أنواع المضايقات التي قد تتعرض لها بسبب جسدها الأنثوي، ويتكون الحايك من قطعة واحدة يكون طولها في العادة حوالي أربعة أمتار ويكون مصنوعا يدويا من صوف الغنم أو الحرير، وتقوم المرأة بلفه حول نفسها جيدا كي لا يبدوا من جسدها شيء من الأرجل إلى الرأس والوجه، وتشده جيدا عند الخصر أو تحت ذراعها كي لا ينزلق وتتكشف، فلا يبدوا منها إلا عين واحدة لتستطيع رؤية الطريق الذي ستسلكه ولذلك سمي بـ: " ***بوعوينة*** ".

قد لا تلجأ المرأة إلى لف بوعوينة على وجهها دائما فتلبس بداله بما يسمى بـ: " ***لعجار*** " وهو قطعة قماشية مربعة الشكل أو مثلثة، قد تحتوي على زخرفات مطرزة عليها يدويا أو قطعة كروشيه مضافة إليها، يلبس على الوجه ليغطي النصف السفلي منه مع ترك العينين بارزتين ويلبس العجار بشده وربطه وراء الرأس ومن ثم تلف المرأة ردائها حولها.

تعد الدلالة الرمزية على إخفاء وجه المرأة بالحايك أو العجار على الحشمة والوقار والحياء فضلا على رمزه إلى المرأة المتزوجة، فالفتاة العزباء لا تخفي وجهها حين ارتدائه وذلك لعكس رسالة مفادها أن الفتاة عازبة ليتم التعرف عليها من قبل الرجال، ليتقدموا لخطبتها ولذلك ترتديه فور زواجها مباشرة كما جرت العادة.

ويرافق هذه الملابس في أغلب الأحيان مجموعة من الحلي الفضية التي تختلف حسب نوع اللباس والمناسبة الاحتفالية، ومن أهم الحلي التي كانت ترتديها المرأة في الحياة اليومية سابقا:" ***سنسلة، فلايك، مقايس، خواتم، خلخال، محزمة فضة أو حميلة*** "، أما عن حلي المناسبات فهي نفسها غير أنها تلبس كل ما لديها كملئ أصابعها بالخواتم ولبس أكثر من عقد في رقبتها، وذلك للدلالة على الوضع المادي الجيد وكذلك سخاء زوجها عليها من خلال كثرة حليها، فضلا على رغبتها في لفت النظر إليها أمام جميع النساء بما تملك، وبالنسبة للعروس فتتنوع الحلي التي ترتديها حسب ملابس التصديرة بين الذهبية والفضية، غير أن الفتيات البالغات لم يكن يرتدين الحلي كثيرا فيكتفين بالأقراط وعقد رقيق وفي بعض الأحيان تمنح لهن أساور للتزين بها، فلبس الحلي يرمز للمرأة المتزوجة خاصة الحزام والخلخال والأساور، وكانت كل هذه الممارسات والعادات تتم أمام الفتيات البالغات الغير متزوجات من أجل تعويدهن عليها والتشبع بها ليقمن بممارستها بعد زواجهن.

التأويل الأنثروبولوجي:

بعد التغيرات الكبيرة التي لامست النظام القيمي بأكمله وظهور المرأة في جميع الفضاءات سواء متزوجة أو غير متزوجة، فقد اقتضت الضرورة لتغير نمط وأسلوب لباسها سواء في المنزل أو المدرسة أو العمل ليتناسب مع حياتها فتخلت بذلك عن ارتداء بوعوينة، كما أثر مكوث الاحتلال الفرنسي لمدة طويلة على لباسها، فأصبحت النساء ترتدي جميع أنواع الألبسة من فساتين وقمصان وسراويل وتنانير وغيرها وهذا ما يعكس صور التحرر من التصورات التقليدية حول جسد المرأة ، ومع مرور الوقت وتسارع وتيرة الحياة ظهرت متطلبات جديدة فرضتها التكنولوجيا الحديثة، وبصفة خاصة منصات التواصل الاجتماعي ومن أبرزها" ***الانستغرام*** " والذي يعد أحد أكثر التطبيقات استخداما في وقتنا الحالي، وتستغلها الفتيات في اتباع آخر صيحات الموضة عبر الصفحات الخاصة بها، كما ظهرت العديد من المصطلحات التي تدعم هذا المجال كـ:" ***فاشينيستا Fashionista، بلوغر blogger، انستاغرامور***

instagramer، ***انفلونسر influencer*** "، ويقوم هؤلاء نشر يومياتهم ومجال عملهم وكذلك الترويج للعديد من المنتجات كالملابس والحلي وغيرها ولذلك نجد العديد من الفتيات ينسقن ملابسهن من خلالها، واذا تمعنا النظر نجد أن هذه الثقافة المنتشرة ماهي إلا ثقافة استهلاكية بحتة حيث تسعى إلى استهداف الفتيات عبر الترويج الجيد لها، في حين تسعى فئة أخرى إلى التخلص من جميع مظاهر الموضة عبر اتباع الشريعة الإسلامية واعتماد الحجاب الشرعي الذي يشمل جميع البدن، وقد اتفقت بعض المبحوثات حول مسألة الموضة واللباس على أنه مهزلة وأنه لا يمت للحجاب بصلة وأن ما ترتديه الفتيات الآن هو مجرد غطاء للرأس، وأن مواصفات الحجاب الحقيقي تكمن في اللباس الواسع الفضفاض الغير شفاف، الذي يستر شكل الجسم، ومع ذلك كله فالحجاب الشرعي هو الآخر قد لامسته موجة التغير الكبيرة وظهرت أشكال وألوان متعددة فيه وقد شاع هو الآخر من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما يعكس مدى تأثير هذا المواقع على أسلوب اللباس لدى الفتيات بما فيها الحلي المرافقة له، والأمر الملاحظ كذلك هو تخلي الفتيات عن موضوع تقسيم ارتداء الحلي بين مرحلتي البلوغ والزواج، فأصبح من العادي رؤية فتيات ترتدي أساور أو خلخال في رجلها أو حتى ارتداء الحزام لاعتبار أن الجماعة لم تعد تهتم بهذه المظاهر لتحديد الفتاة العازبة من المتزوجة.

7-2- الكحل والمسواك:

الكحل هوما مادة تجميلية استعملتها المرأة لإبراز جمال عيونها وقد اعتادت المرأة الجزائرية على استعماله منذ الصغر، أي أنه لا يشترط هنا سن معين كالبلوغ أو الزواج وذلك لتعدد خصائصه فهو يستعمل لأغراض تطهيرية لحماية العين من الجراثيم والميكروبات، ويستخلص الكحل من حجر أسود ويطحن جيدا لدرجة النعومة فإذا وضع في العين لا تستشعر المرأة أية خشونة فيه، ومن النساء من تمزج مع الخليط القليل من: " ***مسحوق الفلفل الأسود وعيدان الطيب المسحوقة*** "، غير أن الأصل فيه هو المسحوق الناتج عن طحن الحجر.

أما المسواك فتستخدمه المرأة لتبييض الأسنان وتلوين اللثة والشفاه باللون البني لزيادة جاذبيتها، كما أنه يزيل رائفة الفم ويحافظ عليه من الالتهابات فضلا على أنه يعالج تشققات الشفاه ويبقيها ناعمة ويدوم مفعولها لعدة أيام، ويتميز المسواك بطعمه الحار اللاذع إلا أن المرأة لا تنفك عن استعماله وذلك لنتائج المرضية لها، ويستخدم المسواك عادة بعد الاستحمام أو قبله مباشرة خاصة في الحمام الذي يعتبر مركز الطقوس التجميلية لدى المرأة، فتمضغه المرأة لمدة دقيقتين أو أكثر ثم تدلك به كافة أسنانها مع اللثة وذلك لتتأكد بأن المسواك لامس جميع الأماكن في فمها.

التأويل الأنثروبولوجي:

تشتمل مواد التجميل في الوقت الحالي على العديد من المنتجات بأشكال وألوان مختلفة حسب الاستعمال والرغبة، فلم تعد مقتصرة على الكحل والمسواك وبعض العادات المرتبطة بها كنمص الحواجب وصبغها بالحنة وإزالة شعر الشارب وغيرها من العادات التجميلية، فقد ظهرت منتجات أخرى جعلت المرأة تستغني أو تقلل من استعمال الكحل والمسواك كـ: ***" المسكرة mascara "*** التي تستعمل في طلاء رموش العين بمادة لزجة سوداء تشبه الكحل وكذلك تحديد العين أو تكبيرها بواسطة أقلام الكحل والذي يتواجد بمختلف الألوان واسمه ***" الأيلاينر eyeliner "***، فضلا على اعتمادها على مجموعة كبيرة من المنتجات التجميلية الأخرى كـ: ***" ظل العيون eyeshadow، بودرة الوجه السائلة والبودرة، أحمر الخدود، أحمر الشفاه، كونتور contour، كونسيلر concealer "***، والعديد العديد من المنتجات اللامتناهية، والأمر الجدير بالذكر أن هذه المنتجات في بدايتها كانت تستعمل حكرا لدى المرأة المتزوجة لتتزين به لزوجها في منزلها، غير أن أغلب الفتيات حاليا يستعملنه داخل وخارج المنزل وأصبح الأمر شائعا جدا بعد أن كانت الفتاة تمنع أن تبرز أية شيء من زينتها.

وإلى جانب ذلك ظهرت العديد من طرق التجميل الحديثة كالوصل، والوصل هنا يكون مخصصا لرموش العيون فتركب الفتاة هنا رموشا اصطناعية شبيهة بالرموش الحقيقة لزيادة كثافتها لتبدوا عيناها

أكثر جمالا ولكن بصورة أكثر طبيعية، ويطلق على هذه العملية في مجتمع الدراسة " ***les extensions des cils*** " وهي كلمة مشتقة من اللغة الفرنسية غير أنها الأكثر استعمالا أو قد يقال عليها " ***نركب الشفار*** "، وقد انتشرت هذه الظاهرة كثير في الآونة الأخيرة بين الفتيات وأصبحت مهنة معتمدة، وتكون فترة الوصل مختلفة حسب جودة اللاصق فمنها من يبقى لمدة يوم أو أسبوع ومنها من يصل إلى ثلاثة أشهر.

7-3- الحنة والوشم:

تعتبر الحناء من الوسائل التجميلية في مجتمع البحث والتي يرتبط استخدامها بالمناسبات والأفرح كالأعراس والأعياد وحتى بعد الحمل والولادة، فتستعملها المرأة للتزين وإبراز هويتها الجندرية على حساب الرجل الذي يقتصر استعماله لها لبعض العلاجات، ولذلك جاءت نقوش الحناء المختلفة لعكس روح المرأة وجمالها وابرازها من خلالها فكانت الفتيات يستمتعن أثناء وضعهن لها ويشعرن بالفرح والسرور كونها طقسا يقام دائما للتعبير عن السعادة، وقد سبق أن تحدثنا في العناصر السابقة عن أهمية الحنة ودلالاتها الرمزية وكيفية استعمالها أيضا.

أما الوشم فيعد ظاهرة اجتماعية وثقافية تعتمدها الجماعة وذلك للكم الهائل الذي تعكسه من عادات وطقوس ورموز تحمل دلالات مرهونة بحدود الجماعة التي تنتمي إليه المرأة، كما أنه كان يمثل أحد أهم الموروثات الشعبية الشائعة في المجتمع التقليدي الجزائري والذي استخدم للعديد من الأغراض كالعلاج والتطبيب والسحر والتزين خاصة لدى النساء، وهكذا كان للمرأة دور كبير في صناعة تراث اثنوغرافي هائل وحفظه ونقله عبر الأجيال.

يرجع أصل كلمة وشم إلى اللفظة الإنجليزية " ***Tattoo*** " أي العلامة المرسومة على الجسد البشري وهي كلمة اشتقت من اللغة البولينزية" ***تاهيتي*** "، والوشم عبارة عن رسومات على جلد الإنسان تستخدم بواسطة غرز الإبر في الجلد بألوان ذات مواصفات خاصة، إما من الكحل أو سماد النار أو

أصابغ كيماوية خاصة وذات ألوان متعددة غير أن اللون الأخضر هو الأكثر استعمالا، أما الهدف منها غالبا ما يكون للزينة، أو تكون ذات معتقدات عند البعض كدفع الضر أو جلب الخير ونحو ذلك.[1]

ولقد أظهرت المرأة الجزائرية ولعا كبيرا بهذه الرموز حتى صارت قانونا اجتماعيا ملازما لبعض الطقوس كالزواج، وقد لقي إقبالا كبيرا من طرف الفتيات المقبلات على الزواج لأن الفتاة في العادات الجزائرية لا تستطيع الزواج دون أن تكون موشمة، وهذا الفرض للرموز التزيينية إنما يتقرر من قبيل العرف الثقافي الشائع في المجتمع، الذي يلزم أي عروس أن توشم وخاصة وجهها قبل الذهاب إلى بيت زوجيا.[2]

لقد ساد الاعتقاد في مجتمع البحث أن الوشم هو رمز البلوغ والخصوبة والجاهزية للزواج، لذلك نجد أن العديد من النساء قد وشمن في سن مبكرة جدا، وعلى الرغم مما قد يسببه الوشم من ألم جراء طريقة دقه إلا أنه كان محببا إليهن بشدة لأنه كان يعتبر من بين طرق التزين آنذاك، وقد استعملت في عملية الوشم العديد من الوسائل والتقنيات لدقه منها ***" الابرة، شفرة الحلاقة، السكين أو أية أداة حادة"*** أما عن المواد المستعملة لإبراز اللون فهي: ***" الكحل "*** أو يستعمل فيها ***" الرماد "*** *أو ما يعرف في مجتمع البحث بـ: "* ***لحموم"*** غير أن هذا الأخير يستعمل في حالات نادرة لتوفر مادة الكحل في جميع المنازل.

أما عن طريقة الوشم فتقوم المرأة المسؤولة عن عملية الوشم بتحظير جميع الأدوات التي تحتاجها مسبقا، وتختلف رسومات الوجه حسب أماكن وضعه على جسم المرأة وحسب غايته فقد يكون للتحصن أو للتطبيب أو غيرها، إلا أن الفتاة في سن الزواج توضع لها وشوم خاصة بالتزين كونها بالغة لاستكمال

---

[1] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: **التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية**، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني (واقع وتحديات)، جامعة النجاح الوطنية (فلسطين)، 6-10/10-2012، ص ص 3-33.

[2] فايزة يخلف: **التواصل غير اللغوي الدلالة الثقافية للوشم لدى المرأة القبائلية**، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 5، العدد 3، ص ص 213-226.

طقوس العبور التي تمكنها من الانتقال إلى المرحلة الموالية، ويكون الوشم بإدخال الابرة في جلد المرأة وسحبه للرسم عليه مع رش وفرك الكحل عليها ليمتزج مع الدماء كي يتغلغل داخل الجرح ليترك أثره بعد شفاء الجرح، وتكون عملية دق الوشم سريعة من أجل الانتهاء كي لا تتوقف الفتاة قبل الانتهاء بسبب الألم الكبير الذي ينتج عنه، وكان هذا الألم هو المسبب في نفور الفتيات من هذا الطقس لعدم احتمالهن له كما صرحت أحد المبحوثات التي أجبرت على وضع الوشم هي وبعض الفتيات وقد قالت: ***" أنا مكنتش حابة نوشم كنت خايفة منو يضر وحكموني النسا بالسيف عليا وداروهولي "*** [1]، وهذا ما يؤكد لنا أن الوشم شأن اجتماعي لا فردي وأنه يؤدي وظيفة محددة مرتبطة بقدرة الفتاة على الزواج وتأسيس أسرة.

التأويل الأنثروبولوجي:

حظي طقس الحناء بمكانة هامة في المخيال الشعبي في المجتمع التقليدي لعكسه مفاهيم الفرح والسعادة والمناسبات الاجتماعية كالزواج والختان وغيرها، إلا أن هذا الأمر لم يصمد أمام التغيرات الحاصلة فاكتساح مواد التجميل لحياة المرأة جعلها تتخلى على هذا الطقس خاصة في فترة الدراسة أو العمل، اذ أصبحت بعض الفتيات يشعرن بالإحراج من وضع الحناء لشيوع تصور جديد حولها مفاده أن الحنة تعكس الحياة التقليدية بمفهومها السلبي، أي أن الفتاة التي تضعها تظهر بمظهر الفتاة الريفية الرجعية التي لا تعرف عن المدينة شيء وأنها بعيدة كل البعد عن الموضة، لذلك نجد عزوفا كبيرا عند الفتيات عن وضعها واقتصر وضعها لديهن على وضع قرص صغير في راحة اليد وهذا ما أكدته أغلب المبحوثات ويقال عنه ***" ندير الدويرة برك "***، أو استبدالها بالحنة الصناعية ورسم مختلف الأشكال على بعض أجزاء الجسم ويطلق عليه ***" الحرقوس "*** .

---

[1] مقابلة مع:" ي ش" بتاريخ 12-05-2023، 14:34-15:10، في منزل المبحوثة.

وبعدما كانت الحناء تستعمل لتلوين الأظافر وتزينها، أصبحت أكثر شيء تنفر منه الفتيات فقد عبرن عن كرههن لمظهر الحناء في الأظافر، خاصة بعد نموها فيكون جزء ملون بالحناء وجزء طبيعي، وقد استبدلت هذه الأخيرة بطلاء الأظافر بألوان مختلفة إذ تستطيع الفتاة وضعه وازالته متى رغبت في ذلك، وقد انتشرت أيضا ظاهرة أخرى إلى جانب وصل الرموش وهي تركيب الأظافر الاصطناعية سواء بطريقة مباشرة في الأظفر أو عن طريق إضافة مادة تسمى بـ ***"جل الأظافر "***، وهذه الأخيرة تعد من أصعب الأنواع إزالة إذ تحتاج لمعدات الكترونية لإزالتها.

والأمر ذاته ينطبق على الوشم فقد اعتبر عادة وطقسا عريقا مرتبطا بالنظام الاجتماعي والثقافي في المجتمع، فالمرأة كانت تعيش ضمن مجتمع مشبع بالرموز والعلامات التي تعكس ثقافة جماعتها ولذلك اعتبرت الوشوم رمزا من رموز الهوية الثقافية لهم، وهذا ما جعل النساء يبدعن في تصميم مختلف الأشكال للوشوم إعطاء كل واحد منها دلالة رمزية توحي بالكثير من المعاني، وقد استحدثت العديد من الأدوات الخاصة برسم الوشم كالإبرة الالكترونية التي تساهم في تقليل ألم الوشم الناتج عن الطريقة التقليدية، فضلا على إضافة العديد من الألوان الكيميائية لتلوينه بعدما كان اللون الأخضر هو اللون الخاص بالوشم.

وقد اختلفت الدلالات الرمزية الخاصة بالوشوم الحديثة عن التقليدية وأصبحت تعكس نظرة وتصور صاحبها بدلا من المفاهيم الاجتماعية للجماعة، ما جعل الوشم يتخلص من الصبغة الاجتماعية ليكتسي الصبغة الفردية وهذا ما مكن النساء من اتخاذ أشكال أخرى للوشوم غير التي كانت شائعة في السابق ما أدى إلى فقدان بعض معاني تلك الرموز، وقد اختلفت أماكن وضعه وزمانها وكل ذلك مرتبط بالرغبة والميولات الشخصية لها غير أنها قد تخلت عن الوشم في وجهها واكتفت بوضعه في أجزاء مختلفة من جسدها.

ورغم الانتشار الواسع الذي شهده الوشم في المجتمع التقليدي إلا أنه تراجع مقارنة عما كان عليه منذ زمن بعيد، وقد اقتصر مجموع النساء اللواتي يضعن الوشم حاليا على النساء الكبيرات في السن وبعض النساء المصنفات ضمن قائمة المنبوذين من الجماعة، ويطلق على هذه الفئة عبارات توحي على نبذ الجماعة لهن وكره تصرفهن والأشياء التي يفعلنها ومن بينها الوشم كقول: " ***مشي بنات فاميليا، بنات حرام، عاهرات، خامجات*** " وغيرها من العبارات.

ويعود السبب في اكتساب الوشم هذه السمعة السيئة هي تحريم الوشم ذاته فالشريعة الإسلامية، وقد حرم دق الوشم سواء على الرجل أو المرأة وذلك للأضرار التي يلحقها بجسم الانسان، ولم يكن الوشم هو الأمر الوحيد المحرم بل حرم الوصل والنمص والنساء المتفلجات لاعتبار هذه الأعمال جزء من تغيير خلق الله، وعليه فقد لاحظنا من خلال البحث الميداني أن المبحوثات اللواتي تحملن وشوما على أجسادهن يعانين من الخجل والإحراج الشديدين وتأنيب الضمير بسبب أوشامهن، ولذلك نجدهن يكررن في كل مناسبة أنهن كن يجهلن ذلك وفعلنه لأنه من العادات المتوارثة في المجتمع التي كانت ضرورية من أجل اظهار بلوغهن البيولوجي وجاهزيتهن للزواج، وقد تكررت بعض العبارات كثيرا كقول: " ***والله يا بنتي ما كنا نعرفوا بلي حرام الله غالب كون جينا نعرفوا رانا مدرناهش*** ".

خلاصة:

يعد البلوغ مرحلة هامة من حياة المرأة فهذه الأخيرة تعد المرحلة الانتقالية التي تجعل من الطفلة الصغيرة فتاة بالغة، لتنفصل بذلك من عالم الأطفال وتندمج في عالم الكبار، ويتم خلال تلك المرحلة الانتقالية تلقين الفتاة العديد من العادات والممارسات الاجتماعية لتحضيرها لدخول عالم البالغين، ومن خلال الدراسة الميدانية واجراء العديد من المقابلات مع المبحوثات توصلنا إلى:

- أن مرحلة البلوغ في مجتمع البحث من أكثر المراحل صعوبة بالنسبة للمرأة، وذلك لتشديد الرقابة عليها من قبل أهلها خوفا عليها مما قد يحدث لها إن تركت بدون رقابة، ولذلك جاءت أغلب طقوس البلوغ لحماية الفتاة وصونها.
- ان معظم طقوس الحماية التي كانت تمارس على المرأة في السابق، قد كانت تعتبر واجبا اجتماعيا يجب تنفيذه، غير أن ذلك التصور تلاشى في المجتمع مع مرور الوقت نتيجة لزيادة الأمن والأمان في مجتمع البحث، إذ أصبح من الممكن لها التنقل بأريحية في جميع الأماكن دون الخوف عليها.
- تغير طقوس البلوغ مع تغير مفهوم الشرف في المجتمع، فالمفهوم التقليدي للشرف أدى إلى اتباع أساليب الحماية التي تمثلت في المنع والحرمان والرفض والرقابة المفرطة، أما بالنسبة للمفهوم الحديث للشرف فقد أصبح مرتبطا بالثقة الموكلة للفتاة في حماية نفسها، وكذلك في تحقيقها لأهدافها كاستكمال الدراسة والعمل والسفر.
- تأثير خطاب الحركات النسوية في تصور المرأة لذاتها ما أدى إلى خلق صراع بين الرجل والمرأة في مجتمع البحث، وهو ما أدى بدوره إلى الانتفاض ضد عادات وطقوس البلوغ الممارسة عليها خاصة فيما يتعلق بمواضيع الدراسة والعمل والجسد والجنس، فهذه المواضيع تعتبر نقاط حساسة في حياتها ولا يمكن لأحد اتخاذ القرار نيابة عنها فيها.
- تحول اهتمام الفتيات من الرغبة في الزواج وتكوين أسرة عبر تخليها عن الممارسات اليومية التي كانت المرأة تنشئ عليها في المجتمع التقليدي، كتعلم الطبخ وبعض الأشغال اليدوية والحرف وغيرها من الممارسات، إلى الاهتمام باستكمال المسار التعليمي والعمل، فضلا على الاهتمام بالجانب الجمالي كالتزين ووضع مساحيق التجميل مباشرة بعد البلوغ واتباع الموضة وهكذا.

عادات تزويج المرأة طقوس ثابتة وعادات متغيرة

- تمهيد
- الاختيار الزواجي في المجتمع الجزائري
- الرؤية الشرعية
- الخطبة
- المهر
- المهيبة
- جهاز العروس
- عقد القران
- زيارة الأضرحة
- تحضيرات العرس
- يوم الحنة
- يوم العرس
- صباحية العرس
- أسبوع العرس
- شهر العسل

تمهيد:

يعتبر الزواج علاقة إنسانية واجتماعية تجمع الرجل بالمرأة بغية تكوين أسرة ويعتبر الزواج في المجتمع الجزائري السبيل الوحيد لإنشاء هذه العلاقة بينهما برضا الأهل جميعا، لكون المجتمع مجتمعا إسلاميا محافظا يرفض جميع أنواع التواصل بين الجنسين إلا في حدود ما يسمح به المجتمع والقانون.

ويعرف الزواج على أنه رابطة معترف بها اجتماعيا بين رجل وامرأة يحقق قيامها إضفاء صفتي الزوج والزوجة عليهما وتكوين عائلة بعد أن ينجبا أطفالا، والاعتراف بأولادهم نسلا شرعيا لكل واحد منهما وقيام علاقة تنظمها قوانين وتقاليد اجتماعية، وخلق صلة مصاهرة بين أقاربهما. والزواج نظام اجتماعي يأخذ أشكالا منوعة في الحضارات المختلفة، ويدفع في الزواج صداق وتقام قبله حفلات لإضفاء صفة القبول الاجتماعي والشرعية على الزواج.[1]

ويعرف أيضا بأنه نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية وهو الوسيلة التي يعمد إليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية بين البالغين، فالزواج إذن نظام عام حتى لو كان المجتمع يبيح في كثير من الأحيان علاقات جنسية خارج نطاقه، وينظر إلى الزواج كظاهرة مقدسة أو نظام إلهي مقدس خلقه الله وأكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الإنسانية.[2]

وعليه فإن الزواج هو النظام القانوني الذي يمكن المجتمع من إقامة العلاقات وإنجاب الأطفال والذي له أسس وقواعد لا يتم إلا من خلالها، فالزواج ليس حدث شخصي للعريس والعروس فحسب بل حدثا جماعيا يشمل جميع أفراد الأسرة والأقارب أو ربما دائرة أوسع من الناس، ولذلك اعتبره أرنولد فان جينيب طقسا من الطقوس الاندماجية، والزواج في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات مرتبط

---

[1] شاكر مصطفى سليم: مرجع سابق، ص 601.

[2] سناء الخولي: **الأسرة والحياة العائلية**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2009، ص 43.

بالضرورة بالمنظومة القيمية للمجتمع، وهذه الأخيرة تشتمل على الدين والقيم والعرف والعادات والتقاليد التي تعكس تصورات ومعتقدات ذلك المجتمع التي توارثها الأجيال.

لا تظهر الأوصاف التالية سلسلة من الطقوس فحسب بل تظهر أيضا أوجه التشابه مع أنواع أخرى من الاحتفالات ما يؤكد أن الزواج هو فعل اجتماعي في جوهره، ويمكن تصنيف بعض طقوس الزواج وفقا للحمل والولادة وما إلى ذلك، فمراسم الزواج تشمل أيضا طقوس الحماية والخصوبة وكذلك طقوس روحانية أو مادية ملموسة، مباشرة أو غير مباشرة.[1]

وباعتبار الزواج طقس عبور يتضمن مجموعة من العادات والتي تعد اهتماما أنثويا بالدرجة الأولى فتولت المرأة مهمة الترتيب والتحضير له، ومن خلال ما تم جمعه من بيانات أثناء الدراسة الميدانية تبين لنا أن عادات الزواج في وقتنا الحالي اختلفت عما كانت عليه في الماضي بفعل التغيرات الثقافية الحاصلة، وظهرت تزامنا مع ذلك عادات جديدة تتماشى مع الوقت الراهن وأصبح هناك تأكيد أقل على المظاهر النظامية التقليدية وأكثر على المظاهر الشخصية في عادات الزواج، وبناء على ذلك سنتعرف على أهم عادات زواج المرأة بين ثنائية الماضي والحاضر :

1-الاختيار الزواجي في المجتمع الجزائري:

يعد الاختيار الزواجي أول مرحلة في الزواج وتكون عملية الاختيار مبنية على عدة عوامل يتحكم فيها المحيط الذي تعيش فيه المرأة، والذي يرتبط هو الآخر بمجموعة من العادات التي لا تكتمل إلا من دونها، وهو ما سنقوم بعرضه من خلال العناصر التالية:

---

[1] Arnold van gennep: previous reference, P 117.

1-1- اختيار الأب:

من العوامل المتحكمة في الزواج في المجتمع المحلي هي الامتثال لرأي الأب فلم تكن عادة اختيار شريك الحياة المناسب مسموحا للمرأة في المجتمع الجزائري، وغالبا ما كان الأمر قائما على تدبير عائلتين ويكون القرار النهائي صادرا من الأب دون الرجوع إلى الزوجة أو ابنته، لأن الزواج آن ذاك كان يعتبر مسألة عائلية لذلك يتم الاتفاق بين الأبوين على كافة الشروط والتحضيرات الأساسية للاحتفال وموعد إقامته كذلك، في ذات السياق تقول المبحوثة (س.ب) : ***" كي طلقت من راجلي اللول عانيت بزاف في دار بابا كيما تعرفي بكري لمرا المطلقة كانت عار على العايلة، وكانوا يخطبوا فيا رجال بزاف لأني كنت باهية بزاف وقافزة، وكاين فيهم حتى لي مش متزوج من قبل بصح محبوش الدار يمدوني، كانوا حشمانين بيا تاع كيفاش يمدوا بنتهم لمطلقة لواحد مهوش متزوج من قبل، وكي خطبني راجلي لي راني مادياتوا ضرك قبلوا بيه وهو مرتو متوفية وخلاتلوا سبع ولاد مدوني ليه دارنا بلا حتى ما يشاوروني"*** [1]، حين نتمعن في كلام المبحوثة نلاحظ الكثير من المشكلات الاجتماعية التي عانت منها من خلال بعض المواقف التي مرت بها، والتي أدت بدورها إلى خلق مشكلات أخرى كطلاقها الذي تسبب في سوء معاملة الأهل والمجتمع لها والذي أدى في النهاية إلى تزويجها زواجا تعسفيا دون الرجوع إليها لأخذ رأيها في الموضوع، ومن خلال ملاحظتي لها أثناء إجراء المقابلة استنتجت أنها تعاني من ضرر نفسي أثر فيها وفي مجرى حياتها لأنها لم تكن راضية على الطريقة التي تزوجت بها رغم مرور 37 سنة على زواجها.

وترى سناء الخولي أن الأب قد استمد سلطته من العادات الاجتماعية والأعراف المنتشرة في المجتمع، وإلى حد ما من القانون باعتباره المعيل الأول للعائلة، لذلك لم يكن يسمح للمعنيين سواء المرأة

[1] مقابلة مع " س ب " بتاريخ: 14-09-2021، 21:00-22:00، في منزل المبحوثة.

أو الرجل بإبداء رأيهما سواء بالقبول أو بالرفض أو حتى الالتقاء ببعضها قصد التعارف بأي شكل من الأشكال إلا في حالات نادرة، وإذا أتيح ذلك فإنما يتم في حضور بعض الأقارب أو أحدهم على الأقل لتحقيق القدر الملائم اجتماعيا من المراقبة على السلوك بل وعلى مضمون الحديث الذي يدور بينها كذلك، وهكذا لم تكن تتاح للفتى أو الفتاة أي فرصة للتعرف الطبيعي على خصائص الآخر وطبائعه وميوله نظرا لما يطغى على هذه المواقف من تصنع وارتباك.[1]

ويكون اختيار الأب لزوج ابنته بناء على عدة معايير، أولها الحسب والنسب الشريف الذين يمنحان ابنته مكانة خاصة في المجتمع، فإن كان المتقدم إليها من أشراف المدينة فقد فتحت أبواب الحظ لها كما ساد الاعتقاد، وتعتبر هذه العائلات من أوائل السكان المعمرين في المدينة محل الدراسة فضلا عن امتلاكهم الكثير من الأملاك والمعروفين كذلك بممارسة التجارة ومختلف الأعمال، ولأجل ذلك فهم يعدون أن تزويج الفتاة من أحد هذه العائلات سينعكس بالإيجاب على حياتها وحياة عائلتها.

التأويل الأنثروبولوجي:

لم تصمد السلطة الأبوية طويلا أمام التغيرات الثقافية التي مست نظام الزواج في مجتمع البحث فبدأت بالتراجع شيئا فشيئا مع مرور الوقت، فالمرأة الآن لها الحرية في اختيار شريك حياتها المناسب لها حسب المعايير التي تراها مناسبة لها دون تدخل الأب أو أحد أفراد العائلة إلا في حالات نادرة، وذلك لتفهم الآباء ضرورة منح الحرية لها، وأن نمط الحياة تغير عما كان عليه في السابق فتعقب المبحوثة (س،ب) وتقول: ***" أنا كي مدوني والديا بلا رضايتي تكويت وعاهدت روحي ما تتعاود اللقطة هاذي مع ولادي، أنا ولادي كامل مديتلهم الحرية يخيروا الانسان لي يساعدهم بنات ولا رجالة ومش راح ندخل في قرارهم الله يسهل على كل واحد كي يقولولي أخطبيلي نمشي"***[2]، وهنا تعرب المبحوثة عن

---

[1] سناء الخولي: __الأسرة والحياة العائلية، بيروت__، مرجع سابق ص 89.

[2] مقابلة مع " س ب " بتاريخ: 14-09-2021، 21:00-22:00، في منزل المبحوثة.

أسفها عما حدث لها وتتعهد أنه لن يتكرر مع أبنائها سواء البنات أو الذكور وأن لهم الحرية التامة في اختيار شريك حياتهم.

وهذا ما تم تأكيده لنا من خلال المقابلات المتعددة التي تم اجراؤها فأغلبية المبحوثات يتفقون على أن أسلوب الإرغام على الزواج أو عدم أخذ مشورة الفتاة أمر غير مقبول حاليا وأنه يتوجب منحها حرية أكبر فيما يتعلق بهذا الموضوع، لأنه قرار مصيري لا يمكن لغيرها اتخاذه عنها، وبالرغم من التراجع الكبير لهذه الظاهرة إلا أنها لا تزال موجودة في المجتمع، فما تزال هناك بعض الفتيات اللواتي ما زلن يعانين منها ولا يمكنهن فعل أي شيء خوفا من ردة فعل أوليائهن.

1-2- الواسطة في الزواج:

ساد هذا النوع من عمليات الاختيار لشريك الحياة في المجتمع الجزائري التقليدي لمدة زمنية طويلة خاصة وسط الجماعات المحافظة والمنغلقة، حيث لعبت دورا كبير في التعرف والتقريب بين الراغبين في الزواج وتحقيق التجانس بين العائلات وبصفة خاصة مع الآباء، وتسند هذه المهمة في غالب الأحيان إلى المرأة، لأن كيانها النسوي يسهل لها الدخول إلى الفضاءات الأنثوية كالمنازل والاختلاط بالنسوة وهذه الأخيرة تطوف بأماكن معروفة كالحمامات والمقابر والأعراس وغيرها من الأماكن لإيجاد الفتيات المقبلات على الزواج لتدل الأهالي عليها.[1]

ويكون أساس الزواج عن طريق الواسطة بقيام امرأة بالبحث عن فتيات في سن الزواج لخطبتها بعد تكليفها بهذه المهمة من قبل احدى الأسر، ومن ثم تدبير موعد بين العائلتين للقاء فيما بينهم، ويتم اختيار الفتاة في هذا النوع وفقا لعدة معايير كالجمال وصغر السن وتمكنها من الأعمال المنزلية واليدوية،

---

[1] يمينة غسيري: <u>سيكولوجيا الزواج والأسرة في المجتمع الجزائري</u>، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2013، ص 70.

فضلا على المكانة الاجتماعية للعائلة وحسن سمعتها ونسبها وكذلك الأمر بالنسبة للرجل، فإن تم الاتفاق على المبدئي على هذه الصفات يتبقى فقط الاتفاق على الشروط الأخرى المتعلقة بالمهر ونفقات العرس ليتم بعده الزواج مباشرة، وهذا ما حصل تماما مع **(ت.هـ)** التي حدثتنا عن زواجها وقالت: ***" أنا تزوجت خو مرت ولد عمي، ولد عمي هذا تزوج قبلي بمدة وكي جاو يحوسوا على عروسة لخو مرتو اقترحني أنا، وبالفعل جاو عايلتوا للدار وخطبوني كي سقسينا عليه قالوا ناس ملاح وترونكيل، درت على هدرت ولد عمي وقبلت بلا منشوفوا حتى النهار لي تزوجنا[1] "***، وتروي المبحوثة هنا طريقة زواجها الذي تم عبر الوساطة بدون أن ترى زوجها لأنها اكتفت بالمواصفات التي سمعتها عنه كأنه شخص جيد وذو سمعة حسنة.

التأويل الأنثروبولوجي:

أما في الوقت الراهن فنجد أن الزواج القائم عن طريق الواسطة استمر في الوجود إلى يومنا هذا، إلا أنه طرأت عليه العديد من التغيرات، فقد انتقلت الوساطة من كونها بين عائلتين إلى المرأة والرجل بمعنى أنه في السابق كانت تقام الوسائط بين العائلتين فتجري الخطبة بطريقة مباشرة، أما الآن فقد تطورت لتصبح متعلقة بالمرأة والرجل، حيث يقوم الشخص الذي يلعب دور الوسيط بربط تواصل المرأة مع الرجل أولا دون اعلام الأهل، ليستطيع الطرفان التعرف على مميزات بعضهما البعض من أجل اكتشاف مدى توافقهما معا، وهذا ما لاحظناه مع العديد من المبحوثات فتقول (ر.ع) ***" أنا تعرفت على راجلي عن طريق صحبتي كنا نقراوا مع بعض وقاتلي ولد عمي راه يحوس على عروسة في لاج تاعك كان تقبلي، سقسيت عليه عرفت عليه شوية معلومات كي عجبتني المواصفات تاعوا قتلها إيه***

[1] مقابلة مع " ت هـ " بتاريخ: 01-02-2022، 13:40-14:30، في مقر عمل المبحوثة.

ماعليش، ومن وراها عرفتني بيه حكينا السع في التليفون كي تفاهمنا في العقلية والشروط جا للدار خطبني". [1]

1-3- زواج القرابة:

زواج القرابة هو الزواج القائم عن طريق الصلة الدموية بين العائلتين فالمتعارف عليه أن المجتمع الجزائري مجتمع عشائري وله ولاء مطلق لانتماءاته القبلية فنجده يجسد ذلك في جميع الأمور وخاصة حين يتعلق الأمر بالزواج، فالقاعدة التي تسود تلك الجماعات هي ضرورة الزواج من داخل الجماعة التي ينتمي إليها وذلك ما يعرف بالزواج الداخلي.

ويعتبر زواج القرابة دليلا على الحفاظ على اللحمة والترابط والتضامن بين العائلات لذلك أصبح أشبه بقانون أو القاعدة التي ترتكز عليها القبائل، فزواج المرأة من قريبها يعد أكثر أمانا وحفاظا على حقوقها من الضياع، فتقول ***(ز.ل): قبل ما نتزوج جاوني زوج خطابة واحد براني وواحد ولد عمي ونصحوني فاميليتي وقالولي ادي ولد عمك البراني كي تكبري يطيشك وولد عمك يلمك"*** [2]، والمبحوثة هنا تخبرنا أن عائلتها نصحتها بأن تتزوج ابن عمها لأنه هو الذي سيحميها في كبرها أما ذلك الخاطب الذي لا ينتمي إلى عرشها سيرميها في الأخير.

وفي وقت سابق كانت المرأة الجزائرية تحرم من حقها في الميراث إن تزوجت رجلا لا ينتمي إلى نفس القبيلة التي تنتمي إليها، كنوع من الحلول الردعية للحد من هذه الظاهرة أو العقاب إن صح التعبير لكل من تفعل ذلك، وقد يتم نفيها أو نبذها من تلك الجماعة باعتبار أنها دنست شرف عائلتها.

---

[1] مقابلة مع " ر ع " بتاريخ: 05-11-2021، 12:00-14:00، في منزل المبحوثة.

[2] مقابلة مع " س ب " بتاريخ: 20-09-2021، 16:10-16:45، في منزل المبحوثة.

وفي ذات السياق نجد بعض العائلات الجزائرية تلجئ إلى تسمية بناتهن على أسماء أبناء عمومتهن، كقول فلانة لابن عمها فلان في سن مبكرة جدا فلا تتم خطبتها من طرف أي شخص آخر لمعرفة الجماعة أنها مسمات على ابن عمها، وبذلك تعتبر خطيبته فيتم تنشئتها على ذلك الأساس ليتم تزويجها بمجرد بلوغهما، ولذلك تم تناول جملة من طرف المبحوثات أكثر من مرة في هذا الصدد وهي: " ***زيتنا في دقيقنا*** " وهي تشبيه يقصد به أن بناتنا لا يذهبن إلى غيرنا لأننا أهل لهن والزواج عن طريق القرابة أحسن من الزواج خارج العائلة.

إن الزواج الداخلي في المجتمع التقليدي له خلفيات مرتبطة بالعرف والعادات والتقاليد والقيم وحتى الشرف والمكانة الاجتماعية للأشخاص، فأفراد هذه الجماعة يعتقدون بقدسية النسب الدموي وضرورة الحفاظ عليه ولذلك منع الزواج الخارجي في أي شكل من الأشكال إلا في حالات نادرة متعلقة بأمن القبيلة وقد أجمعت مفردات العينة على الأسباب التالية في اختيار زواج القرابة:

- الحفاظ على خط النسب الواحد.
- الحفاظ على الممتلكات والأراضي والميراث من فقدانها بسبب الزواج الخارجي.
- الحفاظ الخصوصية الثقافية لتلك الجماعة.
- حماية النساء من الاضطهاد الذي قد يتعرضن إيه خارج القبيلة.
- المحافظة على الأسرة عن طريق منع الطلاق بين الزوج والزوجة.

التأويل الأنثروبولوجي:

يعتبر زواج القرابة في مجتمع البحث من بين عادات الزواج المستمرة إلى يومنا هذا، فما تزال بعض العائلات تجبر تجبر أولادها وبناتها على الزواج من أبناء عمومتهم، وهذا ما صرحت به المبحوثة **(أ،ل)** في حديث عرضي معها فتقول: " ***قبل سنين كنت في علاقة مع واحد أصلوا من دوار في بسكرة بصح يسكن هنا في العاليا، كان مواعدني بالزواج وقعدت معاه 3 سنين وتحديدا في أواخر 2014***

وجد روحوا باه يخطب راح قال لماماه عليا محبتش تقبل قاتلوا غير البرانية متدخلش داري، إذا تزوجتها هي بنات عمك شكون يديهم"[1].

وهذا ما تأكدت منه عن طريق اجراء مقابلة مع أحد أفراد عائلة الفتى فتقول: ***" كان ولد عمي حاب يدي وحدة يعرفها وقفتلوا فيها أمو وقاتلوا غير هي ما تديهاش بسبة انها برانية، وقاتلوا بنات عمك شكون يديهم واذا محبيتش ادي أي وحدة بغيتها بصح تكون من عرشك، وقتلوا عليا أنا، وأنا ما بغيتوش تربينا مع بعضانا كي الخاوة منيش نشوف فيه كراجلي وفي النهاية ديت ولد عمي واحد أوخر بصح أنا لي بغيتو"[2]***، وكانت المبحوثة هنا تتحدث باستغراب شديد حول تصرف زوجة عمها في هذا الموقف خاصة في الوقت الحاضر، وأضافت أن أم الفتى لا تعترف بهذا الشيء بل يهمها أن تكون الفتاة من مسقط رأسهما، ومع ذلك فإن هذه الظاهرة نالت بعض حرية أكثر عما كانت عليه في السابق فأصبح زواج القرابة قرارا اختيارا وليس اجباريا بفضل العديد من العوامل، ولتقبل الأهل فكرة أن الزواج الناجح متعلق في الأساس بالشخصين المقبلين عليه، وليس القرابة وهذا ما لمسناه من قول المبحوثة في آخر كلامها على زواجها من ابن عمها النابع من رغبتها الخاصة.

1-4- السن:

يبدأ سن الزواج في المجتمعات التقليدية مباشرة بعد بلوغ الفتاة كما سبق وأشرنا فتعتبر بذلك جاهزة للزواج فتسعى الأم جاهدة لتجد زوجا مناسبا لها، ويعتبر عامل السن هنا عاملا أساسيا يخدم المرأة فكلما كانت صغيرة كلما كانت أوفر حظا من قريناتها، فصغر السن مرتبط بالشباب والحيوية والجمال، وبصفة خاصة بالخصوبة الأمر الذي يمكن العائلات من الحفاظ على نسلها، باعتبار أن المرأة الصغيرة في السن قادرة على إنجاب أكبر عدد من الأطفال بحكم المدة الزمنية الطويلة المتبقية أمامها

---

[1] مقابلة مع " أ ل " بتاريخ: 15-10-2021، 12:22-13:06، في جامعة محمد خيضر.

[2] مقابلة مع " أ ح " بتاريخ: 25-01-2023، 13:42-13:57، مكالمة هاتفية.

لبلوغ سن اليأس، كما تروي احدى المبحوثات (خ.ر) عن بناتها: ***" أنا عندي 5 بنات 4 تزوجوا ومزالت وحدة وكامل تزوجوا بكري زوج مديتهم على 17 سنة ووحدة على 18 سنة ولي طولت فيهم 19 سنة "*** [1] وحين استرسلت في الحديث معها أكدت لي على ضرورة الزواج وخاصة الزواج المبكر، لكن بطريقة غير مباشرة من أجل إمكانية الانجاب من خلال حديثها عن أصغر بناتها في محاولة إخفاء انزعاجها من الموضوع فتقول: ***" راهي بقاتلي الصغيرة مزال ممديتهاش في عمرها 28 سنة، إيه أبنتي مابقالكمش معندكم وين تزيدوا هذاك هو لقراية وقريتوا يا ربي تلحقوا تجيبوا طفل ولا زوج لعمر راه يمشي".*** [2]

وأكدت لنا هذا مبحوثة أخرى (ش.س) من خلا تجربتها مع معالجة بالأعشاب من أجل الانجاب فعلقت المعالجة على حالتها بقولها: ***" لوكان جيتي حابة الضناية راكي تزوجتي بكري واش خلاك لضرك، تبعتي لقراية وضيعتي روحك"*** [3]، وأعربت المبحوثة عن استيائها الشديد حول تعليق المعالجة وأن ظروف ومتطلبات الحياة اختلفت عما كانت عليه في السابق، فالتعليم أو العمل لا يعيقان عملية الزواج وأنها قاطعتها منذ ذلك الحين، ***" من قاتلي هذيك الهدرة مزدتش رحتلها، الزيادة راهي مكتوب ربي معندها حتى علاقة بلعمر تاع الزواج الدنيا راهي تبدلت والناس مزالها تهدر هك".*** [4] والشيء الملاحظ هنا هو اتفاق كل من المبحوثة (خ.ر) والمعالجة على أن التعليم هو السبب الذي جعل من المرأة تتأخر في الزواج.

---

[1] مقابلة مع " خ ر " بتاريخ 29-11-2021، 17:00-18:40، في منزل المبحوثة.

[2] نفس المقابلة.

[3] مقابلة مع " ش س "، بتاريخ 30-01-2022، 8:30-09:30، جامعة محمد خيضر.

[4] مقابلة مع " ش س "، بتاريخ 30-01-2022، 8:30-09:30، جامعة محمد خيضر.

التأويل الأنثروبولوجي:

أدت التغيرات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الجزائري إلى ارتفاع سن الزواج لكلا الجنسين خاصة في المناطق الحضرية لالتحاقهم بالتعليم الذي يستغرق سنوات عديدة لاستكماله، والذي لابد أن تتلوه فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزواج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يرتفع عما كان عليه سابقا.[1]

يعتبر عامل السن في الماضي والحاضر من أهم العوامل التي تؤثر في الزواج فتبدي المرأة الكثير من الاهتمام بسن الرجل الذي ستختاره زوجا لها، وحسب بعض النساء حاليا فهن يعتبرن التقارب العمري عاملا إيجابيا في نجاح الزواج لأنها من نفس الجيل مما يساعدهما في فهم بعضهما البعض، ولأنهما يعيشان نفس الظروف، اعتقادا منهن أن كل جيل لديه طرق تفكير خاصة به تختلف عن الجيل الذي يليه.

ومن النساء من يعتبر أن السن لا يهم في اختيار الزوج وهذا ما عبرت عنه مجموعة كبيرة من المبحوثات بعبارة: " ***l'age c'est des chiffres*** " بمعنى أن السن مجرد رقم لا يمكن أن يتم إصدار أحكام بنجاح العلاقة أو فشلها انطلاقا من فارق السن بين المرأة والرجل، لذلك نجد نساء تزوجن من يكبرهن سنا ب 10 سنوات أو أكثر ومن هن من تزوجت رجال أصغر سن منهن في بعض الأحيان ولم يؤثر ذلك على علاقتهم.

---

[1] يمينة غسيري: مرجع سابق، ص75.

1-5- الحب:

يستخدم معظم الأشخاص مصطلح الحب لوصف مشاعرهم تجاه بعض الأشخاص أو تعلقهم الشديد بهم، فنجد أن فكرة الحب أو التعارف قبل الزواج قد برزت كمعيار مهم لاختيار شريك الحياة عند المرأة بفعل تغير أدوارها وانفتاحها على العالم الخارجي.

إن الزواج عن طريق الحب لم يكن وليد اليوم بل كان حاضرا حتى في المجتمعات التقليدية، إلا أنه لم يكن مسموحا به فكانت أغلب العائلات تعارضه بشدة وتعتبره خرقا للعرف والعادات التي كانت سائدة في الماضي، لذلك كان يحرص المتحابون لإخفاء علاقتهما بجميع الطرق وذلك تفاديا للعواقب التي قد تنتج عنها لمعرفة الجماعة بذلك.

التأويل الأنثروبولوجي:

أما في الوقت الراهن فقد لقي هذا النوع من الزواج استحسانا كبيرا خاصة وسط الشباب، والواقع أن التعارف والدخول في علاقة قبل الزواج تكمن خلفه أغراض ونوايا تخص صاحبيها بالدرجة الأولى منها فكرة التعرف على الطرف الآخر وعن سماته الشخصية وطريقة تفكيره ونظرته للحياة وأسلوب عيشه، وهذا ما يسمى بالتوافق الفكري والروحي بينهم، حيث أصبحت المرأة تهتم بضرورة وجود العاطفة الإيجابية لكل منهما نحو الآخر قبل الزواج.[1]

وتركز بعض الفتيات على أن فكرة الارتباط والدخول في علاقة الحب قبل الزواج –قد تطول مدتها لتصل في بعض الأحيان إلى عدة سنوات–، هي أساس الزواج الناجح دون الأخذ بعين الاعتبار أنه يوجد توافق بينهما أو لا، أو بأنها تستطيع تحمل الظروف المعيشية لزوجها، لذلك يحدث تصادم

[1] يمينة غسيري: مرجع سابق، ص 66.

بين الطرفين مباشرة بعد الزواج وتنشأ الكثير من الخلافات بينهما والتي تؤول في بعض الأحيان إلى الطلاق.

1-6- التطبيقات:

ظهرت هذه الطريقة بعد ثورة التكنولوجيا الحديثة والانترنت والتي أثرت على طريقة تفكير المرأة وقد انعكس أيضا على عملية الاختيار الزواجي، فظهرت طريقة الزواج عبر التطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي كالفاسبوك والانستغرام والتوتير أو عبر تطبيقات خاصة بالتعارف كتطبيق: "***تيندر tinder***" وتطبيق" ***موزماتش muzmatch***" وغيرها من التطبيقات، وهي طريقة مستحدثة في المجتمع الجزائري، ويقوم الزواج عبر هذه التطبيقات أساسا على اشتراك المرأة فيها لتتعرف على أشخاص من مختلف مناطق الوطن أو خارجه في بعض الأحيان.

وهذه الطريقة لم تلقى استحسان كبير من الجماعة التي تنتمي إليها المرأة لأنها تختلف تماما عما هو متعارف عليه، افتراضا منهم أن هذه الأخيرة تحمل الكثير من المخاطر كجهلها التام للخلفية الاجتماعية التي ينتمي إليها ذلك الشخص المتقدم إليها، وقد تكون المعلومات التي أخبرها بها معلومات مزيفة ولا أساس لها من الصحة، ولأن الزواج في الجزائر ما يزال مرتبط إلى حد ما بالعادات والتقاليد والأعراف مهما بلغ من درجة في الوعي الفكري والتطور، ولذلك تبقى هذه الطريقة محل تخوف وتحفظ في مجتمع البحث.

2- الرؤية الشرعية:

أو ما يطلق عليها في مجتمع البحث بـ: " ***الشوفة*** "وهي عادة من العادات المتأصلة في المجتمع الجزائري وهي الزيارة الأولى لبيت الفتاة بقصد طلب يدها، والرؤية الشرعية هي تطبيق لنصوص الشريعة الإسلامية، فمن خلالها يسمح للشاب والفتاة بالجلوس معا والتعرف إلى بعضهما البعض بوجود أحد

محارم الفتاة وفي ظل ظروف ملائمة يهيئها أهلها بينة قبول هذا الخاطب، غير أن الرؤية الشرعية لم تكن منتشرة بكثرة في المجتمع التقليدي فاختيار شريك الحياة كان راجعا بالدرجة الأولى للعائلة والأب بصفة خاصة وما على الفتاة إلا الامتثال والطاعة.

التأويل الأنثروبولوجي:

ومع انتشار الوعي الذي صاحب ارتفاع نسب التعليم والعمل في المجتمع، والميل إلى تطبيق تعاليم الدين الإسلامي بشكل صحيح مع تراجع واضح في سلطة العرف ومنح الحرية للمرأة في اختيار شريك حياتها، أصبح الاعتماد على الرؤية الشرعية كخطوة أولية بارزة لدى العائلات لتحقيق الرضى والتوافق الزواجي بين الطرفين.

وتكون الشوفة بعد قبول أهل الفتاة استقبال أهل الخاطب بعد التحري والسؤال عن عائلته وتقصي أخبارهم، فإن تأكد والد الفتاة من السمعة الحسنة للشاب قبل به واستقباله في بيته بعد تحديد ميعاد للقاء ، وتختلف عادات الشوفة في مجتمع الدراسة من جماعة إلى أخرى فتكون كالتالي:

- **الجماعة الأولى:** ترسل النساء في اليوم لاعتبار أن الموضوع نسوي بحت ولا يحتاج حضور العنصر الرجالي فيه لفتح الموضوع مع عائلة الفتاة، ومن ثم يقومون بإرسال الرجال للتكلم حول الشروط، وفي اللقاء الأخير يجتمعون معا لتأكيد الخطبة.
- **الجماعة الثانية:** ترسل الرجال لاعتبار المسألة ذات طابع جدي تستلزم وجود كبار العائلة والرجال لإظهار مدى جديتهم وحرصهم على شرف الفتاة، وأنه بذلك يثبتون لعائلتها أنها ستكون في أيدي آمنة إذا تم الزواج، ومن ثم تذهب النسوة لإتمام التفاصيل الباقية أو يذهبون معا.
- **الجماعة الثالثة:** ترسل الرجال والنساء معا لاعتبار أن الموضوع عادي لا يحتاج لأية إجراءات، وكذلك اختصارا للجهد ولوقت وتقليص المصاريف المادية.

ويتم في يوم الشوفة وتقديم الشاب والفتاة المعنيين بالخطبة إلى بعضهما البعض، ومن ثم اعلام الطرفين بعاداتهم وتقاليدهم وشروطهم وجميع التفاصيل المتعلقة بالزواج، وذلك من أجل النظر إلى إمكانية حدوث التوافق بينهما، ومن بين العادات المنتشرة التي تكون في يوم الشوفة كذلك هي منع أخوات الفتاة من الظهور أمام عائلة الخاطب، خوفا من تغيير رأيهم ورغبتهم في خطبة الأخت بدلا منها، لذلك تقوم العائلات الجزائرية بهذا الاجراء الاحترازي لتفادي مثل هذه الحوادث خاصة ان كانت أخواتها أجمل منها.

وبعد عدة أيام من التفكير والتشاور تتواصل العائلتين إلى قرار معين، والعبرة من الانتظار لعدة أيام من وجهة نظر المبحوثات هو إعطاء قيمة للفتاة في نظر عائلة الشاب، لإيصال فكرة مفادها أن الفتاة معززة في منزل والدها وليس من السهل القبول بسرعة، وبعدها تتواصل أحد العائلتين مع الطرف الآخر لإعلامها بقرارها سواء بالرفض أو القبول ومن المستحسن أن تكون عائلة الشاب، فإن كان الجواب بالرفض فيكون الجواب ب " ***الله غالب مكانش مكتوب*** " ويعني الرفض بأسلوب مهذب وهو الجواب الأكثر تداولا بين المبحوثات، أما اذا كان الجواب بالقبول فيبدأ الحديث بالسؤال عن وجوب تحديد يوم ثاني للقاء وهو يوم الخطبة مع تبادل التهاني لبعضهما البعض.

ومع توالي التغيرات أصبحت الرؤية الشرعية مجرد عادة روتينية فقط للتمهيد للخطبة أمام المجتمع وذلك لارتفاع نسب الزواج عن حب، فتكون الشوفة بمثابة غطاء للتستر عن هذه العلاقة عند بعض العائلات رغبة منهم على عدم الإفصاح بمعرفة الشاب والفتاة المسبقة لبعضهما، خوفا من رأي المجتمع حول هذه الظاهرة ليتم القبول فيها مباشرة، أما لدى بعض العائلات فقد ألغتها تماما وذلك من أجل التوجه مباشرة للخطوة التالية وهي الخطبة بهدف التوفير المادي واختزال بعض النفقات.

3- الخطبة:

الخطبة هي الفترة التي تسبق عقد الزواج بصفة رسمية، وهي في الواقع المرحلة التحضيرية لتوثيق العلاقات بين أسرتي الزوج والزوجة لوضع أسس الحياة الزوجية[1]، وتحظى الخطبة في كثير من المجتمعات بأهمية كبيرة وخاصة المجتمعات العربية التي لا تقبل أية علاقة غير رسمية بين الفتى والفتاة، كونها الوسيلة الوحيدة المقبولة من الأسرة والمجتمع.[2] يطلق على الخطبة أيضا بـ " ***لملاك*** " بمعنى تمليك الفتاة للشاب أي أنها خطيبته ولا يجوز لأي كان التقدم لها بعد ذلك اليوم.

بعد نيل القبول يتم تحديد موعد ثان للقاء، وعادة ما يقع الاختيار على أيام الاثنين أو الخميس أو الجمعة للاحتفال بيوم الخطبة، باعتبار أن لهذ الأيام قدسية في الدين الإسلامي ولمباركة العلاقة بين الخطيبين، والخطبة عبارة عن احتفال مصغر بين العائلتين وربما بعض الأقارب إذ يتم فيها إظهار بوادر المحبة والصدق والتضامن والرغبة في بناء علاقة اجتماعية محترمة بينهما.

أما عن العادات والطقوس المرتبطة بمراسيم الخطبة فهي بسيطة، اذ يقام احتفال الخطبة في منزل الفتاة فيجلب عائلة الرجل مختلف بالهدايا لها ولأهلها، وذلك للدلالة عن التقدير والاحترام والتفاخر بالعضو الجديد في عائلتهم وكذلك للتعبير عن مدى سعادتهم بهذه المناسبة، ويتم في هذا اليوم تقديم مختلف المأكولات الشهية والحلويات للمعازيم، وعند الانتهاء من الطعام تخرج الفتاة في أبهى حلة لها وسط الزغاريد والأغاني الشعبية المتنوعة، لترحب بها حماتها ومن ثم يجلسن معا في المكان المخصص لهن.

تقوم الحماة أو ابنتها بإظهار خاتم من الفضة أو الذهب كل حسب مقدرته المادية للعائلة، ومن ثم تقدمه لكبيرة العائلة لتلبيسه لكنتها الجديدة وغالبا ما تكون جدة الشاب أو عمته لتكون بذلك خطيبته

---

[1] ميرفت العشماوي عثمان العشماوي: مرجع سابق، ص 165.

[2] سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، مرجع سابق، ص 19.

رسميا، وقد جرت العادة عند بعض العائلات وضع الحنة للفتاة في يوم الخطبة، وبعدها وتقوم بخلط الحناء لتضعها للفتاة كتقليد متوارث في الجماعة لإتمام مراسيم الخطبة، إلا أن هذه العادة قد تختلف من جماعة إلى أخرى فمنهم من يقوم بها ومنهم من يأجلها ليوم العرس.

التأويل الأنثروبولوجي:

لم تختلف عادات الخطبة في مجتمع البحث كثيرا عما كانت عليه سابقا فهي في أغلب الأحيان تتم بنفس المراحل المتعارف عليها مع تغير في طرق ممارستها، فماتزال الخطبة تقام بعد الزيارة الأولى وهي يوم" ***الشوفة*** " ، والملاحظ هنا هو أن الخطبة يتم التحضير لها حاليا بحذر تام خاصة إذا لم تكن العائلتين على معرفة مسبقة، خوفا من التقصير والانتقاد الذي قد يتلقونه على حد قول المبحوثات فقد اتفق أغلبهن على ذلك من خلال تكرار بعض الجمل في المقابلات كقول"***واش يقولوا علينا الناس***"، وهذه الجملة تدل على الحرص الشديد لعائلة الفتاة على الظهور في أحسن صورة أمام عائلة الخاطب، إلا أن هذا الحرص قد يؤدي في بعض الأحيان إلى تكلف العائلة وتكبدها لما لا طاقة لها به.

والتحضير ليوم كهذا لا يكون بطريقة عشوائية بل بعد تفكير طويل ومشاورات بين المرأة وأهلها أو مع صديقاتها، وقد انتشرت حديثا ظاهرة بين الفتيات المقبلات على الزواج وهي اللجوء إلى مواقع التواصل الاجتماعي لأخذ أفكار عن كيفية التحضير للخطبة كنوع من التغذية البصرية، ومن بين أكبر الصفحات في هذا المجال هي صفحة" ***شدة تلمسان***" وهذه الأخيرة لها ملايين المتابعين وتقوم باستقبال ونشر صور ومقاطع الفيديوهات التي ترسلها المتابعات لها للتحضيرات التي قمن به في هذه الاحتفالات، وقد لاقت هذه الصفحة شهرة واسعة جدا بين الفتيات وبالتالي أصبحت كمرجع أساسي لأي فتاة مقبلة على الزواج.

الصورة رقم (54): تمثل صفحة الفايسبوك لشدة تلمسان

(المصدر:https://www.facebook.com/chedda2020 06-04-2023, 12:24)

الصورة رقم (55): تمثل صفحة الانستغرام لشدة تلمسان (المصدر:
https://www.instagram.com/chedda_tlemcen_hema_we_chane/?hl=en 06-04-2023, 12:24)

ومن عادات احتفال الخطبة أيضا حرص أهل العريس على حضار سلة للفواكه وسلة أخرى تحتوي على المكسرات كالجوز واللوز والفول السوداني والحلوى وأي شيء يمكن إضافته، ويطلق عليها في مجتمع الدراسة بـ: " ***المقشقشة*** " وهي عادة قديمة ما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، كما يحضرون الهدايا للعروس وهذه الأخيرة تختلف من عائلة إلى أخرى حسب الإمكانيات المادية للخاطب وأهله، وتتمثل في إحضار علبة فيها مختلف المواد التجميلية أو لباس للعروس وفيهم من يحظر هاتف نقال كهدية كذلك وفي أغلب الأحيان كعكة وباقة ورد كما ورد في أغلب المقابلات.

الصورة رقم (56): تمثل ما يحضره أهل الخاطب (المصدر: تصوير الطالبة)

وكذلك نلمس تغيرا في عادات الخطبة فيما يتعلق بالفتاة والشاب فقد كانا في السابق لا يريان بعضهما إلى غاية يوم العرس، أما الأن فأصبح وجوده في يوم الخطبة أمرا أساسيا إذ لا تتم إلا بوجوده لأنه المسؤول على عادة تلبيس الخاتم لخطيبته، اذ عبرت أغلب المبحوثات عن الزامية هذا الأمر كقانون جديد بالنسبة لهن، لاعتباره مقياس لمدى الحب والتضحية التي يقوم بها الخاطب أمام المجتمع من أجلها.

بعد الانتهاء من تلبيس الخاتم يخرج الشاب من المكان فتقوم النسوة بوضع الحنة للفتاة، والجدير بالذكر هنا أن جمع الخطبة مع الحنة في يوم واحد في وقتنا الحالي يكون بناء على اتفاق الطرفين، لأجل تقليص الخسائر المادية التي قد يتكبدونها ولذلك يكتفون بيوم واحد، وترى المبحوثات أن هذا الأمر جيد جدا بالنسبة لهن فتقول إحدى المبحوثات: ***" أنا نهار الخطبة نجمل كلش الخاتم والحنة مع بعض باه نقص على روحي المصاريف وهو ثاني باه في العرس ندير نهار واحد وأفرق عليا السوق منيش حابة ندير كي عراس بكري"***[1] وتشير المبحوثة هنا إلى أن هذا القرار هو الصائب والأصح، خلافا لما كان الوضع عليه في الماضي وأن ذلك ما هو إلا اهدار للوقت والجهد وتبذير للمال.

[1] مقابلة مع: " ن ر" بتاريخ 10-06-2022، 11:15-12:00، حديقة لاندو.

4- المهر:

المهر أو الصداق هو فريضة شرعها الدين الاسلامي للمرأة يمنحها الزوج ولها، تتصرف فيه كما تشاء ولها حق التنازل عن شيء منه لزوجها بمحض إرادتها، كما أنه تأكيد من الرجل صدق النية في خطبتها ورغبته في الزواج منها وتكريما لها ورمزا للحب ودلالة للمودة، وينص قانون الأسرة الجزائري بدوره على أن المهر يتمثل في القيمة المالية أو ما يدفعه نحلة للزوجة من نقود أو غيرها أو ما يوازيها من كل ما هو مباح شرعا.[1]

يعرف المهر في المجتمع الجزائري بـ: " ***الدفوع*** " نسبة إلى دفع المهر فيه، وما يزال العرف في المجتمع يؤكد على ضرورة دفع المهر للمرأة اقتداء بالشريعة الإسلامية، ويتم الاتفاق على قيمة المهر المدفوع والشروط المتممة للزواج في ثاني زيارة تجمع بين العائلتين ويعد الرجال هم المسؤولون عن الاتفاق عليه، وتتمثل الشروط في المجتمع التقليدي في مبلغ مالي تختلف قيمته من جماعة إلى أخرى كل حسب عاداته، وليس ذلك فحسب بل يشمل المهر كذلك الحلي الذهبية أو الفضية وكل ما على الخاطب احضاره من أشياء ذات قيمة مادية حسب ما اتفق عليه المجتمعون، وتتكون هذه الحلي من عقد وأقراط وزوجين من الأساور وخاتم.

ويضاف إلى جانب هذين الشرطين حقيبة مملوءة بالملابس فيها لباس الأعراس ولباس للمنزل وعباءة لتخرج المرأة بها، كذلك تحتوي هذه الحقيبة على مجموعة من الملابس الداخلية والأحذية وأدوات الزينة وغيرها من الأشياء، ويطلق على هذه الحقيبة باللغة العامية " ***الفاليزة*** " وهو مصطلح فرنسي الأصل "***La valise***" عرب ليصبح متداولا وسط المجتمع الجزائري للدلالة على التجهيزات الخاصة بالعروس التي يجلبها أهل العريس في يوم الخطبة أو الحنة.

---

[1] يمينة غسيري: مرجع سابق، ص 43.

الصورة رقم (57): الفاليزة (المصدر: تصوير الطالبة)

كانت مقتنيات الفاليزة من اختيار أهل العريس الذين يخصصون يوما للذهاب للتسوق لشراء مستلزماتها، وفي بعض الأحيان يتم الاتفاق مع أهل العروس للخروج معهم فتذهب أم العريس وأخته وواحدة من خالاته أو عماته، ويستلزم كذلك وجود رجل في المجموعة ليرافقهم ويقوم بالدفع لشراء جميع المستلزمات وفي أغلب الأحيان يكون والد العريس أو العريس، وتأتي من عائلة العروس أمها وأختها وكذلك أحد خالاتها أو عماتها والعروس نفسها لتتمكن اختيار أشياء بمقاسها واقتناء ما ترغب به أيضا، ويحدث نفس الأمر في يوم شراء الحلي الذهبية.

وتحاول العروس وأمها اختيار حلي كبيرة الشكل وخالية من الأحجار رغبة منهم في اقتناء حلي قد تستفيد من بيعها في المستقبل إذا استدعت الضرورة لذلك، لاعتبار أن الحلي التي بها أحجار تنقص قيمتها عند البيع، فالذهب بالنسبة لهن استثمار للمستقبل فشاع القول عند النسوة بـ: ***" خبي قرشك الأبيض ليومك الأسود " أو " لحدايد للشدايد "*** ، فكانت العروس التي تتمكن من جعل أهل العريس يشترون حلي كبيرة الحجم وثقيلة الوزن وغالية الثمن توصف بـ: ***" القافزة "*** أو ***" الحاذقة "*** أو ***" تعرف صلاحها "*** وكل هذه المواصفات كناية على أن الفتاة لا يخاف عليها وأنها تستطيع حماية نفسها والتصرف مع زوجها وحماتها.

وتعد رمزية المجوهرات كبيرة الحجم لدى المرأة المتزوجة في المدخول المادي الجيد لزوجها، وكذلك اهتمامه وحبه لها ورفع شأنها أمام كل من يراها، فتكون محط الحديث في التجمعات اذ ينسبن سبب امتلاكها تلك المجوهرات إلى الرجل، والمرأة التي يهتم بها زوجها في المجتمع التقليدي تعتبر محظوظة بين النساء إلى درجة الحسد لأن ذلك يعتبر إنجازا بالنسبة لها، فالمرأة في السابق كانت دائما تصنف بمرتبة إلى الوراء مقارنة إلى الرجل، فاهتمام الزوج بزوجته يعني رفع مكانتها إلى مكانته وهذا الأمر كانت نادر الحدوث في المجتمع التقليدي.

وقد كانت النساء تتعمد في اظهار جميع حليهن في المناسبات الاحتفالية خاصة الزواج لتتباهى بها، فنجدها قد ترتدي عقدين أو ثلاثة عقود في رقبتها وتعلق قرطين في أذنها فضلا على ارتداء جميع خواتمها في يديها الاثنتين للتباهي بما تملكه أمام الحاضرين، ولذلك تدفع الأم الفتاة لاختيار هذه الحلي الكبيرة قبل خروجهم مع أهل الزوج لشرائها لأنها ستحتاج إليها فتقول لها: ***" لازم تشري حاجة تعمر ليد وتعمر الرقبة "*** بمعنى أنها يجب أن تشتري ما يملئ لها يدها ورقبتها.

الصورة رقم (58): صورة توضح طريقة ارتداء النساء للحلي في المناسبات (المصدر: تصوير الطالبة)

التأويل الأنثروبولوجي:

وبالنظر إلى الأوضاع المعيشية الصعبة التي نشهدها في الوقت الحالي من غلاء في المعيشة وارتفاع الأسعار وارتفاع نسب البطالة، أدى إلى عزوف كبير عن الزواج لدى الشباب لعدم قدرتهم على تحمل التكاليف، فقد أصبح الزواج بالنسبة إليهم مشروع يحقق على المدى الطويل بسبب عجزهم على

تحمل تكلفته وتلبية الشروط الخاصة به، والتي تفرضها عادات الجماعة التي ينتمون إليها على كل من يرغب بالزواج بغض النظر عن قدرتهم على تحمل نفقاته أو لا، والمرأة هنا لا تستطيع التدخل في تحديد قيمة المهر الممنوح لها لأن هذا الموضوع يعتبر شأنا ذكوري كما يراه مجتمع الدراسة إلا في حالات نادرة فقط.

وقد نجم أيضا عن المغالاة في المهور وعن الشروط والالتزامات المادية الأخرى والتكلف فيها إلى ارتفاع سن الزواج لدى الجنسين معا، مما يؤدي إلى عدم تفريغ الطاقة الجنسية الكامنة والمكبوتة بطرقية شرعية الأمر الذي قد يخلق مشكلات اجتماعية أخرى، وكما قد تسود حياته التوترات النفسية والقلق ويمتاز بالسلوك العدواني والجنوح والانحراف عن قيم المجتمع[1].

ويعتبر هذا الأمر من بين المشكلات المستجدة وقد وجدت أن أغلب المبحوثات المتقدمات في السن قد اتفق على ذلك، وقد أعربن عن استيائهن من الوضع الراهن وقد اعتبرن السبب وراء ذلك هي عادات الزواج الجديدة، من خلال قولهن تارة " ***بكري مكناش نديروا هكا*** " وتارة أخرى " ***ضرك يدروا حوايج خلاف*** " أو استعمال مصطلح " ***يَبَدْعو*** " كدلالة على بعض العادات المستحدثة التي لا تروق لهم، فمن وجهة نظرهن أن تلك العادات ماهي إلا أشياء مكلفة ومرهقة الأمر الذي يصعب الزواج في هذه الأيام، وتقوم بعض النسوة بنصح المقبلات على الزواج بالتقليل من شروطهن كي يستطيع الرجال التقدم لخطبتهن وقد اعتبرن أنه السبب الرئيسي في عدم زواج بعض الفتيات، أما عن بقية المبحوثات فيرين أن السبب في هذه الظاهرة هي عادات الزواج التقليدية والعرف الذي يلزم الرجل على اتباعها دون أن يتمكن من المعارضة.

[1] يمينة غسيري: مرجع سابق، ص 44.

وبناء على ذلك ظهر ما يسمى بتسقيف المهور كحل لمشكلات المغالاة في المهور والشروط، بتحديد قيمة معينة له ولا يجب تجاوزها وذلك لجعل الزواج مشروعا بسيطا وسهلا ليتمكن جميع الشباب من الزواج بسهولة، وكمثال على ذلك توجد بعض الأعراش اتفقوا على تحديد قيمة المهر وشروطه كما تقول إحدى المبحوثات (هـ.ش): ***" حنا ولاد زيان موليناش نديروا الذهب نمدوا 15 مليون وداخل فيها كلش ونزيدوا ندوا الفاليزة هذا مكان وزيد القصعة نحيناها شيخنا لكبير هو لي حدد الشي هذا على خاطر كون نبذروا ونصرفوا ياسر يفسد العرس ومتتطرحش البركة فيه بصح كل وواحد واش يمد"***[1]، وذلك ما تم التأكد منه من خلال اجراء عدة مقابلات مع نسوة من نفس العرش فتقول الحاجة **(ح.ل)** أنها تتبع عادات أجدادها في كل شيء مهما كان، لأجل جلب البركة ولأنها تخاف سخطهم عليها وتستدل على ذلك بزواج ابنيها فتقول: ***" في عرس ولدي اللول «ش.ش» خرجت على سيرت جدودي ودرت لعجب وعلى هذا مصلحش هذاك الزواج وطلق في شهر، بصح في عرس ولدي الثاني « م.ش » مشيت على سيرتنا وما كنتش حابة نزيد نخرج على عاداتنا باه ماتتعاودش لحكاية تاع خوه لكبير"***[2]، ومن خلال ما ذكرته المبحوثة نلمس خوفها الشديد من تكرار الحادثة مع ابنها الثاني كنتيجة لخروجها عن عادات جماعتها ولأجل ذلك دفعت المبلغ الذي تم تحديده وهو خمسة عشر مليون لخطيبة ابنها الثاني.

وهذا ما يؤكده قول الأنثروبولوجي الشهير كروير أن العادات ماهي إلا مجموعة من الأساليب الشعبية التي أضفى عليها المجتمع بعض الشرعية لتصبح بذلك بمثابة قانون عرفي خاص بتلك الجماعة

---

[1] مقابلة مع " ش هـ " بتاريخ 30-11-2021، 15:20-16:30، منزل المبحوثة.

[2] مقابلة مع " ح ل " بتاريخ 19-10-2021، 16:00-17:00، منزل المبحوثة.

لتتسم ببعض الجزاءات الاجتماعية (ثواب/عقاب) والتي يدركها أفراد تلك الجماعة فيتصرفون طبقا لما تمليه عليهم بطريقة شعورية أو لا شعورية.[1]

ومن بين الحلول التي أصبح المجتمع يعتمد عليها أيضا هي تقدير قيمة المهر بما يتضمنه من مال ومقتنيات كالفاليزة والمهيبة والمصروف بمبلغ مالي محدد ويدفع إلى أهل العروس كاملا، حيث لا يتوجب عليهم بعد ذلك جلب أي شيء للعروس بما أنهم قد اتفقوا على ذلك مسبقا، وذلك بهدف توفير المال فتقول (س.ب): ***" ولينا نجملوا كلش في الشرط هكا خير باه نقصو من المصاريف، خطراه كون نجو نديرو كلش حنا راح تسقاملنا مع لغلى، كيما أنا ولادي كي خطبتلهم قيمنالهم حق الفاليزة بزوج ملاين وكون نجي نديرهالها أنا نخسر راه القفطان وحدوا يدير زوج "***[2]

5- المهيبة:

تعد المهيبة من أكثر العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج رسوخا في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا، والمهيبة مصطلح مشتق من هبة والتي تعني الهدية ولذلك فهي مجموعة الهدايا والعطايا التي يقدمها أهل الخاطب إلى الفتاة في المناسبات الدينية في فترة الخطوبة، وتتنوع هدايا المهيبة في مجتمع البحث كل حسب المناسبة الدينية وعلى سبيل المثال نذكر:

- **ليلة القدر**: والتي تكون موافقة لـ 27 من شهر رمضان كما ساد الاعتقاد، ويتم فيها ارسال طعام الإفطار إلى عائلة الفتاة قبل أذان المغرب والذي يسمى بـ: ***" المعروف "***، فتنال المخطوبة نصيبها من هذا المعروف وكما يقلن المبحوثات بـ***"جابولي عشايا "***، وقد تكون مهيبة العروس في ليلة القدر في زيارتها بعد الإفطار واعطائها هديتها كفستان لترتديه في العيد أو أشياء أخرى.

---

[1] ميرفت العشماوي عثمان العشماوي: مرجع سابق، ص 21.

[2] مقابلة مع " س ب " بتاريخ، 14-09-2021، 21:00-22:00، منزل المبحوثة.

- **عيد الفطر**: أو كما يطلق عليها في المجتمع الجزائري " ***العيد الصغير*** " فتكون الهدايا فيه مثل بقية المناسبات، كالملابس والعطور والنقود وغيرها من الهدايا حسب الإمكانيات المادية للخاطب وأهله، وتكون زيارة المهيبة في ثاني أيام العيد أو في ثالثه في أغلب الأحيان وان تأخرت فتكون بسبب بعض الظروف الاجتماعية التي يواجهها أهل الخاطب.
- **عيد الأضحى**: أو " ***العيد الكبير*** " فتنال المخطوبة في هذا اليوم نصيبها من أضحية والمتمثلة في فخذ الخروف والخضر الذي يزين ويقدم كهدية، مع هدايا أخرى كسلة الفواكه أو المكسرات " ***المقشقشة*** " كما ذكرنا سابقا، ويعبر عن هذا الأمر في مجتمع البحث بـ: " ***حق لعروسة*** " أو كما تقول المبحوثات " ***حقي*** "

وما تزال قائمة المناسبات الدينية التي تقدم فيها المهيبة للعروس طويلة كعاشوراء والمولد النبوي وغيرها.

التأويل الأنثروبولوجي:

وبالرغم من الحضور القوي لعادة المهيبة في المجتمع الجزائري والعمل بها لدى أغلب العائلات، إلا أنه قد وجه إليها العديد من الانتقادات اللاذعة والرافضة لها والتي تدعوا إلى ازالتها وعدم العمل بها مجددا، وذلك للخسائر المادية التي يتكبدها الرجل قبل الزواج فكثرة المناسبات بالضرورة تعني كثرة الهدايا وكثرة المصاريف، ولذلك تدعوا أغلب المبحوثات إلى الحد منها أو حصرها في عيد الفطر والأضحى فقط خاصة في ظل الأوضاع المعيشية الصعبة، وكان تبريرهن لذلك هو رفض خطيبها أو زوجها لتبذير المال على هذه الهدايا واستثماره في اشياء اخرى كشراء بعض لوازم بيت الزوجية للاستفادة اللاحقة منها، إلا أن هناك معارضة شديدة لهذا الانتقاد لسببين هما:

- هو رفض المجتمع التخلي عن عاداته فهو يعتبر المهيبة شرط من شروط تحقيق الزواج، إذ يظهر من خلالها مدى تقدير واحترام الرجل وعائلته للفتاة في جماعتها، وقد تكررت كلمة" ***يكبر بيها*** " لدى المبحوثات بهذا الصدد كثيرا ما يدل على الارتباط الوثيق بين تكريم المرأة والمهيبة.
- رغبة الفتيات في تلقي الهدايا من خطيبها وخاصة الهدايا الغالية الثمن للتأكد من حبه لها، اذ ترفض هذه الفئة التنازل عن هذه العادة وقد عبرن عن رفضهن بقول: "***يديرلي كيما يديروا لبنات*** "بمعنى وجوب تقديم لمهيبة لهن مثل بقية الفتيات فهي لا تختلف عنهن بشيء فيقلن: " ***أنا واش خصني*** " أو " ***واش منقص عليا ربي***" للتعبير عن حقها الطبيعي الذي منحها إياها المجتمع في تلقي هذه الهدايا، فتشعر الفتاة بعد هذا بقيمتها وفي نظرها أنها أحسن من قريناتها، فالفتاة التي لا تتلقى المهيبة ينظر اليها نظرة ازدراء لأن أهل الخاطب تجاهلوها وأهملوها وانهم غير مهتمين لأمرها ما يسبب الاحراج لها ولعائلتها.

6- جهاز العروس:

هو مجموع الأشياء التي تأخذها العروس معها من بيت والدها إلى بيت الزوجية، وهي تلك المقتنيات التي اشترتها من مال والدها ومن مال المهر، والذي يضم العديد من الأشياء كالحلي الذهبية والفضية والملابس التقليدية التي سترتديها يوم الحنة، والملابس التي سترتديها في سائر الأيام سواء صيفية كانت أو شتوية وتشتمل كذلك على الملابس الداخلية، ويحتوي الجهاز كذلك على المفروشات المتكونة من الأغطية والوسائد والزرابي وغيرها.

وتعد أهم قطعة في جهاز العروسة ما يطلق عليه في مجتمع البحث بـ: " ***مطارح الصوف*** "، فتوجد بعض العائلات التي تشترط صوف الغنم من ضمن مطالب المهر لتصنع لابنتها هذه المطارح،

وإلى جانب ذلك فإن العروس تقوم بأخذ بعض الأواني النحاسية التقليدية الخاصة بتقديم الضيافة كالصينية وإبريق الشاي وحامل المناديل وغيرها، وكلما كبر جهاز العروس كلما كبرت قيمتها معه فدلالة الجهاز الكثير هي تمتع الفتاة في منزل والدها بمكانة ودلال كبيرين، كما تدل على القدرة الشرائية التي تملكها وأنها معتادة على مثل هذه الأشياء وبهذا تكون قد أرسلت إلى زوجها رسالة غير مباشرة تحثه فيها على ضرورة معاملتها نفس المعاملة التي كانت تتلقاها في منزل والدها.

الصورة رقم (59): تمثل جهاز العروس

(المصدر: https://www.tomohna.net/forum/threads 18-04-2023, 18:38)

تقوم الام منذ صغر الفتاة بتعليمها كيفية جمع جهازها من خلال جعلها تتعلم العديد من الحرف اليدوية، كنسج الزرابي وخياطة الملابس والمفروشات ونسج الكروشيه وطرز الفتلة وغيرها من الحرف التي من شأنها أن تساعدها في ملئ صندوق جهازها، فنجد أن الفتاة متعودة على اغتنام وقت الفراغ المتاح لها في صناعة هذه الأشياء، لذلك تعد الفتيات البارعات في هذه الحرف أكثر الفتيات حظا في الزواج، فإن تقدم لها أحد الخاطبين وتم القبول تكون قد جمعت القدر الكافي من الجهاز الذي ستأخذه معها.

التأويل الأنثروبولوجي:

إن عادة الجهاز ما تزال حاضرة وثابتة في المجتمع فماتزال العائلات الجزائرية تشترطها وتعمل بها، إلا أن هناك العديد من التغيرات التي أدخلت عليها كنوع المقتنيات التي يضمها والممارسات المتعلقة به أيضا، اذ تبدأ الفتيات بجمع الجهاز غالبا بعد البلوغ أو دخول الجامعة فتتفادى البدء مبكرا لتجنب أخذ مقتنيات تقليدية، فالعروس حاليا تحرص على أخذ اشياء أكثر عصرية من ذي قبل غير أن هذا الأمر متعلق بصفة مباشرة مع المستوى المادي لهن.

يختلف جهاز العروس من فتاة إلى أخرى فقد أصبح مرتبطا أكثر بشخصيتها وميولاتها، فهذا الأخير لم يعد متعلقا بجمع الأغراض كنوع من العادات والتقاليد في المجتمع فقد تم التخلي فيه عن الكثير من الأشياء كالمفروشات اليدوية كالزربية المنسوجة يدويا وكأغطية الطاولات وبعض الديكورات ومطارح الصوف واستبدالها بالمفروشات المصنعة والأواني الزجاجية وغيرها، وتجدر الاشارة بأنه لا يوجد شيء يتحكم في جهاز العروس ولذلك فمن الصعب جدا تحديد محتوياته بدقة.

وقد شاعت ظاهرة جديدة وهي كتابة قوائم للمقتنيات التي ترغب في أخذها معها، إذ تكون مفصلة لكل شيء مرتبة حسب الأولوية، فأصبحت تستعين بمواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من المواقع لتحصيل مثل هذه القوائم، لأخذ أفكار منها وتكيفها حسب متطلباتها كما هو موضح في الصورة التالية:

الصورة رقم (60): قائمة محتويات جهاز العروس الخاصة بفساتين الصيف والشتاء

(المصدر: https://www.instagram.com/stories/highlights/17943130207852303/, 19-11-2021, 23:30.)

7- عقد القران:

لقد عرف نظام الزواج عدة تحولات وتغيرات مست كيفية ضبطه وتنظيمه لهذه العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، ورغم هذا الاختلاف في تنظيم عملية الزواج من الناحية العرفية والتقاليد إلا أنها تتوحد جميعها أمام الإجراءات القانونية، باعتبار أن نظام الزواج في الجزائر يحكمه قانون لتنظيمه وضبطه وتأسيسه لضمان استقرار الأسرة ودوامها،[1] وحتى يتحقق هذا الاستقرار وجب سن مجموعة من القواعد والقوانين خاصة فيما يتعلق بموضوع عقد القران لما له من أهمية بالغة في المجتمع.

وعقد القرآن هو مرحلة لبدء الحياة الزوجية للطرفين وتبدو الجوانب الدينية واضحة جدا من خلال الطقوس المصاحبة له، ويذهب وستر مارك إلى أن الغرض من إقامة تلك الطقوس هو الإشهار وبذلك يصبح للزواج الشكل والجزاء الديني والقانوني فيصبح جميع أعضاء المجتمع شهودا على هذا التعاقد، ويعلن الزوجان أمام الجميع وأمام من قام بتزويجهما بمهابة وقداسة أن كل منهما أصبح مرتبطا بالآخر.[2]

يتم عقد القرآن في المجتمع الجزائري على مرحلتين هما العقد الشرعي والعقد المدني ويعرفان كالتالي:

العقد الشرعي: أو كما يعرف في مجتمع البحث بـ: ***" الفاتحة "*** أو ***" الملاك "*** وهو العقد المتعلق بالجانب الديني والذي يقيمه أحد ممثليه كالإمام متى ما توفرت فيه جميع الشروط ويكون سواء في المسجد أو البيت.

[1] راضية لبرش: **نظام الزواج في المجتمع الجزائري في ظل المتغيرات الجديدة (قانون الأسرة المعدل والمتمم 2005)**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص152.

[2] ميرفت العشماوي عثمان العشماوي، مرجع سابق، ص 187.

العقد المدني: وهو عقد الزواج الذي يثبت في وثيقة رسمية بمعرفة موظف عام، وهو زواج تعقده السلطات المدنية المختصة دون أي مراسيم دينية.[1]

وفي مرحلة ما كان المجتمع الجزائري يكتفي بالعقد الشرعي فقط خاصة في فترة الاحتلال فلم يكن هناك من داع لتسجيل الزواج بالنسبة إليهم، وعقب الاستقلال عمدت الدولة إلى اجبارية تسجيل الزواج مدنيا إلا أن الشعب عزف عن ذلك لمدة معتبرة من الزمن، ولم يكن تدوين عقود الزواج في تلك الفترة إلا عندما اقتضت الضرورة ذلك، خاصة في حالة تقديم الأطفال لوثائقهم للالتحاق بالمدرسة أو من أجل تلقي العلاج في المستشفيات، ويعود السبب في ذلك لاعتبارهم أن العقد الشرعي وحده عقدا صحيحا وقانونيا بما فيه الكفاية إذا تم وفق عادات وتقاليد الجماعة.

وقد تمكنت الدولة الجزائرية من ادراج العقود المدنية كنوع من العادات بعد مجموعة من القرارات والقوانين الخاصة بالحالة المدنية، وكذلك الاجراءات الاجبارية من أجل الحفاظ على الاسرة وحفظ بياناتها وضبط النظام العام للزواج، ويعود السبب في تشديد الدولة الجزائرية القوانين في هذا الموضوع بالتحديد، لما يترتب عنه من قضايا لتحديد النسب والميراث وغيرها، وتفاديا للمشكلات التي قد تنتج اثره، كحدوث طلاق زوجين دون تسجيل الزواج وحمل المرأة ما يؤدي إلى صعوبة نسب المولد لأبيه أو انكار الوالد له أو حتى اتهام المرأة بالحمل الغير شرعي.

التأويل الأنثروربولوجي:

وجاءت التعليمة الوزارية التي صدرت عن وزارة الشؤون الدينية بتاريخ سنة 2006 والتي دخلت حيز التنفيذ سنة 2007، التي تمنع الأئمة من إبرام العقد الشرعي حتى يتم الزواج المدني وقد بررت الوزارة ذلك بتعدد الشكاوى والقضايا المطروحة على العدالة، منها حالات الحمل الناجمة عن علاقات

[1] هيباوي الطاهرة: **عقد الزواج بين العرف والشرعية**، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المجلد 04، العدد 02، 2017، ص 8-18.

اكتفت بعقد الزواج الشرعي[1]، وهذا ما تم التأكد منه في مجتمع البحث فهم يمنعون منعا باتا اجراء العقد الشرعي قبل المدني وذلك خوفا على بناتهن فيتم تأجيله إلى غاية قرب موعد يوم الزفاف، والسبب هو تغير وظائف المرأة في المجتمع، فالمرأة في المجتمعات التقليدية تلزم بيتها وقلما تخرج منه وإن حدث ذلك فيكون للضرورة القصوى، أما الآن فأصبحت المرأة تتواجد في جميع الأماكن ما سهل الاختلاط بالجنس الآخر، ولذلك فإن تأجيل عقد القران يردع الطرفين من تطوير علاقتهما قبل الزواج وخوفا من حدوث أية أخطاء أو تجاوزات بينهما قد تؤدي إلى فضيحة لهم خاصة بالنسبة للفتاة، وتقول **الحاجة يمينة** في هذا الصدد: ***" يا بنتي الوقت مولاش فيه لمان كيما بكري ضرك ولا كلش ساهل المرا راهي تقرا وتخدم وتتلاقى بالراجل وين تروح مش كيما بكري لمرا تكون غير في الدار، ولينا نخافوا كشما يقدر ربي بيناتهم وهذيك الساعة واش نديروا، وعلى هكا ولينا نخلوا الفاتحة حتان يقعد للعرس شوية ونعقدولهم وساعات يعقدوا حتى في نهار العرس "***[2]

بالرغم من ذلك فإن العقد في المجتمع الجزائري يظل موضع جدل لم يتم الفصل فيه إلى غاية اليوم، وأن الأمر المتحكم فيه هو اتفاق عائلة الرجل والمرأة عن كيفية وطريقة حدوثه، وعلى هذا الأساس نستخلص ان العقد في مجتمع البحث يتم كالتالي:

- **الجماعة الأولى:** تتم العقد الشرعي أولا في يوم لملاك أو الخطبة وتترك العقد المدني إلى غاية اقتراب الزفاف.
- **الجماعة الثانية:** وهي عكس الجماعة الأولى اذ تقوم بإبرام العقد المدني أولا ومن ثم الشرعي مع اقتراب موعد العرس.

---

[1] فتيحة زعنون: <u>الزواج بالفاتحة وعلاقته بالزواج الرسمي</u>، دفاتر مخبر حقوق الطفل، المجلد 3، العدد 1، ص 5-12.

[2] مقابلة مع " الحاجة يمينة " بتاريخ، 19-10-2021، 14:00-15:00، في منزل المبحوثة.

- **الجماعة الثالثة:** هي الجماعة التي تفضل الجمع بينهما تفاديا لأية ظروف قد تظهر في الوسط.

ويتجلى في يوم عقد القران سواء المدني أو الشرعي أرقى مظاهر التضامن والتآزر العائلي ففيه يجتمع كل من الأب والإخوة الذكور والأعمام والأخوال لحضور هذه المراسيم المقدسة وكدلالة على شرف الفتاة النظيف ومكانتها في أسرتها وعلى أنهم سند وحماية لها ان اشتدت بها الصعاب في الحياة الزوجية، ففي العقد المدني تتوجه العائلتين إلى مقر البلدية التي يقيم فيها الشاب من أجل ابرام العقد بعد القيام المسبق بجميع الإجراءات واستخراج الوثائق اللازمة.

ومن بين العادات المستحدثة هي توثيق جلسات عقد الزواج عبر استئجار مصور فوتوغرافي لتصوير جميع المراحل، كالإمضاءات وتسليم الدفتر العائلي وغيرها كما هو موضح في الصور التالية:

الصورة رقم (61): مقتطفات من جلسة تصوير العقد المدني (المصدر: تصوير الطالبة)

أما في العقد الشرعي أو قراءة الفاتحة فتكون إما في المسجد أو في المنزل ويكون الإمام هو المشرف على هذا العقد، فيقوم بسؤال الطرفين عن موافقتهما وهما الشاب المقبل على الزواج وولي أمره وولي أمر الفتاة على هذا الزواج، وعن الشروط المتفق عليها ليقرأ الفاتحة فيما بعد، ويقوم أهل الزوج بتقديم المهر لأب الفتاة ليكتمل بذلك عقد القران، فإن تم العقد في المنزل فيقدم بعدها الطعام كمعروف

لمباركة هذا الحدث، وأما إذا كان في المسجد فيأخذون معهم بعض الحلويات أو الكعك لتوزيعها على الحضور للتعبير عن فرحتهم.

8- زيارة الأضرحة

يستند المجتمع الجزائري إلى مرجعية روحانية قوية وذلك من خلال لجوئه إلى هذا الجانب في جميع أمور حياته كالسفر والعمل والزواج وغيرها فنجد ذلك بارزا في أقواله وممارساته، وينقسم الجانب الروحاني لديهم إلى قسمين الأول متعلق بالدين الاسلامي والإيمان بالله و تأدية العبادات، أما القسم الثاني فمرتبط بالمعتقدات الشعبية المتوارثة عبر الأجيال، كالاعتقاد بسلطة الأجداد والخوف منهم ما يستدعي الرضوخ لعاداتهم وقوانينهم لسنوات طويلة وكذلك الايمان بالأولياء الصالحين وكراماتهم، فلا تكاد تقوم بعض العائلات بأمورها إلا اذا استشار الولي بالدعاء وسؤاله البركة، عبر زيارته لضريحه والقيام بعض الطقوس الاسترضائية، كذبح شاة أو اخراج معروف أو جلب بعض المواد المنزلية وتركها في مقامه كالصابون أو أقمشة خضراء وغيرها من الممارسات.

والأولياء هم رجال الله الصالحون يتميزون بالفلاح والتقوى عن سائر الناس ولهم القدرة على قضاء المصالح وشفاء المرضى لما خصهم الله به من كرامات، ويعتقد الناس فيهم أنهم حماة هذا العالم من نوائب الدهر ودفع الضرر عن قراهم ومدنهم،[1] ولكل مدينة أو قرية أو حتى جماعة ولي من الأولياء خاص بهم يرجعون إليه ويقدسونه ويتضرعون له ليتوسط لهم بالدعاء لله من أجل تحقيق مطالبهم، فيقومون بذلك عبر تقديم القرابين والهدايا والعطايا للتقرب له.

[1] نصيرة قشيوش، نعيمة رحمان: **عادات زيارة الأضرحة والأولياء**، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 4، العدد 2، 2015، ص 139-142.

وتعد زيارة العروس لأضرحة الأولياء الصالحين طقسا من الطقوس الاسترضائية كذلك بنية جلب البركة قبل الزفاف وتحصينها من العين والحسد، ويكون موعد هذه الزيارة قبل يوم العرس ببضعة أيام وقبل أخذ جهاز العروس، فتذهب العروس في جماعة مكونة من الأم والخالات والعمامات والفتيات العازبات المقبلات على الزواج، فيتجهون مباشرة الى الأضرحة القريبة من مقر اقامتهن ويأخذن معهن الحنة والبخور والشمع للتبرك والدعاء.

التأويل الأنثروبولوجي:

ما تزال عادة تمارس زيارة الأضرحة إلى غاية اليوم إلا أنها أصبحت نادرة الحدوث فتعتمدها إلا القلة القليلة من العائلات، فأغلبية المجتمع تخلوا عنها باعتبارها ممارسات شركية تدعوا إلى الكفر وهذا القول كان بإجماع من المبحوثات حيث كان وصفهن للموضوع بـ: ***"الشرك بالله "*** وأن الذي ما يزال يزاولها فهو في غفلة وجهل بتعاليم الدين الإسلامي، ورغم انتشار الوعي الديني حول زيارة الأولياء فذلك لم يحد هذه الظاهرة، فهي ما تزال في نظر البعض طقسا ضروريا من طقوس الزواج التي لابد للعروس القيام به.

ومن خلال الدراسة الميدانية تمكنا من حضور هذه المراسيم عبر تلقي دعوة من قبل العروس للذهاب معها إلى هذه الأضرحة، فيقولون ***" رايحين نزورو "*** وهذه الكلمة كفيلة بإيصال المعنى ألا وهو الذهاب لزيارة الأولياء والتبرك بهم، وكانت الزيارة بتاريخ 07 -02 -2020 ويفصلها أسبوع عن موعد زفافها، وقد تمت زيارة 7 أضرحة وفي كل ضريح كانت تقوم بنفس الممارسات الطقسية، كما أن العروس ومن معها ذهبن إلى المقبرة للقيام بنفس الطقوس الاسترضائية على قبور الأجداد لنيل مباركتهم ورضاهم قبل موعد العرس، وتمثلت الممارسات التي قامت بها فيما يلي:

- الوقوف أمام الباب وضع الحناء على الحائط.

- اشعال شمعة وعود بخور ووضعهما على عتبة الباب أو النافذة.
- قراءة سورة الفاتحة على روح المبيت والدعاء له ومن ثم الدعاء لها.
- وضع الحنة على أيدي العازبات على نية الزواج بعدها.

الصورة رقم (62): مجموع النساء الذاهبين لزيارة الأضرحة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (63): مسح العروس الحناء على عتبة باب الضريح (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (64): البخور المستعمل أثناء الزيارة (المصدر: تصوير الطالبة)

وتقوم العازبات أيضا ببعض الطقوس المشابهة لها كقراءة الفاتحة والدعاء والتبرك بالولي، أو تمزيق بعض من القماش المغطى على ضريح الولي وربطه في المعصم للدلالة على النية الخالصة في الدعاء، وتجدر الاشارة الى أن هذه الزيارة تكون رفقة الأطفال الصغار لتعليمهم عاداتهم وتقاليدهم كمحاولة منهم لترسيخها عبر القيام بهذه الممارسات أمامهم.

الصورة رقم (65): فتاة تقوم بربط معصمها بقطعة من القماش المغطى على الضريح

(المصدر: تصوير الطالبة)

وبعد الحديث مع أغلب الحاضرين في تلك الزيارة اكتشفنا أن أغلب النسوة المتزوجات من تلك العائلة قد قمن بهذا الطقس قبل زواجهن، وما تزال لديهن النية قائمة للقيام بذلك مع بناتهن في المستقبل، وختمت الزيارة بالذهاب إلى المقبرة وتطبيق نفس الطقوس على قبور أجدادهم من الموتى الذين ينتمون إلى العائلة لإظهار الاحترام لهم حتى بعد وفاتهم.

9- تحضيرات العرس:

يشكل الزواج أهم التغيرات الاجتماعية التي تحدث في حياة الانسان، ففيه يتم الانتقال من فئة إلى أخرى من فئة البالغين إلى فئة المتزوجين، وهذا التغيير لا يمس الأفراد فقط بل يشمل الأسرة والقبيلة أحيانا، حيث يقيم الشخصان المتزوجان حديثا في منزل مختلف أو على الأقل بالنسبة للمرأة وهذا الذى يعرف بطقوس الفصل والاندماج[1]، بمعنى أن المتزوجان يفصلان من بيئتهما الطبيعية التي نشآ فيها وينقلان إلى وسط جديد مخصص لهما.

إن الانتقال من أدوار العزوبة إلى أدوار الزواج يتضمن نوعا من الاحتفال الذي يكون جزءا من النسق الاجتماعي، ومن خلاله يكتسب الفرد حقوقا وتفرض عليه التزامات جديدة نتيجة لحصوله على هذه المكانة، وتختلف طبيعة هذا الحفل إلى حد كبير لدرجة أنها قد تستمر أياما عديدة في بعض المجتمعات[2]، مثلما كان الحال في مجتمع البحث فحفل الزفاف في الماضي كان يستمر إلى قرابة أسبوع، وتتمثل تحضيرات العرس في مجتمع الدراسة كالتالي:

9-1- جلب المصروف:

يقال في مجتمع البحث " ***المصروف*** " أو " ***المونة*** " بمعنى المؤونة وهي أن يقوم أهل العريس في هذا اليوم بأخذ مؤونة متكونة من الخضر كالطماطم والفلفل والبصل والثوم، وكذلك الفواكه المتوفرة حسب الفصل والتوابل وبعض المواد الغذائية الأخرى كالزيت والطماطم المعلبة والملح وغيرها من المواد، وذلك قبل يومين أو ثلاثة أيام من يوم الزفاف، كما يأخذون خروفا ليذبحوه في منزل العروس ويقال "***شاة لحلال***" وهي التي يطبخ بها أهل العروس وليمة اليوم الثالث من أيام العرس.

---

[1] Arnold van gennep : previous refrence, p 116.

[2] سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، مرجع سابق، ص 195.

التأويل الأنثروبولوجي:

أما فيما يخص المصروف في الوقت الراهن فما تزال مستمرة عند البعض مع وجود بعض التغييرات في ممارستها، فأصبح أهل العروس أو العريس يقدرون قيمة المصروف بمبلغ مالي ويقدم مع مال المهر ليتصرف فيه أهل العروس كما يحلوا لهم، وبذلك يلغى يوم المصرف قبل العرس باعتبار أنه دفعوا حقه نقدا، في حين أن هناك بعض العائلات الغت عادة المصروف تماما فلا يجلب لا قبل العرس ولا يدفع مقابله بالمال مع المهر، شرط الغاء عادة القصعة معه فالغاية من احضار المصروف هي اعداد أهل العروس للقصعة من مقتنيات المصروف، وبذلك قد تم إلغاء عادتين أو يومين من العرس يهدف الاقتصاد المادي وتوفير الجهد العضلي.

9-2- نقل جهاز العروس:

يتم نقل جهاز العروس في يوم من جلب المصروف أو حتى في يوم الزفاف ذاته، فيكون عبر قدوم أهل العريس بشاحنة للنقل فيتم ملؤها بمقتنيات الجهاز وسط الزغاريد والأغاني الشعبية، فتقوم أم العريس وبقية النسوة القادمين معها بتهنئة أهل العروس على وصول اليوم الموعود وفرحتهم لذلك، وبعد الانتهاء من تحميل الجهاز ينطلقون به إلى بيت الزوج، مع مجموعة من النساء من أهل العروس متمثلة في أمها وخالاتها أو عماتها من كبار العائلة لمرافقة الجهاز وترتيبه في غرفتها بعد وصولهم إلى المنزل.

9-3- حمام العروس:

يعد الحمام أحد المرافق العمومية التي تلعب دورا اجتماعيا هاما في المجتمع الجزائري، وهذا الأخير يوجد في كل حي فهو أحد الفضاءات الضرورية مثله مثل المسجد والمدرسة وغيرها من المرافق، ويتم فيه الفصل فيه في عدة أمور أساسية كاختيار الزوجة أو الخطيبة إلى غير ذلك، ويمكن تفسير ذلك في كون المرأة غائبة عن الفضاء العمومي لهذا فهي تحاول إنتاج فضائها الخاص دون مراقبة أو

تدخل الرجل أو المجتمع، ليصبح الحمام بالنسبة للمرأة فضاء لتحقيق الذات بالإضافة إلى أن ذلك فهو فضاء للأفراح خاصة إذا ما تعلق الأمر بحمام العروس.[1]

جرت العادة ان تذهب العروس إلى الحمام قبل يوم أو يومين من العرس لتستحم فيه رفقة بنات العائلة وصديقاتها العازبات فيتم كراء غرف خصيصا لهذا اليوم، وتتجه العروس مع الفتيات إلى الحمام مشيا على الأقدام كنوع من الطقوس المصاحبة ليوم الحمام، مصدرين ضجة متعمدة لجذب الأنظار إليهم، وهذه طريقة غير مباشرة للإعلان أن هناك عروس بينهم ستزف هذه الأيام، وتحضير العروس نفسها جيد لها اليوم فتخصص مبلغا من المهر لاقتناء حاجيات حمام العروس والتي تتكون من:

- الفوطة وهي قطعة تلف حول جسم المرأة من الصدر إلى الركبة.
- منشفتين واحدة للجسم وأخرى للشعر.
- البابوش وهو حذاء خاص تنتعله العروس في هذا اليوم ويكون ذو كعب صغير.
- الطاس والبيدون وكرسي الحمام وهي الأدوات التي تستخدمها للاستحمام
- مواد التجميل كالكحل والسواك والحناء.
- العطور.
- البخور والشموع.

وبعد وصول الفتيات إلى الحمام تتعالى أصوات الزغاريد فيه للترحيب بالعروس فتبدأ طقوس الحمام بنزع الفتيات ثيابهن ولبس ثياب الحمام، ومن ثم يبدأن بإشعال الشموع والبخور والالتفاف حول العروس ويقرأن المعوذات عليها لتحصينها من العين التي قد تصيبها.

---

[1] صباح حمزة، برحايل ايمان: **العادات والتقاليد التلمسانية في الأعراس: حمام العروس**، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 54، صيف 2021، ص 138-147.

وعند الانتهاء من الاستحمام يجتمعن وسط الحمام للاستراحة والاحتفال، بعد وضع سفرة من الحلويات المختلفة وتقديم القهوة والحليب والشاي الذي تم جلبه معهن، فتجلس العروس في المنتصف ليتمكن جميع الحاضرين من رؤيتها ومشاركتها فرحتها، فتبدأ أمسية متنوعة من الرقص والغناء والزغاريد وقرع الدربوكة والدف.

التأويل الأنثروبولوجي:

تعتبر عادة حمام العروس من بين أكثر العادات المحببة إلى قلوب النساء والتي ما تزال حاضرة في المجتمع وبقوة، لاعتبارها حجة للبقاء مع العروس أكبر وقت ممكن قبل انتقالها لبيت الزوجية، وكذلك في كونها عادة تساهم في جمع الفتيات وخلق جو من الفرح والسرور داخلهن، خاصة بعد إتمام الحمام وختمها بجلسة الأغاني التي تعتبر أحسن جزء بالنسبة لهن، ولا يشترط في هذه الأغاني أن تكون خاصة بالجماعة التي تنتمي إليها الفتاة، بل المهم في ذلك التغني والاستمتاع فحسب، ومن بين الأغاني الشائعة التي تتغنى بها الفتيات من مختلف أنحاء الوطن نذكر:

أغنية محلا لقريب:

محلا لقريب اا لا واحد لا — بيدير مزيا يا لا واحد لا

بيدير مزيا يا البرانيا يا — واش جابك ليا يا ومحلا لقريب ااا

يا جبل العاليا ومسركلا ااا — بالهوش البرية ومسركلا ااا

بالهوش البرية وحبينا رجال — يام ظهروا ذريا ومحلا لقريب

يا جبل العالي يا وطلعتوا ااا — بكفوف يديا يا وطلعتوا ااا

بكفوف يديا يا وحبيت غزال — مهوش ليا يا محلا لقريب ااا

يا يدارو البيضة يا أي قوتلوا ااا — برا عليها يا أي قوتلوا ااا

برا عليها يا ولا عليا ااا — مكتوبي فيها يا ومحلا لقريب ااا

أي عينو وعينوا ااا وتلاقوا ااا — في الواد المسرب ااا وتلاقوا ااا

في الواد المسرب ااا عطشانا يا ااا — من ريقو نشربا ومحلا لقريب ااا

أي عينو وعينوا ااا وتلاقوا ااا — في ذيك العرصة يا وتلاقوا ااا

في ذيك العرصة يا وقتلوا سامحني — مالقيتش فرصة يا ومحلا لقريب ااا

واش يلبس لسمرا يلبس الدجين — أي أكحل صافيا ويلبس الدجين

أي أكحل صافيا بالصحا يا — والقد الوافيا ومحلا لقريب ااا

يا جبل العالي ومسركل ااا — بسلاح العسكر ااا ومسركل ااا

بسلاح العسكر ااا يا حسبتو راجل — يا طلع يتمسخر ااا ومحلا لقريب ااا

يا يما وبابا يا يعطيكما — عركة تلهيكما هاي لا لي يا

عركة تلهيكما ونروح نشوفو ااا — ونروح ليكمها ومحلا لقريب ااا

ومحلا لقريب ااا لا واحد لا

أغنية طاب الخوخ

طاب الخوخ طاحو وراقو — طاب الخوخ طاحو وراقو

ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو — ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو

نوصيكم يا لبنات دالة بدالة — نوصيكم يا لبنات دالة بدالة

مديروش لامان في الرجالة — مديروش لامان في الرجالة

طاب الخوخ طاحو وراقو — طاب الخوخ طاحو وراقو

ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو — ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو

نوصيكم يا لبنات زوج بزوج — نوصيكم يا لبنات زوج بزوج

مديروش لامان في لعجوزة — مديروش لامان في لعجوزة

طاب الخوخ طاحو وراقو
طاب الخوخ طاحو وراقو
ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو
ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو
نوصيكم يا لبنات ستة بستة
نوصيكم يا لبنات ستة بستة
مديروش لامان في ذيك السلفة
مديروش لامان في ذيك السلفة
طاب الخوخ طاحو وراقو
طاب الخوخ طاحو وراقو
ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو
ماغاضنيش المحبوب غاضني فراقو
نوصيكم يا لبنات ليسي بليسي
نوصيكم يا لبنات ليسي بليسي
مديروش لامان في البوليسي
مديروش لامان في البوليسي

الصورة رقم (66): حمام العروس

(المصدر : https://www.instagram.com/stories/highlights/179244691401, 19-11-2021, 23:43.)

9-4- شهادة العذرية:

تعد شهادة العذرية من العادات الاجبارية التي يستوجب على الفتاة القيام بها قبل زواجها، وتقام بعد يوم الحمام ومع اقتراب يوم العرس، فالخضوع إلى الفحص الطبي لإثبات عذرية الفتاة هي أحد الإجراءات الاحترازية التي يعتمدها أهل العريس والعروس لتفادي الوقوع في المشكلات، وهذه العادة كانت نتيجة للتسبب في طلاق الكثير من الفتيات في اليوم الأول من زفافهن نتيجة للاشتباه فيهن بفقد

عذريتهن، فأصبح طلبها شائعا لدى معظم العائلات الجزائرية، فتقوم الفتاة بأخذ هذه الشهادة معها يوم الزفاف لتستخرجها ان استدعت الضرورة لذلك.

التأويل الأنثروبولوجي:

وقد تلقت عادة استخراج شهادة العذرية العديد من الانتقادات اللاذعة ولذلك نجد الكثير من النساء يرفضن الخضوع لهذا الفحص، لعدم تقبلهن التشكيك في عذريتهن وفي شرفهن وأن هذه الممارسة يجب أن تتوقف لأنها عادة مسيئة لهن ولأسرهن، فتوجد العديد من النساء المتزوجات اللاتي لم يقمن بها، وتتفق المبحوثات في هذا الأمر، إذ يرين أن هذه الممارسة هي فعل غير أخلاقي ولا تحترم فيه المرأة، إلا أن أغلبهن يخفن من الحوادث الغير المتوقعة، التي يمكن أن تحدث وكذلك واجبار عائلاتهن للقيام بها رغم رفضهن لها ما يضطرهن للخضوع للأمر الواقع.

9-5- حنة والد العروس:

تكون حنة والد العروس قبل يوم من حفلة حنة زوجها فتبدأ الفتاة للتجهز للسهرة التي ستقام على شرفها، وتختلف العادات هنا من عرش إلى آخر اذ تنقسم إلى قسمين هما:

- **القسم الأول:** يطلب من العروس عدم التزين والخروج بهيئة عادية أو هندام غير منظم بطريقة متعمدة لتفادي ابراز جمالها وللاحتفاظ به إلى يوم العرس وذلك اتباعا لعادات أجدادهم، كما تقول المبحوثات" ***تخبي السَّرّ*** "، فترتدي العروس أي فستان قديم لها وتغطي شعرها بـ:"***محرمة***"، وتجلس العروس في منتصف القاعة وسط الزغاريد والاغاني فتتقمد جدتها أو احدى عماتها أو خالتها لتضع لها الحنة في أيديها وأرجلها.
- **القسم الثاني:** والذي يمنح للعروس كامل الحرية في اختيارها لما سوف ترتديه في حنة والدها، وأغلب الفتيات حاليا يتزين ويظهرن بأحسن صورة للاحتفال بيومها الأخير في منزل والدها، وتضع الحناء لها إحدى النسوة من كبار العائلة مثل الجماعة الأولى.

10- يوم الحنة:

يوم الحنة يشبه إلى حد كبير يوم الخطبة فتجري فيه نفس الأحداث إلا أن الفرق بينهما يكمن في الاحتفال ذاته فاحتفالية الخطبة صغيرة مقارنة مع يوم الحنة، فهذا الأخير يضم عددا كبيرا من المدعوين من العائلتين والأقارب والجيران والمعارف، وتقوم بعض النسوة بتجهيز العروس تسريح شعرها ووضع مساحيق التجميل حسب ما هو متوفر آنذاك، كالكحل والمسواك واللبان ودهن بعض المناطق من جسمها بمادة " ***الدنوس*** " كالإبطين ومنطقة حول الصدر لتفادي التعرق والروائح الكريهة وغيرها من المستحضرات.

بعد الانتهاء من التزين تقوم هذه النسوة بإلباس العروس " ***قندورة الفرقاني*** "، وهو لباس قسنطيني مصنوع من قماش " ***قطيفة الجلوة*** "و " ***الفتلة*** " وهي عبارة عن خيوط ذهبية تطرز بها قندورة الفرقاني، وبالرغم من غلاء سعره إلا أن الأسرة لا تتنازل عنه فهذا اللباس يعد من أهم القطع التي يجب أن تكون متواجدة في جهاز العروس كي لا يفقد قيمته، ولا تكاد توجد عروس فيما مضى في مجتمع البحث لم ترتدي الفرقاني في عرسها، وذلك للدلالة الرمزية التي يحملها هذا اللباس من أصالة وأناقة وما يضفيه على العروس من هيبة وشموخ.

في مساء ذلك اليوم يأتي أهل العريس إلى منزل العروس وعند وصولهم يباشرون بإطلاق البارود أمام المنزل لإعلان الوصول، ويدل إطلاق البارود في العرس على أن أهل العريس يعظمون من شأن العروس وأهلها ويفخرون بهم، فيتم استقبالهم استقبالا حارا بالزغاريد والغناء وقرع الطبول والرقص، وبعد ذلك تخرج العروس رفقة فتاتين صغيرتين واحدة من عائلتها والثانية من عائلة العريس وكلتاهما تحمل شمعتين كبيرتين، تجلس العروس في المكان المخصص لها والذي يكون في منتصف القاعة وتقف

الفتاتين إلى جوارها، ثم تتقدم كبيرات الأسرة من أهل العريس كجدته وأمه أو أحد عماته أو خالاته لتخلط الحنة.

تخلط الحناء في وعاء نحاسي بالماء أو بما يعرف بـ: ***" ماء الزهر"*** أو ***" ماء الورد "***، وتضاف إليه بعض المكونات كالسكر أو غيره ثم يزين بحبات من ***" حلوى الدراجي "*** وتوضع فوقه شمعة كبيرة فيها خمسة فتائل، ومن طقوس ليلة الحناء أن توضع للعروس قطع ذهبية على حنتها تدعى ***" اللويز "*** وهي شرط أساسي لإتمام مراسيم الحنة، بعد الانتهاء تقوم الأم بأخذ طبق الحنة واخفائه عن الأنظار بسرعة ولا تخبر أي شخص بمكانه إلا من تثق به، وهذه الممارسة عائدة إلى خوفها من السحر لذلك، تقوم بحراسة كل ما يخص العروس في ذلك اليوم حراسة شديدة، وتقول المبحوثة **(ن.ر)**: ***" رحت مع عمتي نزورو قبر راجلها لقينا فيه سحر فيه دوخيلة تاع مرا فيها دم وباين تاع ليلة دخلتها، وحنة احتمال كبير تكون تاع حنة عرسها مدفونة في القبر ومغطية بلوحة ومطيشين عليها حشيش متغطاش مليح عليها بان وعرفناه ".***[1]

الصورة رقم (67): طبق الحنة (المصدر: تصوير الطالبة)

عقب الانتهاء مباشرة تقوم امرأة أخرى بتلبيسها حليا ذهبية متكونة من عقد وخاتم واقراط وأساور وهي جزء من المهر المتفق عليه، وترمى مجموعة من الحلوى والفول السوداني على الحضور من سلة المقشقشة التي قد أحضروها معهم، وبعدها تنهال عليها النساء بعبارات المباركة والتمني لها بدوام الحياة

[1] مقابلة مع " ن ر " بتاريخ 30-05-2022، 13:15-13:40، أثناء زيارة لمنزل صديقة.

السعيدة ويقمن بإعطائها " ***الباروك*** " وهي أوراق نقدية تمنح لها كهدية مباركة بعد الحنة، وكآخر طقس يقام من طرف أهل العريس في ليلة الحنة هو فتح الفاليزا أمام الحاضرين لتريهم ما تم جلبه للعروس.

ويصاحب عادة الحنة أغاني شعبية خاصة بها والجدير بالذكر أن هذه الأغاني تختلف من عرش إلى آخر ونذكر منها:

- قل هو الله قل هو الله

  وعلى عروستنا

  قل هو الله
- يا لالة مدي يدك للحنة

  مدي يدكا حباب دايرين

  طفلة صغيرة فرحانة مدي يدكا
- يا سعينا سعينا

  سعينا سعي لحلال

  جبناها وجينا

  في حياة الرجال
- مدي يدك للحنة

  نعطيك ذهب صافي

  يا لالة لعروسة

  بنت العرش القاويا

- يا الحنة حنينة

جابوها الرجال

وتحني لعروسة

غدوة تحمار

بعد مغادرة أهل العريس تنزع العروس حنتها وتبدأ بارتداء أنواع مختلفة من الأزياء التقليدية واستعراضها أمام الضيوف وهذا ما يعرف ب " ***التصديرة*** "، وهي عادة مهمة لا تكاد تتخلى عنها أية عروس جزائرية ولها رمزية خاصة في المجتمع، فانتقال المرأة من مرحلة العزوبية إلى مرحلة الزواج تعني تغيرا جذريا في حياتها، فالفتاة قبل الزواج لا ترتدي الملابس التقليدية أو كما يطلق عليها في مجتمع البحث بـ: " ***الثقيل*** " إذ تجمع المبحوثات على عدم وجوب ارتدائها لها فيقلن " ***الصبية متلبسش الثقيل*** " وكلمة الثقيل هنا تطلق على الملابس التقليدية، لكي لا يظن الحضور أنها متزوجة فيتقدمون إلى خطبتها، فالدلالة هي التمكن من تفريق العازبة والمتزوجة عن بعضهما البعض، وتوضيح أدوارهن الاجتماعية في المجتمع، وترافق العروس أثناء تصدرها امرأتين أو امرأة واحدة وفي العادة تكون عروس جديدة تزوجت قبلها بمدة قصيرة لتستعرض معها تصديرتها هي الأخرى.

الصورة رقم (68): عروس تتصدر في يوم الحنة (المصدر: صرورة قدمتها أحد المبحوثات)

الصورة رقم(69): عروس تتصدر رفقة فتاتين (المصدر: صرورة قدمتها أحد المبحوثات)

التأويل الأنثروبولوجي:

وقد اختلف يوم الحنة عما كانت عليه في السابق فالعروس هي التي تتكفل بجميع التفاصيل مع بعض المساعدات من أخواتها وصديقاتها، من بداية السهرة إلى غاية نهايتها جميع التحضيرات كالملابس التي سترتديها والحلي التي تتماشى معها والطعام المقدم وغيرها، ففي صبيحة يوم الحنة تتجه العروس إلى صالون الحلاقة للتزين مع مجموعة من الفتيات العازبات من عائلتها، وعندما تنتهي يصحبها أخوها أو أبوها للمنزل وعند وصولوهم المنزل يستقبلها أهلها بالزغاريد والغناء، وتبدأ سهرتها بارتداء تصديرتها وغالبا ما تكون أولى أزيائها هي ***"Ensemble"*** وهو طقم أبيض مخصص للعرائس، إلا أن بعض العرائس يستغنين عليه وذلك لأسباب شخصية وكذلك للقدرة الشرائية لكل واحدة، أما عن بقية الملابس فقد تقوم بكرائها من محلات مختصة في لباس العروس.

الصورة رقم (70):Ensemble أولى ملابس تصديرة العروس

(المصدر: 50: 19 ,19-04-2023 https://www.pinterest.com/pin/9365376849965900)

الصورة رقم (71): تصديرة العروس (المصدر: تصوير الطالبة)

وترافق العروس في التصديرة أية فتاة ترغب بذلك ولا يشترط الآن أن تكون متزوجة، وفي بعض الأحيان كانت العروس تقوم بالتنسيق مع بنت صغيرة قد تكون أختها أو إحدى قريباتها كما هو موضح في الصورة:

الصورة رقم (72): تنسيق العروس ملابس التصديرة مع البنات الصغار (المصدر: تصوير الطالبة)

بعد انتهاء العروس من لبس تصديرتها ترتدي لباس الحنة والذي لم يعد يشترط فيه أن يكون قندورة الفرقاني، بل تستطيع أن ترتدي أي لباس تقليدي آخر قد يكون الكراكو أو الملحفة أو غيرها من الألبسة، ومن ثم تقوم احدى النساء الكبيرات من أهل العريس بوضع الحنة واللويز لها وهذه العادة لم يلامسها أية تغيرات فمازالت تعتبر أهم عادة في يوم الحنة. والملاحظ في يوم الحنة هو اهتمام العروس بالتفاصيل الصغيرة كاختيار نوع ربطات الحنة يد التي نجدها متنوعة جدا.

الصورة رقم (73): عروس ترتدي قندورة الفرقاني في ليلة الحنة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (74): ملابس لمختلفة للحنة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (75): ربطات حنة مختلفة (المصدر: تصوير الطالبة)

ومن بين العادات الجديدة التي تعتمدها العروس في يوم حنتها هي استعمال ما يعرف بـ: "***الحرقوس***" وهي مادة تشبه الحناء ترسم بها العروس على يدها زخرفات جميلة، بدل الطريقة التقليدية لوضع الحنة كـ: " ***البطة*** " أو " ***الدويرة*** " أو وضع الحنة على كافة اليد، وقد امتزجت هذه العادة الجديدة

مع بعض العادات التقليدية كوضع مكعبات السكر أو حلوى الدراجي على كفي العروس بعد وضع الحنة أو اللويز، كما هو موضح في الصورة التالية:

الصورة رقم (76): الحرقوس (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (77): تمثل وضع اللويزة وقطعة سكر فوق حنة العروس (المصدر: تصوير الطالبة)

وهناك فئة من العرائس اللواتي لا يحببن وضع الحنة ابدا، ويتحججن بأنهن لا يطقن اشتمام رائحتها أو استجابة لطلب أزواجهن بعدم وضعها بناء على نفس السبب، فتقوم بجميع مراسم يوم الحناء من دون وضعها.

الصورة رقم (78): عروس بدون حناء (المصدر: تصوير الطالبة)

ووجدنا من خلال الدراسة الميدانية استمرارا للعديد من المظاهر التقليدية في يوم الحنة، كالمباركة للعروس بالأوراق النقدية، وكذلك فتح الفاليزة المجلوبة للمرأة من قبل أهل العريس لاستعراض الأشياء

والملابس التي تحتويها، وذلك لإبراز مدى اهتمام أهل العريس بالعروس وتقديرهم لها، غير أن هذه العادة قد لاقت بعض الرفض عند أغلب المبحوثات، لاعتقادهن أن ذلك الامر أصبح تقليديا ولم يعد يدل على تقدير العروس، بل العكس من ذلك فهو يسبب الإهانة والاحراج لها.

الصورة رقم (79): باروك لعروسة (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (80): اظهار محتويات الفاليزا بعد الحنة (المصدر: تصوير الطالبة)

بعد مغادرة أهل العريس تبدأ سهرة خاصة بالفتيات العازبات حيث تقوم العروس فيها بإعطائهن توزيعات كما يطلق عليها المبحوثات " **فال لعروسة** "، والمقصود به هو تمني الزواج لهن أي أن يتزوجن بعد العروس وهذه التوزيعات عبارة عن هدية صغيرة متكونة في العادة من حلويات وبعض المكسرات وبوقالة وغيرها، وفي بعض الأحيان تقوم العروس بوضع الحنة لهن، وتقوم العروس كذلك برمي باقة الورد التي معها للفتيات وأول واحدة تمسك بها هي من ستتزوج بعدها، وهذه العادة للتسلية فقط بين الفتيات.

الصورة رقم (81): بعض توزيعات العروس (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (82): عروس تضع الحنة لأحد الفتيات (المصدر: تصوير الطالبة)

وتستمر السهرة معهن إلى أقصى الليل مستمتعين بالرقص والغناء على ألحان الأغاني الحديثة خاصة أغاني الراي فمعظم الفتيات الآن يستهويهن هذا النوع من الأغاني، وهذا ما لاحظته خلال مشاركتي في بعض الأعراس، فبمجرد قيام منسقة الأغاني " **Dj** " بوضع أغنية نجد أن معظمهن يصيح بقوة وفي نفس الوقت ويتوجهن للرقص جميعا، ووظيفة منسقة الأغاني هذه هي تسير الأغاني وفق ما ترتديه العروس في تصديرتها، وكذلك جلب مصورة فوتوغرافية لتوثيق تفاصيل حفلها فترافقها هذه المصورة طوال اليوم إلى غاية انتهاء مراسيم الاحتفالية، وتوجد بعض العائلات التي تحضر مغنين من مختلف ربوع الوطن للإحياء حفلة الحنة كالشابة يمينة والشابة جميلة وغيرهم.

الصورة رقم (83): سهرة عرس أحياها رضوان الصغير على اليمين ولزهر الجيلالي على اليسار

(المصدر: تصوير الطالبة)

وتجدر الإشارة إلى أن مكان إقامة معظم حفلات الزفاف الآن أصبحت في قاعات الحفلات حيث تقوم العروس بحجزها بعد تحديد موعد زفافها مباشرة، ففي موسم الأعراس كالعطلة الشتوية في شهر ديسمبر وعطلة الربيع في شهر مارس، وكذلك بعد شهر رمضان يكثر الطلب على هذه القاعات وتكون إمكانية الحجز جد صعبة، لأن مجتمع البحث يتفادى إقامة الأعراس في فصل الصيف نظرا لارتفاع الحرارة الشديدة، إلا أن هذا الأمر ليس متاحا لجميع العائلات فسعر حجز الصالات مرتفع خاصة إذا كانت بجميع التجهيزات فلا يستطيع عامة الشعب دفع تكاليفها.

ومن العادات المستحدثة كذلك والمتعلقة بيوم الحنة كالسهرة التي تقام في ليلة الحنة أن يدخل العريس للقاعة ويقوم بتلبيس العروس خاتم الزواج مثلما فعل في الخطبة تماما، وهي ترتدي فستانها الأبيض " ***la robe blanche*** "، ومن ثم يقومون بتقطيع كعكة الزفاف ويتبادلون أكل الكعكة وشرب العصير، وهذه العادات المستحدثة ما هي إلا نتيجة تطور التكنولوجيا واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي التي مهدت للانفتاح على مختلف الثقافات ومحاكاتها.

الصورة رقم (84): عريسان يتجهزان لقطع كعكة الزفاف (المصدر: تصوير الطالبة)

11- يوم العرس:

هو اليوم الموالي ليوم الحنة مباشرة وفي هذا اليوم تنتقل الفتاة من بيت والدها إلى بيت زوجها وتدخل عالم المتزوجين، وهنا ما يبدأ طقس الانفصال والاندماج ففي لحظة خروج العروس من منزل والدها تنفصل عن البيئة التي ولدت ونشأت فيها، وبمجرد دخولها لمنزل زوجها تكون قد بدأت في طقس الاندماج.

تبدأ العروس يومها بالتجهز كما فعلت في يوم الحنة ليأتي العريس في المساء بموكب بكبير ليأخذ زوجته في أجواء احتفالية صاخبة يمتزج فيها الغناء والزغاريد وقرع الطبول وإطلاق البارود، وتتقدم بعض النسوة رفقة أخت العريس ليستقبلوا العروس التي رافقها أبوها إلى خارج المنزل، وقد جرت العادة في الأعراس الجزائرية خروج العروس من المنزل تحت ذراع والدها، كدلالة لخروج الفتاة من تحت جناح والدها الذي يرمز للحب والحنان والحماية الوالدية لتدخل تحت جناح زوجها ليكمل ما قد بدأه والدها، أو قد يقوم اخويها بإخراجها وهم يحملون السلاح للدلالة على الحماية كما هو مبين في الصورة التالية:

الصورة رقم (85): لحظة خروج العروس من منزل والدها (المصدر: تصوير الطالبة)

ويرافق خروج العروس من منزل والدها عدة طقوس احترازية تقام في سبيل دفع العين والحسد والأذى الذي قد يلاحق العروس، منها رش " ***الحبة السوداء*** " أو ما يعرف في مجتمع الدراسة بـ: "***السينوج***" على العروس قبل وأثناء خروجها من المنزل، أو إعطائها قطعة من مكعبات السكر لتأكلها وقطع أخرى لتمسك بيها في يدها، فضلا على إعطائها مصحف لتمسكه طوال اليوم للتبرك بآياته ولحمايتها.

الصورة رقم (86): رش العروس بالسينوج (المصدر: تصوير الطالبة)

ومن الأغاني المصاحبة لخروج العروس من منزل والدها والتي تقوم النسوة بأدائها نذكر الأغنية التالية:

كلمة لا إله إلا

محمد رسول الله

صليوا على النبي

صليوا على النبي

ونابينا محمد اا

صليوا على النبي

صليوا على النبي

ونابينا محمد اا

ومن بين أكثر العادات رسوخا في مجتمع الدراسة أيضا احضار فرقتين الأولى هي " ***القرابيلا*** " وهي فرقة مختصة في إطلاق البارود بحركات استعراضية واحترافية، والثانية هي فرقة " ***الشكوة***" أو "***بوشكيوة***" وهذه الفرقة تعتبر واحدة من أساسيات العرس في المجتمع المحلي، وهي مختصة بعزف موسيقى بإيقاعات متنوعة مع أداء أغاني معها، بداية من انطلاق الموكب إلى غاية نهايته وخاصة أثناء خروج العروس من المنزل.

الصورة رقم (87): فرقة بوشكيوة (المصدر: تصوير الطالبة)

وفي الصورة التالية فرقة بوشكيوة تقوم بالعزف قبل خروج العروس من المنزل، ومن بين الأغاني التي يقومون بتأديتها كثيرا نذكر:

يقولولها الممرضة

يا لا ل ويا لا لا ل

هي داوي في المرضى

وحبيبها مجروح

هي داوي في المرضى

وحبيبها مجروح

وأثناء ذلك تركب العروس السيارة مع فتاتين عازبتين واحدة من منزل العروس والأخرى من منزل العريس وفي أغلب الأحيان يكن نفس الفتيات اللاتي حملن الشموع وجلسن بجانب العروس في يوم الحنة، وأما عن العريس فيستقل سيارة أخرى مخصصة له، ومن ثم ينطلق الموكب إلى بيت الزوج ليستكملوا العرس هناك، وفي السابق كان يمنع الرجل من رؤية زوجته إلى غاية نهاية اليوم أي في غرفتهما بعد انتهاء الحفل.

عند خروج العروس من المنزل تبقى الأم في المنزل لتلتحق بها فيما بعد أو في صباح اليوم الموالي، وبعد انطلاق سيارة العروس من أمام المنزل تقوم إحدى النساء بسكب الماء على الأرض وراءها مباشرة، والدلالة الرمزية على فعل ذلك هي الذهاب إلى بيت الزوجية والبقاء فيه دون عودة، والمقصود هنا هو تشبيه العروس بالماء المسكوب على الأرض الذي ولن يعود للإناء.

عند وصول الموكب إلى بيت العريس تستقبل الأم العروس بكأس من الحليب والتمر أو تقدم العسل معهما لمباركة العروس، واللبن هنا يرمز إلى الطهارة والنقاء وذلك نسبة إلى لونه الأبيض، أما عن التمر والعسل فقد استعملا لحلاوة طعمهما والحلاوة رمز للسعادة والهناء، كما أن استعماله في هذه المناسبة يعود أيضا لكونه رمزا للصحة والعافية، فهو يحتوي على نوعين من الأحماض الأمينية الأساسية التي لا يستطيع جسم الانسان صنعها[1]، ويطلب منها أن تدخل المنزل برجلها اليمنى لأن ذلك محبب

---

[1] نصيرة بكوش، المولودة قشيوش: **شعائر احتفالات الخطبة بتلمسان " حفلة الملاك نموذجا "**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 14، مارس 2014، ص ص 131-136.

في الشريعة الإسلامية، ويقدم لها زبدة الغنم والمعروفة في مجتمع البحث بـ: *" الدهان"* لتلصقه على الحائط، والدلالة الرمزية لهذه الممارسة هي ثبوت زواجها وبقائها في منزل زوجها إلى آخر يوم في عمرها فتمارس هذه العادة اتماما لطقوس الاندماج خوفا من الطلاق.

الصورة رقم (88): إلصاق العروس للدهان في الحائط (المصدر: تصوير الطالبة)

وبعد ذلك توضع بيضة تحت قدم العروس لتكسرها وتمر عليها بهدف كسر العين والحسد اللذان يترقبان العروس، وتوجد من العائلات من تستبدل عادة كسر البيض برش الملح أمام عتبة المنزل لتقوم العروس بتخطيه 7 مرات ودلالة هذا الرقم راجعة إلى اعتقادهم وايمانهم لخلق الله الأرض في 7 أيام لذلك فإن هذا الرقم يتمتع بنوع من القدسية في مجتمع البحث.

الصورة رقم (89): رش الملح في عتبة المنزل (المصدر: تصوير الطالبة)

وعند الانتهاء من طقوس استقبال العروس تأخذها أم العريس إلى المكان المجهز لها هي وأهلها لتبدأ المأدبة فور وصولهم، وبعد لحظات تأتي إليها حماتها مع طفل رضيع لتجلسه في حجرها وتدعوا الله لها ليرزقها بالأولاد خاصة الذكور فتقول: ***" إن شاء الله يعمرلك ربي حجرك يا بنتي "***، وهذه العادة

تمارس كنوع من التفاؤل بها وتمني حملها بسرعة، وكآخر طقس في يوم الزفاف أخذ العروس إلى غرفتها حيث يدخل العريس بعدها إلى الغرفة وبعد هذه المرحلة هي أهم مراحل الزواج وتعرف بلية الدخلة.

11-1- ليلة الدخلة:

كان موضوع عذرية العروس يشكل أهمية بالغة بالنسبة للأسر الجزائرية لأنه متعلق بالدرجة الأولى بشرفها وشرف عائلتها، وهذا يعني أن يوم زفاف الفتاة هو يوم الإعلان عن عذريتها فيكون التركيز أكثر على هذه المسألة، ولهذا غالبا ما يكون الأهل قلقين وخاصة الأم وبمجرد دخول العريس إلى الغرفة ولا يهدأ لهم بال إلا إذا رأوا شرف ابنتهم على لباسها ويسمى لباس العروس بـ" ***الدوخيلة*** " وهو اللباس الداخلي الذي ترتديه العروس ليلة زفافها، وتقاس هنا رجولة العريس و شجاعته إذا خرج بسرعة من عند زوجته فعملية فض غشاء البكارة كانت شأنا جماعيا لا فرديا[1]، وهذا يعني انتظار كبار نساء العائلة لخروجه من الغرفة ليدخلوا إليها لرؤية العروس والتحقق من وجود بقعة الدم على دوخيلة الفتاة من أجل الاطمئنان من أن زوجة ابنهم عذراء ولم يسبق لها القيام بأية علاقة، فإذا ما تمت رؤيتهم له بدأ النساء بالغناء والزغاريد فرحين لتمام العملية، وأما عن زوجها فيخرج لإطلاق البارود خارج المنزل ليدل ذلك على فحولته وشرف المرأة التي تزوجها ليبادله الرجال الذين معه بإطلاق البارود بعده وبذلك قد اكتملت طقوس الاندماج على أكمل وجه.

ومن بين العادات المنتشرة في مجتمع البحث للتحقق من ليلة الدخلة في حالة الشك حول الدم الموجود على الدوخيلة، هي تسخين الماء في قدر ووضعها على الكسكاس ليلامسها البخار، والهدف من ذلك هو جعل اللون الباهت قاتما، ففي بعض الأحيان تنزل من الفتاة بقع دم باللون الوردي أو الأحمر الفاتح فيثار الشك حول هذا الدم وهذه العملية تجعل لون الدم بارزا ، وهذا ما أكدته لنا المبحوثة

---

[1] أسماء لبلق: **التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران2، 2014-2015، ص 166.

(ع.م) بقولها: " ***عمتي في ليلة دخلتها هبط منها دم خفيف ميبانش أحمر وكي داوه للطبيب قالهم حطوها في الكسكاس وخليوها تتفور حتان يبان اللون، وصح داروها وحمار اللون."*** [1]

وقد شاعت هذه الممارسة في السابق لعدة أسباب منها الهيمنة الذكورية التي تسعى إلى التحكم في الفضاء النسوي، وهذا ما تكرسه النساء بدورهن عن طريق الإذعان والتنشئة الاجتماعية للفتاة التي تلزمها الخضوع للذكر دائما، وهو الأمر الذي جعلها تعتقد أنه من الطبيعي أن تثبت عذريتها أمامه في يوم الزفاف، فضلا على عدم انتشار الوعي والجهل بالثقافة الجنسية آنذاك فمعظمهن العائلات تجهل أن لغشاء البكارة أنواع متعددة، منها الغشاء المطاطي الذي يصعب فضه لكونه مرنا يتمدد مع العضو الذكري لذلك لا تظهر أية علامات على فضه، وهذا ما يجعل الرجل يشكك في عذرية زوجته فيقوم بمهاجمتها واخراجها من الغرفة ليلا ليفضحها أمام الملأ.

ولأجل ذلك انتشرت عادة استخراج شهادة العذرية للفتاة قبل يوم زفافها كما شرحنا في العنصر السابق، من أجل استخدامها ان دعت الضرورة لذلك.

التأويل الأنثروبولوجي:

إن يوم العرس بالنسبة للمرأة بصفة عامة يوم مميز جد على قول أغلب المبحوثات بأنها " ***ليلة العمر"*** دلالة على أنه يوم لا يتكرر دائما، وكذلك بدئها حياة جديدة بدخولها عش الزوجية مع الانسان الذي اختارته شريكا لحياتها، حيث تقوم العروس قبل حفل الزفاف باختيار فستان الزفاف باهتمام بالغ جدا بعد تحديد تاريخ العرس، وتختلف قيمة استئجار هذا الفستان باختلاف نوعية القماش والبلد المصنع وعدد المرات التي استعمل فيها، وتتراوح أسعاره حاليا من 1 مليون إلى 5 ملاين فأكثر، وتقول في هذا السياق (ع.س): " ***أنا كريت La Robe blanche لي لبستها في عرسي ب 4 ملاين، خيرت وحدة***

---

[1] مقابلة مع " ع م "، بتاريخ 14-12-2022، 15:55-15:40، في منزل المبحثة.

جديدة مش ملبوسة من قبل بغيت حاجة Spécial"[1]، ،وتعتبر مبلغ 4 ملاين مبلغ مرتفع بالنسبة للبعض إلا أن العروس ترى أنه يوم يستحق أن تدفع أي مبلغ لأجله، فأجمعن أن سبب ذلك هو ايمانهن بهذا اليوم المميز فيقلن: "***يوم واحد في لعمر ومش راح يتعاود***".

ومن النساء من أصبحت الأن تخيط فستان الزفاف ولا تستأجره لاعتبار أن سعرهما يبقى نفسه، والسبب في ذلك رغبة العروس لارتداء فستان مميز وخاص بذلك اليوم لم يسبق لامرأة أن ارتدته، ولكي يظل ذكرى جميلة لها.

ويقام العرس بنفس طريقة يوم الحنة يأتي إليها زوجها مساء ذلك اليوم بموكب فيه أحدث السيارات والدراجات النارية ليقوم أصحابها ببعض المناورات لإضفاء بعض الحماس فيه، ويقومون كذلك بإطلاق الألعاب النارية المختلفة كـ: ***flambeau، fumigène***، التي تختلف ألوانها وعادة ما يغلب عليها اللون الأحمر، مع احضار فرقة بوشكيوة والقرابيلا أيضا اللتان يعتبران أساس الموكب في أعراس مجتمع الدراسة.

وفي السابق كان الأب هو من يتولى مهمة إخراج ابنته من المنزل كما جرت العادة، أما الآن فاختلف الوضع فأصبحت الأسر تسمح لزوج ابنتهم بإخراجها من المنزل الركوب معه في نفس السيارة، وعند الوصول إلى منزل الزوج أو القاعة التي سيقام فيها الحفل تشكل فرقة القرابيلا صفين متوازيين أمام الباب رافعين الأسلحة لفوق لتتلامس مع بعضها البعض مشكلين بذلك ممرا لعبور العريسين منه مثلما هو موضح في الصور التالية:

---

[1] مقابلة مع " ع س "، 09-12-2021، 18:00-18:40، منزل المبحوثة.

الصورة رقم (90): لحظة دخول العروس من ممر القرابيلا (المصدر: تصوير الطالبة)

تستقبل أم العريس العروسان عند العتبة بنفس الطريقة التي اعتاد عليها المجتمع بكأس من الحليب والتمر، وقد تقام هذه العادة عند عتبة الباب أو بعد دخولهما المنزل، إذ يعد تبادل الزوجين لشرب الحليب من نفس الكأس دليلا على أنهما سيتشاركان في حياة واحدة وأنهما سيصبحان نفسا واحدة[1]، ومن ثم تضع البيضة في الأرض لتكسرها غير أن هذه العادة قد طرأت عليها عدة تغييرات فبعدما كانت توضع على الأرض مباشرة أصبحت توضع في كيس لتفادي تلويث الأرضية وانتشار الرائحة الكريهة، والملاحظ هنا أن هذا الممارسة في طريقها للزوال هي الأخرى لتراجع العديد من العائلات عن العمل بها، وهذه الصور توضح بعض طقوس الاستقبال:

الصورة رقم (91): استقبال العريس والعروس بالحليب والتمر (المصدر: تصوير الطالبة)

[1] بكوش نصيرة، المولودة قشيوش: ص ص 131-136.

الصورة رقم (92): تبادل العريسين شرب الحليب (المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (93): كسر البيضة في كيس بلاستيكي (المصدر: تصوير الطالبة)

وتجري بقية الأحداث كما في يوم الحنة فتعيد العروس ارتداء تصديرتها ليراها أهل العريس ومن ثم السهرة التي يقطع فيها قالب الحلوى، وينتهي الحفل بانتهاء السهرة ليأخذ العريس زوجته ويتوجها إلى الفندق ليقضيا الليلة الأولى من زواجهما هناك وهي كما ذكرنا سابقا " ***ليلة الدخلة*** " بعيد عن الأهل والأقارب وذلك لنيل بعض الراحة والخصوصية، وأما بالنسبة للرجل الذي يمتلك منزلا مستقلا فإنه يتوجه إليه بدلا من الفندق.

12- صباحية العرس:

وفي هذا اليوم يتكفل أهل العروس بالمأدبة المقامة وذلك لارتباط عادة القصعة بعادة المصروف كما سبق أن أشرنا سابقا، وبعد جلب العريس المؤونة لأهل العروس قبل حفل الزفاف يستوجب عليهم جلب القصعة في صباح اليوم الموالي للعرس، وهي عن أكلة الشخشوخة التقليدية المزينة بلحم الخروف والبطاطس والبيض المغلي والحمص والمكسرات وحلوى الدراجي والمصاصات وغيرها من الأشياء التي يمكن إضافتها، حيث تقوم الأم رفقة خالات وعمات العروس بإعدادها بدء من ليلة العرس فيقمن بـ:

تحضير الخضر كتقطيع البصل والثوم والطماطم وتتبيلهم وكذلك وتقشير البطاطا وأي شيء يمكن القيام به في الليل لاختصار المهمة في اليوم التالي، وفي الصباح الباكر يكملون ما قد بدأوه في اليوم الماضي ومن ثم يأخذونها إلى منزل العريس مباشرة لأكلها وهي ساخنة، إذ أن القصعة تكون كبيرة جدا بما يكفي لإطعام الحضور ويؤخذ معها أنواع من الفواكه والمشروبات كالعصير وغيرها ، وكذلك اطباق مختلفة من الحلويات التقليدية كالمقروط والبقلاوة وصابلي وتشاراك وغيرها، ويتم طبخ القصعة في أجواء غنائية بامتياز نذكر منها:

- والصلاة على النبي محمد وعلي

والصلاة على النبي

والصلاة على النبي محمد وعلي

وحنايا زهينا ربي يهنينا

والصلاة على النبي محمد وعلي

جبنا لبنية ربي يهنينا

والصلاة على النبي محمد وعلي

- وعريسنا ليلتو مبروكة

ما نخاف عليه

ما نخاف عليه

خمسة واللخموس عليه

وقبل عادة تقسيم القصعة هنالك عادة تسبقها هي" ***الحزام***" الذي يعد طقسا من الطقوس المتممة لاحتفالية الزفاف، وفيها يتم تحزيم العروس يدعى عندى البعض بـ: " ***لحميلة، لبثرور*** " ويكون أخ العريس الأصغر هو من يقوم بتحزيمها كرمز للخصوبة والانجاب وخاصة إنجاب الذكور، وإن لم يحزمها أخ العريس ينوب عليه أحد الأطفال الصغار أو أحدى النساء من العائلة، وتكون الملحفة التي ترتديها العروس في ذلك اليوم متوارثة عبر الأجيال من الجدة إلى الأحفاد، كما تعتبر الدلالة الرمزية للحزام هو انتقال المرأة من عازبة إلى متزوجة فالحزام في المجتمعات التقليدية كان خاصا بالمرأة المتزوجة فقط، وبعد ذلك يقوم أخ العريس بوضع المال لها في المحزمة ليبارك لها فتتوالا النساء من بعده لفعل ذلك.

الصورة رقم (94): تلبيس العروس للملحفة في يوم القصعة (الصدر: صورة قدمتها أحد المحوثات)

وبعد انتهائهم يطلب من العروس غرس كامل يدها في القصعة ليصب فوق يدها ما يعرف في مجتمع البحث بـ: " ***الدهان*** " المذاب لتأخذ لقمة منه لتأكلها، ومن ثم تعيد الكرة لتخرج ما استطاعت بقبضة يدها من الشخشوخة وتضعها في صحن وتضع بجانبها قطعا من اللحم وتزين الطبق ثم تقدمه لأب زوجها كدليل على تقدير واحترام كبير العائلة، ومن ثم تتولى الأم اطعام البقية.

وللقصعة رمزية أخرى وهي الدلالة على شرف وعفة الفتاة فعند التحقق من ليلة الدخلة تبلغ الأم بذلك فتقوم بتحضير القصعة لها، وأما في حالة عدم الحصول على النتائج المرادة من تلك ليلة أو الشك في الفتاة فلا تقام لها القصعة لأنها لم تصن شرفها فيقال: ***" لي ما شي صبية منديرولهاش".***

الصورة رقم (95): قصعة العروس (المصدر: تصوير الطالبة)

التأويل الأنثروبولوجي:

تعد عادة القصعة من العادات السائرة للزوال في مجتمع البحث وذلك لاتجاه الناس في التقليل من الخسائر المادية في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشونها، ويعتبر السبب الثاني لتراجع هذه العادة هو فقدانها الوظيفة الاجتماعية التي كانت تؤديها كونها غداء في سبيل شرف وعفة العروس، لاعتبار أن المجتمع لم يعد يدقق كثيرا في مسألة ليلة الدخلة أو الشرف إذ أصبح هذا الأخير شأنا فرديا لا جماعيا، وفي هذا السياق يقول مولود معمري: ***" لقد تعمق الفرق أكثر بين الخطاب والمبادئ بعد الاستقلال حيث أصبح الخطاب الرسمي حول الشرف (النيف) نادرا، بل يكاد يكون ذو نوع تجاوزه الزمن، ولكن هذا لا يعني أننا لا نسمع الناس تتحدث عن الشرف، بل إن الشرف في حد ذاته قد تغير معناه إذ أصبح يتعلق بمسائل أكثر (...) وليس بالمسائل الخُلقِية مثلما كان من قبل[1] "***، وقد ذكر مولود معمري هذا الكلام في حوار مع بيير بورديو سنة 1985، ولذلك فقد تكون اليوم مفهوم آخر عنه

---

[1] كمال شاشوا، فلة بن جيلالي، بيير بورديو ومولود معمري أنثروبولوجية الجزائر حوارات ومقالات، وثائق المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، العدد 9، 2014، ص 78

يختلف عن الخطاب التقليدي له، فبعدما كان شرف المرأة متعلقا بغشاء البكارة أصبح يتعدى ذلك ويشتمل على الأخلاق والأدب والعلم والعمل كنتيجة للتغيرات الثقافية والاجتماعية وحتى التكنولوجية، ومع تطور العلم أصبح من الممكن ترقيع غشاء البكارة عن طريق العمليات الجراحية التي تجعل الرجل لا يستطيع التحقق من شرف الفتاة عبر هذه الطريقة، لذلك أصبح المجتمع يرى أن أخلاق المرأة وأدبها هما اللذان يعكسان شرفها، لأنها قادرة على خداع الرجل بسهولة عبر اجرائها لهذه العمليات.

13- أسبوع العرس:

أو يمكننا القول " *السبوع* " كما يطلق عليه باللغة المحلية، ويقام في هذامأدبة صغيرة بين العائلتين عائلة العروس وعائلة العريس بمرور سبعة أيام على الزواج، وفي هذا اليوم تذهب العروس رفقة حماتها وبعض من أفراد عائلة زوجها للزيارة الأولى لأهلها بعد الزواج، فتستقبل بالزغاريد والغناء والمباركات لها ولعائلة زوجها كما جرت العادة، ولليوم السابع رمزية في المجتمع متعلقة بالشعائر الإسلامية وكل ذلك من أجل طرح البركة وابعاد العين والحسد والنحس، وبعد انقضاء هذا اليوم تبدأ المرأة بممارسة وظيفتها الاجتماعية الجديدة كزوجة.

وخلال هذه الأيام تستمتع العروس بأيامها الأولى كزوجة جديدة في منزل زوجها فتقضيها في التزين وارتداء فساتينها التي أحضرتها معها في جهازها، وتجدر الإشارة إلى أن العروس في هذه الأيام لا تقوم بأي عمل من الأعمال المنزلية كنوع من الترحيب بها ومن أجل أن تتأقلم في بيتها الجديد.

التأويل الأنثروبولوجي:

في الوقت الراهن يعتبر يوم السبوع من العادات قريبة الزوال فالكثير من العائلات تخلوا عن إقامة هذه العادة بسبب الغلاء المعيشي أيضا، ولاستبدالها بعادات أخرى جديدة كشهر العسل وهذا الأخير وهو ذهاب الزوجان الجديدان إلى رحلة قصيرة بعد العرس بدلا من الجلوس في المنزل، وبعد العودة منه تذهب العروس إلى منزل والدها في زيارة طبيعية بعيدا عن البروتوكولات الاجتماعية.

14- شهر العسل:

تسبب الفترة التي تسبق احتفالية الزواج إرهاقا بدنيا ونفسيا للعروسين وخاصة العروس، وذلك لانشغالها طوال الوقت في استكمال متطلبات بيت الزوجية والإجراءات الأخرى، مما يحتم قضاء فترة مناسبة من الراحة والاستجمام قبل الزفاف وبعده، أما الفترة التي بعد الزفاف فهي التي يطلق عليها شهر العسل ويميل فيها الكثيرون للقيام برحلة للاستمتاع بالأيام الأولى من الزواج ولنيل قسط من الراحة بعد تلك التحضيرات[1]، وهذه العادة هي عادة دخيلة على مجتمع البحث وقد انتشرت بفعل الاحتكاك والانفتاح على المجتمعات الغربية.

إلا أن هذه العادة في مجتمع الدراسة ليست متاحة للجميع لكونها مرتبطة بالإمكانيات المادية للمرأة والرجل معا، وأغلب الرحلات التي تقام تكون داخل التراب الوطني لفترة قصيرة قد تصل أقصاها لـ: 15 يوم، حيث يتوجه فيها الزوجان إلى الولايات الساحلية في الغالب وخاصة ولاية جيجل.

التأويل الأنثروبولوجي:

وتعد أكبر التغيرات التي مست نظام الزواج تلك التغيرات التي حصلت تزامنا مع انتشار جائحة كورونا أو كوفيد 19، باعتبار هذه الجائحة من أكثر الجوائح والأوبئة انتشارا وفتكا في العالم على مر العصور، لقد جعل فيروس كورونا جميع المجتمعات يعيشونا رعبا وخوفا شديدين كما جعلهم في حالة تأهب دائمة لأية طارئ قد يحصل، فقد لجأت الدول إلى اتخاذ تدابير وقائية وردعية صارمة كفرض الحجر الصحي ووقف الدراسة والعمل وجميع أنواع التجمعات والفعاليات والنشاطات، ما أدى إلى شل الحركة في العالم، وما دفع الدولة الجزائرية لوضع خطط واستراتيجيات لمجابهة الجائحة بما يتناسب مع إمكانيات الدولة وثقافة المجتمع.

---

[1] سناء الخولي: **الأسرة والحياة العائلية**، مرجع سابق، ص 197.

وتعد احتفالية الزواج في الجزائر من أكثر المناسبات الخاصة للم شمل العائلات، إذ لا تكتمل عاداته وطقوسه إلا بحضور جميع أفراد العائلة، ومع الظروف الاستثنائية التي فرضتها جائحة كورونا حدثت العديد من التغيرات على نظام الزواج وجميع العادات المرتبطة به، ففي ظل القوانين الصارمة التي فرضتها الدولة كالحجر الصحي ومنع إقامة التظاهرات الاحتفالية بما فيها احتفالية الزواج، فاضطرت أغلب العائلات الجزائرية إلى التخلي عن العديد من العادات كتقليص عدد أيام العرس والاكتفاء بيومين هما يوم العرس أو الحنة أو دمجهم معا في يوم واحد للتقليل من الاختلاط فيهما، وكذلك استغناء العروس فيها عن عادة التصديرة تماما، فضلا عن الغاء يوم المصروف ويوم حمام لعروسة لغلق الفضاءات الاجتماعية كالحمام ويوم الحنة في بعض الأحيان ويوم القصعة، وقد أصبحت حفلات الزفاف تقام في المنزل بسبب غلق قاعات الحفلات والاكتفاء بأقرب المقربين فقط، فضلا على غلق الطرقات ومنع التنقل عبر الولايات وكذلك غلق الحدود مع الدول ومنع الرحلات لأي سبب كان، فكانت نتيجة ذلك التخلي على الرحلات لمخصصة بعد العرس (شهر العسل).

ومع ازدياد مخاوف الجهات الرسمية وتشديد القوانين أكثر على هذه الاحتفاليات لجئ البعض إلى عدم القيام بها والاكتفاء بتزويج الفتاة من دون اجراء حفل الزفاف، فيأتي العريس رفقة بعض من أفراد العائلة لاصطحابها في الموكب فقط ومن ثم يفترقون بعد ايصالهم للمنزل، وكانت كل هذه الممارسات تخالف البروتوكول الصحي الذي فرضه الدولة، وكرد فعل لهذه التجاوزات منعت الدولة في فترة ما اجراء العقود المدنية للحد من اقامة هذه الأعراس وخفض نسب الاصابة بالفيروس.

وكنتيجة لذلك انقسم المجتمع قسمين هما:

- **القسم الأول:** هي المجموعة التي التزمت بأداء العادات والتقاليد المرتبطة بحفل الزفاف كما هي، وقد عارضت بشدة القوانين الجديدة التي سنتها الدولة للحد من انتشار الجائحة، وقد أقامت

حفلات زفافها كما اعتادت عليها، إلا أنه مع توقيف العقود اضطرت إلى تأجيل اجراء هذه الحفلات إلى آجال بعيدة لتتمكن من اقامتها كما هو مفترض أن يكون.

- **القسم الثاني:** وهي المجموعة التي استغنت عن العادات طوعا واتخاذها من الجائحة ذريعة لذلك بناء على عدة أسباب منها:
  - ترى هذه الجماعة أن هذه العادات والتقاليد تتنافى مع التعاليم الاسلامية وأن بعضها قد يوقعهم في الشرك بالله.
  - الغلاء المعيشي الذي عرقل العديد من الشبان للقيام بهذه الخطورة، فكان لإلغاء العادات وخاصة لحفل الزفاف الدور الكبير في دفع العائلات لتزويج أبنائهم وبناتهم في هذه الفترة تهربا من النفقات.
  - قطع بعض العلاقات مع الأقارب أو الاشخاص غير مرغوب فيهم، الأمر الذي أدى إلى إستنتاج ان العلاقات الاجتماعية تعاني من فتور مسبق وقد اتخذت من جائحة كورونا سببا للابتعاد عنهم.

وبالرغم من انتهاء الجائحة وعودة الحياة إلى طبيعتها إلا أن على بعض التغييرات التي طرأت في تلك الفترة ماتزال حاضرة إلى يومنا هذا، خاصة فيما يتعلق بأيام العرس فنجد أن الكثير من العائلات لم تعد تقيم حفلات الزفاف كما في السابق أو تكتفي بيوم واحد في الأغلب الأحيان، وكذلك تخلي العروس عن التصديرة والاكتفاء بزي واحد أو اثنين.

خلاصة:

ان نظام الزواج في المجتمع الجزائري يحظى باهتمام كبير من قبل المجتمع، خاصة زواج المرأة، ولذلك أحيطت هذه الاحتفالية بعدد من العادات والممارسات لاستكماله والتي تبدأ منذ خطبة الفتاة إلى غاية ما بعد الزواج، وقد خلصنا في هذا الفصل إلى:

- يحظى الزواج في مجتمع البحث بأهمية كبيرة جدا، لذلك تسعى الأم إلى تحضر ابنتها لهذه المرحلة منذ صغر سنها، فنجد أنها تقوم بتلقينها جميع أنواع المهمات المنزلية كالتنظيف والطبخ والأشغال اليدوية وغيرها، من أجل أن تزيد من فرص خطبتها ولتصبح الزوجة المثالية في نظرها وفي نظر الجماعة.
- كان الزواج في المجتمع الجزائري التقليدي شأنا اجتماعيا اذ تشترك فيه الجماعة كاملة، سواء من ناحية اتخاذ القرارات في تزويج الفتاة من عدمه أو من ناحية التحضيرات وغيرها، إلا أن التغيرات الثقافية التي طالت المجتمع جعلت نظام الزواج ينتقل من الحالة الجماعية إلى الفردانية، فأصبح من الأمور التي تخص الفرد وحده فهو من يتحكم بزمام الأمور من البداية إلى النهاية.
- ظهور عادات وممارسات جديدة في الطقوس الاحتفالية في مرحلة الزواج، من بداية الخطبة إلى آخر طقس فيه، وذلك بفعل التغيرات الحاصلة في المجتمع، خاصة عامل استخدام منصات التواصل الاجتماعي.
- امتزاج حفل الزواج بمظاهر تقليدية وأخرى عصرية، وبالرغم من رفض جيل الآباء لهذا التغيير إلا أننا لاحظنا خضوعهم لبعض الممارسات الجديدة، ولكن هذا لا يعني الغياب الكلي لسلطة الأب خاصة فيما يتعلق بالاختيار الزواجي.
- مدى تأثير جائحة كورونا على نظام الزواج وعاداته في المجتمع الجزائري، وهذه الأخيرة اعتبرت من أهم العوامل المحدثة لتلك التغيرات الحاصلة.

الفصل السادس: الطقوس الجنائزية بين الممارسات التقليدية والمستحدثة

- تمهيد
- معتقد الموت في المجتمع الجزائري
- طقوس الاستعداد للموت ولحظة الموت
- طقوس التعبير عن الألم وردة الفعل
- غسل وتكفين الميت
- تشيع الجنازة ودفن الميت
- طقس الحداد والتعزية
- طعام الجنازة
- طقس زيارة القبور
- طقوس ذكرى الوفاة
- تقسيم الإرث

تمهيد:

يعد الموت حتمية لابد منها فهو الأمر الوحيد الذي لم يستطع الانسان إيجاد حل له، وقد تعددت مسبباته واختلفت من موت بأسباب طبيعية أو نتيجة مرض أو حتى التسبب في وفاة بعض الأشخاص عن طريق القتل العمد لهم، ولذلك لا يعلم الانسان موعد أو مكان وفاته على الرغم من التطور التكنولوجي الهائل الذي يشهده العالم إلا أنه لا يزال عاجزا على تحديد موعد وفاتهم، حتى في حالات المرض الميؤوس منها كالإصابة بالسرطان واكتشافه بالدرجة الرابعة أو فيروس فقدان المناعة المكتسبة أو غيرها من الأمراض التي تؤدي إلى حالات الوفاة الحتمية.

إن الموت معطى بيولوجي يجسد توقف الأعضاء الحيوية لجسم الانسان عن العمل، غير أنه يكتسب صبغة اجتماعية ثقافية وذلك من خلال التصورات التي يكونها المجتمع حول ظاهرة الموت، فالموت حدث منظم ثقافيا إذ يتم فيه إعادة تشكيل الطقوس والعادات والمعتقدات التقليدية أثناء حدوثه[1] وذلك لإعداد الميت للانفصال عن المجتمع وإدماجه في عالم الموتى كطقوس أخيرة من دورة الحياة، ولذلك نجد العديد من الممارسات الاجتماعية المتعلقة بالموت وتشيع الجنائز التي تتم بحضور جميع أفراد الجماعة للقيام بها.

إن تلك الطقوس الجنائزية عند أرنولد فان جينيب هي تلك الطقوس التي تدمج الميت في عالم الموتى ويتم إعطائها الأهمية الكبرى، وكما يعلم الجميع أن طقوس الجنازة تختلف اختلافا كبيرا بين مختلف الشعوب وأن هناك اختلافات أخرى تعتمد على الجنس والعمر والوضع الاجتماعي للمتوفى ومع ذلك يمكن تمييز بعض السمات المهيمنة والمشتركة، وتزداد طقوس الجنازة تعقيدا عندما يوجد لدى

---

[1] Andrew B. Kipnis: **The Evolution of Funerary Ritual in Urbanizing China, within a book Death Across Cultures ‘’ Death and Dying in Non-Western Cultures ‘’**, Helaine Selin, Robert M. Rakoff, Springer Cham, Switzerland, 2019, p 1.

شخص واحد العديد من المفاهيم المتناقضة أو المختلفة عن العالم الآخر والتي قد تختلط مع بعضها البعض بحيث ينعكس ارتباكهم في الطقوس[1]، ويقصد جينيب هنا المعتقدات المختلفة التي يؤمن بها الشخص والتي قد تسبب في صعوبة أو تعذر معرفة الطقوس التي يجب تأديتها خاصة في المجتمعات التي تتميز بكثرة الطوائف، لارتباط ظاهرة الموت بالدين في الدرجة الأولى وهذا الأخير يعتبر العامل الأول الذي يتحكم في نوع الطقوس التي تطبق، وباعتبار أن أغلبية المجتمع الجزائري يعتنق الديانة الإسلامية فجميع طقوسه تؤدى وفق ما نصته تعاليم الشريعة الإسلامية.

لقد سعى العلماء إلى تسيير حدث الموت فاهتموا بطريقة تجهيز الميت حتى يفارق عالم الأحياء على نحو مقبول اجتماعيا ودينيا، كما أنهم هذبوا سلوك المؤمن تجاه الميت ونظموا كل ما يصدر عن القوم من أقوال وأفعال لحظة مواجهتهم لهذا الحدث، فمهما بدا الأمر أليما فإنه يجب الا يفضي إلى التهاون بالحدود الجندرية[2]، فالطقوس الجنائزية الخاصة بالمرأة تختلف بعض الشيء عن تلك الخاصة بالرجال فضلا على فصل الفضاءين الأنثوي والذكوري أثناء ممارستها، كما تعد هذه الطقوس جماعية كون أن من يقوم بها هي الجماعة التي تنتمي إليها المرأة من أجل أن يتم ادماجها في عالم الموتى بطريقة طقسية صحيحة وهذا ما سنتعرف عليه في العناصر القادمة.

1-معتقد الموت في المجتمع الجزائري:

لا شك أن المجتمع الجزائري يعتبر موضوع الموت طرفا في معادلة الوجود فعنده تتوقف دورة الحياة، ويرى أحمد زغب أن: ***" للموت في كل الثقافات طقوسا يرجى منها دفع ما يعتقد أنه أضرار عن الميت وأهله وجلب بعض المنافع، ومن أهم هذه الطقوس موارة الجثة "*** ولهذا فإن الموت يعد نسقا

---

[1] Arnold van gennep: previous reference, p 146.

[2] أمال قرامي: مرجع سابق، ص 522.

جنائزيا تتعامل معه ثقافة هذا المجتمع وفق التصور الماورائي، فتداعيات هذا النسق تتضح أولا في أفضلية مكان الدفن، و يرى مرسيا إلياد أن: " ***الموت له طقوس أكثر تعقيدا لأنه لا يتعلق بظاهرة طبيعية كترك الحياة أو ترك الروح للجسد و إنما بتغيير أنطولوجي واجتماعي معا والمفترض أن موت الشخص غير معترف به حتى تنتهي الحفلات الجنائزية "***.[1]

يكتسي حدث الموت في المجتمع الجزائري نوعا من القداسة وذلك لارتباطه الوثيق بعالم الروحانيات والماورائيات، ولذلك نشأت العديد من الروايات والأساطير المفسرة له ولما يحدث للروح بعد مفارقتها الجسد وهو الأمر الذي أضفى عليها الصبغة الاجتماعية، فالموت هنا قد اكست بالثقافة المنتشرة في كل المجتمع ولذلك نجد أن الطقوس والممارسات المرتبطة به لها صلة وثيقة بالتصورات الاجتماعية الشائعة لدى الجماعة.

والموت ليس بأمر عابر أو اعتباطي لأن المجتمع التقليدي يتعامل مع هذه الظاهرة من منطلق الثقافة الشائعة، التي تهتم كثير ، بالطقوس المرتبطة به وتعاني رهابا شديدا من عدم القيام بتأديتها بشكل سليم، ولذلك نجد أفراد الجماعة يهتمون بجميع تفاصيل موتاهم بداية من لحظة الاحتضار وطقوس التغسيل والتكفين وإلى ما بعد الدفن، فكل طقس منها يعكس بعدا اجتماعيا محددا كما أن ظاهرة الموت هي ظاهرة اجتماعية تعزز مظاهر التضامن والتفاعل الاجتماعي، فنجد الجماعة تهتم إلى حد كبير بالمكان الذي يدفن الميت فيه بمعنى في أي مقبرة يدفن وبجانب من يدفن.

لقد تبين من خلال الدراسة الميدانية مدى أهمية مكان دفن الميت والدلالات الرمزية التي يحملها اختيار ذلك المكان، فقد كشفت أغلب المقابلات التي أجريت مع المبحوثات أن السبب في ذلك يعود

---

[1] السعيد قبنة، الشامخة خديجة: **الموت نسقا جنائزيا في يوميات المجتمع التقليدي رواية المقبرة البيضاء لـ (أحمد زغب) نموذجا**، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 03، العدد 03، 2019، ص ص 110-118.

إلى النزعة القبلية، وقد استعملت العديد من العبارات التي تؤكد ذلك وهي: ***" ادفنوني في بلادي "*** أو ***" ادفنوني وين زدت "*** أو ***" أنا حابة نتدفن بين أهلي وحبابي "*** أو ***" حابة يدفنوني بجذا راجلي "***، وكل هذه العبارات توحي إلى الرغبة الملحة للأشخاص بالتمسك في أصولهم القبيلة حتى بعد الموت، ودلالة هذه الممارسة هي التعبير عن الانتماء ومدى قوة الرابطة التي تجمع الشخص بجماعته وموطنه، وكذلك للاعتقاد أن الجسد يسكن ويهنأ في قبره إن دفن بين أهله وهذا الأمر يحول بينه وبين الشعور بالوحشة، ويكون ذلك عبر زيارة الأهل والأقارب لقبره للترحم عليه والدعاء له بعد وفاته، فتصور الدفن في مكان آخر يعني بالضرورة عدم وجود زيارات من هذا النوع.

التأويل الأنثروبولوجي:

بصرف النظر عن التغيرات الثقافية التي تحصل في المجتمع فإن معتقد الموت في المجتمع الجزائري يظل من أكثر المعتقدات المعقدة فيه، لسيطرة الأسطورة والروحانيات عليه فما تزال هذه الظاهر محاطة بكم هائل من الاعتقادات والتصورات التي لا حصر لها، والتي تتحكم بشكل كبير في الطقوس المرتبطة به وتحدد مسارها، غير أن هناك فئة اجتماعية تخالف توجه الجماعة في ذلك وتقتصر على ما تنص به الشريعة الإسلامية في أحكام الموت، ولذلك نجد هؤلاء الأشخاص يحاولون وبشدة اسقاط المعتقدات الشعبية وتحرير ظاهرة الموت منها، لاعتقاد الكثير منهم أنها معتقدات كفر وشرك بالله ومن الضروري جدا الكف عن العمل بها.

2-طقوس الاستعداد للموت ولحظة الموت:

تعد طقوس الاستعداد للموت من العادات الشائعة جدا في المجتمع والتي لا تملك موعد محددا لإجرائها، غير أنها في العادة تمارس من طرف الكبار في السن أو المصابين بالأمراض المزمنة لاعتقاد هؤلاء الأشخاص أنهم أقرب إلى الموت عن غيرهم، فنجدهم يكثرون من طقوس العبادة خاصة للتقرب

من الله، لاعتبار أن الموت مرتبط بعالم الروحانيات والدين إضافة إلى ممارسة بعض الطقوس الأخرى، ومن بين هذه العادات والطقوس التي تقام للتحضر للموت نذكر ما يلي:

2-1- العبادات:

تنص الشريعة الإسلامية أن الانسان خلق ليعبد الله عن طريق مجموعة من الأعمال التي فرضها الله على عباده كالصلاة والزكاة والصوم والحج ومكارم الأخلاق واجتناب فعل المعاصي، وعليه فإن معظم النساء اللواتي تستشعر قرب الموت نجدها تكثر من العبادات للتقرب من الله لزيادة حسناتها، وقد اتفقت عينة الدراسة في مجتمع البحث على هذا الأمر فقلن: ***" الدين مافيهش نقاش واش قال ربي نطبقوا والواحد يخدم على آخرتو شوية على الأقل يلقى باش يقابل مولاه "***، بمعنى أن تعاليم الدين الإسلامي قطعية ولا جدال فيها وأن هذه الأعمال تعود عليهن بالنفع في يوم الحساب، كما شاع استعمال عبارة ***" الواحد واش بقالوا في الدنيا هاذي "*** أو ***" رجل في الدنيا ورجل في النعاش "***من قبل النساء الكبيرات في السن خاصة للدلالة على دنو موعد الموت منهم.

2-2- تقسيم الأملاك:

تقتصر عادة تقسيم الأملاك على النساء الميسورات الحال اللواتي لديهن أملاك بأسمائهن أو مدخول مادي أو مجوهرات سواء من الفضة أو الذهب، وفي المجتمع الجزائري سابقا لم تكن المرأة تملك الكثير غير بعض المجوهرات والحلي التي تتزين بها وذلك لعدم تمكنها من الحصول على عمل، فجل ما كانت تقوم به هو الاعتناء ببيتها وزوجها وأولادها، ولذلك فكل ما كانت تملكه يكون ممنوحا لها من قبل زوجها أو والديها أو ما ورثته عنهما غير أنها لا تملك حق التصرف فيه إلا بعد أخذ الموافقة من زوجها أو تتنازل له عن حقها له طواعية.

ويكون تقسيم الأملاك عن طريق توزيعها على أولادها في حياتها أو كتابة وصية لتوزع بعد مماتها، ويتحكم في عملية تقسيم الأملاك عدة عوامل كوفرة الأملاك ومدى تأثير العقلية المجتمعية في المرأة، بمعنى أنها كلما كانت الأملاك أكثر كلما عممت على جميع أولادها وكلما قلت قد تقتصر على بعض منهم كتقسيمها على الذكور فقط أو تقسيمها بطريقة متفاوتة بين الذكور والاناث، إلا أنه في العادة ما يكون الميراث محكوما بنصوص شرعية للذكر مثل حظ الأنثيين، وكذلك السبب في حرمان المرأة من الأملاك هو الزواج خارج الجماعة والخوف من انتقال الملكية من عندها لتذهب إلى زوجها خاصة إذا تعلق الأمر بالأراضي فيقال " ***شينا ميروحش للناس*** ".

2-3- الإحاطة بالمحتضر:

هذه العادة تمارس من قبل أهل المحتضر وأقاربه ومعارفه وحتى جيرانهم وتكون في حالات المرض أو ظهور علامات الموت فيجتمع هؤلاء عليها لرؤيتها والتحدث معها لآخر مرة قبل وفاتها، وعادة ما تكون هذه التجمعات للذكر والعبادة ولمسامحة الحضور بعضهم البعض، وكذلك سماع ما قد تقوله المرأة من وصايا لهم خاصة أولادها، ويغلب على هذا الحدث الكثير من الألم وصعوبة الموقف والبكاء في أغلب الأحيان وتمني تأخر موتها لأطول وقت، وينجم عن هذه التجمعات نقل حدث الموت من البعد الفردي إلى البعد الاجتماعي واتخاذ الجماعة موقفا دينيا قدسيا.

يتم جمع عائلة المحتضر بإرسال أشخاص لهم أو الاتصال بهم هاتفيا وقول عبارة " ***أرواح (جداتك/أمك/أختك/مرتك/بنتك/عمتك/خالتك) راح تسلم*** " كل حسب صلة القرابة ومعنى كلمة راح تسلم أنها ستموت لا محالة، لذلك يسارع هؤلاء للقدوم لها قبل أن يحدث لها شيء ويقال " ***الحمد لله لي لحقت عليها*** " وذلك لاستغلال بقية الوقت لرؤيتها.

وقد اعتبر البعض أن المرأة سواء كانت أما أو زوجة هي أقرب شخص قادر على العناية بالمحتضر، ويعود السبب في ذلك إلى عاملين الأول نفسي والثاني اجتماعي فملازمة المرأة له هي من قبيل الأفعال الرمزية المعبرة عن توق المرء إلى أن يحظى بميتة يتم فيها احتضانه بحنان والعود به إلى الرحم الأمومي، أما العامل الاجتماعي فيتمثل في تكليف الزوجة بالإشراف على خدمة المحتضر وهو أمر من الأمور التي تندرج ضمن الواجبات الزوجية التي تقوم بها المرأة في مجتمع البحث.[1]

2-4- التشهد:

إن التشهد هو أولى الكلمات التي ينطقها الانسان للدخول في الإسلام كما أنها تستخدم في مواقف منها التشهد أثناء الشعور بدنو الموت، فيحرص الحضور على تلقين المحتضر بالشهادة وتكرارها أكثر من مرة إذا استطاع، فالنطق بها قبل الموت يعتبر دلالة على رضا الله سبحانه وتعالى عن عبده ولذلك يسعد الجميع عند قدرة المحتضر نطقها، فيشاع أن من لم يستطع قول الشهادة أثناء خروج الروح من الجسد فتلك علامة من علامات سوء الخاتمة، وإلى جانب النطق بالشهادة يرفع إصبع السبابة في اليد اليمنى مع توجيه المحتضر إلى القبلة اعتقادا من الجماعة أن هذه الطقوس تساعده على خروج الروح بسرعة دون التعذب، وتوجه الروح إلى خالقها مجسدين بذلك طقوس الانفصال وانتقال الروح واندماجها في عالم الموتى والآخرة.

التأويل الأنثروبولوجي:

تعد طقوس التحضر للموت في الوقت الحالي ثابتة نوعا ولم تتغير حتى بمرور الزمن، وذلك لارتباطها الوثيق بالدين كما سبقت الإشارة فلم يؤثر فيها عمليات التطور والتغير كثيرا خاصة فيما يتعلق بجانب العبادات، فما تزال النسوة تتحضر لها بنفس الطريقة بالاعتماد على مختلف العبادات من صلاة

[1] أمال قرامي: مرجع سابق، ص 523.

وزكاة وصوم وغيرها، وأما التغير الذي طرأ فقد حصل في الجوانب الدنيوية كتقسيم الأملاك والاحاطة بالمحتضر، ففي الأولى فقد خضعت لتعاليم الشريعة الإسلامية مع تنامي الفهم الصحيح لتفاسيرها والابتعاد عن المعتقدات الاجتماعية المتعلقة بتقسيم الأملاك، فلإسلام لا يشرع ظلم أحد الأبناء أو اقصاءهم من الميراث كما كان يحدث مع الفتيات، فأصبحت عملية تقسيم الأملاك منصفة لكلا الجنسين وتتم في أغلب الأحيان بالتراضي فيها بينهم، كما أن المرأة هنا لها كامل الصلاحية في التحكم في ممتلكاتها بمختلف أنواعها، وأما فيما يخص التجمع حول المحتضر فقد أصبحت مقتصرة على المقربين منه فقط كالأولاد والأخوة وبعض المعارف.

3-طقوس التعبير عن الألم وردة الفعل:

تختلف ردة الفعل عند تلقي خبر الوفاة والتعبير عن الألم من شخص إلى آخر كل حسب درجة قرب الشخص من المتوفى وطبيعة علاقتهما وكذلك مدى التعلق به، فقد تكون ردات طبيعية وقد تكون هستيرية أو حتى عدم القيام بأية ردة فعل، ومن خلال العناصر التالية سنعرض مجموعة من الطقوس المعبرة عن ألم الموت التي كانت شائعة في مجتمع البحث.

3-1- ردة الفعل الأولية:

لقد اتفقت عينة الدراسة على أن أول رد فعل يصدر من الشخص حين تلقي خبر الوفاة هو الذهول من هول الخبر خاصة إذا كان موتا فجائيا، أما بالنسبة للمريض المحتضر فتكون ردة الفعل أقل حدة من موت الفجأة فيقال: " ***ربي يرحموا تهنى مسكين خير ما يقعد يتعذب هكاك*** "، وأما عن عبارات التعزية فهي كثيرة وأغلبها مقتبسة من القرآن الكريم كقول: " ***لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله محمد رسول الله، لله ما أعطى ولله ما أخذ، رحمة الله عليه، ربي يثبتوا عند السؤال*** "، وعبارة الصبر التي يذكرونها لمواساة أهل الميت ك: " ***صبرا جميلا والله المستعان، ربي يصبركم على فراقوا، هذي***

سنة الحياة "، وبعض العبارات الشعبية كقول: ***" البراكة في راسكم "*** وغيرها من الأقوال التي يستعملونها في مثل هذه المواقف.

3-2- البكاء:

يعتبر البكاء من ردات الفعل الطبيعية التي يقوم بها الانسان للتعبير عن مجموعة من العواطف كالفرح والحزن والألم، ويعد البكاء وسيلة فعالة للتخفيف عن هذه الآلام والأحزان التي تتشكل نتيجة لموت أحد الأشخاص المقربين، وقد تساعدهم في الكثير من الأحيان على تجاوز الصدمات والتغلب عليها بطريقة سليمة مما تمكن الجسد والروح على التشافي وعدم تكون الضغوطات والأمراض النفسية بسبب كبحها ومقاومتها، وعليه فإن البكاء هو أكثر ردات الفعل شيوعا وانتشارا وأول شيء يحدث للشخص بعد تلقي خبر الوفاة، وتجتمع مجموعة من النساء في بيت العزاء ليتبادلن الهموم والحزن والبكاء على الفقيدة وذكر مدى اشتياقهم لها والدعاء لها بدخول الجنة مع ذكر الأعمال الحسنة التي كانت تقوم بها الفقيدة والترحم عليها لتتمكن من دخول الجنة.

وقد ورد حسب بعض المبحوثات أن هناك بعض النساء تطلب من أولادها وأحفادها والمقربين منها أن يبكوا عليها بعد موتها، وقد شاعت هذه العادة لدى النساء المسنات فكن يخفن من فكرة أن لا أحد سيبكيهن ودلالة ذلك أنهن لم يكن محبوبات في عائلتهن وأنهم سعدوا لفراقها، وكذلك يدل البكاء على حسن العمل وفعل الخير كثيرا في الحياة ومن بين المحفزات على أداء الخير هو مقولة متداولة بكثرة في مجتمع الدراسة وهي: ***" دير الخير على الأقل تلقى شكون يبكي عليك في جنازتك "***، ولذلك فالبكاء يتجاوز فكرة أنه ظاهرة بيولوجية بل هي أكثر من ذلك لتأخذ بعدها الاجتماعي في مثل هذه الوقائع المحزنة.

وغالبا ما ارتبطت طقوس النياحة والبكاء في ثقافات عديدة بالنساء وقد فسر المجتمع الذكوري انخراط النسوان في النوح بأنه مرتبط بصفاتهنّ الأنثوية، نحو الجزع ورقة القلب والعجز عن ضبط النفس وقلة الصبر، الأمر الذي ثبت في الأذهان المقابلة بين قوة الرجل وضعف المرأة، فتسليم النفس إلى الحزن والجزع في النوازل والحوادث من فعل النساء والصبيان، وإن التجلد والتصبر عليها من شيم الرجال[1]، ولذلك كان ينهى الرجال عن البكاء دائما وتشبيههم بالنساء والأطفال كقول: " ***ماتبكيش كيما لمرية*** " أو " ***داير كي لمرا*** " أو " ***تقولك طفل صغير*** " ما جعل المجتمع يصيغ تصورا خاصا بشأن البكاء أنه حكر على النساء والأطفال الصغار.

3-3- تلاوة القرآن:

يرافق البكاء تلاوة القرآن على روح الفقيدة في المجموعة المكونة في المنزل لتعزية أهل البيت، فنجد النساء قد كون مجموعات وكل واحدة منهم تقوم بفعل شيء مختلف عن الأخرى، فتختص جماعة في البكاء وذكر محاسن الميت وأخرى في سماع القرآن عبر مسجل وأخرى بتلاوة القرآن بأنفسهم، وقد نجد أخريات جالسات للتأمل في الحادث فقط والتدبر في شؤون الله.

وتكون تلاوة القرآن هنا كطقس ديني لإضفاء القدسية على المنزل والأجواء وكذلك تطهيره من كل الشرور، فضلا على قيامهم بذلك بنية الصدقة على روح الفقيدة أي قراءة القرآن ليصلها الثواب ولزيادة حسناتها، ويسود الاعتقاد أن هذه الممارسة أو هذا الطقس يساعد على تهدئة النفوس وجعلها تتحلى بالصبر لمساعدتهم على تجاوز المصيبة التي ألمت بهم وذلك لارتباط هذا الاعتقاد بالآية التي تقول: " ***الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ*** "[2].

---

[1] أمال قرامي: مرجع سابق، ص 526.

[2] القرآن الكريم: سورة الرعد، الآية 28.

3-4- الصبر:

يعد الصبر من أهم وأعظم الطقوس تبجيلا من قبل المجتمع وذلك لقدرة الشخص على تحمل خبر الوفاة والوقوف صامدا في العزاء، وعادة ما يكون هذا الشخص هو الأخت الكبرى أو أحد الأقارب كالخالة والعمة والتي تعد بمثابة" ***كبيرة العايلة*** " كما يطلق عليها في مجتمع البحث، إذ يعد الصبر هنا بمثابة الواجب والمهمة السامية التي يجب عليها تأديتها لأنها تعتبر المسؤولة عن العائلة وعن تسيير العزاء كما يجب فيقال عنها" ***يتّاكلوا عليها*** " بمعنى يعتمدون عليها.

وتكمن الدلالة الرمزية للصبر في ارسال إشارات لبقية العائلة لاكتساب القوة والثبات منها، ولإعلامهم أن لهم سندا يعتمدون عليه في أصعب أوقاتهم، فيقال على سبيل المثال في حالة وفاة الأم: " ***فلانة والله غير صابرة مسكينة هذا كل باه متبينش لخوتها وميفشلوش هوما ثاني*** "، وفي هذه الحالة تعتبر الأخت هي مصدر الأمان لهم في هذا العالم بعد الأم.

3-5- الندب والصراخ:

يعتبر الندب في مجتمع الدراسة من العادات الشائعة جدا فيه خاصة في حالات الوفاة والذي يعكس عدم قدرة الشخص على تحمل الخبر وأنها بمثابة الفاجعة، ويكون الندب عبارة عن الصراخ الهستيري مع البكاء الشديد وقول بعض الكلام والعبارات بطريقة مستمرة دون توقف مثل:" ***يا ماما علاه رحتي وخليتيني وحدي يا ماما وينك يا ماما أرجعيلي*** " أو قول: " ***يا رب علاه راك ديرلي هكا علاه راك تعذب فيا واش درت*** "، ويرافقها ضرب بعض أجزاء الجسد كضرب الفخذين أو الذراعين ولطم الصدر والوجه مع نتف شعر الرأس إلى أن ينتهي الأمر بإغمائها في بعض الأحيان، وكان في وقت مضى عادة استئجار نساء للبكاء والندب على الميت وكان يطلق عليهن بـ: " ***الندابات*** " إذ كانت مهنة شائعة

آن ذاك وكانت وظيفتهن هي الذهاب إلى الجنائز والندب فيها للدلالة على حجم الخسارة التي ألمت بالعائلة ومدى حزنهم.

التأويل الأنثروبولوجي:

تعد ردات الفعل للأشخاص بعد تلقى خبر الوفاة ردات طبيعية قد لا يتمكن الانسان في التحكم فيها أو توجيهها، ولذلك يعتبر حدث الموت من الوقائع التي تكشف عمق مشاعر الانسان ومدى صدقها تجاه الشخص المتوفى، وعليه فإن ردات الفعل الطبيعية هذه ومجموع المشاعر اللاإرادية الصادرة من الأشخاص هي التي تتحكم إلى حد بعيد في طقوس التعبير عن الألم، ولذلك فهي ثابتة هي الأخرى وأن التغيير الذي لامسها قد تمثل في الغاء بعض التصرفات اللاعقلانية والمبالغ فيها وخاصة الندب والنياحة والصراخ.

لقد اعتبر طقس الندب من الطقوس المندثرة في الوقت الحالي فلم تعد هناك مهنة الندابات وذلك للرفض الاجتماعي الذي تلقته بسبب تنامي الوعي، وكذلك الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية التي ترفض هذا النوع من التصرفات وتصفها بالتطير والتشاؤم من قدر الله، وأن الموت حق وأن الجميع ستأخذهم المنية، لذلك فقد أوصى بالالتزام بالصبر والصلاة وتحمل الشدائد في الكثير من الآيات كقوله تعالى: " ***وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ*** "[1]، وذلك من أجل نيل رضا الله وليتم تجاوز المحنة بسلام وأمن نفسي، وقد نهي عليه كذلك لأن الميت يتعذب في قبره إذا بكاه أهله بهذه الطريقة ويقال أثناء الندب لإيقاف الشخص الذي يقوم به: " ***حبسي مديريش هكا راكي غير تعذبي فيها في قبرها ادعليها بالرحمة***

[1] القرآن الكريم: سورة البقرة، الآيات 155-157.

والمغفرة فقط"، ولذلك فقد أصبح هنا اتفاق اجتماعي على ضرورة الحزن ولكن بما يتوافق مع حدود العقل والشرع لكي لا يلحق الأذى بالشخص أو الميت.

ومن العادات المستحدثة فيما يخص الموت هو انتشار المنشورات حول الموت في مواقع التواصل الاجتماعي، فكلما حدثت وفاة في عائلة ما نجد أغلب أفراد العائلة ينشرون منشورات تعلم متابعيهم أو أصدقائهم في هذه الصفحات بأن لديهم حادثة وفاة، ومن بين هذه المظاهر نجد ظاهرة تغيير صورة الملف الشخصي في الفيسبوك إلى خلفية سوداء مكتوب عليها عبارة "***حداد***" أو بضع الآيات القرآنية كقوله تعالى: "***يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي***"[1]، مرفقين إياها بعض العبارات للتعبير عن الحزن والأسى عن خسارتهم.

الصورة رقم (96): منشورات حداد في الفيسبوك

(المصدر: https://www.facebook.com/mimaa.leghrib)

4-غسل وتكفين الميت:

لقد نصت الشريعة الإسلامية على مجموعة من الطقوس لتحضير الميت قبل الدفن فلا يجوز شرعا تركه كما هو فيؤثم فاعلها، لأن الدين الإسلامي قد أعطى للميت حرمته التي يجب على الأحياء

---

[1] القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيات 30-32.

احترامها ووجب عليهم ممارستها في جو طقسي ديني، ومن الطقوس التي تسبق الدفن هي طريقة التغسيل والتكفين.

4-1- تغسيل الميت:

يعد تغسيل الميت بمثابة طقس تطهيري له قبل التحاقه بعالم الأموات، وهو من الطقوس الواجبة القيام بها قبل دفنه، ويشترط في التغسيل أن يكون الشخص من نفس الجنس فإن ماتت المرأة تغسلها أحد النساء المتخصصات في تغسيل الأموات أو أحد قريباتها، وإن تعذر وجود النساء وكانت المرأة متزوجة فيجوز لزوجها تغسيلها.

ويشترط قبل البدء في التغسيل تحضير الميت وترتيب شكله كغلق الفم والأعين وذلك لتجنب المنظر المرعب الذي قد يترتب عنه، وكذلك تعد الدلالة الرمزية في المخيال الشعبي لمجتمع الدراسة للوجه إن ترك بتلك الملامح على غضب الله وسخطه على الشخص وعدم رضاه عليه، ولذلك يسعى الأشخاص لتفادي مثل هذه العلامات التي تثير التطير والتشاؤم في قلوب الحضور، كما يسعى الأشخاص الى تعديل شكل الجسم كضم الذراعين والأرجل وجعل شكل الجسم مستقيما وموجها للقبلة ومن ثم تغطيته بقماش طويل يستر كامل الجسد.

وطريقة التغسيل حسبما أوردتها لنا أحد المختصات في تغسيل الموتى من النساء والمدعوة باسم ***" نورهان "*** لا تكون فردية بل يتم تعاون اثنتين من النساء أو ثلاثة أو أكثر، ويشترط أن يكن من ذوات الخبرة، وتتم هذه العملية عبر مراحل عدة وهي:

- **دعاء استقبال الميت:** عند استقبال الميت وقبل البدء في تغسيله يستوجب ترديد بعض الأدعية ويقال هذا الدعاء مع وهو ***" لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بقدر، رحم الله موتاكم***

وغفر لهم" وغيرها من الأدعية ويطبق نفس الشي مع جميع الحالات التي يتم جلبها لتغسيلها، ولهذه الأدعية أثر كبير للتخفيف من الألم عن المصيبة التي ألمت بأهل الميت.

- **السؤال عن المرأة:** تعتبر جزئية السؤال عن أحوال المرأة واجبة قبل التغسيل وذلك للتقصي والتحري عنها لأنه هذه الأسئلة هي التي تتحكم في طريقة التغسيل، والأسئلة تكون حول سبب الموت (موت طبيعي، موت فجأة، موت بحادث، موت بسبب مرض ونوع المرض...)، السؤال عن هوية المرأة وسنها وغيرها، فتقول: ***" كلها تختلف حسب حالة الوفاة ان كان الموت عادي ونحن نعلم ان الموت واحد لكن الاسباب تختلف هذا الذي اقصده، لما نعرف سبب الوفاة وسن المتوفاة هنا نحدد الطريقة التي تغسل بها من ناحية عصر البطن او رمي الماء أو التنشيف او احضار القطن "***[1]

- **تحضير مكان ومواد الغسل:** هناك مجموعة من الأدوات الي تستعملها المرأة في عملية التغسيل وتطهير الميت وهي: ***" بخور لتعطير المكان، مسحوق السدر، مسحوق الكافور، مسحوق المسك، قطن، ليفة استحمام، مشط عريض، صابون وشامبو، مزيل طلاء الأظافر، فوط كبيرة وصغيرة، قفازات أو قماش"***، كما تستعمل بعض الأواني كـ: ***" العديد من الدلاء، إناء صغير "*** فضلا على استعمال العديد من ***" مساحات الأرضية "*** وذلك لتفادي تسرب الماء خوفا من استعماله في اعمال السحر والشعوذة، لذلك نجد المغسلات يحرصن كل الحرص على المحافظة على كل قطرة من تلك المياه وتقول المغسلة: ***" نحن مجموعة المغسلات نحرص على الماء الناتج عن التغسيل حرصا شديدا ونشدد عليه كثيرا، نتعامل معه اكثر من انك تملكين الذهب او الماس، لان هذا الماء يستعمل في السحر والشعوذة والله المستعان وكم دمرت من بيوت***

[1] مقابلة مع المغسلة نورهان، بتاريخ 17-02-2023، 21:58، مكالمة هاتفية.

وحياة اشخاص بسبب هذا الماء وغفلة بعض المغسلات عنه، لذلك نضع دلو او إناء المهم ألا يتسرب للخارج ونحضر قطع قماش او اي شيء يمنع خروجه "[1].

أما بالنسبة لمكان الاغتسال فيكون إما في المنزل أو المستشفى ففي المستشفى تخصص غرف خاصة بالتغسيل، ويكون المكان الذي يغسل فيه الميت باستعمال حمالة مصنوعة بألواح خشبية مدرجة أو ملساء وتعد هذه الحمالة هي المعتمد في الجزائر حسبما أوردته المغسلة نورهان فتقول: ***" نحتاج هذه اللوحة لوضع الميت سواء لوحة حطب مدرجة او ملساء لأنه توجد عدت أنواع ونحن في الجزائر نعتمد هاته الأخيرة، والثابتة عندنا موجودة في المستشفيات والمتحركة من حطب نعتمدها لخفتها، فالمهم أن الحاملة الملساء فيها فتحة عند الرجلين ليسهل نزول الماء في الدلو، أما عن المدرجة فيخرج الماء مباشرة منها "***[2]، والصورة التالية توضح شكل الحاملة الخشبية المدرجة:

الصورة رقم (97): موضع غسل الميت.

المصدر: https://www.almadenahnews.com/article/39527-(%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D9%8A-, 15-08-2023, 09:43.

[1] مقابلة مع المغسلة نورهان، بتاريخ 17-02-2023، 21:58، مكالمة هاتفية.

[2] مقابلة مع المغسلة نورهان، بتاريخ 17-02-2023، 21:58، مكالمة هاتفية.

أما بالنسبة للمنزل فتستعمل نفس الحمالة غير أنها تكون حمالة متنقلة يقوم أهل الميت بجلبها إلى المنزل من أجل عملية الغسل.

- **الطهارة:** يشترط في النساء المكلفات بعملية الغسل والتكفين أن يكن على طهارة فالمرأة الجنب أو الحائض لا يجوز لها شرعا أن تغسل المرأة الميتة، وقبل الشروع في التغسيل مباشرة تعقد النية للبدء ثم التسمية تم التوضؤ وهكذا تكون جاهزة لأداء مهمتها.
- **طقس التغسيل:** تبدأ عملية التغسيل بتبخير المكان تحسبا لأي روائح كريهة قد تنبعث من الجثة، وذلك للحرص على عدم تأثر عائلة المتوفاة بتلك الرائحة حالها حال الوجه كغلق العيون والفم فالرائحة قد توحي إلى سوء الخاتمة وأنها عقاب من الله، ومن ثم تقوم المغسلة بنزع أي شيء زائد في الجسم كطقم الأسنان وإزالة طلاء الأظافر إن وجد، والهدف من ذلك هو إعادة المتوفاة إلى طبيعتها التي خلقها الله عليها، ثم تقوم أحد المغسلات بوضع الفوطة الكبيرة على جسد الحالة لتستره، ثم تسحب القماش السابق من تحت الفوطة دون كشف عورتها، وعورة المرأة المتوفاة هي سائر الجسد ماعدا الوجه والقدمين اللذان يظلان مكشوفين، ويبدأ طقس الغسل بطريقة العصر وهي عصر بطن المتوفات لإخراج الفضلات المتبقية فيه، لتجنب خروجها بعد تكفينها أو بعد حملها للدفن ما يتسبب في انبعاث الرائحة الكريهة واتساخ الكفن، بعد ذلك مرحلة الاستنجاء وهي غسل القبل والدبر وتنظيفهما جيدا، ويكون ذلك من خلال تغطية كافة اليد بخرقة سميكة لتجنب ملامسة المنطقة الحساسة باليد، ومن ثم تقوم أحد المغسلات بغسل الشعر وسائر الجسد بالماء والصابون وباستخدام الليفة لتطهير الجسد، وبعد غسل جسد المتوفاة بالماء والصابون تأتي مرحلة الغسل الشرعي والذي يكون على ثلاثة مراحل أو ربما أكثر، وتشرع المغسلة بوضوء الصلاة مثلما اعتادت عليه المتوفاة إلا المضمضة والاستنشاق، فتكون بواسطة قطن مبلل بالماء فيمسح به الفم والانف فقط وذلك لتجنب تسرب الماء إلى الجسم، ومن ثم تبدأ

بالغسلة الأولى وهي غسل الجسد بماء ممزوج بالسدر مع دلك الجسد جيدا، الثانية يكون الماء فيها ممزوجا بالكافور، ثم يغسل بماء خام خال من اية مواد، ويكون غسل المرأة المتوفاة تماما مثل الاغتسال من الحيض والجنابة فيبدأ بالوضوء وغسل الشعر ثم الجانب الأيمن فالأيسر، وبعد الانتهاء من طقس الغسل يجفف جسد المتوفاة جيدا ثم يوضع لها المسك في عدة مناطق من الجسد وفي الأغلب تكون مواضع السجود وهي: ***" الجبهة، الأنف، الكفين، الركبتين، أصابع القدم "*** وتكون البداية دائما بالميامن وهكذا يكون طقس الغسل قد اكتمل.

وبعد الانتهاء يمشط شعر المتوفاة برفق ويصفف على شكل ثلاث ظفائر واحدة من الأمام والأخريين من الوراء كما هو موضح في الصورة التالية:

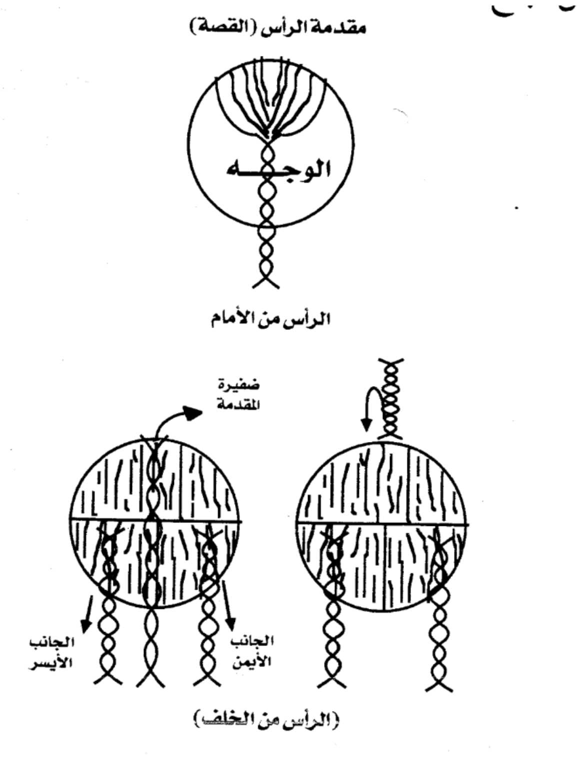

الصورة رقم (98): شكل ظفائر المرأة المتوفاة

(المصدر: أم سندس: الغسل العملي للمسلمة المتوفاة وطريقة التكفين الشرعي، ص 24)

وقد تمت الإشارة إلى أن الغسل يختلف حسب حالة الوفاة وطريقة الغسل المذكورة أعلاه تكون بالنسبة للمرأة المتوفاة بصفة طبيعية، أما بالنسبة لتلك الجثث التي تحمل جروحا لم تلتئم كالجروح

الناتجة عن العمليات أو حوادث السيارات مثلا، فتغسل بطريقة رش الماء بحذر شديد وتمسح الجروح بالقطن أو الكمادات، أما المتوفاة بسبب الحرق فيستحسن تفادي صب الماء أو رشه، وتستعمل فيه الكمادات لتنظيف وتطهير الجسد والسبب في ذلك هو الحفاظ والحرص على جلد الميتة خوفا من حدوث الانسلاخ.

4-2- طقس التكفين:

يعد طقس التكفين آخر طقس يقام للمرأة المتوفاة قبل الدفن، ويتكون كفن المرأة في مجتمع البحث حسب ما أوردته لنا أحد المبحوثات اللواتي سبق لهن الاشتراك في عملية التغسيل أكثر من مرة، من خمسة قطع هي: ***" لمحنط، قمجة، سروال، ڤندورة، ڤلمونة أو الخمار "*** وبالإضافة إلى ***" الأشرطة "*** التي تستعمل في ربط الكفن، وتكون هذه القطع الخمسة باللون الأبيض في العادة إذ لا يشترط لون محدد له ولكنه أكثر الألوان المستحبة في ذلك، ويرمز اللون الأبيض إلى الصفاء والنقاء والطهر وإلى العودة إلى الأصل فأصل الأشياء هو الطهر.

ويكون الكفن عبارة عن قطعة قماش كبيرة الحجم وتقوم النساء المغسلات بتفصيل قطعه لتتناسب مع المرأة، ويختلف حجم الكفن من امرأة إلى أخرى كل حسب حجمها وطولها أي أنه لا يمتلك طولا معينا غير أنه يكون حوالي 10 أمتار فأكثر في العادة ليكون ساترا لجميع الجسد، والعبرة من استخدام، لكثير من القماش هنا هو تفادي انكشاف عورة المرأة حتى بعد موتها لذلك تسعى المكفنات جيدا لإنجاز هذه العملية على أكمل وجه ويقسم القماش إلى:

- **لمحنط:** وهو عبارة عن أكبر قطعة في الكفن وتستخدم كآخر شيء لتغطية كامل جسم المرأة المتوفاة ويكون شكلها قطعة مستطيلة الشكل وطولهما 3 أمتار للواحدة على الأقل، فإن كان حجم المرأة عاديا أما إذا كانت كبيرة الحجم وطويلة فيزاد طوله حسب جسمها، ويخاط لمحنط

من جانب القدمين والرأس ويترك من المنتصف، ليصبح شكله شكل الكيس وذلك من أجل ضمان عدم انكشاف عورة المرأة المتوفاة.

- **لقمجة:** تكون لقمجة مشابهة لشكل القميص والذي تخيطه المكفنات مسبقا، وهو الرداء الذي يلبس للمرأة أولا مع الحرص على عدم شق فتحة الرأس كثيرا كي لا كشف صدرها.
- **السروال:** وهو ثاني القطع الذي تقوم المرأة المكفنة بتلبيسه للمتوفاة ويخاط مسبقا هو الآخر، وتقوم المكفنة هنا بتلبيسه إياها مع ادخال القمجة داخل السروال وربطها بخيط السروال لتثبيته ولضمان عدم خروج القميص من السروال عند تحريك الجثة.
- **القندورة:** وهي قطعة قماشية مستطيلة الشكل يبلغ طولها متر وربع فأكثر، وتشق من جانب الرأس وتلبس للمتوفاة فوق القميص والسروال كأفضل طريقة لسترة عورة المرأة المتوفاة.
- **القلمونة أو الخمار:** هو آخر ما تبقى من القطعة القماشية المخصصة للكفن ويستعمل في تغطية شعر ورقبة المتوفاة.
- **الشرائط:** تستخرج هي الأخرى من الكفن وتستعمل في ربط الكفن، وغالبا ما يربط الكفن في مجتمع البحث من جهة واحدة وهي جهة الأقدام فقط.

ويتم طقس التكفين بعد غسل جسد المتوفاة مباشرة فتقوم المغسلات بتحظير الكفن مسبقا وتضعه في نفس المكان الذي غسلت فيه المرأة وإما في مكان مغاير من نفس الغرفة أو المستشفى، فيبسط لمحنط في موضع الكتفين وتحمل الجثة ثم توضع فوقه موجهة للقبلة مع الحفاظ على سترها دائما، ثم تقوم المرأة المسؤولة عن التكفين بتلبيس القميص ثم السروال ثم القندورة، مع البدء باليمين دائما ومن ثم يلف عليها لمحنط، وقبل ذلك تضع المغسلات بعضا من مسحوق الكافور بين طيات الكفن ليحافظ على الرائحة الطيبة للجثة ويمنع الحشرات من الاقتراب منها، وعند الانتهاء يربط شريط واحد على القدمين

وتربط من جهة اليسار ليتمكن الرجال من فكها وسحبها بعد إدخالها القبر، كون الجثة توضع على شقها اليمين.

التأويل الأنثروبولوجي:

إن طقوس التغسيل والتكفين ثابتان منذ أن ظهر الاسلام لأن الطقوس الجنائزية مرتبطة بالفرائض الدينية كما سبقت الإشارة إليه في العناصر السابقة، غير أنه أضيفت إلى طقس التغسيل بعض الممارسات التي لا تعد ذات صلة بالخطوات الأساسية فيه، بل نتيجة للتغيرات الثقافية التي طالت أساليب التجميل والتزين لدى المرأة كالوصل بجميع أشكاله من وصل لشعر الرأس والحواجب والرموش، وحتى عمليات الزرع التي تعد هي الأخرى من الوصل وكذلك تركيب الأظافر الصناعية (أظافر الجل)، فنجد أن المغسلات اليوم أصبحن يواجهن عراقيل كثيرة بسببها لأن هذه الممارسات تصعب علهين أداء طقس غسل المتوفاة، ويرجع السبب في كون الأظافر الاصطناعية المثبتة بالجل من أصعب الأنواع إزالة وفي بعض الأحياء تعجز المغسلات عن ازالته، فتدفعهن الضرورة إلى تركها وتكتفي بقص تلك الأظافر فقط، وكذلك الأمر بالنسبة للرموش ففي بعض الأحيان تعجز المغسلات عن تفريق نوع الرموش أهي طبيعية أم صناعية، وتقول المغسلة نورهان: ***" من أصعب الحالات التي تواجهنا قبل التغسيل هي الحالات التي تستعين بالوصل للتزين، والله موقف مهيب ونتحصر عليه ونسأل الله أن يغفر لهن "***[1]، لقد عبرت المغسلة عن مدى هول الموقف الذي يواجهن وكذلك على مدى انتشاره في السنوات الأخيرة رغم تحريمه جملة وتفصيلا وكونه من الكبائر وذلك لقيامهن بتغير خلق الله، ويقول الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ***" لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة،***

[1] مقابلة مع المغسلة نورهان، بتاريخ 17-02-2023، 21:58، مكالمة هاتفية.

والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله "[1]، وقد أضافت أنهن لا يحظين بمساعدة من قبل الحلاقات لمعرفة كيفية إزالة هذه الأظافر والرموش، فضلا على انكار الأهل في بعض الأحيان أو رفضهم قول الحقيقة عن كون المتوفاة قد قامت بوصل الرموش أو لا وهذا سبب آخر يصعب من عملية أداء طقس غسل جسد المرأة المتوفاة، وهذه بعض الصور التي توضح أصعب أنواع الوصل الذي تتعامل معه المغسلات:

الصورة رقم (99): وصل الرموش الاصطناعية

(المصدر:
https://www.instagram.com/reel/CmCXhmAs46b/?utm_source=ig_web_copy_link&igshid=MzRlODBiNWFlZA==, 28-08-2023, 18:00).

الصورة رقم (100): تركيب الأظافر

(المصدر: https://www.instagram.com/_ongleriste__bisso/?hl=en 28-08-2023, 18:07).

[1] أحمد بن محمد آل رجب: الأريج في حكم النمص والوشم والوصل والتفليج، دار الفقراء، 2021، ص 12.

الصورة رقم (101): وصل الشعر

(المصدر: https://www.pinterest.com/pin/394627986113991021/ 28-08-2023, 18:17.)

ومن الأمور التي لامستها موجة التغير هي تغير طريقة سحق المواد كالكافور والسدر ومكعبات المسك فبعدما كانت المغسلات يستعملن "*المهراس*" لسحقه وطحنه كما يطلق عليه في مجتمع الدراسة، أصبحن يستعملن الآلات الكهربائية كما هو موضح في الصورة.

الصورة رقم (102): بعض المواد المستعملة في عملة الغسل (المصدر: صورة قدمتها إحدى المبحوثات)

الصورة رقم (103): تحضير المساحيق المستعملة في عملية الغسل في علب (المصدر: صورة قدمتها إحدى المبحوثات)

5-تشييع الجنازة ودفن الميت:

تأتي طقوس تشييع الجنازة والدفن كآخر طقوس انتقالية لتواجد جسد الميت في عالم الأحياء ودمجه في علم الأموات حسب ما جاء بيه أرنولد فان جينيب في كتابه طقوس العبور، ولذلك تحرص أسرة المتوفاة على القيام بهذه الطقوس والممارسات على أكمل وجه وإقامة جنازة جيدة لها، وتتمثل هذه الطقوس فيما يلي:

5-1- طقوس الوداع:

بعد الانتهاء من طقسي التغسيل والتكفين يأتي طقس آخر ألا وهو طقس الوداع، حيث تقوم فيه العائلة بوضع جثمان المرأة المتوفاة في غرفة أخرى باتجاه القبلة، مع كشف وجهها ليتمكن أفراد عائلتها من رؤيتها آخرة مرة قبل الدفن، وتكون هذه الغرفة مجهزة مسبقا إذ تقوم أحد النسوة من أفراد العائلة بتبخير المكان وتشغيل القرآن فيه، ويرتبط هذا الطقس باعتقاد أن مكان قراءة القرآن أو تشغيله يكون مليئا بالملائكة وذلك لتطهير المكان وينعكس على جسد المتوفاة، وكذلك حماية الجثمان من جميع الشرور التي يمكن أن تحصل للمرأة المتوفاة، ولذلك تعتمد هذه الطقوس كثيرا في مجتمع الدراسة حسب ما أوردته أغلب المبحوثات.

وتحرص العائلة على عدم ترك الجثة وحدها في الغرفة ويرجع ذلك لسببين اثنين هما:

- **السبب الأول:** يكون الاعتقاد في أنه لا يجب ترك الميت وحده في الغرفة لأنه مكروه ولا يحبذ القيام به، بل يجب أن يبيت معه أحد أفراد العائلة أو أكثر، كون الميت يشعر بالوحشة لأنه كما يقال إن الميت يشعر بما حوله حتى بعد مفارقة الروح الجسد ويستشعر وجود ذويه معه وحزنهم عليه، كما يستشعر الألم الذي يحل بهم ويتألم حين الإفراط في التصرفات كالصراخ والندب كما سبقت الإشارة.

- **السبب الثاني:** يعود إلى خوف الجماعة من أن يصيب الجثة أي مكروه كوجود الشياطين حولها لذلك تبقي الأسرة مسجل القرآن مشغلا، فضلا على حراسته من الأشخاص الذين يدخلون مخافة وضع سحر في الجثة أو أخذ شيء منها أو من أدواتها، لأن سحر الميت يعتبر من أخطر أنواع السحر وذلك لاحتمالية عدم انتباه الأسرة بسحر موجود في الجثمان لمنع تحريك الجسد أو العبث فيه، فقد يوضع السحر في فم الجثة ويخاط الفم بعدها بخيط رقيق كي لا ينتبه أحد، وكذلك قد يؤخذ شيء من شعر الرأس لاستعماله في أعمال الشعوذة هو الآخر ولذلك يستغل السحرة الجنائز لمحاولة أخذ أي شيء منها، وهذا ما استدعى الحرص الشديد والتنبيه على عدم ترك الجثة وحدها دون حراسة.

ويسمح للأشخاص القادمين للتعزية الدخول ورؤية المتوفاة لآخر مرة والبقاء معها لفترة معتبرة من الوقت والدعاء لها بدخول الجنة كطقس من طقوس الوداع، وتقول أحد المبحوثات: " ***أنا مرة وحدة في حياتي حضرت لجنازة نخاف منهم ملي كنت صغيرة، والجنازة الوحيدة لي حضرتها تاع جداتي وشفتها كي كانوا حاطينها في الشمبرة، كانت تبان بيضة بيضة بزاف كأنوا النور خارج من وجهها كانت ما اشاء الله تهبل ولا كأنها ميتة، وقعدنا ثم قرينا عليها القرآن وترحمنا عليها قبل مايدفنوها*** "[1]، وقد أكدت الكلام الذي قالته المبحوثة بعض أفراد عائلتها الذين كانوا معها في الغرفة، ومن خلال الدراسة الميدانية وجدنا اجماعا بين عينة الدراسة حول مواصفات الميت كقول: " ***وجهها منور، وجهها أبيض، زينة ما شاء الله، تقول راهي تضحك*** "، وكل هذه العبارات استخدمت للدلالة على حسن الخاتمة فالنور والبياض والضحك هي صفات أهل الجنة التي وردت في القرآن الكريم كقوله تعالى: " ***وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ***

[1] مقابلة مع: " ن ب " بتاريخ 16-07-2023، 10:15-10:55.

ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ " [1] والتي تعني النضارة والحسن والسرور، لذلك يحب مجتمع الدراسة تشبيه موتاهم بأهل الجنة ليكونوا جزء منها، ولذلك يشاع في الجنائز قول ***" تشوفيه في الجنة أو تتلاقاو في الجنة وعلاه تبكي راه راح للجنة "*** كنوع من أنواع المواساة لأهل الفقيد.

5-2- طقوس تشييع الجنازة:

عند حلول موعد الدفن يدخل بعض الرجال لحمل الجثمان والذهاب بها إلى المقبرة لدفنها، ويتم تشييع الجنازة بطريقتين يتحكم فيها قرب أو بعد المقبرة، فإن كانت المقبرة قريبة من منزل الفقيدة فيمشي الرجال وهم حاملين للتابوت إن وجد أو يحمل الجثمان على الحاملة الخشبية التي تم الإشارة إليها سابقا، ويمشي هؤلاء الرجال بخطى ثابتة غير مسرعين في جو يسوده الهدوء والتدبر لحكمة الله في خلقة والدعاء للفقيدة بالرحمة والمغفرة.

يعد رؤية تشييع الجنازة في الطريق من بين أكثر الطقوس المفزعة التي يراها الأشخاص وذلك حسب ما أوردته بعض المبحوثات، ويعود السبب في ذلك إلى تذكر الانسان أن له موعدا مع الله حسب ما جاء في حديثهن من خلال وصفهن للموقف وتقول احداهن: ***" أنا نهار نشوف لجنازة في الطريق نخاف نقول الدنيا هاذي فانيا وحنا مزال نلعبوا حتان نهار تحكمنا الموت "*** [2]، ولذلك فإن الموت بصفة عامة وطقس تشييع الجنازة يعد من الطقوس التي تذكر المجتمع بوجوب أداء الخير والعبادات والفرائض كطقوس تحضيرية للموت من أجل الفوز بالثواب ودخول الجنة.

أما بالنسبة للطريقة الثانية فهي اعتماد السيارات في الذهاب إلى المقبرة في حالة بعدها عن مكان إقامة الجنازة، إذ ينطلق موكب من السيارات تتقدمه سيارة تحمل جثمان المرأة المتوفاة ويسيرون

---

[1] القرآن الكريم: سورة عبس، الآية 38-39.

[2] مقابلة مع " ح ل "، بتاريخ 05-04-2023، 16:00-16:45، في منزل المبحوثة.

ببطء شديد، وذلك للحرص على ألا تتأذى الجثة جراء الإسراع في الطريق بسبب المطبات أو الحوادث التي قد تحدث، فالشريعة الإسلامية قد حرمت التنكيل بالأموات وبجثثهم ولذلك نجدهم يحرصون على الحفاظ عليها إلى أن يتم دفنها.

ومن العادات المنتشرة في مجتمع البحث والتي تقام أثناء رؤية موكب الجنازة سواء كانت رجلا أو امرأة أو حتى طفلا صغيرا أو شيخا كبيرا، هي وقوف الأشخاص في الشارع، فمواكب الجنائز معروف من خلال سيرهم البطيء، ولذلك عندما يمر الموكب أمام المارة أو السيارات يتوقفون عن السير أو يترجلون من سياراتهم ويقفون وقفة احترام للميت، ويتم أثناء ذلك قراءة الفاتحة على روح الفقيدة والترحم عليها، وبعد مرور الموكب يعود الأشخاص لأداء مهماتهم بشكل عادي، وتمارس هذه العادة بكثرة في مجتمع الدراسة وقد تمت ملاحظة الأمر في العديد من المواقف خلال الدراسة الميدانية، فالترحم على الميت وطلب المغفرة يساهم في التخفيف من ذنوبه ويجنبه عذاب القبر كما هو سائد في المعتقدات في المجتمع محل الدراسة.

لكن بالعودة إلى فضاء المقبرة التي ينتهي عندها طقس دفن الجثمان، تلاحظ بعض التصرفات الناتجة عن طبيعة علاقة الفاعلين الاجتماعيين بالمقبرة، وكانت دائما تحكمها نزعة انفعالية تكون مزيجا من الرهبة والخوف والقداسة التي تسيطر على المكان، وقد جرت العادة في أغلب المجتمعات التأسيس لهذه المقابر خارج المدينة للحفاظ على حرمة الموتى وتقديرهم، وتجنب القيام بمختلف الممارسات التي قد تشكل إهانة لأرواحهم، ماعدا تلك المقابر التي زحف إليها العمران البشري فذلك شيء آخر، وعليه

فإن هذه الممارسة توضح الخطاب المستتر الذي يقول بوجود فصل بين فضاء الأحياء وفضاء الأموات في المجتمع الجزائري.[1]

5-3- الصلاة على الميت:

بعد الوصول إلى المقبرة يضع الرجال النعش على الأرض باتجاه القبلة ومن ثم يبدأ الجميع للتحضر للصلاة عليها، وتكون الصلاة على الميت دون آذان ودون ركوع أو سجود بل تتم وهم واقفون، والأمر الذي تجدر الإشارة إليه هو كون الصلاة تقام بدون أذان والتي يربطها مجتمع البحث بأول يوم لميلاد الشخص سواء امرأة كانت أو رجل، فمن عادات الميلاد الآذان في أذن المولود الصغير كما سبق الذكر في فصل عادات الميلاد، وهذه الأخيرة تعتبر عادة لبداية حياة الطفل ودمجه في الجماعة وعالم الأحياء، وتليها الصلاة دون آذان في الجنازة لتدل على نهاية الحياة والاندماج في عالم الأموات، وعليه فإن الوقت الفاصل بين الآذان وأداء الصلاة في المجتمع الإسلامي يدل على عمر الانسان ومدى قصره لاعتبار أن الوقت الفاصل بينهما قصير جدا، ما يجعل الانسان في حالة تدبر دائمة لعظمة خلق الله وحكمته في كل شيء، وهذا ما تمت ملاحظته من خلال الميدان ففي كل مرة تذكر فيها الجنازة أو الموت يضرب بالآذان في الميلاد دون صلاة والصلاة بدون آذان في الوفاة المثل على مدى استهتار الناس وغفلتهم عن أداء عباداتهم، فتقول بعض المبحوثات: ***" شفتي بنادم كي يزيد يأذنولو في وذنو وكي يموت يصليو عليه وحنا مش لاتيين ".***

ومن معاني انعدام الركوع والسجود في صلاة الجنازة مرده الخوف من التباس عبادة الله في هذه الصلاة بعبادة الميت، ويقول القسطلاني: ***" ليس فيها ركوع ولا سجود لئلا يتوهم بعض الجهلة أنها***

[1] لحسن رضوان: **مضامين الكتابة الشاهدية بمقبرة امدوحة: وصف وتصنيف، الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران وامدوحة بتيزي وزو**، محمد حيرش بغداد، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2014، ص ص 97-125.

للميت فيضل"[1]، ومعنى ذلك هو اجتناب اعتقاد الأشخاص أن المصلين أثناء الصلاة يعبدون الميت وأن الغرض منها هو التقرب منه أو التبرك به، خاصة ان كان من حفظة القرآن وشهادة الجماعة له بالصلاح، فيتفادون ذلك لكي لا يثار الاعتقاد أنه ولي صالح ولكي لا يتخذ على قبره زاوية خاصة لممارسة بعض الطقوس التي تعتبر شركا بالله في الشريعة الإسلامية.

وتضيف رجاء بن سلامة وظيفة أخرى إلى صلاة الجنازة، هي أن القصد من الصلاة على الموتى ضمهم إلى المجموعة الإسلامية أو التذكير بأنهم منها فتكون إذا للصلاة وظيفة إدماجيه، كما تأتي صلاة الجنازة لتعيد للمجموعة توازنها الذي فقدته بفقدان أحد أفرادها، فهي من الطقوس التي تعيد الانتظام إلى الحياة بعد حصول الاختلال.[2]

تتم صلاة الجنازة باصطفاف جميع الحضور كما في الصلاة العادية فيكون الامام واقفا في الأمام ومقابلا جثمان المتوفاة، وتختلف طريقة وقوف الامام عند المتوفى إن كانت امرأة يقف عند كتفها في حالة الرجل فيقف في المنتصف مثلما هو موضح في الصورة:

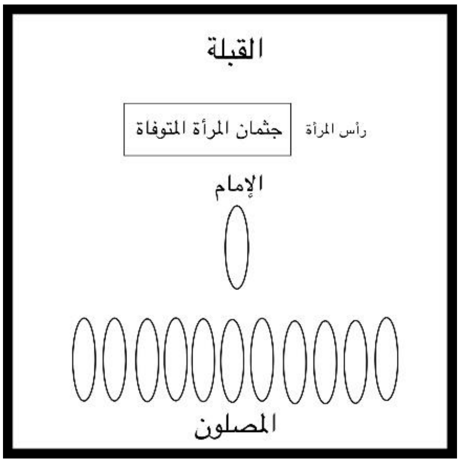

الشكل رقم (06): وضعية الصلاة في جنازة المرأة (المصدر إعداد الطالبة)

[1] لحسن رضوان، __مضامين الكتابة الشاهدية بمقبرة امدوحة: وصف وتصنيف، الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران وامدوحة بتيزي وزو__، مرجع سابق، ص ص 97-125.

[2] نفس المرجع، ص ص 97-125.

وتقام صلاة الجنازة سرا وبأربع تكبيرات وكل تكبيرة منها يقال شيء مختلف وهي:

- **التكبيرة الأولى:** تكبر برفع الأيدي مع عدم لزوم رفعها في باقي التكبيرات، وقول صلاة الجنازة فرض كفاية، ومن ثم قراءة سورة الفاتحة.
- **التكبيرة الثانية:** يقرأ فيها الشطر الثاني من التشهد وهي الصلاة الابراهيمية وهي: ***" اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد "*** .
- **التكبيرة الثالثة:** يكون فيه ما تيسر من الدعاء للميت ويشترط فيه الدعاء من القلب أي أن يقصد قائله الترحم عليه وأن يكثر من الأدعية، ومن بينها نجد: ***" اللهم إنها أمتك بنت عبدك بنت أمتك، كانت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "*** و ***" اللهم اغفر لها وارحمها واعفوا عنها يا أرحم الراحمين " " اللهم اغسلها من الخطأ ونقها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلها دارا خيرا من دارها وأهلا خيرا من أهلها..."***، وغيرها من الأدعية التي يمكن للحضور الدعاء بها، ومن لا يعرف الدعاء يقول: ***" اللهم ارحمها اللهم اغفر لها "*** ويكررها عدة مرات
- **التكبيرة الرابعة:** الدعاء لنفسه ولجميع المسلمين.

وبعد الانتهاء يقوم الجميع بالتسليم ويكون التسليم في صلاة الجنازة واحدة على جهة اليمين، وان كانت اثنتان فلا حرج في ذلك وبهذا تكون الصلاة على الميت قد تمت.

5-4- طقوس الدفن:

تعتبر القبور والمقابر ذلك التابو الذي قدسته البشرية دائما وقد شكلت تصورات خاصة في المخيال الشعبي لأنها ترمز للعالم الآخر، وقد ارتبطت تلك التصورات بالمعتقدات الدينية التي قدمت

وصفا شاملا لمجريات القيام بالطقوس الجنائزية وطرق الدفن وفق نسق محدد قررته الشريعة، إلا أن تلك الطقوس اختلطت إلى حد بعيد بالممارسات الثقافية فأصبحت جزء لا يتجزأ منه.[1]

يطلق على المقبرة في اللغة العامية لمجتمع البحث اسم " ***الجبانة*** " وهو المصطلح الأكثر استعمالا وتداولا لدى المبحوثات، لذلك نجدها تستعمله في وصف طقوس الدفن بكثرة كقول: " ***رحنا للجبانة*** " أو " ***الدفينة في الجبانة الفلانية*** " وغيرها من التعبيرات التي تسبق الحديث عن الدفن، وفي المجتمعات الإسلامية يحفر القبر قبل وصول الجثمان إلى المقبرة ولذلك فإن عملية الدفن تتم مباشرة بعد الانتهاء من الصلاة، وإن كانت الميتة امرأة فلا ينتظر الحضور انتهاء الدفن للانصراف من المقبرة بل يذهبون مباشرة بعدها، وذلك للحفاظ على حرمة وستره المتوفاة وتقديرا منهم لأهلها.

ويكون شكل القبر مستطيل ويحفر بعمق متر واحد في أغلب الأحيان وذلك حسب ما ورد في الدراسة الميدانية، ويكون القبر عبر حفر الأرض بشكل واسع ثم عند بلوغ الربع الأخير يضيق ويحفر بمقاس شبر واحد، ولذلك يأخذ القبر شكل درجة داخله وهناك من يضع درجتين ولا يؤثر ذلك على طقس الدفن فهذه الممارسة مرتبطة بما تعارفت عليه تلك الجماعة، ويشار إلى " ***الشبر*** " في مجتمع الدراسة على أنه هذا هو الأمر الوحيد الذي يمتلكه بني آدم في الدنيا، وقد شاع قول: " ***نسالو في الدنيا شبر*** " عند المبحوثات للدلالة على وجوب الزهد وعدم تتبع الحياة لأنها ستزول وكل ما نملكه سيزول وأن نهاية المطاف ستكون عبارة عن شبر واحد من الأرض.

---

[1] الجيلالي رقاد: **الطقوس الجنائزية بين سلطة التقاليد المحلية وجبروت النص عند السلفيين (دراسة ميدانية)**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 04، العدد 07، 2018، ص ص 128-148.

ويعود سبب عمق حفرة القبر تفادي انكشاف القبر نتيجة لبعض العوامل الطبيعية كالرياح والأمطار وغيرها، وكذلك تجنب خروج الرائحة الكريهة من الجثة بعد تحللها ولذلك يعمل المسؤول على عملية حفر القبر على جعله عميقا بعض الشيء لحمايتها مما قد يقع لها.

توضع المرأة في القبر على جانبها الأيمن ثم يكشف وجهها قبل البدء في عملية اغلاق القبر وردمه، ولا يقوم بعملية الدفن إلا من هم من محارم المرأة كالأب والزوج والأخ وغيرهم، وتتم هذه العملية من تحت حجاب حاجز للحفاظ على سترها وعدم كشفها أمام الرجال الحاضرين في جنازتها، وقد يكون هذا الحجاب الحاجز عبارة عن قطعة قماشية أو إزار أو غيره المهم أن يكون كافيا لتغطية القبر أثناء الدفن، والدلالة على ستر المرأة حتى في يوم الدفن، لإبراز مدى أهمية موضوع ستر المرأة نفسه في الحياة قبل الممات وأنه لا يجب عليها أن تتكسف لأي سبب من الأسباب.

وردم القبر يبدأ برص الحجارة أو الألواح أو أي شيء متوفر معهم على الدرجة الداخلية التي يبلغ عرضها شبرا واحدا، ومن ثم يوضع عليها الطين لسد الفراغات ولتثبت الحجارة أو الألواح جيدا ومن ثم تبدأ عملية الردم الفعلية بصب التراب على كافة القبر، وبعد الانتهاء يرش القبر بالماء ويضغط على التراب جيدا من أجل جعله يتماسك وذلك لتفادي تناثر الرمل بعيدا ما يعرض القبر للانكشاف، لذلك يحرص الجميع قبل الذهاب إلى تثبيته جيدا.

يوضع على القبر ما يعرف بـ: " ***شواهد القبور***" وهي للتعليم والتعريف بالميت وكذلك للدلالة على أن الميت قد تمت الصلاة عليه، وتتعدد أنواع الشواهد كل حسب ما توفرت عليه المنطقة التي سيتم فيها الدفن فقد تكون الشواهد من الحجارة أو من الألواح، ويختلف كذلك قبر الرجل عن قبر المرأة فيوضع على قبرها ثلاثة شواهد واحد في أعلى القبر والثاني في المنتصف والأخير في أسفل القبر، وهناك من يكتفي بشاهدين فقط في أعلى القبر وفي أسفله، ولذلك يعلم كل من يرى هذه الشواهد الثلاث أن الشخص الموجود في القبر هو امرأة.

كما نقرأها على أنها ممارسة أنتجها المجتمع لحفظ ذاكرة المرأة المتوفاة التي تخول لنا إمكانية الحفاظ على انطباعاتها وسماتها وإعادة إنتاجها في مخيلتنا، وتختلف أشكال الشواهد من حيث الحجم والشكل والهندسة وطبيعة الكتابة ومن حيث الغور والظهور وتعبر عن فضاء معين وعن ثقافة معينة، كما أنها غير منتظمة مكانيا وزمنيا حيث يمكن استعادة شكل شاهد كان يستعمل في السبعينات أو إلى ما قبل ذلك.[1]

الصورة رقم (104): شواهد قبور النساء في مقبرة البوخاري

(المصدر: https://www.facebook.com/100063998864120/videos/917839642796881 01-09-2023, 21:03.)

التأويل الأنثروبولوجي:

ان امتزاج المشهد الديني مع المشهد الثقافي جعل من الكثيرين يعتقدون أن بعض الطقوس الجنائزية حث عليها الدين، ولكن مع ارتفاع نسب التعلم وتراجع الأمية وكذلك توفر مختلف الوسائل التي تسمح للشخص بالاطلاع على الأحكام الفقهية والطقوس الدينية، فضلا على بروز الحركة السلفية وتصدرها للمشهد الاجتماعي، كحركة تريد إصلاح تلك الممارسات التي علقت بالدين، في محاولة منها

---

[1] لحسن رضوان، مضامين الكتابة الشاهدية بمقبرة امدوحة: وصف وتصنيف، الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران وامدوحة بتيزي وزو، مرجع سابق، ص ص 97-125.

لتصفية الاسلام مما علق به من البدع والخرافات التي سيطرت على المجتمع لسنوات، نجد العديد من الطقوس تتراجع وتختفي.[1]

ومن الطقوس والعادات المتغيرة فيما يتعلق بطقس الدفن هي تحديث الطرق التقليدية وجعلها أكثر أمانا مما كانت عليه في السابق، وذلك نتيجة للانتشار الواسع لممارسة السحر وللاستغلال السيء للمقابر، كرمي السحر على القبور أو نبشها ودفنها فيه وحتى وضعها في فم الميت قبل دفنه، ولذلك عمل المجتمع الجزائري على تحديث هذه الأساليب والوسائل لحماية القبور وجثث الموتى من الانتهاك وممارسة السحر والشعوذة فيها.

ومن الممارسات المستحدثة في مجال فك السحر هي الأعمال التطوعية لتنظيف المقابر التي تقودها الجمعيات الخيرية في المنطقة، خاصة بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي التي ساهمت بشكل كبير في تطور هذه الأعمال من حيث نشر صور للسحر الذي يعثر عليه في المقابر، فهذه المنشورات مكنت العديد من الأشخاص للتعرف على بعض الضحايا ومساعدتها، ولذلك تتحرك هذه الجمعيات من فترة إلى أخرى لتنظيف المقابر رفقة عدد من المتطوعين وكذلك اصطحاب امام أو راقي شرعي للمساعدة، والصور التالية توضح بعض الممارسات السحرية التي وجدت في بعض احدى المقابر في مجتمع الدراسة:

[1] الجيلالي رقاد، مرجع سابق، ص ص 128-148.

الصورة رقم (105): منشور حول بعض أدوات السحر التي عثر عليها في مقبرة البوخاري

(المصدر: https://www.facebook.com/biskranews2021 01-09-2023, 22:33.)

الصورة رقم (106): صورة لفتاة وضع لها سحر وجدت في احدى المقابر

(المصدر:

https://www.facebook.com/Voix.de.biskra/posts/pfbid02S5EdRj4sCGwd3btspSWUe hnJnCSBRNRDbE6sHtj5qyyu4qdNJsLCfwtxsrJmcbH8l 01-09-2023, 22:21.)

وإلى جانب ذلك ظهرت طرق أخرى وقائية من ممارسة الطقوس السحرية في المقبرة كالغلق الجيد للقبور، فبعدما كانت تغلق برص الألواح وسكب الطين عليها أصبحت تغلق بواسطة الجبس جيدا مع المحافظة على استعمال الألواح وذلك للحد من التعدي على القبر ونبشه، ويعود استعمال مادة

الجبس هنا لسرعة جفافها وتصلبها فبعد مدة من سكبه يتصلب ويغلق القبر مباشرة، دون الحاجة إلى الانتظار مدة طويلة لغلقه.

وكنتيجة لهذه الممارسات الغير أخلاقية التي يتم ايجادها في المقابر دائما اضطرت الدولة إلى التدخل لحماية هذا الفضاء المقدس، وكذلك من أجل ممارسة فعل المراقبة فأصبحت تابعة إداريا للبلدية ولا يجوز دفن الجثة إلا بترخيص مسبق من طرف رئيس البلدية، مع تعيين عامل يومي يقف على كل شؤون المقبرة من حيث تسييرها، وقد ألزمت البلدية أن تسلم أهل المتوفى رخصة الدفن التي تبدو أنها ضرورية جدا.[1]

وبعد الأزمة التي واجهت العالم بأكمله نتيجة لتفشي وباء كورونا اضطرت السلطات المعنية إلى اصدار العديد من التعليمات، واتخاذ إجراءات صارمة السلامة وللحد من انتشار الفيروس أكثر فأكثر، وقد كانت الوفيات الناجمة عنه تعامل معاملة خاصة وذلك لإعلان الدولة لحالة الطوارئ، فأصبح طقس تغسيل الجثمان وتكفينها وحتى دفنها أمرا تتكلف به الدولة فقط، فقد أصبحت هذه الأخيرة هي التي تقوم بكل شيء وفق بروتوكولات السلامة التي تتبعها، كارتداء بدلات تمنع انتقال الفيروس من الجثث إلى الأشخاص المكلفين بتغسيلهم، وأما عن حفر القبور ودفنهم فقد كان يتم بواسطة الحفارات يطلق عليها في مجتمع البحث بـ: " ***بوكلا*** " والتي تستعمل عادة في المشاغل، وكل ذلك من أجل تجنب احتشاد الناس في المقابر، وقد سنت الدولة كذلك قرارات بمنع إقامة الجنائز والعزاء في المنزل بذلك قد أسقطت العديد من الممارسات التي كانت تقام في الجنائز، غير أن هذه القرارات قد لاقت رفضا من مجموعة كبيرة من الأشخاص بحيث اعتبروا أن هذه القرارات قد تهين الميت، ولاعتقادهم أنها تنتهك قداسة الجنازة

---

[1] لحسن رضوان، **مضامين الكتابة الشاهدية بمقبرة امدوحة: وصف وتصنيف، الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران وامدوحة بتيزي وزو**، مرجع سابق، ص ص 97-125.

والطقوس المرتبطة بها، ذلك أن الجنازات والعزاء تقام على ذكراه ليتصدق الناس عليه ويذكروه بالدعاء والمغفرة والرحمة، كما أنها تعد مساندة معنوية لأهل الفقيدة بحضور الأشخاص والتخفيف عنهم من هول الموقف، وقد جسد هذا الرفض أقوى مظاهر التضامن الاجتماعي السائد في الجماعة على حد قولهم، فقد وجدنا اجماعا بين المبحوثات أن هناك عاملين قويين يتحكمان في العلاقات الاجتماعية في المجتمع ويعززانها سواء في الحالات الطبيعية أو في حالات الخصام على وجه الخصوص هما: " ***الأفراح والأقراح*** ".

وقد تمثلت الأفراح في جميع المناسبات السعيدة التي يمر بها الانسان وخاصة مرحلتي الولادة والزواج، فيعتبرهما المجتمع من أهم العوامل التي تساهم في توطيد وتوثيق العلاقات الاجتماعية أكثر فأكثر من خلال اجتماع العائلة كلها مع بعض، أما بالنسبة إلى الأقراح ومفردها " ***قرح*** " والتي تعني الحزن فتتلخص في المصائب التي قد تحل بأحد الأشخاص أو الوفاة، والوفاة في المجتمع الجزائري تعد أكبر مصيبة تمر بها العائلة لذلك نجد كل الأقارب والمعارف والأصدقاء والجيران يهرعون إلى عائلة المتوفى مباشرة بعد سماع الخبر، فهذا الحدث يأجج المشاعر ويجعلها تلين وتحن ما يدفع الشخص إلى الرغبة في تقديم يد العون بالرغم من الظروف التي قد يواجهها، ولذلك قد لاقت تعليمات الحجر الصحي رفضا وعدم قبول كبيرين من طرف المجتمع.

6-طقس الحداد والتعزية:

يعد طقس الحداد والعزاء من أهم الطقوس التي تقام في جنازة المرأة المتوفاة في مجتمع البحث، لأنه يظهر مدى تماسك العلاقات الاجتماعية في الجماعة ومدى التضامن الكبير الذي بينهم من خلال المشاركة في العزاء والحداد، والعزاء هو اجتماع الناس في منزل أهل الميت لتقديم التعازي لهم ومساعدتهم في إدارة المصيبة التي حلت بهم، وتكون هذه المساعدات متمثلة في المساندة النفسية والمعونية وقد

تكون مادية بتقديم مبالغ مالية أو توفير بعض المواد الغذائية لإطعام الحضور كنوع من التصدق على روح المرأة المتوفاة.

أما الحداد فهو رد الفعل الذي يصدر من الجماعة عن فقدان شخص من العائلة أو قريب منهم كالأصدقاء أو المعارف، والذي يتميز بحالة من الألم والحزن والمعاناة وكذلك فقدان الاهتمام بالعالم الخارجي، كالتخلي عن جميع الأنشطة التي ليس لها علاقة بذكرى المفقود كالعزوف عن الذهاب إلى الدراسة أو العمل أو حتى الخروج من المنزل،[1] وغالبا ما يكون الحداد خاصا بأفراد عائلة المتوفى وهذا هو الاختلاف الذي يقع بينه وبين العزاء، فهذا الأخير يشارك فيه أي شخص له معرفة خاصة بالمتوفاة أو بأهلها والحداد تقوم به العائلة فقط.

وقد اتفقت عينة الدراسة على مدى أهمية هذه المظاهر في العزاء لأنها بمثابة اثبات الولاء لهن وقد تداولت المبحوثات بعض الكلمات في هذا الصدد بقول: ***" هنا تعرف شكون حبيبك من عدوك "*** أو ***" لي يوقفوا معاك في محنك هوما الصح "*** أو ***" نهار الشدة تاعي نتفكر غير لي لقيتهم "***، وكلها عبارات تدل على التدقيق الشديد في مسألة الحضور إلى العزاء من عدمه وذلك لتحديد منزلة كل شخص من خلال طريقة مسانده لهن.

وقد جرت العادة أثناء العزاء الحديث عن الصفات الحسنة التي كانت تتميز بها المرأة المتوفاة، وكذلك الأعمال الخيرية التي قامت بها طوال حياتها، فنجد أغلب الحضور يشيد بذلك وكلما قصت حكاية عن تلك الأعمال ترحم الحضور عنها بحزن شديد على هذه الخسارة، وتتميز هذه الجلسات بكونها جلسات مفتوحة إذ يمكن لأي شخص كان من الحضور والمشاركة فيها وكذلك الاستماع إليها وحتى

---

[1] شريف أم الجيلالي، مكي محمد: **دور طقوس الحداد في جعل الأم تتخطى تجربة موت جنينها داخل رحمها**، مجلة الروائز، المجلد 07، العدد 01، 06-2023، ص ص 371-385.

الحديث فيها، وتكون هذه الأخيرة على شكل حلقات وكل مرة تتكلم واحدة من النساءء والبقية يستمعون إليها بعناية شديدة.

ويتم أثناء الحداد تعليق الحياة الاجتماعية لجميع المتأثرين بها من العائلة ويزداد طول الفترة مع تقارب الروابط الاجتماعية مع المتوفى على سبيل المثال، فتختلف فترة حداد الزوجة على الزوج عن فترة حداد الزوج على زوجته، فنجد أن مدة حداد الزوج على وفاة زوجته مدة قصيرة بالمقارنة مع حداد المرأة على زوجها، وذلك راجع في الأصل إلى تعاليم الشريعة الإسلامية التي تلزم المرأة بأربعة أشهر وعشرة أيام ويطلق عليها " ***العدة*** "، وقد تبين ذلك في قوله تعالى: " ***وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ*** "[1]، وبالرغم من تقبل النساء لهذا الأمر والعمل به إلا أنهن يوجهن العديد من الانتقادات اللاذعة لزوج المرأة المتوفاة.

إن وفاة المرأة المتزوجة في المجتمع التقليدي يعد خسارة فادحة بالنسبة للزوج والأطفال ولذلك يحث الرجل على الزواج أثناء العزاء، فتقول أحد المبحوثات: " ***نهار كي توفات يما قالو لبابا تزوج قبل ما ينشف ترابها*** "[2] والمقصود هنا بتسريع زواجه من امرأة أخرى بقول: " ***قبل ما ينشف ترابها*** " أي قبل جفاف قبر زوجته من الماء الذي يرش عليه بعد الدفن، كون المجتمع ينظر للرجل نظرة الشفقة وأنه لا يستطيع الاستمرار بدون زواج لأن المرأة هي التي تستطيع الاعتناء به وبالمنزل وبأولاده بصفة خاصة، ويعود السبب في ذلك إلى تقسيم الفضاءات والأدوار بين الرجل والمرأة في المجتمع التقليدي كما سبقت الإشارة إليه في الفصول السابقة، وقد أردفت المبحوثة قائلة: " ***بابا مطولش وتزوج بعد موت ماما،***

[1] القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 234.

[2] مقابلة مع: " ي ل " بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

جابها مور الربعين تاعها "[1]، وقد عبرت المبحوثة هنا عن مدى الأسى الذي تعرضت له هي واخوتها من زواج والدها السريع، خاصة أن فترة العزاء والحداد لم تنتهي بعد، وفي حادثة مشابهة تقول المبحوثة (ب.خ): ***" مرة كنت في جنازة تاع واحد يقرب لراجلي توفاة مرتو، قالهم اخطبولي هذيك لي كانت في القراج تغسل في السلاطة، شفتي النهار لي توفاة فيه مرتو دبر فيه مرا أخرى "***[2].

إن زواج الرجل بعد وفاة زوجته يعرضه إلى سخط واستنكار بعض النساء من عائلتها ووضعه تحت المراقبة خاصة في فترة العزاء، فنجدهن كثيرات التربص به وتحذيره حول الموضوع وتجنب فعلها بتلك السرعة، اعتقادا منهن أن هذه الممارسة تنتهك حرمة زوجته المتوفاة وتحزنها في قبرها وأنها لا تستحق ذلك كونها قد أمضت حياتها في سبيله، وأن أقل ما يقدمه لها هو عدم الزواج من أخرى على الأقل في فترة الحداد، ولذلك تقول معظم المبحوثات: ***" الرجال هذو هوما تموت مرتو من يتزوج من "*** بمعنى أنهم يجدون ذريعة من وفاتها لاتخاذ زوجة أخرى.

ومن العادات المنتشرة في مجتمع البحث أثناء العزاء هي التوقف عن القيام ببعض الممارسات والطقوس، كإيقاف القيام بالأفراح في العائلة خاصة الخطبة والزواج وتأجيلهما إلى أجل غير مسمى قد تصل مدته إلى سنة أو أكثر، وان دعت الضرورة إلى القيام بحفل الزفاف لاستحالة تأجيله فتقام مأدبة صغيرة على شرف العرسان، ويقال عن العرس في مجتمع البحث أنه: ***" ندار بالسكات "*** أي بدون معازف أو حفل صاخب وكذلك يتم تفادي اطلاق البارود والزغاريد للدلالة على احترام المتوفاة، فضلا على الابتعاد عن جميع المظاهر التي توحي بالسعادة والفرح أيضا كالتزين ووضع الكحل والمسواك

[1] مقابلة مع: " ي ل " بتاريخ 04-04-2022، 22:15-22:40، في منزل والد المبحوثة.

[2] مقابلة مع: " ب خ " بتاريخ 03-09-2023، 21:47-22:15، مكالمة هاتفية.

والحناء وغيرها من الممارسات، سواء من أفراد العائلة أو المقربين فهؤلاء يتفادونها من أجل التضامن معهم مراعاة لمشاعرهم.

التأويل الأنثروبولوجي:

ان العزاء في المجتمع الجزائري في الوقت الحالي قد اكتسب بعض الممارسات الاجتماعية الحديثة نتيجة للانفتاح على مختلف الثقافات، ومن أهم العوامل المؤثرة في ذلك هو البرامج التلفزيونية التي تبث مجموعة من المسلسلات والوثائقيات حول العادات والتقاليد الاجتماعية لدولة ما، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي التي تنشر فيها شتى المنشورات من الصور والفيديوهات لتلك العادات، وعلى سبيل المثال تبني طقس ارتداء اللون الأسود في العزاء أو على الأقل تجنب الألوان الزاهية، فالدلالة على الأسود هو الحزن والأسى والتضامن مع أهل المتوفاة لأن الألوان قد توحي إلى أن الشخص سعيد وغير مهتم للمصيبة التي ألمت بهم، والشيء الجدير بالذكر هو أن هذه العادة تنتشر وسط فئة الشباب المتشبعين جدا من الثقافات الغربية وذلك عائد إلى استهلاكم الكثير من الوقت في تصفح منصات التواصل الاجتماعي، فالكبار في السن لا يهتمون لهذا الموضوع كثيرا فتعتمد النسوة في العزاء على ارتداء أي فستان لديها (ڤندورة)، ووضع وشاح على رأسها يخفي بعضا من شعرها لأن تسريح الشعر في العادة يكون في الأفراح من أجل التزين.

ومن الأمور التي تعتبر امتدادا للممارسات التقليدية التي يتحدث بها النسوة في جلسات العزاء هي وصف طريقة وفاة المرأة، وهذا ما تم التأكد منه من خلال الدراسة الميدانية إذ تقوم أحد المبحوثات بوصف الطريقة التي لفضت فيها والدتها أنفاسها الأخيرة أثناء العزاء فتقول: ***" توفاة الصباح جوايه الثمنية نضت باش نديرلها السيروم وكان جسمها بارد طول وخاصة رجليها وبدات ترجف، ولينا هزيناها للسبيطار لكن توفاة قبل ما توصل، وقبل ما تتوفى قعدت تشهد وتعاود والحمد لله لي قدرت***

تشهد، والله يبارك كانت منورة وجها يضحك الحمد لله لي ربي خفف عليها المرض تاعها، وشوفوا كيفاش ربي حب وجاو كامل الناس للجنازة تاعها ومشات فيها والناس كامل تشهدلها بالخير وبلي كانت دير الخير، وان شاء الله تلقاها في الجنة يا رب "،[1] وكانت تتحدث بأسلوب ملفت للانتباه من أجل جلب نظر الحضور إليها والاستماع إلى حديثها، وكانت كل واحدة من النساء الحاضرات في ذلك المجلس تقوم بنفس الأسلوب الذي يهدف الى استعطافهم.

7-طعام الجنازة:

يعد الطبخ في الجنازة من أهم الطقوس المتعارف عليها في مجتمع البحث إذ يعتبر هذا الأخير كصدقة على روح المتوفاة، فيبذل الجميع مجهودهم في تحضيره والمساعدة فيه وذلك لكسب الثواب والمغفرة لاعتقاد ساد وسط الجماعة أن أجر المساعدة في الجنازة والاطعام كبيرين عند الله، فنرى الناس تتكاتف لتلبية جميع متطلبات هذه الجنازة من توفير للمواد الأولية كالزيت والملح والسكر والماء، وكذلك توفير قارورات الغاز وبعض الأواني كالصحون والملاعق وحتى الموائد والكراسي والزرابي وغيرها من الأشياء التي قد تحتاجها أسرة المتوفاة، وكل ذلك يجلب دون طلب منهم فهو أمر بديهي بالنسبة إليهم ويقام في كل جنازة تحدث.

ومن أهم الأطعمة التي تقدم في العزاء هو طبق ***" البربوشة "*** وذلك لتوفره في كل منزل وبكميات كثيرة، سبب هذه الوفرة هو فتله في أوقات مختلفة من السنة في مناسبات التويزة بشكل خاص، إذ تقوم النسوة في التويزة بالاجتماع في منزل أحدهن من أجل ***" فتل البربوشة "*** وتحضيرها، وهذه تصنع في الأصل لسببين هما الأفراح والأقراح، فنجدها تطبخ في الأعراس كما تطبخ في الجنائز.

---

[1] مقابلة مع: " م م " بتاريخ 12-05-2022، 19:30-20:10، في جنازة والدة المبحوثة.

كما أن الانشغال بتحضير الطعام والطبخ وتحضير عشاء الميت يهدف إلى كسر حاجز الصمت والأسى وكذلك ما يعرف بـ: *" القُهم "* والميل إلى فقدان الشهية، لأن البعض يحث أهل الميت على الأكل من أجل الحفاظ على صحتهم ليتمكنوا من التغلب على ما أصابهم، ولذلك نجد القائمين على تحضير العشاء يعدون حصصا مخصصة لأهل المتوفاة ووضعها أمامهم لإجبارهم على الأكل، فيقال لهم: *" لوكان متاكليش مانكلش أنا "* يعني أن ما أصابكم أصابنا نحن أيضا وهذا لتعزيز روح التضامن والمساندة الاجتماعية، التي تشير إلى تقاسم المعاناة والمشاركة الوجدانية في تلك التجربة المؤلمة.[1]

التأويل الأنثروبولوجي:

لم يختلف طعام الجنائز كثيرا عما كان عليه في السابق فمازالت تغلب عليه مظاهر التضامن التي سبق ذكرها، فنجد الجميع يسارع لجلب ما لديه لأهل الميت قصد المساعدة والتأكد من عدم احتياجهم لشيء، غير أن هذا لا يعني أن التغيرات لم تلامسه فالجنازة هي الأخرى قد خضعت لتأثير الحداثة والأمور التي صاحبتها، فلم تعد النسوة تلجأ إلى القيام بالتويزة لفتل البربوشة من أجل تخزينها للأيام الصعبة، فقد أصبح الاستهلاك عائدا إلى غزو المنتجات الجاهزة للسوق كتوفر أكياس البربوشة الجاهزة وبأسعار في متناول الجميع، ما جعل أغلبية النساء تتخلى عن عادة التويزة خاصة النساء العاملات اللاتي لا يجدن الوقت الكافي لذلك.

كما تنوعت الأطعمة التي تعد في الجنائز فقد نجد عدة أطباق تطبخ وتقدم في يوم واحد كالبربوشة كطبق رئيسي وشربة فريك كطبق ثانوي أو أية طبق آخر، كما تقدم إلى جانبهما السلطة المزينة والمشروبات الغازية أو مختلف الفواكه حسب الموسم الذي حدثت فيه الوفاة، والجدير بالذكر هو

---

[1] رضوان زقار، هاجر بن عيسى: **مكانة الطقوس الجنائزية في سياق الحداد النفسي في منطقة تمنراست**، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 04، 2019، ص ص 662-682.

استنكار الكثير لهذه العادات المستحدثة فيقال عنها أنها مبالغة وهذا ما أوردته لنا أغلبية المبحوثات، فهن يرين أن الأمر المناسب للجنازة هو البساطة وأن التكلف مظهر من مظاهر السعادة التي لا تليق بموقف الجنازة، في حين أن البعض يرى أن هذه الأمور عادية وبالعكس من ذلك فهي تنفع الميت، لاعتقاد أن جميع من أكل وشرب من عندهم سيدعوا له بالرحمة والمغفرة.

الصورة رقم(107): وجبة العشاء في احدى الجنازات (المصدر: تصوير الطالبة)

8-طقس زيارة القبور:

يعتبر طقس زيارة القبور والمقابر من الطقوس المتعددة الدلالات في مجتمع البحث، وذلك لارتباطها الوثيق مع نية الزيارة بالدرجة الأولى فلكل شخص هدف أو غاية من تلك الزيارة، فضلا على لعب العديد من العوامل دورا هاما في تحديد تلك الدلالات الرمزية أيضا، كالأوقات والمناسبات والاحتفالات ومن أهم الأوقات التي جرت العادة فيها الذهاب إلى المقابر لزيارة الأضرحة حسبما أوردته المبحوثات هي:

- **الزيارة الأولى بعد الوفاة:** تكون هذه الزيارة في الغالب بعد يوم واحد من وفاة المرأة ويقوم بها أهلها كزوجها وأبنائها أو اخوتها، وتكون هذه الزيارة لتفقد حالها بعد دفنها لاعتقاد أن الميت يشعر بالأشخاص الذين يأتون لزيارته، فالذهاب إليها والجلوس على قبرها والدعاء لها بالرحمة

يعد بمثابة الاهتمام بها حتى بعد الوفاة، وكذلك والاطمئنان على قبرها مخافة وجود أي سحر أو ما شابه ذلك.

- **الزيارة كل جمعة:** تعد الزيارة في يوم الجمعة من أكثر الطقوس شيوعا فيما يتعلق بزيارة القبور نظرا لأهمية هذا اليوم في الشريعة الاسلامية، فيوم الجمعة يوم مقدس بالنسبة للمسلمين ففيه تطرح البركة والرزق، كما يعد يوما مخصصا للعبادات كالدعاء وقراءة القرآن وصلاة الجمعة وغيرها من الممارسات والطقوس الدينية، ولذلك تخصص الجماعة وقتا لزيارة المقبرة فيه وغالبا ما يكون هذا الوقت في الصباح الباكر، إذ تذهب النسوة في شكل جماعة لقراءة الفاتحة على روح المتوفاة والدعاء لها والعودة مبكرا لمزاولة أعمالهم اليومية.
- **الزيارة في الأعياد والمواسم الدينية:** تعد زيارة المقبرة في الأعياد الدينية بمثابة استحضار لذكرى المتوفاة في مثل هذا اليوم المبارك ومشاركتهم لها فيه، وتعد هذه الزيارة مساوية للزيارة في يوم الجمعة لاعتبارهم أيام مقدسة، والأعياد التي تتم الزيارة فيها هي عيد الفطر، عيد الأضحى، يوم عاشوراء، وغيرها.
- **الأفراح:** تعد المناسبات السعيدة التي تقيمها الجماعة كالاحتفال بالزواج أو الخطبة أو الولادة أو مناسبات أخرى من أنسب الأوقات التي تحفز على زيارة المقابر، وذلك لمشاركة الفرحة مع موتاهم وتذكرهم فيها وكذلك لطلب مباركتهم في بعض الأحيان.

ومن الدلالات الشائعة لزيارة المقابر من طرف الجماعة نجد العديد منها وهي:

8-1- تخليد ذكرى الأموات:

ومن الممارسات والطقوس التي تقام أثناء زيارة المقابر لتخليد ذكرى الأموات قراءة الفاتحة على أرواح الموتى ويكون ذلك عند الوصول إلى المقبرة مباشرة، فيقف كل شخص لوهلة ويرفع يديه ويقرأ

الفاتحة ويدعوا بالرحمة والمغفرة لمن في المقبرة جميعا، ثم يتوجهون مباشرة إلى قبور أهاليهم ويعيدون الكرة بقراءة سورة الفاتحة وكما يقومون كذلك بتلاوة ما تيسر من القرآن وإهداء ثوابه لهم، إن مثل هذه الطقوس تجعل الجماعة تشعر بالراحة تجاه موتاهم وأنهم يؤدون واجبهم على أتم وجه لأنهم ساهموا بتحقيق الراحة لهم في القبر.

بعد الانتهاء من قراءة الفاتحة يتم الاهتمام بالقبر كنزع الأعشاب الزائدة وتنظيفه من الأوساخ التي قد تجرها الرياح، والهدف من ذلك إعطاء صورة جيدة لأهل الفقيدة بقول أنهم لم ينسوا ذكراها وأنها محظوظة إذ لديها من يعتني بها ويدعوا لها بعد وفاتها، وبعد الانتهاء يرش القبر جيدا بالماء اذ يوجد اعتقاد بأن الميت يسعد جدا برش قبره بالماء، وكذلك توضع فوق القبور كؤوس أو دلاء صغيرة في جهة رأس الميت، وتكون مملوءة بالماء وتثبت جيدا كي لا تسكب، بنية أن شرب منه طير أو قط ليعتبر صدقة على روح الميت، فتقول أحد المبحوثات: ***" كنت نشوف ماما كي تروح لقبر ترشو بالما ومبعد دير كاس فوق لقبر فيه الما باه يجو لفروخة يشربوا منو، ولجر هذاك يروح للميت "*** [1]

الصورة رقم(108): كؤوس المياه على القبور

(المصدر: https://www.facebook.com/100063998864120/videos/917839642796881 (01-09-2023, 21:05.

---

[1] مقابلة مع: " س ب " بتاريخ 03-09-2023، 20:24-21:00، في منزل المبحوثة.

ومن العادات الشائعة في مجتمع البحث كذلك والتي تمارس بعد الدفن هي وضع سعف النخيل على القبر، ويطلق عليها في مجتمع الدراسة بـ: " ***الجريدة*** " وذلك عائد لاعتقاد المجتمع أن الرسول محمد عليه السلام كان يقوم بذلك وأوصى بها، لأن لون السعف هو الأخضر وهذا الأخير يعتقد بأنه لون ملابس المسلمين في الجنة، وهو حسب ما أوردتها لنا المبحوثة **(س،ب)** فتقول: " ***بكري كانوا يحطو على لقبر الجريد خطراه كانوا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام كان يدير هكاك خطراه لون الجريد أخضر واللون لخضر يكون في الجنة، هكا كانوا يقولوا ناس بكري والعلم لله*** "[1].

8-2- الطقوس الاسترضائية:

تؤدى الطقوس الاسترضائية في مواعيد محددة كالمناسبات والأفراح وكذلك عند الحاجة فيقصد القبر للدعاء عند رجاء الإجابة وتمني تحقق الأمنيات، فنجد العديد من العائلات في مجتمع البحث تقوم بمثل هذه الزيارات من وقت لآخر وكانت تقام في جماعات أو سرا، ومن بين الأمثلة على ذلك نجد الزيارات التي تقام قبل موعد الزفاف إذ تذهب العروس مع مجموعة من النساء المتزوجات والفتيات العازبات لنيل رضى الأجداد ومباركة زواجها، فتقوم العروس بتأدية بعض الطقوس مثل اشعال الشموع والبخور أمام كل وقبر مع وضع بعض الحنة عليه لاستكمال الطقوس الاسترضائية مع قراءة الفاتحة على أرواح الموتى.

وتقام هذه الطقوس كذلك من أجل حل المصائب التي قد تحدث للعائلة فإن تعرض أحدهم لمكروه ما أولوه في بعض الأحيان إلى عدم رضى الأجداد عليهم، ما يضطرهم إلى زيارة المقبرة والدعاء أمام القبر على أمل أن تحل تلك المشكلة التي ألمت بهم، وهذا ما سردته لنا أحد المبحوثات عن تجربتها لمثل هذه الطقوس فتقول: " ***وحد المرة جاتني ماما في لمنام وكانت مقلقة مني ومش عاجبها الحال،***

---

[1] مقابلة مع: " س ب " بتاريخ 03-09-2023، 20:24-21:00، في منزل المبحوثة.

وكي فطنت من الرقاد قعدت نخمم واش بيها وواشي هي الحاجة لي خلاتها هكا، ومبعد تفكرت بلي كانت كل عام الوقت هذا دير باطوط لجيرانا وتعيطلهم يتغداو، وليت أنا ثاني قلت نديرلهم الشي لي ملحقتش ديروا، حكمت عيطت للجيران كامل وقتلهم النهار الفولاني راح ندير باطوط باش تجو تتغداو، وقالولي كامل بلي حابين يعاونوا ويشرولي الخضرة لي نطيب بيها ولا يعاونوني بحاجة ماحبيتش قلت ندير كلش من عندي ونخرج معروف عليها، وصح وجدت كلش وجبتهم يتغداو وفات لغدى مليح الحمد لله سهلي ربي في كلش وهكا تكون هي مرتاحة في قبرها ".[1] لقد تبين من كلام المبحوثة رغبتها الملحة في تنفيذ الممارسات التي تعودت والدتها القيام بها للتصدق عليها بالأجر الذي تكسبه منها، وقد كانت بعد الانتهاء من الحديث تتساءل عن النتائج التي حققتها من المعروف الذي صنعته لأجل والدتها من خلال اطعام الجيران، بتمني أن تزورها والدتها في المنام مجددا لتخبرها عما إذا كانت قد نجحت في تحقيق رغبتها.

وجاءت هذه الممارسات لاستكمال طقوس الدفن والعبور إلى العالم الآخر فتنفيذ رغبات الميت تعني مساعدته على ذلك، وإن لم تقم العائلة بفعل الشيء الذي طلبه الميت في المنام سيجعله يتعب ويعلق في المنتصف، وهو الأمر الذي قد يوحي أيضا إلى أن الميت يتعذب في القبر نتيجة لعدم تمكنه من استكمال الأمور التي كان من المقرر القيام بها قبل الوفاة.

8-3- استحضار الأموات:

ان عالم الموت والمقابر عالم مجهول يخفي الكثير من الأسرار والأشياء فلا نكاد نعرف منها إلا ما ظهر منها، ولذلك نجد العديد من النساء يقصدن المقبرة لأداء العديد من الطقوس والممارسات المصرح بها وغير المصرحة بها، ومن بين هذه الطقوس هي طقس استحضار الميت والأمر المعلوم

[1] مقابلة مع: " ص ح " بتاريخ 17-07-2023، 12:30-13:15، مكالمة هاتفية.

عنه هو محاولة ذلك عن طريق الدعاء والترجي أمام قبره ليظهر لهم في المنام، فزيارة المتوفاة في المنام من الأمور المترقبة جدا عند الجماعة وخاصة النساء فنجدهن ينتظرن بشوق لحصول ذلك، فإن تم الأمر تتأكد المرأة من الدعاء الذي قامت به أما القبر أو أثناء الزيارة قد جاء بنتيجة.

إن محاولة استحضار الميت في المنام هو رغبة الأهل بمعرفة اذا كانت المتوفاة قد تمكنت من نيل رضا الله ودخول الجنة، لذلك ان حدث أن سمعت أن أحد أفراد العائلة قد حلم بها يجتمع الجميع بسرعة حوله لمعرفة مجريات الحلم، ليتم التحقيق فيه بدقة ومحاولة تفسيره، فإن أظهرت المتوفاة علامات كالسعادة والابتسام والرضى فهذا يدل على نجاحها في العبور، أما إن أبدت العبوس والسخط وظهرت بوجه مسود فيستنتج أحد أفراد الجماعة أن هناك أمرا دنيويا متعلق بها لم يتم حله بعد، وهو الشيء الذي يدفعهم للتكاتف من أجل القيام به لجعلها تتجاوز الامتحان ونيل الراحة في قبرها.

التأويل الأنثروبولوجي:

ان الذهاب إلى المقابر وزيارتها من الطقوس المنتشرة جدا في مجتمع البحث والتي تعتبر من ضمن طقوس العبور، التي تساعد على استكمال مرور الميت من عالم الأحياء إلى عالم الأموات بنجاح ودخول الجنة، ولم تتأثر هذه العادة كثيرا بالتغيرات الثقافية التي ظهرت في المجتمع باستثناء تراجع بعض الممارسات لكنها لم تزل نهائيا، كالطقوس الاسترضائية قبل الزواج التي تتمثل في زيارة المقابر قبل العرس لاستبراك من الأجداد والدعاء والتضرع للميت من أجل التوفيق، وكذلك تراجع التفكير حول المحاولة في استحضار الميت في المنام رغم أن ذلك لا يتعارض مع الرغبة في الحلم به، فجاءت بعض التفسيرات لتلك الحادثة على كونها نتيجة للتفكير المفرط في الميت ما يجعله يحلم به، وأن تلك الأحلام لا علاقة لها بوضع المرأة المتوفاة سواء تمكنت من دخول الجنة من عدمه.

الصورة رقم (109): سكب العروس الحنة على أرضية المقبرة كنوع من طقوس الاسترضاء

(المصدر: تصوير الطالبة)

الصورة رقم (110): قراءة العروس سورة الفاتحة على أرواح الاجداد وكذلك الدعاء لنيل الرضا

(المصدر: تصوير الطالبة)

والأمر الذي أثر في تراجع تلك الممارسات بصفة مباشرة هو ارتفاع الوعي الديني، فمع انتشار الفهم الصحيح للدين وتمكن الجماعات من استيعابه بدأت تظهر تيارات المقاطعة لجميع الممارسات والطقوس التي تتعارض مع الدين، خاصة طقس التبرك الذي يعد من الطقوس الشركية بالله، فأصبحت هذه الجماعات تعمل على توعية أفراد المجتمع بضرورة التوقف عن ممارستها والفصل بين الممارسات الثقافية والممارسات الدينية المتممة لطقوس العبور.

9-طقوس ذكرى الوفاة:

لدى كل جماعة إنسانية تنظيم اجتماعي لخبرة الموت مثلما يحدث في مرحلة الميلاد أو مختلف أزمات الحياة، وذلك باعتباره أزمة شخصية وفي نفس الوقت أسرية، فضلا على كونها أزمة للبناء الاجتماعي ككل[1]، فالمرأة المتوفاة عضو فعال في المجتمع فإن توفيت يحدث تغير على مستوى النظام الاجتماعي، ويتجسد ذلك بوضوح ان كانت المرأة متزوجة ولديها أطفال فتعتبر بذلك خسارة فادحة قد تعرضت لها العائلة للدور المهم الذي تلعبه كزوجة وكأم، ولذلك تسعى الجماعة جاهدة لإعادة الاستقرار والأمان للعائلة من خلال استبدال الوظائف.

ويتم مواجهة الموت من خلال طقوسه والممارسات المتعلقة به فأداء هذه الأخيرة يبعث شعور التفاؤل والتأمل للحياة من جديد، فهي تتيح لأفراد أسرة المتوفاة عمل الصدقات لكسب الثواب من أجلها ما يجعلهم يؤمنون أنها تشعر بالراحة حتى بعد الوفاة، ومن أهم هذه الطقوس احياء ذكرى الميت في عدة أوقات مختلفة من السنة هي:

9-1- السبوع:

السبوع وهو اليوم السابع من وفاة المرأة ويعد امتدادا لأيام العزاء الذي يقام في منزل أهلها ويعتبر في الغالب آخر أيامه وبعدها يبدأ الحضور بمغادرة العزاء شيئا فشيئا، وتمارس طوال الأسبوع الأول من الوفاة مختلف الطقوس والممارسات الدينية والثقافية للتخفيف من وطأة الحادثة على أهل الميت، كقراءة القرآن أو تشغيل المسجلات التي تبثه طوال اليوم والدعاء لها والتصدق بالحسنات عليها فضلا على زيارة قبرها لرشه بالماء والترحم عليها وغيرها من الممارسات.

---

[1] لحسن رضوان: **الكتابة الجنائزية بجريدة الخبر اليومية؟ أي سياق لأي مضمون؟**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 01، 2014، ص ص 164-189.

ويحرص الحضور في ذلك الأسبوع على حراسة أهل المتوفاة خاصة ان كان لها أطفال صغار خوفا من قيامهم بأعمال طائشة نتيجة لعدم تحمل الصدمة، كالإقدام على الانتحار أو الندب ولطم الجسم والتسبب بجروح بليغة فيه، ولذلك يكلفون شخصا للجلوس معهم على الدوام وهذا ما أكدته العديد من المبحوثات فقد اتفقن على قول أن الجلوس لوحدهم يسبب فرطا في التفكير، وهو الأمر الذي قد يؤدي بهم الى القيام بمثل تلك الممارسات، وقد عبرن على هذه الوضعية بقول: " ***منخلوهمش يستوحشو*** " بمعنى محاولة الجلوس والحديث معهم قدر الإمكان.

ويستمر الوضع هكذا إلى غاية اليوم السابع أو السبوع والذي تقام فيه وليمة " ***المعروف*** " للتصدق على روح الميت، فيجتمع الأهل والأقارب في منزل العزاء لتناول الغداء عندهم لاعتقادهم أن المتوفاة تنال أجر ذلك المعروف، وإلى جانب تقديم طعام الغداء الحضور يقوم أهل الميت بتوزيعه على الجيران الذين تعذر عليهم القدوم وحتى إلى أشخاص غرباء عنهم، فالمهم هنا التصدق بالطعام إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص، لذلك يتعمد أهل المتوفاة طبخ كميات كبيرة من الطعام من أجل تحقيق ذلك.

والأمر الجدير بالذكر هنا أن المعروف الذي يطبخ في اليوم السابع يكون في الغالب بالمواد التي تصدق بها الحضور، فالأشخاص يتصدقون بمختلف المواد الغذائية والأشياء وكذلك المال لأهل المتوفاة، لمساعدتهم في تدبر أحوالهم، خاصة ان كانت الأوضاع المادية لهم لا تسمح بتحمل تكاليف العزاء، لمعرفتهم المسبقة أنه يكلف مبالغ مالية كبيرة، لاجتماع الكثير من الأشخاص في منزل العزاء لتقديم التعازي.

9-2- الأربعينية:

تعد الأربعينية للميت من الطقوس المكملة لطقوس العبور وهي عبارة عن عادة دينية وثقافية في نفس الوقت، إذ يتم فيها العمل على احياء الذكرى الأربعين للميت من وفاته عن طريق الصلاة

والدعاء والتصدق على روحه واعداد طعام المعروف أيضا، ولا يختلف هذا اليوم عن السبوع فتقام فيه نفس الطقوس في العادة فيقوم الأشخاص بالالتقاء في منزل المتوفاة ولتفقد حال أهلها، كما تعتبر فرصة للأهل والأصدقاء والمحبين للتجمع معا وتذكر الفقيدة بالأعمال الحسنة التي كانت تقوم بها، فضلا عن الثناء عليها وتمني قدوم شخص يشبهها في السمات الحميدة.

ومن الدراسات السابقة ثبتت أن الأربعينية عادة فرعونية الأصل انتقلت من مصر إلى الثقافة العربية الاسلامية عبر احتكاكها بها، وأصبح الكثير من الأفراد يحرصون على إقامتها اعتقادا منهم أنها جزء من الدين، والأكثر من ذلك أن بعض الفرق الاسلامية وجدوا لها مستندا من بعض النصوص الدينية التي ربطوها بأربعينية الميت وطقوسها، كتبرير لما يقومون به من الممارسات المتعلقة بحكم إقامتها حتى يستسيغها أفراد المجتمع[1]، ولأجل ذلك نجد العديد من الأشخاص في مجتمع البحث يؤمنون أن الأربعينية طقس ديني، خاصة أنه تغلب عليه الممارسات الدينة كتلاوة القرآن والصلاة والتصدق واطعام الجيران والمقربين وحتى المساكين.

وتعود النشأة التاريخية لليوم الأربعين من الوفاة إلى الشيعة فقد تأسست عندهم مع بداية تشكل الدولة الفاطمية في مصر، وهم يحتفلون بها إلى اليوم وتسمى بأربعينية الحسين وهي مأخوذة من الاسطورة الفرعونية القائلة أن: ***" أوزوريس عندما قتله أخوه ست ومزق جثته أربعين جزء وطرحها في أربعين مقاطعة، لذا أقام المصريون القدماء للإله أوزوريس قبرا لكل جزء من جسمه، وبقيت في التحنيط لمدة أربعين يوما "***، ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون جثث موتاهم ويبقونها أربعين يوما،

[1] الجيلالي رقاد: مرجع سابق، ص ص 128-148.

وتشكل أسطورة الشيعة حول دفن رأس الحسين مع جسده بعد أربعين يوما إحدى التجسيدات لهذه الأسطورة والعادة الفرعونية أيضا.[1]

تعتبر ذكرى الأربعين مناسبة للتشافي وإظهار المشاعر الإيجابية أمام الجميع لمنح من حولهم الأمل والقدرة على النهوض مجدد، وكذلك تتناول الجماعة أحاديثا عن ضرورة عودة الحياة إلى طبيعتها والبدء بممارسة الأنشطة العادية كما كانت الحالة قبل حدوث الوفاة، إلا أنه قد يجد البعض أن هذه الأمر صعب في بعض الأحيان لأن الجرح لم يلتئم بعد وأنه ما يزال يحتاج إلى وقت أطول من ذلك، لاعتبار الأربعين في بعض الأحيان من أيام العزاء.

ومن الممارسات المكروهة في مجتمع البحث خلال فترة الأربعين إقامة الاحتفالات خاصة الخطبة والأعراس، فيتم تأجيل كل هذه المناسبات إلى أجل غير معلوم فعند بعض العائلات يؤجلونها إلى بعد الأربعين ومنهم من يؤجلها إلى مدة تصل إلى السنة أو تتجاوز ذلك، اعتقادا من الجماعة أن هذه الأفراح تنتهك مكانة وحرمة الميت وتهين عائلته كذلك، لذلك نجد في الكثير من الأحيان العديد من الخلافات التي تنشب بسبب عدم الاتفاق على تحديد مواعيد مناسبة لهذه المناسبات حسبما أكدته المبحوثات.

وكنتيجة لذلك أصبح تأجيل الأعراس بمثابة عادة اجتماعية يقوم بها المجتمع عند حدوث أية حادثة وفاة، وتعتمد مدة التأجيل على مدى اتفاق أهل المتوفاة عليه غير أنها في العادة تكون بعد الأربعين يوما، إلا في بعض الحالات كحث الرجل على الزواج سريعا بعد وفاة زوجته خاصة إذا كان لديه أطفال صغار بحجة أنه لا يستطيع الاهتمام بهم لوحده، فيتم الزواج في أقرب فرصة، غير أن هذا الأمر لا يعني رضا الجميع فإقامة العرس في هذه الفترة القصيرة يثير العديد من السخط وعدم التقبل.

---

[1] نفس المرجع.

9-3- الذكرى السنوية:

تعيد الذكرى السنوية تجسيد حادثة الوفاة فنجد العائلة أجمع إضافة إلى المقربين وبعض الجيران يستعيدون بناء الحادثة ومجرياتها، فنجدهم مجتمعين في منزل المرأة المتوفاة مكونين مجلسا يتحدثون فيه عن كيفية موتها بداية من الاحتضار وكيف صادفتها الموت، وعن ردود الأفعال التي حدثت بعد تلقي الخبر كتناول الحديث عن أبنائها وزوجها كيفية تجاوزهم لصدمة وفاتها، وكذلك استرجاع الذكريات الجميلة التي قضوها معها في جو حميمي تغلب عليه المشاعر.

ان الذكرى السنوية للوفاة تعزز مظاهر التضامن الاجتماعي وتثبتها أكثر فأكثر فأهل المتوفاة يترقبون بحرص شديد الأشخاص الذين سيتذكرون معهم هذا اليوم، لمعرفة أهمية مكانتها لديهم وليجيبوا عن تساؤل إذا كانت ذكراها قد اختفت من مخيلاتهم، لذلك نجدهم شديدي الحساسية فيما يخص هذا الموضوع، فمن خلال اجراء الدراسات الميدانية لاحظنا كيفية حديث المبحوثات عن الوفاة وعن مدى أهمية احياء الذكرى ومشاركة الغير فيها.

ويتم في هذا اليوم نفس الطقوس التي تمارس في السبوع والذكرى الأربعين للوفاة، اذ يتم فيها زيارة القبر وتنظيفه ورشه بالماء وقراءة القرآن عليها والدعاء لها بالرحمة والمغفرة، وكذلك اطعام الجماعة بالمعروف الذي يطبخ صدقة على روحها، إن الاستمرار في القيام بهذه الممارسات والطقوس نابع من اعتقاد أن مثل هذه الأفعال تساعد المتوفاة على نيل الأجر، فضلا على عدم تعرضها للعذاب في القبر لذلك فوظيفة هذه الذكرى ليست الحفاظ المعنوي على وجود المرأة في ذاكرة الأهل والمقربين فقط، بل الحفاظ عليها وحمايتها في عالم الأموات وضمان عبورها إلى الجنة.

التأويل الأنثروبولوجي:

تعتبر طقوس احياء ذكرى الميت سواء السبوع أو الأربعين أو الذكرى السنوية من الممارسات الجنائزية الشائعة جدا في المجتمع الجزائري، والتي تقام دائما حين حدوث وفاة عند أحد العائلات والأمر الذي يعد نقطة اختلاف هو طريقة تناول كل عائلة لها، فتوجد عائلات تفضل القيام بحدث كبير تجمع فيه العائلة كاملة بما فيها من أقارب ومعارف وجيران وغيرهم، في حين أن البعض يفضل أن يقيمها في صمت شديد وذلك نتيجة للألم الذي تجلبه الذكريات معها، ولتفادي وجود عدد كبير قد يسبب فوضى تجعل الذكرى تخرج عن سياقها الأساسي، ومع مرور الزمن والتغيرات الحاصلة أصبحت احياء الذكرى حادثة فردية أكثر منها جماعية.

وقد أصبح احياء هذه الأيام أسهل بكثير بعد الانتشار الواسع الذي حققته مواقع التواصل الاجتماعي، والتي تمكن الشخص من رثاء المتوفين متى أراد وأينما أراد بحيث يتم نشر العديد من المنشورات حول الفقيد وعن ذكرياتهم معا، فضلا عن الكتابة عن مدى اشتياقه له وغيرها من المشاعر التي تخالجه، فقد أصبحت هذه المنصات هي المتنفس الوحيد الذي يلجأ إليه الشخص من أجل التنفيس عن انفعالاته في ظل التغيرات الحديثة التي طالت المجتمع.

الصورة رقم (111): منشور فيسبوك لإحياء ذكرى وفاة

(المصدر: https://www.facebook.com/mimaa.leghrib)

ان أسلوب الحياة التقليدي قد اختلف عما هو عليه الوضع الآن فقد فرضت التطورات التكنولوجية نمطا جديدا من الحياة، فالمشاغل الكثيرة التي صاحبت العولمة والضرورة الملحة في خروج النساء إلى العمل أدى إلى التخلف في بعض الأحيان عن حضور الذكرى لارتباطهن المسبق بالدوام، وقد ترتب عليه الذهاب في زيارات متأخرة لها، أو في بعض الأحيان اكتفائهن بمكالمات هاتفية فقط لإعرابهن فيها عن أسفهن على عدم الحضور.

لقد لاقت طقوس احياء الذكرى سواء السبوع أو الأربعينية أو الذكرى السنوية انتقادات لاذعة بخصوصها، من طرف التيار الإسلامي لاستنكارهم الشديد لها لتأكيدهم بأنها بدعة تمارس من طرف الأفراد والمجتمع، الذين توارثوها عبر الأجيال إلى درجة اعتقادهم أنها جزء لا يتجزأ من الطقوس الدينية الصحيحة، ما أثر على سلوكياتهم وممارساتهم في أدائهم للطقوس والشعائر الإسلامية في الجنائز.

ومن الأمثلة السلبية الشائعة في مجتمع البحث بالنسبة للسلفيين والتي لاقت قبولا كبيرا عند الكثير من الجماعات بناء على البيانات التي تم جمعها من الميدان، تأجيل الأعراس التي تعرقل سير الحياة الطبيعية، فإقامة الأفراح بعد الوفاة بمدة معتبرة قد تكون بعد الأربعين تولد غضبا كبيرا لدى عائلة المتوفاة فتقول أحد المبحوثات: ***" ماما حدها دارت الربعين وخالتي دارت لعرسها مخموش فينا حنا كيفاش رانا، ماغاضتهاش اختها وهي فرحانة "***[1]، إلا أنها قد نبهت من طرف مجموعة إلى أن هذا التصرف قد يؤذي الأحياء نتيجة لتعطيل مشاغلهم، فالحي أولى من الميت لذلك يجب ترتيب الأولويات بدل الالتفات إلى العادات والتقاليد الاجتماعية.

ومن الأمثلة الحية التي حدثت في مثل هذا السياق هي قصة زواج أحد المبحوثات والمدعوة بـ: ***" شاشا "***، والتي تأجل عرسها بعد تحديده إلى سنة كاملة بسبب وفاة أحد الأقارب والتي قد لاقت تقبلا

[1] مقابلة مع: " ب س " بتاريخ 12-09-2021، 14:20-15:30، في منزل والدة المبحوثة.

في أول الأمر، غير أنه مع اقتراب الموعد الثاني للعرس حدثت وفاة أخرى ما استدعى تأجيل العرس للمرة الثانية، وهو ما جعل أهل العروس يغضبون بشدة للتسبب في هذا التأجيل فتقول: " ***كي تأجل عرسي للمرة الثانية تقلقوا دارنا وولاو تفاهموا مع فاميلة راجلي باه يديروا العرس خطراه كون نقعدوا نتبعوا في الحالة منعرفوش لوكتاه راح نأجلوا*** "، وعليه وجب عدم ربط مناسبات مثل الزواج بحادثة الموت نظرا لعدم معرفة أي أحد مكان أو زمان وفاته.

10- تقسيم الإرث:

إن تقسيم الميراث عملية تكميلية لطقوس التحضر للموت التي تعد جزء لا يتجزأ منها، المرأة فالدين والعرف الاجتماعي معا يشيدان بضرورة تقسيم الإرث بين العائلة بعد توفي أي شخص كان، ويتمثل تقسيم الإرث في مرحلة التحضر للموت في وصية مكتوبة أو شفهية وبحضور شهود على ذلك لتجنب التشكيك في صحتها، ولذلك تقوم العائلة بالتقسيم الفعلي بعد الوفاة فالوارثون لا يملكون حق التصرف في تلك الأملاك إلا بعد وفاة صاحبتها، وعليه فإن جميع الاحتمالات تؤول إلى انتظار حصول الوفاة وغير ذلك فلا يعتبر من الإرث بل يدخل في باب الهدية.

وتثار الاعتقادات في مجتمع البحث أن التقسيم الجيد للميراث يعني أداء الطقس بطريقة مناسبة ما يسمح لها بالانتقال إلى الجنة، وهذا الاعتقاد راجع إلى مبدأ الثواب والعقاب فالثواب هنا يعني انتقالها للمرحلة الموالية، والعقاب يتمثل في عدم الانتقال مع نيل عذاب مقابل ذلك، وهو الأمر الذي يدفع النساء قبل وفاتهن إلى تقسيم الإرث بالطريقة المناسبة التي تمكنها من اجتياز الامتحان، ولا توجد معايير محددة لذلك التقسيم بل كل جماعة تعتمد تقسيمها الخاص الذي تقرره الثقافة والعرف والعادة السائدين فيها.

ان تقسيم الميراث في المجتمع الجزائري التقليدي يعتبر طقسا ثقافيا أكثر منه دينيا، فالثقافة بما تشتمله من عادات وطقوس وممارسات ومعتقدات تفرض نمطا معينا من التقسيم، والذي يقوم على أساس

التقسيم الجندري أي ذكر وأنثى، والملاحظ هنا أن هذا المقياس يتحكم في جميع الأمور انطلاقا من بداية دورة الحياة مع ميلاد الفتاة، فنجد العديد من التقسيمات والاختلافات المبنية على هوية النوع الاجتماعي، كاختلاف الطقوس المتعلقة بالميلاد واختلاف التنشئة الاجتماعية مرورا بفصل الفضاء الانثوي عن الفضاء الذكوري وإلى غير ذلك من الاختلافات، وصولا إلى ثقافة تقسيم الإرث في المجتمع.

من المعروف جدا أن المرأة في المجتمع الجزائري سابقا لم يكن لها الحق في الميراث وذلك للمعتقدات السائدة في تلك الفترة، والتي ترى أنه من العيب والعار على الأنثى أن ترث من ممتلكات والديها وتنافس أخاها الرجل في ذلك، فالإرث أو " ***الورث*** " كما يطلق عليه في مجتمع الدراسة كان حكرا للرجل فقط دون غيره، وهذا الحق صادر من سلطة العرف والعادة الاجتماعية المنتشرة في تلك الجماعة والتي تمنحه كامل الحرية في التصرف في ذلك الورث.

فتوصف المرأة بأوصاف ليست جيدة إذا حاولت المطالبة بحقها في الميراث وهذا ما تمت ملاحظته من خلال الدراسة الميدانية فتنعت بـ: " ***متحشمش، ماشي متربية، وجها صحيح*** "، ويقال عنها هكذا لاعتقاد الجماعة أنها تتحدى إخوتها الرجال لتتساوى معهم، فيتدخل أطراف آخرون لاقناع النساء بالتراجع عن المطالبة بالإرث والالتزام بالحياء، وأن أخاها أحق منها به تحت مبرر أنه السند وأنه رجل المنزل الذي تلجأ إليه في الحالات الصعبة.

ويزداد الوضع صرامة عند تزوج المرأة برجل من خارج الجماعة وبذلك يكون حق لنيل الميراث قد ألغي بالكامل، فالمرأة التي تتزوج زوجا خارجيا تعامل على ذلك الأساس أي أنها لا تملك أدنى الحقوق من جماعتها، لاعتبار أن الملكية في السابق كانت ملكية جماعية سواء للأراضي أو المنازل وبسببه تولد ذلك الرفض، فالمنع هنا يكون مخافة انتقال تلك الممتلكات إلى زوج المرأة والمشاركة القانونية فيها وبالتالي تحطم وتفكك مبدأ الملكية الجماعية.

وبناء على ما سبق ذكره فإن المرأة في أغلب الأحيان في مجتمع البحث لا تملك شيئا من الممتلكات خاصة الأراضي وجل ما تملكه هو مجموع الحلي الذي ترتديه، ولذلك فإن وجدت فستكون من الحالات الخاصة كامتلاك والديها الكثير من الممتلكات أو عدم وجود اخوة ذكور لها أو في حالات نادرة جدا حيث يمنح لها حقها الشرعي، ولذلك فإن تقسيم ميراث المرأة المتوفاة يكون منوطا فقط في حالة تمكنها من امتلاك شيء ما.

وتعد طقوس تقسم الميراث قبل الوفاة تسير حسب الثقافة الاجتماعية اذ تحاول المرأة نقل ممتلكاتها لأولادها الذكور دون الإناث، وذلك امتثالا منها للأعراف والسلطة الذكورية خوفا من غضبهم عليها إن لم تقم بذلك، وتقول أحد المبحوثات: ***" ماما كانت حابة تفهمنا بلي خاوتي هوما لي يسالوا في دراهم بابا كي توفى، وكانت مخليتهم يصرفوا منهم كيما يحبو وهوما في الصح دراهم الورثة نورمالمو ما يقيسوهمش ويقسموهم بيناتنا، وحتى دراهم الماندا لي كانت تديهم هي كانوا هوما لي مستفادين منها، كلش كانت تمدوا ليهم وديروا ليهم، وكانت تخاف كشما يخصهم عليها كانت دير هكا قبل ما تموت باه يدو لي يقدروا عليه، وكانت حابتني أنا وختي نسمحوا في حقنا باه يدوه هوما ثاني، وكانت تغضب كون نقولولها حاجة كون لقات حتى بعد موتها ما ندو والو "*** [1]، ومن هنا نستنتج أن المرأة ذاتها هي من تكرس هذه الثقافة وتنشرها، لاعتبار أنها المسؤول الأول والمباشر عن التنشئة الاجتماعية للأبناء.

التأويل الأنثروبولوجي:

لقد تبين من خلال الدراسات الميدانية والافادات التي قدمتها المبحوثات أن موضوع تقسيم الميراث قد تسبب في نشأة الكثير من الخلافات والعداوات بين الأخوة، ما أدى بالضرورة إلى تفكك

---

[1] مقابلة مع: " س ب " بتاريخ 09-07-2023، 18:10-19:00، في منزل المبحوثة.

الروابط الاجتماعية لسنوات طويلة في الكثير من الأحيان، وذلك لأن عملية القسمة لا تقام على مبدأ العدل في الأصل اذ يغلب عليه طابع الأنانية في عدم إعطاء كل واحد حق، وخاصة الرجال الذين يستغلون ضعف مكانة المرأة في الجماعة لسلبها حقها الشرعي.

وبسبب تلك الصراعات المستمرة التي ظهرت بسبب تقسيم الإرث، شددت الدولة على ذلك الأمر وقيدته بقوانين صارمة، فضلا على التغيرات التي كانت نتيجة لارتفاع نسب التعلم، أصبحت الأغلبية الساحقة في المجتمع الجزائري تعرف جيدا الطقوس الشرعية الصحيحة والقوانين الوضعية التي سنت بخصوص الميراث، ولذلك نجدهم في الغالب يلجؤون إلى المحاكم للتدخل بشكل مباشر لحل هذه الصراعات، بعد رفع دعوة قضائية لعدم تمكنهم من تقسيم الإرث وفق ما سنته الشريعة الإسلامية والقانون، وهو الأمر الذي يساعد الجميع الحفاظ على حقوقهم في نيل الإرث.

ان اللجوء إلى القانون في حل النزاعات حول مسألة الإرث نقلة نوعية في المجتمع الجزائري، الذي كان يصف كل من يطالب بحقه متمردا عن العادة والعرف خاصة النساء فكان هذا الأمر بمثابة التغير المطلوب لهن، ولذلك تشجع المبحوثات مثل هذا التغيرات التي تدعم حقها ومكانتها في المجتمع الذي حرمت منه لسنوات طويلة.

لقد كان العرف المعمول به فيما يخص طقوس تقسم الإرث في المجتمع الجزائري ينافي ما جاءت به تعاليم في الشريعة الإسلامية، وهو المتسبب الرئيس في جميع تلك المشكلات ولذلك أشادت المبحوثات بضرورة الرجوع إلى الطقوس الدين الدينية والالتزام، بها بدل العمل بالعراف والعادات أو غيرها أو حتى اللجوء إلى القانون لحل النزاعات، فالإسلام نظم عملية تقسيم الميراث بين الأخوة وبين الرجل والمرأة بالعدل دون ظلم أي أحد.

وتنص طقوس تقسيم الميراث في الشريعة الإسلامية على العديد من التعاليم من أجل تنظيم الحياة البشرية، فإذا مات الإنسان يجب أن تؤول جميع ممتلكاته إلى ذويه وهم فروعه وأصوله وحواشيه

وأقرباؤه، ولذلك فإن نظام الميراث في الشريعة الإسلامية يفتت الثروة العامة ولا يجعلها مكدسة بين أيدي الناس دون الآخرين، وقد اشتمل علم المواريث في الإسلام على أحكام كثيرة وفوائد عظيمة، مما جعل التشريع الإسلامي رائداً في هذا المجال.[1]

وعليه فإن كل مطلع على كتاب الله يجد العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث بهذا الصدد ومن مثال ذلك قوله تعالى: " ***يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأبناؤكم لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزواجكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ***"[2]، والملاحظ هنا أن هذه الآيات تفصل بشكل كبير كيفية تقسيم الإرث وعن حفظ حقوق جميع الأشخاص دون ظلم أحد سواء امرأة كانت أو رجل.

وبالرغم من والثغير الثقافي الحاصل وارتفاع نسب التعلم والوعي بالقانون وما جاءت به الشريعة، إلا أنه ما تزال توجد بعض المظاهر التقليدية لحرمان المرأة من الميراث أو منح ممتلكاتها لبناتها، فتقول أحد المبحوثات في حادثة لها عن تقسيم الميراث: " ***واحد النهار بعد وفاة بابا كلمني خويا وقالي جيبي***

---

[1] ناصري عبد العزيز: <u>الإعجاز التشريعي في الميراث</u>، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 05، العدد 02، 2012، ص ص 211-220.

[2] القرآن الكريم: <u>سورة النساء</u>، الآية 11-12.

لاكارت ناسيونال تاعك وأرواحي النهار الفولاني نروحوا للنوتير وكان مكلم أختي ثاني، ونهار لي رحنا فيه دخلنا فرحانين حسبناه على جال الورث باه ندوه قسمتنا، كي لحقنا دخلت اختي اللولة هكا شوية خرجت مقلقة وروحت ديركت، كي دخلت أنا عندو ورالي لوراقي وقالي إذا راكي قابلة بالتنازل قتلوا حبس تنازل تاع واش قالي تنازل على حقك في الورث قتلوا لالا وخرجت أنا ثاني، تشوكيت في خويا كان حاب ينحيلنا كلش وناضت مقابيضات كبار على الورث، وكي ما بغيناش نقبلوا قالنا كل وحدة نمدلها 500 مليون والباقي ماتسالوش وحنا تقلقنا وعرفنا بلي الدراهم لي خلاهم بابا كثر من الشي لي ديكلارا بيه، ومن ثم وحنا في الشروعات معاه لليوم "[1]، ونلمس من خلال ما قالته المبحوثة رغبة أخيها في الاستيلاء على الميراث الذي تركه والده، إلا أنه لم يكتفي بهذا فقط بل تحايل على أمه لكتابة وصيتها قبل وفاتها لتقسيم أملاكها بينهم فتضيف المحبوثة وتقول: "***مور ما حبنا حنا نتنازلوا راح لعب على ماما وخلاها تسني على وثيقة تنازل لأملاكها كامل للذكورة، وحنا لبنات منورثوهاش وراح دار الورقة على أساس أنها هبة للذكور برك، ونهار كي عرفت ماما قريب ماتتلنا من الحمصة تاعوا قاتلو حبيت دخلني جهنامة حبيت النار تاكلني "***[2]، وقد أكدت المبحوثة هنا عن رفض أمه لمثل هذا السلوك المشين خوفا منها على العقاب الذي قد تتعرض له بعد الوفاة، وهذا ما يؤكد على أن طقس تقسيم الإرث في معتقد مجتمع البحث، يعد من أهم الطقوس التي تساعد المرأة على النجاح في اجتياز امتحان الآخرة ودخول الجنة، فعدم القيام به بشكل صحيح قد يحول بينها وبين تأدية طقس العبور بالكامل.

---

[1] مقابلة مع: " ع ت " بتاريخ 16-09-2021، 11:29-12:30، بمديرية الضرائب محل عمل المبحوثة.

[2] مقابلة مع: " ع ت " بتاريخ 2021-09-16، 12:30-11:29، بمديرية الضرائب محل عمل المبحوثة.

خلاصة:

إن ظاهرة الموت في المجتمع الجزائري تشكل طقس عبور مميز وذلك لارتباطه الوثيق بالشعائر الإسلامية والعرف ما يضفي إليه نوعا من القداسة والتعظيم، وعليه فإن الموت ليس حدثا عرضيا أو عشوائيا بل حدث منظم بامتياز من طرف الدين والعادات معا، لذلك تتراوح طقوسه بين ما هو ديني وما هو ثقافي غير أن الفصل بينهما قد يصعب نوعا ما، وذلك للقناعة السائدة في المجتمع أن كلاهما طقوس عبور تمكن المرأة المتوفاة من الوصول إلى الدار الأخرة، ومن خلال ما تم تقديمه في الفصل خلصنا إلى النتائج التالية:

- حادثة الموت من أقوى طقوس العبور من حيث التأثير على المجتمع البحث فهي تذكره أن الحياة عبارة عن وقت قصير لا غير.
- دراسة الطقوس الجنائزية تمكننا من فهم طريقة تعامل الأحياء مع الأموات، ما يساعد على فهم طقوس دورة الحياة ككل، بمعنى فهم إلى أين سيؤول مصير الشخص بعد أدائه لجميع طقوسه.
- أداء طقوس الجنازة يخفف من وطأة الألم النفسي والاجتماعي ويشعر الأهل أن المتوفاة قد انتقلت إلى عالم الأموات بنجاح، خاصة إذا كانت هناك بعض المؤشرات كظهور الابتسامة على وجهها أو بياض لون البشرة وغيرها من المؤشرات.
- محافظة الجنازة على الترابط القوي والتضامن بين أفراد الجماعة لأنها تذكرهم بأن الحياة الدنيا لا خلود فيها، ما يجعلهم ينسون جميع الخلافات والأزمات الحاصلة بينهم والمشاركة في الجنازة وبذل كل الجهود فيها للتخفيف عن أهل الفقيدة.

- تحتوي بعض الطقوس الجنائزية على دلالات مستترة لحماية الأحياء أكثر من الأموات، ويتعلق ذلك بصفة خاصة بموضوع السحر فالسحر هنا لا يصيب الأموات، بل الهدف منه هو إيذاء الأحياء وتحقيق بعض المطالب الشريرة لأناس آخرين، لذلك تأتي طقوس الحماية من السحر لمنع الضرر الذي قد يحدث.
- تأثير التغييرات على طريقة ممارسة الطقوس فقط والأدوات المساعدة في ذلك لا على جوهر الطقس، فجميع طقوس العبور الخاصة بالجنائز ثابتة وذلك عائد إلى حقيقة ثبوت تعاليم الدين الإسلامي حتى بعد مرور قرون عنه.

نتائج الدراسة

إن دراستنا عن التغير الثقافي وانعكاساته على عادات دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية، دراسة جاءت بهدف كشف التغيرات والتأثيرات الحاصلة على مستوى العادات في حياة المرأة حاليا، بصدد تفسيرها ووضعها في سياقها العام، وقد أفضت الدراسة الميدانية إلى عدد من النتائج والاستنتاجات وقد تمثلت في:

- تستمد عادات طقوس الحياة من ثلاثة مصادر هي: الخلفية الدينية كون معظم الطقوس مستمدة من تعاليم الشريعة الإسلامية، وكذلك الموروث الشعبي أي ما اعتادت الأجيال ممارسته فانتقل بفعل التكرار إليه، أما المصدر الأخير فهو متعلق بالمكان فلكل جماعة ثقافة خاصة بها تختلف عن الجماعات الأخرى، فالخصوصية الثقافية هنا تلعب دورا في خلق العادات وطرق ممارستها.
- بعد اجراء الدراسة الميدانية تبين لنا وجود العديد من العادات والطقوس والممارسات المرتبطة بدورة الحياة، والتي يعود أصلها إلى أعراش مختلفة وذلك نتيجة إلى تنوع التركيبة السكانية لمجتمع الدراسة، غير أن أصل تلك الممارسات ليس معروف وذلك لنجاح تلك الأعراش في التعايش معا وتبني كل جماعة منهم عادات وتقاليد الجماعة الأخرى، ما خلق ثقافة أحادية جديدة خاصة بهم كوحدة اجتماعية متكاملة.
- تمتاز معظم طقوس دورة الحياة بالتكرار إذ نجد عددا من الطقوس التي تكرر في مراحل دورة الحياة، فيكون استعمالها دوريا وحسب الحاجة ونذكر على سبيل المثال طقوس الحماية من السحر والشعوذة التي نجدها في كل مراحل دورة الحياة، وتكون باللجوء إلى التحصن بالقرآن أو قراءة الأذكار وكذلك تكون باللجوء إلى تعليق التمائم وغيرها من الممارسات التي تقام في سبيل الحماية من السحر.
- ان ممارسة عادات وطقوس دورة الحياة يبعث بشعور الراحة والطمأنينة لدى الأشخاص، كون هذه العادات في اعتقادهم ماهي إلا أساليب تمكن الشخص من العبور إلى المرحلة الموالية،

فعادات دورة الحياة مترابطة ترابطا وظيفيا فإن اختلت أحد طقوس يختل النظام الكامل، وبالتالي عدم نجاح المرأة في تخطي المرحلة السابقة، ولذلك فإن أداءها على أكمل وجه يضمن انتقالها إليها بشكل تلقائي، ما يجعلهم يحسون بتلك المشاعر لتصورهم أن العملية قد تمت بنجاح.

- يعتبر معتقد الخوف من العين والحسد وكذلك المس الشيطاني من أكثر المعتقدات ثبوتا في مجتمع البحث، إذ أنه لا تكاد تخلوا مناسبة إلا ووجدنا فيها بعض الممارسات المتعلقة بالحماية منه، كتعليق التمائم ومسك المصحف أو القراءة منها أو رش الملح في الأرض أو السينوج وغيرها من الممارسات، فضلا على الحديث عن هذا الموضوع بكثرة خلال اجراء المقابلات وهي ما أثبتت صحة تلك الملاحظات، فالمجتمع البحث يفسر جميع خيباته ومشاكله النفسية والاجتماعية بالعين والحسد وذلك بالإكثار من القول" ***عندي تابعة*** ".

- لقد أصبحت عادات دورة الحياة نظاما رمزيا يمتزج بين التقليدي والحديث، لتمسك فئة الكبار بالعادات والتقاليد القديمة، وثورة الشباب عليها وتبني كل ما هو حديث، ولذلك فقد ثبت لنا من خلال الدراسة الميدانية تواجد كلا المظهرين في المناسبات الاحتفالية لجميع مراحل العبور بما فيها من احتفالات للميلاد والبلوغ والزواج والجنائز.

- ان ذبذبة ممارسة العادات في مجتمع البحث بين القيام بها من عدمه، وكذلك بين المزاوجة بين العادات الحديثة والتقليدية يوضح أن المجتمع في مرحلة انتقالية، فهو لم ينفصل كليا عن المجتمع التقليدي ولم يندمج كليا في المجتمع الحديث وهو السبب الرئيسي في الصراعات التي ظهرت في المجتمع.

- ظهور صراع بين الأجيال حول ضرورة ممارسة العادات من عدمه، فالكبار في السن ينادون بأهمية العادات وممارستها، في حين أن أغلبية الشباب يؤكدون العكس من ذلك لأنه ما من شيء يستدعي الضرورة في أدائها، بل هي قرارات شخصية خاصة بهم فهم يعتقدون أن لهم

كامل الحرية في التصرف في حياتهم وعن ماهية الطقوس التي يريدونها والتي لا يريدون القيام بها، خاصة بعد تحرر المرأة من بعض القيود التي كانت مفروضة عليها في المجتمع، فقد أبدت الكثير من الاعتراضات تجاه العديد من الطقوس التي كانت تقوم بها كالوشم والذهاب إلى الحمام والتصفاح واجراء فحص العذرية وغيرها من الممارسات، ما أسهم بشكل كبير في احتدام الصراع بينها وبينهم.

- تخضع العادات والطقوس المرتبطة بدورة الحياة إلى سلسلة لامتناهية من التغيرات الثقافية، وذلك نتيجة للحداثة والتطور التكنولوجي الذي وصلت إليه المجتمعات، وأكثر عامل أثر وما يزال يؤثر في ديناميكية العادة هو اللجوء إلى مواقع التواصل الاجتماعي للتعرف على ما هو جديد في الساحة، كتتبع صفحات الموضة أو الصفحات المتخصصة في نشر كل ما هو متعلق بالحفلات خاصة التحضيرات.
- لقد نتج عن التغير الثقافي فقدان الكثير من العادات المتعلقة بدورة الحياة لدى المرأة في مجتمع البحث، وقد حل محلها عدد من العادات المستحدثة التي فرضها أسلوب الحياة الذي تعيشه المرأة حاليا، والذي يختلف كثيرا عما كان عليه الوضع في المجتمع التقليدي، كما أنه وجدنا من خلال النزول إلى الميدان علامات لاختفاء عادات أخرى وبوادر لظهور عادات جديدة محلها، وذلك عائد للتغير السريع الذي صاحب انطلاق عصر السوشل ميديا، وهو ما صعب على مجتمع البحث مهمة الحفاظ على العادات والممارسات المتعلقة بدورة الحياة في ظل هذه الظروف.
- من الآثار التي نتجت عن التغير الثقافي فقدان بعض العادات لرموزها ومعانيها بمرور الوقت، فلم تعد معظم النساء حاليا تعلم ماهية تلك الطقوس وذلك عائد إلى عدة عوامل منها التعود على أدائها، فالاعتياد هنا خلق نوعا من الروتين الذي جعل من النساء لا يستفسرون عن أسباب

القيام بها، لذلك فإن أغلب الإجابات عن رموز العادات كانت: " ***هكا لقينا جدودنا يديروا*** "، وبالتالي فإن الممارسة هنا تأتي على شكل اتباع للممارسات الثقافية التقليدية للأجداد لا للاعتقاد برمزية العادة.

- إن أداء طقوس العبور في مجتمع البحث يعد بمثابة حتمية وأمر مسلم به غير أن ذلك يكون بصورة متفاوتة، بمعنى أنه لا توجد درجة أداء موحدة في المجتمع فكل شخص أو عائلة تؤديها حسب اعتقادها في ذلك الطقس، كما أنه توجد عوامل أخرى مؤثرة في تفاوت أداء العادات كاختلاف المستوى التعليمي والمستوى الثقافي والمادي وغيرها من العوامل المؤثرة، وهذا الأمر جعلنا نقسم المجتمع إلى ثلاث فئات هي:

- **الفئة الأولى:** هي الفئة التي تقدس العادات بشكل كبير اذ تسعى إلى أداء أكبر عدد ممكن منها أثناء مراحل العبور، وتتمثل هذه الفئة في كبار السن الذين يميلون إلى مقاومة التغير.
- **الفئة الثانية:** هي الفئة الوسطية التي لا تبالغ في الاعتقاد بالعادات ولا تبالغ في أداءها كما أنها لا تتخلى عنها ولا تنبذها، ويمثل عامة الشعب هذه الفئة وتعتبر أكثر الفئات انتشارا في المجتمع.
- **الفئة الثالثة:** وهي الفئة التي لا تهتم كثيرا بأداء طقوس العبور وذلك عائد إلى عدم الاعتقاد بأهميتها، فيتلخص أدائها في القيام ببعض الممارسات كنتيجة للتعود عليها أو نتيجة لبعض الضغوطات التي يتلقونها من المجتمع، وعادة ما يكون الأشخاص المتدينون هم ممثلي هذه الفئة، وإلى جانبهم بعض الفئات الاجتماعية كطبقة الأغنياء وأصحاب المناصب المرموقة في تصور مجتمع البحث كالأطباء والأساتذة الجامعيين

والسياسيين، وغيرهم ممن يضنون أن العادات مجرد تقليد قديم يجب التوقف عن ممارسته.

- يعد مدى تعلق الناس بالعادات الاجتماعية والحرص على أدائها أحد أهم عوامل استمرارها، وأن أكثر الأشخاص حرصا على أداء هذه العادات هم أولئك الأشخاص الذين ما يزالون على صلة وثيقة بالريف وأهله، كالقيام بزيارات دورية إليه أو استقبال الأقرباء في منازلهم أو دعوتهم للحضور إلى مناسباتهم الاحتفالية والمشاركة فيها، وهو الأمر الذي جعلهم في تخوف دائم من التصورات التي سيكونونها عنهم في حالة تخليهم عن عاداتهم التقليدية واتباع أسلوب حياة المدينة، وهو الأمر الذي يشكل مصدر قلق وخوف شديدين لكون ذلك سببا قويا لنبذهم من الجماعة، فنجدهم أكثر الأشخاص حرصا على الالتزام والقيام بهذه العادات والالتزام بها تحت مسمى ***" واش يقولوا علينا مالينا "***.
- وفي المقابل نجد أكثر الناس استعداد للتخلي عن العادات هم فئتين اثنتين فئة الأبناء أو الشباب، وذلك لاستعدادهم التام عن التخلي عما هو تقليدي للالتحاق بركب الموضة، فالعادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية تمثل عائقا كبيرا بالنسبة إليهم لأن التمسك بها سيظهرهم بمظهر المتخلفين، فهذه الأخيرة أصبحت ترمز إلى التخلف والرجعية والأفكار البالية التي يتمسك بها الآباء لإرضاء الجماعة على حسابهم، وأن الواقع المعاش حاليا يفرض عادات أخرى خاصة في ظل الاستخدام الواسع لمواقع التواصل الاجتماعي الذي يفرض نمط حياة معين يتبعه الشباب، خاصة بعد انتشار الظاهرة المسمات بـ: ***" الترند، الترندات "*** ***" trend, trending "*** التي تحمل كل الأفكار والأخبار والعادات والممارسات الجديدة في المجتمع، أما الفئة الثانية فهي التيار الإسلامي أو السلفية والذين يهدفون إلى محاربة شتى أنواع العادات التي اعتاد

المجتمع القيام بها، بناء على الاعتقاد بأن جلها ممارسات للشرك بالله وهو الشيء الذي يوجب ضرورة التوقف عن القيام بها.

- كانت العادات المرتبطة بدورة الحياة تندرج ضمن الشؤون الخاصة بالجماعة، فنجد العائلة الكبيرة هي التي تقرر وتخطط لاحتفالات العبور فنجد الجميع يشارك بالأفكار والأفعال وغيرها، أما الآن فقد أصبحت أمورا شخصية تتعلق بالفرد وميولاته الشخصية وكذلك اهتماماته، وذلك نتيجة لانتشار النزعة الفردانية التي صاحبت تحول نمط الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، فالرغبة بالانفصال من العائلة الكبيرة أدى إلى فصل هذه العادات عنها.
- ضعف العلاقات الاجتماعية نتيجة اتجاه الأفراد إلى الاستقلال واتباع الاتجاه الفرداني، وبالتالي عدم تحقيق أهداف العادات التي كانت ترمي إلى توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية، كون هذه الأخيرة كانت لا تقام إلا في حضور جميع أفراد الجماعة، أما في الوقت الراهن فقد اقتصرت على دعوة المقربين فقط وفي بعض الأحيان يتم الاستغناء عنها نهائيا.
- يرى مجتمع البحث أن العادات ليست كلها سلبية في النهاية بل هي نتيجة لما تعارف المجتمع عليه واعتاد على القيام به، فقد كان في القديم أنسب نمط للعيش في ظل تلك الظروف المحيطة بهم، ولذلك فالكثير من الأشخاص يحبون ويحترمون هذه العادات وحتى يمارسونها رغبة منهن على الحفاظ على الموروث الثقافي للبلاد، خاصة فيما يتعلق بموضوع الألبسة التقليدية كالتصديرة والأغاني الشعبية وبعض أدوات الزينة كالكحل والمسواك واحنة وغيرها من الممارسات التي تطبق في مختلف مراحل دورة الحياة.
- من بين انعكاسات التغير الثقافي على عادات دورة الحياة لدى المرأة في مجتمع البحث هي مدى أهمية العامل المادي ودوره الكبير في طريقة أداء العادات وذلك ما وضحته الدراسة الميدانية، فبعدما كانت العادات مرتبطة بمعتقدات خاصة بثقافة الجماعة ولأسباب جوهرية، أدت

التغيرات إلى تحول تلك القيم والمعتقدات إلى ثقافة استهلاكية بحتة، فرضتها عمليات التثاقف المستمرة التي تم تكريسها بواسطة منصات التواصل الاجتماعي، ولذلك غلبت المظاهر على تلك العادات فأصبح أكبر هم للمرأة هو القيام بطقوس عبور ملفتة للانتباه، من أجل مدح الجماعة لها ومشاركتها عبر هذه المنصات لنيل القبول الاجتماعي فيها، والتحضير لهذه الأخيرة يستلزم مبالغ مالية ضخمة.

- لقد أدت التغيرات الثقافية التي لامست عادات دورة الحياة إلى تغير أسلوب ونمط عيش الجماعة، فمن بين النتائج التي أحدث بسببها هو تغير أسلوب التنشئة الاجتماعية تجاه الفتاة، فبعدما كانت الأم تسعى إلى اعداد ابنتها لتكون ربة بيت في المستقبل، أصبح الهدف اليوم هو اعدادها لتكون شخصا مؤثرا وفاعلا في المجتمع، من خلال تعليمها ودعمها في الحصول على وظيفة مرموقة للوصول إلى الاستقلال المادي خاصة قبل مرحلة الزواج، لأن ذلك من شأنه أن يحمي حقوقها في المجتمع.
- إن تقسيم الأدوار الاجتماعية على أساس الجندر ليس ظاهرة أبدية، فقد علمت المرأة في الوقت الراهن بهذا الشيء انطلاقا من زيادة وعيها بعد الالتحاق بالدراسة والعمل، ما مكنها من معرفة حقوقها وواجباتها وهو الأمر الذي أدى بها إلى مقاومة تقسيم الأدوار التقليدي، وكذلك مع تزايد خطابات الحرية وحقوق المرأة اتسعت رقعة الأدوار التي تؤديها خاصة مع انتشار استعمال السوشل ميديا، غير أن هذه التقسيمات لم يزل تماما فمظاهر الهيمنة الذكورية ما تزال متواجدة، وقد تجسد ذلك في إجابات المبحوثات عن رأيهن في موضوع الدراسة والعمل والزواج والإنجاب والسفر وغيرها، فأغلب الإجابات التي صرحن بها قد أبدين فيها تخوفا من نظرة الرجل والمجتمع إليهن، وكذلك تخوف العديد من الفتيات من عدم إمكانية الزواج إذ قمن باتخاذ قرار خاطئ فيما يخص اختيار العمل أو الدراسة الغير مناسبين لها.

- وبعد تفريغ النتائج توصلنا إلى أن أكثر العوامل المسببة في تغير عادات دورة الحياة هي: عامل الدين فارتفاع الوعي الديني في المجتمع أسهم في تراجع العديد من الممارسات والطقوس التي تندرج ضمن الشرك بالله كزيارة الأضرحة للتبرك، وكذلك تغير تصور المرأة حول ذاتها وذلك عائد إلى خروجها إلى العمل ونيل الاستقلالية المادية فضلا على تأثير بعض أفكار الحركة النسوية فيها، أما العامل الأخير فهو الاستعمال الواسع للسوشل ميديا واتباع آخر الترندات في ممارستها للعادات.
- وفي الأخير فقد استنتجنا أن المجتمع بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة يسيرون إلى التخلي عن العادات الاجتماعية الخاصة بمجتمع البحث، وتبني الثقافة العالمية بدلا منها بسبب تأثير السوشل ميديا عليهم، وعليه فبعد عدة سنوات قد لا تكون طويلة نظرا للتغير السريع الذي نشهده سيصبح العالم ذو ثقافة واحدة، وهذا ما يهدد الاختلاف والتنوع الثقافي وقد يؤول إلى زوال وجوده بالكامل.

خاتمة

خاتمة:

لقد جاءت الدراسة التالية في إطار فهم السلوك الطقسي لدورة الحياة لدى المرأة الجزائرية وعلاقته بديناميكية الجماعة، وذلك من خلال استقراء تلك العادات ضمن السياق العام الذي تمارس فيه، وكذلك محاولة تأويل الدلالات الرمزية التي تعنيها باختلاف ممارساتها حسب اختلاف مراحل العبور التي تقام فيها، وفي النهاية يتضح لنا من خلالها صحة التصنيف الثلاثي الذي قدمه أرنولد فان جينيب (الانفصال، الانتقال، الاندماج).

وتبرز هذه الطقوس في جميع مراحل دورة الحياة، فالانفصال يكون مع بداية كل مرحلة والانتقال يكون بمثابة السفر الرمزي المرتبط بالفكرة الشعائرية عبر مجموع العادات التي تمارس، ومن ثم يأتي الاندماج في الجماعة التالية ليكون آخر حدث طقسي، كخروج الجنين من رحم أمه واندماجه في عالم الاحياء، وانفصال الفتاة عن مرحلة الطفولة واندماجها في جماعة الراشدين، وكذلك اندماج المرأة في الحياة الزوجية بعد انفصالها عن حياة العزوبية، لينتهي الأمر بانفصال الروح عن الجسد وانتقال المرأة إلى عالم الأموات ليبدأ بذلك تساؤل آخر عن حياة ما بعد الموت.

لقد استخلصنا من خلال هذه الدراسة أن تقدم المرأة في السن لا يكون تقدما بيولوجيا فحسب، بل الأمر يتخطى ذلك ليكون تقدما اجتماعيا في جوي طقسي مفعم بالعادات والممارسات التي تقام في الاحتفاليات الخاصة بدورة الحياة، وتكون هذه الممارسات الشعائرية بمثابة الإعلان للجماعة أن تلك المرأة ستنتقل إلى المرحلة الموالية، كطقس أساسي لاستكمال متطلبات الانفصال والعبور إلى المرحلة التي تليها.

وعليه فإن المجتمع يضع المرأة في وضعيات اجتماعية مختلفة من أول يوم في حياتها إلى آخر يوم فيها بشكل متزامن ومتتالي، فتمضي حياتها في الانتقال من فئة اجتماعية إلى أخرى عن طريق ممارسات تختلف أشكالها ووظيفتها ودلالاتها، غير أننا لاحظنا بعض أوجه التشابه في تفاصيلها كتشابه

معتقد العين والحسد والمس في مرحلتي الميلاد والزواج، واعتماد نفس العادات لإبعادها كالقرآن والأذكار وكذلك التمائم كتعليق لحجابات ولحروز والمشابك الفضية والذهبية وغيرها، إلا أن جميع هذه العادات في النهاية تهدف إلى غاية واحدة وهي الارتقاء بها عبر الزمن.

والأمر الملاحظ كذلك هو الارتباط التسلسلي للعادات ما يؤكد هو الآخر الهدف الأساسي الذي تسعى هذه الطقوس لتحقيقه، ويتجسد ذلك في عادات الميلاد كدهن جسد المولودة بزيت الزيتون ووضع الحنة على شعر رأسها لمرات متعددة لغرض العناية به ليصبح أكثر قوة وسمكا ولمعانا، مرورا إلى عادات العناية بالجسم والبشرة، فضلا على ممارسات الحماية والمراقبة كعادات الفصل بين الفضاءين وطقوس الصفح وحماية عذريتها، كل هذه العادات ترمي في مجملها إلى جعل الفتاة محل الأنظار لتعجب الرجل، ومن هنا نستنتج أن أغلب هذه الممارسات ليست مسألة أنثوية بقدر ماهي ذكورية تبرز من خلالها مدى سيطرة الرجل على المرأة.

وما يميز النظام الطقسي لدودة الحياة الذي يقام في المجتمع بغض النظر عن الزمان والمكان واختلاف الأعراش والقبائل، هو التفريق القائم بين العادات على أساس النوع الاجتماعي ذكر وأنثى فالعادات المرتبطة بالعالم النسوي تختلف عن العادات المتعلقة بالعالم الذكوري وإن وجد بينهم بعض التقاطعات، وكذلك نميز بين العادات الاجتماعية والثقافية المنبثقة من روح الجماعة، والعادات المتعلقة بالجانب العقائدي المتمثل في مجموع المعتقدات المرتبطة بتلك العادات، وتنحصر في المعتقدات الدينية والسحرية وبين الاعتقاد في الفضاء والمقدس والفضاء المدنس.

وفي كثير الأحيان تم الاعتماد على شروحات مطولة ومفصلة، لتوضيح السياق العام الذي تمارس فيه العادات وشرح المعتقدات المرتبطة بها لإبراز مدلولاتها ومعانيها، وهذه الأخيرة بناء مترابط ببعضه البعض فلا يمكن فهم العادة الواحدة بمعزل عن البقية، إذ أن ذلك الفهم لا يحصل إلا من خلال الرجوع إلى الخلفية الشعائرية للمجتمع المحلي.

إن علاقة التأثير والتأثر القائمة بين العادات في مراحل دورة الحياة يوضح لنا الترابط الوظيفي بينها، فأي تغير يلامس وحدة ما في النظام الطقسي يؤثر بصفة مباشرة في دورة الحياة ككل، وينعكس ذلك بالضرورة على تحقيق الهدف المراد من هذه الطقوس ألا وهو الانتقال إلى المرحلة الموالية، لذلك نجد جميع أفراد الجماعة الواحدة يسعون إلى تطبيق تلك العادات والطقوس على أكمل وجه تخوفا مما قد يحصل في حالة عدم أدائها.

وهذا ما يفسر العديد من التغيرات التي لامست عادات دورة حياة المرأة في مجتمع البحث، فقد استخلصنا من خلال الدراسة الراهنة أن المجتمع الجزائري في حالة حركية دائمة وتغير مستمر، وذلك عائد إلى العديد من العوامل والمسببات، كتحسن جودة الحياة وزيادة الوعي بالحقوق والواجبات التي تمتلكها المرأة، وكذلك عامل التعليم والعمل اللذين أثرا بشكل مباشر في حياتها كون الاستقرار المادي الذي حققته سمح لها بالانسلاخ عن الكثير من العادات والممارسات المجحفة في حقها، كالفصل بين الفضاءين وحرمانها من التعليم والتعلم وطقوس الصفح والحماية والكشف عن عذريتها قبل وبعد الزفاف، غير أن ذلك لا يعني تركها للعادات التي نشأت عليها فما تزال أثارها بارزة وبوضوح في جميع مراحل دورة الحياة، كالاستمرار في الذهاب أسبوعيا إلى الحمام أو المقبرة أو عادة وضح الحنة باللويز وغيرها من الممارسات التي تمثل مظاهر النظام التقليدي.

إن تأرجح المرأة بين ممارسة العادات التقليدية والتخلي عنها في سبيل العادات المستحدثة، يعكس لنا أن المجتمع ما يزال في المرحلة الانتقالية، فهو لم يتخلى على النظام التقليدي بالكامل ولم يلتحق بنظام الحداثة، ففي جميع مراحل دورة الحياة لاحظنا وجود ازدواجية في الممارسة غير أن الأمر الجدير بالذكر هو الميل إلى التخلي عن كل ما هو قديم، وقد أثر في ذلك الاستعمال الواسع لمواقع التواصل الاجتماعي التي فرضت أسلوب حياة جديد خاصة عند فئة الشباب.

ففي الآونة الأخيرة اعتمدت المرأة في ممارستها للعادات على استوحاء أحدث الأفكار من السوشل ميديا، لتتمكن من لفت الانتباه إليها أثناء هذه الاحتفاليات والظهور بمظهر التميز أمام الحضور خاصة إذا تعلق الأمر بطقوس الزواج، ويعتبر هذا من بين أكبر نتائج التغيرات الثقافية التي حدثت المجتمع المحلي، والتي تتعارض في باطن الأمر مع جوهر أداء طقوس العبور في السابق ففي مراحل مضت كان الهدف من تلك الطقوس، الاندماج في الجماعة وتوطيد الروابط الاجتماعية وتحقيق أسمى مظاهر التعاون والتكافل في المجتمع وحماية المرأة من الأخطار وغيرها، أما الآن فقد غلبت على العادات مظاهر التكلف وتحولها إلى عادات استهلاكية بحتة.

إن هذه الدراسة ماهي إلا صورة مصغرة تقريبية عما يحدث في المجتمع الجزائري وجزء لا يتجزأ منه، فطقوس العبور نظام ممارستي واسع ومتشعب ومتداخل مع عدة متغيرات كالتقاليد والمعتقدات والآداب الشعبية والفنون وغيرها، وقد حاولنا تقديم نظرة شاملة عنه من خلال الجمع الاثنوغرافي للعادات والتقاليد والطقوس والممارسات، والتأمل والتحليل والاستقصاء عنها وفهم وظائفها في المجتمع وكيفية تأثيرها في النظام ككل، وكذلك محاولة تأويل معانيها ودلالاتها الرمزية في ظل التغير الثقافي الحاصل في المجتمع.

وموضوع دورة الحياة أو طقوس العبور موضوع لا يمكن حصر جميع أجزائه في دراسة واحدة فكل مرحلة منها تستحق دراسة مفصلة ومتأنية أكثر، وعسانا بهذا العمل قد وضعنا قاعدة للدراسات التالية التي ستكون بهذا الصدد ليواصلوا مسيرتنا، نحو فهم النظام الشعائري في المجتمع الجزائري وتفكيك جميع عناصره ومكوناته، كما لا يفوتنا الحديث عن ضرورة اجراء دراسات دورية لمثل هذه المواضيع، للبقاء على اطلاع دائم على التغيرات الحديثة التي تخلق في المجتمع للتعرف على المسار الذي تتجه إليه هذه التغيرات، وكذلك التمكن من التنبؤ بالتغيرات الممكنة الحدوث في المستقبل لاتخاذ التدابير اللازمة خاصة إن كانت التغيرات تتجه إلى مجرى سلبي، فالإحاطة بالمعلومات الكافية حول

اتجاه التغير قد يغير نمط عيش المجتمع ذاته، وهذا ما يبرز الخاصية التي تتمتع بها الدراسات المتعلقة بالتغير الثقافي والاجتماعي.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

أولا: المصادر

1- القرآن الكريم.

ثانيا: القواميس:

1-أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1982.

2- إيكه هولتكرانس: **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور**، محمد الجوهري، حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الاسكندرية، مصر، 1999.

3- شارلوت سيمور سميث: **موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط 2، 2009.

4- شاكر مصطفى سليم: **قاموس الأنثروبولوجيا**، جامعة الكويت، الكويت.

5- طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ: **مفاتيح اصطلاحية جديدة**، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2010.

ثالثا: الكتب باللغة العربية:

1- أبو الحمام عزام: **الاعلام الثقافي جدليات وتحديات**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010.

2- أحمد بن محمد آل رجب: **الأريج في حكم النمص والوشم والوصل والتفليج**، دار الفقراء، 2021.

3- أحمد بن مرسلي: **مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2003،

4- السيد رشاد غنيم: **التكنولوجيا والتغير الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2008.

5- آمال قرامي: **الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007.

6- بلقاسم سلاطنية: **منهجية العلوم الاجتماعية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

7- توماس هايلاند إيريكسون، فين سيرفت نيلسون: **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، 2013.

8- جمال بن عمار الأحمر: **الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية**، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016.

9- خزعل الماجدي: **بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997.

10- رحاب مختار: **تمثلات المرأة في المخيال المجتمعي اثنوغرافيا اليومي وأنثروبولوجيا المترسب الثقافي**، مطبعة نواصري، المسيلة، الجزائر، 2016.

11- دوني كوش: **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002.

12- رحال بوبريك: **مدخل إلى الأنثروبولوجيا**، دار أبي رقران للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2014.

13- سامي محمد ملحم: **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 284.

14- سناء الخولي: **الأسرة والحياة العائلية**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2009.

15- سناء الخولي: **التغير الاجتماعي والتحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2011.

16- عصام توفيق قمر وآخرون: **مدخل إلى دراسة المجتمع العربي**، دار الفكر، عمان، الأردن، 2008.

17- علي السيد الشخيبي وآخرون: **في اجتماعيات التربية المعاصرة**، عمان الأردن، 2009.

18- علي ليلة وآخرون: **التغير الاجتماعي والثقافي**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2010.

19- فادية أبو خليل: **الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2014.

20- فاطمة العراقي: **الحمل من الألف إلى الياء**، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، 2000.

21- محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1990.

22- محمد على محمد: **علم الاجتماع والمنهج العلمي**، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، دار المعرفة الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1983.

23- مها محمد حسين: **العذرية والثقافة**، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010.

24- ميرفت العشماوي عثمان العشماوي: **دراسات في التراث الشعبي: دورة الحياة دراسة للعادات والتقاليد الشعبية**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الاسكندرية، مصر، 2011.

25- نرجس رودگر: **فيمينزم (الحركة النسوية) مفهومها، أصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية**، هبة ظافر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، 2019.

26- يمينة غسيري: **سيكولوجيا الزواج والأسرة في المجتمع الجزائري**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2013.

رابعا: الرسائل الأكاديمية:

1- أسماء لبلق: **التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران2، 2014-2015.

2- بلقاسم الحاج: **المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية**، رسالة ماجستير، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2008-2009.

3- حمداني مالية: **ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010.

4- رابح شرقي: **النمط القيادي للمديرين وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى معلمي المرحلة الابتدائية**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009-2010.

5- راضية لبرش: **نظام الزواج في المجتمع الجزائري في ظل المتغيرات الجديدة (قانون الأسرة المعدل والمتمم 2005)**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص152.

6- لخضر حليتيم: **صورة المرأة في الأمثال الشعبية**، رسالة ماجستير، جامعة لمسيلة، الجزائر، 2009-2010.

7- منصور مختار: **التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري 1990-2000 دراسة أنثروبولوجية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014.

8- وهيبة مهيدة: **رعاية الطفل الرضيع قراءة في العادات والتقاليد المنتشرة في سيدي بلعباس مع مقارنة بالأساليب الطبية الحديثة**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010-2011.

خامسا: المجلات والدوريات والمؤتمرات:

1- أسماء معروف: **ميموني بدرة، مقاربة أنثروبولوجية لطقوس الميلاد في مدينة وهران**، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، المجلد، 07، العدد 02، سبتمبر 2018.

2- الحوسين طلباوي: **واقع الرضاعة الطبيعية في الجزائر حسب المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات لسنة 2019 (MICS6)**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 1، مارس 2022.

3- الجيلالي رقاد: **الطقوس الجنائزية بين سلطة التقاليد المحلية وجبروت النص عند السلفيين (دراسة ميدانية)**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 04، العدد 07، 2018.

4- السعيد قبنة، لشامخة خديجة: **الموت نسقا جنائزيا في يوميات المجتمع التقليدي رواية المقبرة البيضاء لـ (أحمد زغب) نموذجا**، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 03، العدد 03، 2019.

5- المولودة بكوش، قشيوش نصيرة: **وسائل وطرق درء العين عادات ومعتقدات، مقياس أنثروبولوجيا أشكال التعبير الشعبي**، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2020.

6- بابكر رحمة الله محمد أحمد: **مكانة المرأة وواقعها قبل الاسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الاسلام**، المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، 11-2013/01/12.

7- بدرة ميموني، أسماء معروف: **الطفل وطقوس العبور مقاربة أنثروبولوجية لطقوس الميلاد في مدينة وهران**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 17، جوان 2017.

8- بصال مالية: **مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام**، تافزا مجلة الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة، العدد 00، أفريل 2021.

9- بوزيدي سلاف: **إشكالية الشرف لدى المرأة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، سبتمبر 2014.

10- خيرة بن زيان: **الطقوس النسائية والفضاء الاجتماعي (الحمام الشعبي نموذجا)**، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 5، العدد 2، سبتمبر 2016

11- خيرة بن زيان: **تمثلات الجمال للجسد الأنثوي " الحمام الشعبي أنموذجا " دراسة ميدانية بحمام شعبي**، مجلة المواقف، المجلد 19، العدد 1، جوان 2023.

12- رضوان زقار: هاجر بن عيسى، **مكانة الطقوس الجنائزية في سياق الحداد النفسي في منطقة تمنراست**، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 04، 2019.

13- ساري وهيبة، قريصات الزهرة: **العذرية وهوس الافتضاض: مقاربة أنتروبولوجية لممارسة التصفيح في المجتمع المحلي بمدينة الشريعة**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 9، العدد 1، جوان 2023.

14- شريف أم الجيلالي، مكي محمد: **دور طقوس الحداد في جعل الأم تتخطى تجربة موت جنينها داخل رحمها**، مجلة الروائز، المجلد 07، 06-2023، العدد 01.

15- صباح حمزة، برحايل ايمان: **العادات والتقاليد التلمسانية في الأعراس: حمام العروس**، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 54، صيف 2021

16- عبد الحكيم خليل سيد أحمد: **التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية**، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني (واقع وتحديات)، جامعة النجاح الوطنية (فلسطين), 6-10/10-2012.

17- عبد العزيز ناصري: **الإعجاز التشريعي في الميراث**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 05، العدد 02، 2012.

18- عفاف بشير عباس عمر: **المرأة في الديانات السماوية والعصور المختلفة**، المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، مركز جيل البحث العلمي، طرابلس لبنان، 19-2015/03/21.

19- غنيمة هلال: **مكانة المرأة الجزائرية في ظل التغير الاجتماعي الحاصل في المجتمع الجزائر**، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، العدد 16، جوان - ديسمبر 2016.

20- فايزة يخلف: **التواصل غير اللغوي الدلالة الثقافية للوشم لدى المرأة القبائلية**، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 5، العدد 3.

21- فتيحة زعنون: **الزاج بالفاتحة وعلاقته بالزواج الرسمي**، دفاتر مخبر حقوق الطفل، المجلد 3، العدد 1.

22- كامل عمران وآخرون: **الحنة وظائفها وطقوسها الاجتماعية دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 33، العدد 1، 2011.

23- كمال شاشوا، فلة بن جيلالي: **بيير بورديو ومولود معمري أنثروبولوجية الجزائر حوارات ومقالات**، وثائق المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، العدد 9، 2014.

24- لحسن رضوان: **الكتابة الجنائزية بجريدة الخبر اليومية؟ أي سياق لأي مضمون؟**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 01، 2014.

25- لحسن رضوان: **مضامين الكتابة الشاهدية بمقبرة امدوحة: وصف وتصنيف، الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران وامدوحة بتيزي وزو**، محمد حيرش بغداد، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2014.

26- محمد بالراشد: **التضامن الانساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء**، مجلة التفاهم، المجلد 18، العدد 69، 2020.

27- محمد حمادي: **البنية الرمزية للجسد ومظاهره الطقوسية والتعبيرية**، مجلة الواحات للبحوث الدراسية، جامعة غرداية، العدد 11، 2011.

28- محمد علي عبد الأمير حسن: **دور المرأة ومكانتها في المجتمع المصري القديم**، مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات والاجتماع، العدد 2، جانفي 2016.

29- محمد غربي، قلواز إبراهيم: **النظرية البنائية الوظيفية: نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية**، مجلة التمكين الاجتماعي، جامعة الأغواط، المجلد 1، العدد 3، 2019.

30- نصيرة بكوش، المولودة قشيوش: **شعائر احتفالات الخطبة بتلمسان " حفلة الملاك نموذجا "**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 14، مارس 2014.

31- نصيرة قشيوش، نعيمة رحمان: **عادات زيارة الأضرحة والأولياء**، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 4، العدد 2، 2015.

32- نوارة نافع: **مكانة المرأة في المجتمع الجزائري**، مجلة دراسات اجتماعية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، العدد 11، جانفي 2013.

33- نوال بورحلة: **مكانة المرأة في الحضارات، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 31، ديسمبر 2017.

34- نور الدين كوسة: **دور القيم الذكورية في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري –مقاربة نظرية استنادا إلى المدخل الثقافي–**، مجلة التدوين، المجلد 6، العدد 1، 30 جويلية 2020.

35- نورة قنيفة: **الجسد الأنثوي ودلالاته الرمزية في قراءات أنثروبولوجية متعددة**، مجلة التغير الاجتماعي، المجلد 2، العدد 2.

36- هيباوي الطاهرة: **عقد الزواج بين العرف والشرعية، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية**، المجلد 04، العدد 02، 2017.

37- هيبة بوعروج: جفال نور الدين، **سحر ضربة العين كمفعل أنثروبولوجي يثبت الاعتقاد وطقوس الرقوة الشعبية بمدينة تبسة شرق الجزائر**، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 5، العدد 10، 2019.

سادسا: المراجع بالأجنبية:

1- Agence Nationale d'Intermédiation et de Régulation Foncière: **MONOGRAPHIE WILAYA DE BISKRA**, Ministère de l'Industrie, 2021.

2- Andrew B. Kipnis: **The Evolution of Funerary Ritual in Urbanizing China, within a book Death Across Cultures '' Death and Dying in Non-Western Cultures ''**, Helaine Selin, Robert M. Rakoff, Springer Cham, Switzerland, 2019.

3- Arnold van gennep: **the rites of passage**, translated by monika B vizedom and gabrielle L, caffee, 1909.

4- Bernadetta Janusz, Maciej Walkiewicz: **The Rites of Passage Framework as a Matrix of Transgression Processes in the Life Course**, Journal of Adult Development, 22 January 2018

5- Craig calhoun: **dictionary of the social sciences**, oxford university press, new york, USA, 2002.

6- Dahbia Dahmani, Wahiba Guiraa Hatem: **La désacralisation de la virginité féminine: L'orientation sexuelle en question The desacralization of female virginity: The sexual orientation in**

question, journal des lettres et des sciences sociales, volume 19, Numéro 2.

7- Foued Bouzahah: **dynamique urbain et nouvelle centraliste cas Biskra - Algérie-**, thèse de doctorat, Université des frères Mentouri – Constantine, Alegria, 2015, p 67.

8- Hermann Strasser: **Susan C. Randall, An introduction to theories of social change**, Routledge & Kegan Paul, London, Boston and Henley, 1981.

9- Roger Benjamin: **BISKRA SORTILÈGES D'UNE OASIS**, Institut du monde arabe, Paris, France, 2016.

10- Steven Vago: **Social Change, Pearson, Upper Saddle River**, New Jersey, USA, 5th edition.

سابعا: المواقع الالكترونية:

1- https://www.opendemocracy.net/en/5050/politics-nudity-feminist-protest/ 05-06-2023, 22 : 00.

قائمة الملاحق

الملحق رقم (01): استمارة المقابلة

وزارة التعليـــم العـــــالي والبحث العلــمي

جــامعة محمد خيــضر – بسكـــــرة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

رقم المقابلة	
التاريخ	
الزمان	
المكان	

دليل المقابلة

تحية طيبة:

هذه المقابلة معدة بهدف إتمام متطلبات التخرج ضمن دكتوراه الطور الثالث LMD حول موضوع **" التغير الثقافي وانعكاساته على عادات دورة الحياة لدى المرأة الجزائرية – دراسة أنثروبولوجية في مدينة بسكرة –"**

المطلوب: يرجى ملئ الخانة المناسبة بعلامة (X)

السن: من 15 إلى 25 ☐ من 26 إلى 35 ☐ من 36 إلى 45 ☐ من 46 فأكثر ☐

المستوى التعليمي: أمي ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

المستوى الاقتصادي: ضعيف ☐ متوسط ☐ مرتفع ☐

الوضعية الاجتماعية: عازبة ☐ متزوجة ☐

الحالة المهنية: عاملة ☐ غير عاملة ☐

ملاحظة:

" جميع المعلومات المذكورة في هذه الاستمارة ستبقى سرية "

المحور الأول: ميلاد البنت عادات وطقوس بين الثبات والتغير	
1	ماهي أعراض الوحم والحمل؟
	....
2	ماهي الطقوس العلاجية للتأخر في الحمل والعقم؟
	....
3	ماهي تحضيرات الولادة الخاصة بالأم والمولودة؟
	....
4	ماهي العادات التي تقام أثناء لحظة الولادة للأم والمولودة؟
	....
5	هل توجد مأكولات مخصصة للمرأة النافس؟
	....
6	ماهي العادات التي تتبعها الأم في تزيين مولودتها؟
	....
7	ماهي العادات الوقائية التي تتخذها الأم في تحصين المولودة؟
	....
8	كيف تتم طقوس العقيقة؟
	....

9	ماهي عادات انبات الأسنان الأولى للمولودة؟
	....
10	كيف يتم عيد الميلاد الأول للمولودة؟
	....
11	هل توجد عادات أخرى متعلقة بالميلاد؟
	....

المحور الثاني: مرحلة البلوغ لدى الفتاة في ظل التغير الثقافي	
1	ما هو البلوغ؟ وفي أي سنة حدث لكي ذلك؟
	....
2	ما هو تصورك حول جسد المرأة في المجتمع الجزائري؟
	....
3	هل كان هناك فصل بين الفضاء الأنثوي والذكور؟
	....
4	ماهي الأعمال المنزلية واليدوية التي تعلمتها في مرحلة البلوغ؟
	....

5	ماهي طقوس الصفح المعتمدة في جماعتك؟ وهل تم صفحك؟ كيف ومتى؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
6	متى بدأت والدتك باصطحابك الى المناسبات الاجتماعية؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
7	ماهي طقوس العناية بالجسد التي تم تعليمك إياها؟ ومتى؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
8	ما هي عادات الاعتناء بالشعر ونزعه؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
9	ماهي عادات التزين؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
10	ما هو نوع اللباس الذي ترتديه الفتاة في مرحلة البلوغ؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
11	هل توجد عادات أخرى خاصة بمرحلة البلوغ؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………

المحور الثالث: عادات تزويج الفتاة	
1	ماهي عادات اختيار العريس؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………

2	كيف تتم الرؤية الشرعية؟
	....
3	ماهي عادات الخطبة؟
	....
4	ماهي قيمة المهر المطلوب؟ وماهي العادات المتعلقة به؟
	....
5	متى يكون عقد القران؟ وكيف تتم خطواته؟
	....
6	ماهي المهيبة ومتى تكون؟
	....
7	من ماذا يتكون جهاز العروس؟ ومتى يأخذونه إلى منزل الزوج؟
	....
8	ماهي التحضيرات التي تسبق العرس؟
	....
9	كيف يقام حمام العروس؟
	....

10	ما هو مفهوم شرف الفتاة؟ ومتى تستخرج شهادة العذرية؟
	....
11	ماذا يقام في حنة والد العروس؟
	....
12	كيف تتم احتفالية الحنة؟
	....
13	ماهي عادات العرس؟
	....
14	ماهي الطقوس المرتبطة بليلة الدخلة؟
	....
15	كيف يتم يوم القصعة؟
	....
16	ماهي عادات السبوع؟
	....
17	هل ذهبتي في رحلة شهر العسل؟
	....

18	**هل تقام طقوس وعادات أخرى في الزواج؟**
	....

المحور الرابع: الطقوس الجنائزية	
1	**في ماذا يتمثل معتقد الموت؟**
	....
2	**ماهي طقوس الاستعداد للموت؟**
	....
3	**كيف تكون لحظة الموت؟**
	....
4	**ماهي ردة الفعل الأولى بعد تلقي الخبر؟**
	....
5	**كيف يتعامل الأهل مع خبر الوفاة؟**
	....
6	**ماهي طقوس تغسيل الميت؟**
	....
7	**ماهي طقوس التكفين؟**
	....

8	كيف يتم تشييع الجنازة؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
9	ماهي طقوس الدفن؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
10	كيف تتم الجنازة؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
12	كيف يكون الحداد والعزاء؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
13	ماهي الطقوس التي تتم أثناء زيارة القبور؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
14	كيف تتم عادات ذكرى الوفاة؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
15	كيف يتم تقسيم ارث المتوفاة؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………
16	هل توجد طقوس أخرى متعلقة بالوفاة؟
	…………………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………

الملحق رقم (02): شبكة الملاحظة المطبقة أثناء القيام بالدراسة الميدانية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

شبكة الملاحظة المطبقة أثناء القيام بالدراسة الميدانية

أولا: مكان الملاحظة		
1	المنزل	مكان عام
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………	
2	حالة المكان	
	مرتب	غير مرتب
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………	
3	ديكور المكان	
	تقليدي	حديث
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………	
4	تعليق تمائم	
	موجودة	غير موجودة
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………	
5	الضجيج	
	موجود	غير موجود
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………	

6	**عوامل أخرى**
	....
ملاحظات	....

<table>
<tr><th colspan="3">ثانيا: ملاحظة حالة المرأة</th></tr>
<tr><td>1</td><td colspan="2">اللباس</td></tr>
<tr><td></td><td>تقليدي
(في المنزل: قندورة)
(خارج المنزل: بوعوينة جلابية)</td><td>حديث
(في المنزل: بيجامة...)
(خارج المنزل: سروال، ليكات...)</td></tr>
<tr><td>ملاحظات</td><td colspan="2">..
....
....</td></tr>
<tr><td>2</td><td colspan="2">الحلي</td></tr>
<tr><td></td><td>تقليدي</td><td>حديث</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>ملاحظات</td><td colspan="2">..
....
....</td></tr>
<tr><td>3</td><td colspan="2">التجميل</td></tr>
<tr><td></td><td>تقليدي (كحل حنة...)</td><td>حديث (مساحيق التجميل)</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>ملاحظات</td><td colspan="2">..
....
....</td></tr>
<tr><td>4</td><td colspan="2">مواصفات أخرى</td></tr>
<tr><td></td><td colspan="2">..
....
....</td></tr>
<tr><td>ملاحظات</td><td colspan="2">..
....</td></tr>
</table>

ثالثا: ملاحظة المظاهر السلوكية العامة للمبحوثين أثناء المقابلة					
1	سلوك الحماس				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………				
2	سلوك الملل				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………				
3	سلوك القلق				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………				
4	سلوك الغضب				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………				
5	سلوك الفرح				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	…………………………………………………………………………… …………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………				

سلوك الحزن					6
++++	+++	++	+	منعدم	
……………………………………………… ……………………………………………… ………………………………………………					ملاحظات
سلوك الاحراج					7
++++	+++	++	+	منعدم	
……………………………………………… ……………………………………………… ………………………………………………					ملاحظات
سلوك الخجل					8
++++	+++	++	+	منعدم	
……………………………………………… ……………………………………………… ………………………………………………					ملاحظات
سلوك التوتر					9
++++	+++	++	+	منعدم	
……………………………………………… ……………………………………………… ………………………………………………					ملاحظات
سلوك الراحة					10
++++	+++	++	+	منعدم	
……………………………………………… ……………………………………………… ………………………………………………					ملاحظات

11	الحركات الزائدة				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				

ملاحظات أخرى
....

رابعا: تطبيق شبكة الملاحظة على عادات دورة الحياة	
المحور الأول: ميلاد البنت	
ملاحظات	....

المحور الثاني: مرحلة البلوغ لدى الفتاة	
ملاحظات	....

المحور الثالث: عادات تزويج الفتاة	
ملاحظات	……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ………………………………………………………………………………………
المحور الرابع: الطقوس الجنائزية	
ملاحظات	……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ……………………………………………………………………………………… ………………………………………………………………………………………

الملحق رقم (03): دليل الملاحظة الخاص باحتفالات العبور

وزارة التعليـــم العـــــالي والبحث العلـــمي
جــامعة محمد خيــضر – بسكـــــرة –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

دليل الملاحظة الخاص باحتفالات العبور

نوع الاحتفال	
التاريخ	
الزمان	
المكان	

أولا: ملاحظة مواصفات مكان الاحتفال					
1	مكان الاحتفال				
	المنزل		صالة حفلات		
ملاحظات	....				
2	حالة المكان				
	سيئة	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
3	ديكور المكان				
	سيئ	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
4	عوامل أخرى				
ملاحظات	....				

ثانيا: وصف حالة الحضور		
1	اللباس	
	تقليدي	حديث
ملاحظات	....	

2	**الحلي**	
	تقليدي	حديث
ملاحظات	....	
3	**التجميل**	
	تقليدي (كحل حنة...)	حديث (مساحيق التجميل)
ملاحظات	....	
4	**مواصفات أخرى**	
ملاحظات	....	

ثالثا: المظاهر السلوكية للحضور					
1	**سلوك الحماس**				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
2	**سلوك الملل**				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				

3	سلوك القلق				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
4	سلوك الغضب				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
5	سلوك الفرح				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
6	سلوك الحزن				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
7	سلوك الاحراج				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				

8	سلوك الخجل				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
9	سلوك التوتر				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
10	سلوك الراحة				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				
11	الحركات الزائدة				
	منعدم	+	++	+++	++++
ملاحظات	....				

ملاحظات أخرى
....

الملخص:

تمثل دورة الحياة مجموع التغيرات الحياتية التي يمر بها الانسان فتشتمل على: " ***الميلاد والبلوغ والزواج والوفاة*** " ، وهذا المسار الحياتي يحدث ضمن ترتيب زمني معين إذ لا يمكن تخطي مرحلة ما دون المرور بالأخرى، ولذلك أحيطت دورة الحياة هذه بنظام طقسي شامل مستمد من الثقافة الاجتماعية، فنجد أن لكل مرحلة زمنية من دورة الحياة عادات وطقوس مرتبطة بها وهي ما تعرف " ***بطقوس العبور*** "، وتعد عادات دورة الحياة انتاجا اجتماعيا نابعا من ظروف معينة تحمل خلف ممارساتها العديد من الدلالات والمعاني فنجدها تمس جميع جوانب حياه الإنسان، وقد جاءت الدراسة التالية في إطار فهم السلوك الطقسي لدورة الحياة لدى المرأة الجزائرية وعلاقته بديناميكية المجتمع، وذلك من خلال استقراء تلك العادات ووظائفها ضمن السياق العام الذي تمارس فيه، وكذلك محاولة تأويل الدلالات الرمزية التي تعنيها باختلاف ممارساتها حسب مراحل العبور التي تقام فيها في ظل التغيرات الثقافية الحاصلة في مجتمع البحث.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التغيرات الثقافية، العادات، دورة الحياة.

Abstract :

The life cycle represents the changes in a person's life. It includes: ***"birth, puberty, marriage, and death".*** This life path takes place in a precise temporal order, as it is not possible to skip a phase without going through the previous one. Therefore, this life cycle is surrounded by a ritual system derived from social culture. This is why each phase of the life cycle is accompanied by customs and rituals, which are known as ***"Rites of Passage"***. Life-cycle customs are a social production that carries many connotations and meanings behind its practices, affecting all aspects of human life. The following study attempts to understand the life-cycle ritual behavior of Algerian women and its relationship to the dynamism of society, by extrapolating these customs and their functions into the general context in which they are practiced, as well as attempting to interpret their symbolism. connotations according to the different practices in the transit phases in the light of the cultural changes taking place in the research community.

Keywords: culture, cultural changes, customs, life cycle.